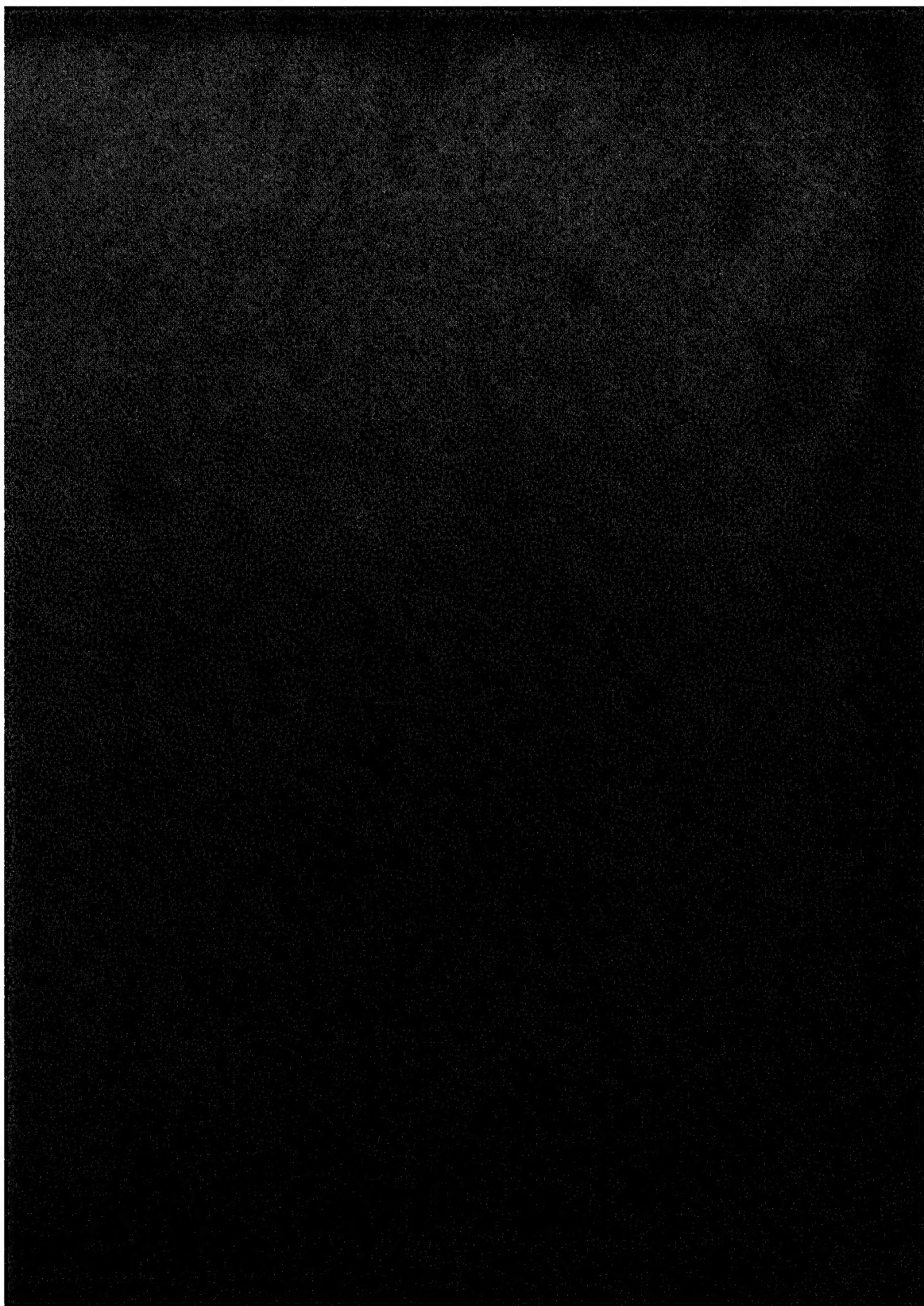


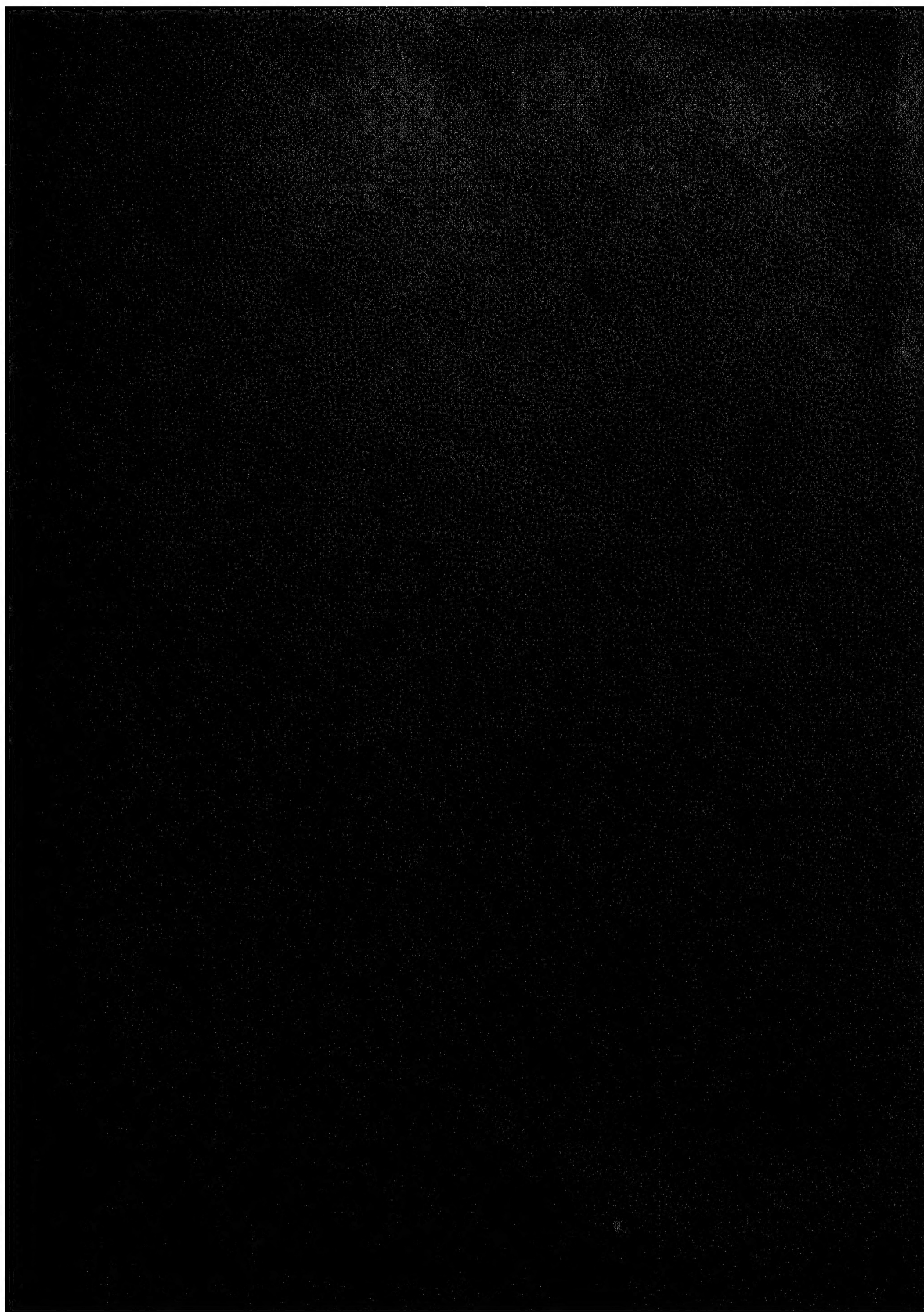
أحمد شوقي
الأعمال الكاملة
المسرحيات



المكتبة المصرية العامة للكتاب







أحمد شوقي الأعمال الكاملة المسرحيات



المكتبة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٤

قام على تحقيق هذه الطبعة لغوياً وعروضياً
سعد درويش

وراجعها
الدكتور عز الدين إسماعيل

تصميم الغلاف والإخراج الفني : سعد عبد الوهاب

تقديم

يحتل الشاعر أحمد شوقي مكانة مرموقة في تاريخ الأدب العربي الحديث ، أهله لها عطاؤه الأدبي الغزير والمتنوع ، الذي شغل به الناس في حياته على مدى نيف وأربعين عاما ، ومازالوا يشغلون به حتى اليوم ، شأنه في هذا شأن المتنبي .

لقد كان مايزال حيا عندما اتفق النقاد في أمر شعره واختلفوا ؛ لكنه بعد وفاته صار ملكا للتاريخ ، فتوارت دوافع المعاصرة بوجهيها الإيجابي والسلبي ، وبقي نتاجه الأدبي حيا في ضمائر الأجيال ، مؤكدا أنه كان أمة وحده ، وأنه كان - بحق - شاعر أمته .

لم يكتف بأن يكون الشاعر المبرز في زمانه فيقتصر نشاطه الإبداعي على فن القصيد ؛ ولو فعل لكفاه أن يكون شاعر عصره ، كسائر الشعراء الكبار في تاريخ الأدب العربي ، ولكن طموحه الأدبي كان يجاوز هذه الغاية . كان يكفيه أن يكون الشاعر الذي رسخ دعائم النهضة الشعرية الحديثة ، ولكن إحساسه العميق بمطالب النهضة الأدبية بعامة ، دفعه - منذ صدر شبابه - إلى التطلع إلى آفاق أخرى من الإبداع الأدبي ، كان الواقع - آنذاك - يلح في طلبها . ولا شك في أن السنوات الأربع التي قضاها مبعوثا في فرنسا ، والتي أتيج له في أثنائها أن يزور إنجلترا ويمضي بها شهرا ، قد قوت في نفسه ذلك الإحساس ، من خلال ما اطلع عليه من أشكال

أدبية ، وبخاصة في مجال المسرح والقصة .

وهكذا اجتمعت كل الظروف ، العامة والخاصة ، على دفعه إلى الخروج من إطار القصيدة الغنائية المحدود ، وإلى المغامرة في عالم المسرح ، فكتب - وهو ما يزال في بعثته - مسرحيته الأولى المسماة «على بك الكبير» . ويبدو أنها لم تلق القبول من الخلدو ، ولكن المؤكد أنها كانت - مثل كثير من الأعمال الأولى - عملاً هزلياً ، بدليل أن شوقي نفسه قد عاد في أخريات حياته فأعاد كتابتها .

والواقع أن إخفاق شوقي في هذه التجربة الأولى قد صرفه ردها من الزمن عن الكتابة للمسرح ، ولكنه بعد أن عاد من بعثته واستقر به المقام في القاهرة ، انجبه إلى معالجة لون آخر من ألوان الإبداع الأدبي ، فكتب عدداً من القصص ، في وقت لم تكن القصة فيه قد أصبحت فناً أدبياً معترفاً به ومقدراً من البيئات المثقفة . ولأمر ما لم يشغل أحد من نقاد شوقي المعاصرين له بهذا اللون من النتاج الأدبي ، بل ما تزال العناية بهذه القصص التي كتبها شوقي محدودة للغاية حتى اليوم ، على الرغم من أهميتها التاريخية والفنية .

وهكذا شاءت الظروف أن يظل شوقي مرتبطاً بفن الشعر في إطار القصيدة ، وأن تتحدد مكانته الأدبية على المستويين المصري والعربي في ضوء ما أبدع في هذا المجال ، على مدى نصف وأربعين عاماً ، فكان تنويعه أميراً للشعراء في عام ١٩٢٧ . وعند هذا المدى كان شوقي قد استنفد كل الطاقات التعبيرية لإطار القصيدة ، وكانت ظروف المجتمع قد تطورت فحصلت مصر على وعد باستقلالها ، ووضع الدستور وقامت الحياة النيابية ، واستحكمت دعوات التجديد وانضمت فيها الرؤية . عند ذلك عاود شوقي الحنين إلى مغامرته الأولى في كتابة المسرحية الشعرية ، فإذا هو يتجه إليها بكل طاقته ، وإذا هو في غضون السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة من حياته يكتب سبع مسرحيات جديدة ، ويعيد كتابة مسرحيته القديمة «على بك الكبير» .

وإذا دل هذا النتاج الغزير في ذلك الزمن المحدود على شيء فإنما يدل على أن شوقي ظل طوال ذلك الزمن مؤرقاً بفكرة المسرح ، وأن هاجس هذه الفكرة لم يكف

فى نفسه ، إلى أن صارت الظروف مواتية فانطلق الشاعر فى الكتابة كأنه يسابق الزمن ، وكأنه وجد أخيرا متنفسا لذلك الهم الثقافى الذى حمله فى قلبه وفى ضميره زمنا طويلا .

وقد كان المسرح فى مصر حتى ذلك الوقت قد غلب عليه تياران استجاب كلاهما لجانب من الذوق العام ، أحدهما تيار الترجمة والتمصير للمسرحيات الكوميدية ، وبخاصة كوميديات «مولير» ، والآخر تيار عربى ، يستمد موضوعاته من الحكايات الشعبية ، وبخاصة من «ألف ليلة وليلة» ، ويمتلىء بمقطوعات الشعر التى تؤدى غناء . ومن خلال النكتة أو الغناء كانت المسرحية تجد طريقها إلى نفوس جمهور المشاهدين . ومع ذلك فإنه إلى جانب هذين التيارين كان تيار ثالث يظهر على استحياء فى أعقاب الحرب العالمية الأولى نتيجة لتزايد الاتصال بين مصر والثقافة الغربية ، وعودة بعض المبعوثين الذين درسوا أصول المسرح وفن التمثيل ، والذين حرصوا على أن يقدموا الأعمال المسرحية الجادة لكبار الكتاب الغربيين ، وفى مقدمتهم شيكسبير وكورنى وراسين . وربما كان هذا المناخ الجديد - بالإضافة إلى عوامل أخرى - هو ما شجع شوقى على معاودة الكتابة للمسرح .

ومهما يكن من شىء فقد استهل شوقى نشاطه المسرحى بمسرحيته المسماة «كليوبترة» ، ثم أعقبها «مجنون ليل» و«قمبيز» و«على بك الكبير» و«عترة» و«أميرة الأندلس» و«الست هدى» و«البخيلة» . ولاخلاف فى الترتيب من حيث الزمن حول المسرحيات الثلاث الأوليات ، والمسرحيتين الأخيرتين . وعلى كل فإن المدة القصيرة التى استغرقتها كتابة هذه المسرحيات جميعا تجعل للترتيب الزمنى لصندورها قيمة ثانوية . وما قد يراه بعض النقاد فى مسرحية متأخرة ، مثل «الست هدى» مثلا ، من تطور فى فن الكتابة المسرحية بالقياس إلى مسرحية متقدمة مثل «كليوبترة» أو «مجنون ليل» يمكن مراجعته فى ضوء حقيقة أن طبيعة الاختلاف بين الموضوع التاريخى المأسوى فى «كليوبترة» ، والموضوع الواقعى الكوميدى فى «الست هدى» قد اقتضت أسلوبين مختلفين للمعالجة .

من أجل هذا آثرنا ، في هذا المجلد من الأعمال الكاملة لشوقي ، أن نقدم إلى القارئ هذه المسرحيات مرتبة على النحو التالي : عنترة ، مجنون ليلى ، أميرة الأندلس ، ثم قمبيز ، فكليوبترة ، فعلى بك الكبير ، فالست هدى ، فالبخيلة .

وقد آثرنا هذا الترتيب لسبب موضوعي ، يأخذ في الحسبان نتائج شوقي الشعرى في مجمله . فقد رأينا كيف أن شوقي قد كتب هذه المسرحيات في أخريات حياته ، بعد أن كان قد استوفى حظه من كتابة الشعر في إطار القصيدة . وقد لاح لنا أن ما كتبه شوقي من مسرحيات لا يكاد يخرج في مضمونه الكلى وفي مغزاه الأخير عما استأثر باهتمامه في «شوقياته» ؛ فهناك إطاران موضوعيان ارتبط بهما كثير من هذه الشوقيات ، هما الإطار العربي والإطار المصري . ومن جهة أخرى يشكل التراث العربي مصدراً أساسياً وجوهرياً لثقافة شوقي ، في الوقت الذي يشكل فيه التاريخ المصري منذ عهد الفراعنة حتى زمنه رافداً أساسياً لشعوره الوطني . ومن أجل هذا وذاك كانت المسرحيات الثلاث الأولى - في هذا الترتيب - هي ما استمد فيها شوقي من ثقافته العربية ؛ وكانت المسرحيات الخمس الأخيرة هي ما استمد فيها شوقي من التاريخ المصري القديم والحديث نسبياً ، ومن الواقع المعاصر .

لقد كانت هذه المسرحيات تتويجاً لرحلة طويلة في عالم القصيدة ؛ وهي لذلك لا يمكن أن تنفصل عنها ، بل إنها تفسرها بقدر ما تفسر بها . وهذا موضوع دراسة طريف ، ولكن لا مجال له هنا .



وقد يقال إن قدراً لا يستهان به من قصائد شوقي قد تحرك في إطار آخر غير الإطارين العربي والمصري ، هو الإطار الإسلامي ، وإن الجزء الأكبر من هذه القصائد قد ارتبط بالترك وبسلاطينهم بوصفهم حماة الإسلام . ولم يكن شوقي يعتقد هذه العقيدة وحده ، بل كان هناك آخرون مثله ، يقودون تياراً سياسياً يصططع مع غيره من التيارات . ومع ذلك لم يفكر شوقي في أن يكتب مسرحية يستمد موضوعها من التاريخ التركي في أى مرحلة من مراحلها ؛ وكل ما نعرفه في هذا الشأن هو ما صرح به ابنه حسين من أن أباه كان قد شرع في كتابة مسرحية عن محمد على الكبير ، رأس الأسرة المالكة في مصر . أما القسم الآخر من هذه القصائد فيتعلق

بالإسلام في قيمه الروحية ومبادئه الأخلاقية . وفي هذا المستوى نستطيع أن ندرك أن هذه القيم والمبادئ كانت تسيطر على رؤية شوقي لسلوكيات بعض شخصه المسرحيين في بعض المواقف ، سواء منهم العرب والمصريون . ومن ثم كان من الصعب أن نعزل بعض مسرحياته لكي نصنفها في إطار إسلامي صرف .

ومرة أخرى يمكننا أن نتمثل تلك العلاقة القوية بين نتاج شوقي المسرحي ونتاجه الشعري إذا نحن أخذنا في الحسبان مصادر مادة هذه المسرحيات . فأربع من هذه المسرحيات مستمدة من التاريخ ، وهي قمبوز وكليوبتره وعلى بك الكبير وأميرة الأندلس ؛ واثنان منها مستمدتان من روايات شبه تاريخية ، هما عترة ومجنون ليل ، واثنان منها تضربان بجذورهما في قلب الواقع الذي عايشه شوقي ، هما الست هدى والبخيلة . فإذا عرفنا أن المسرحيات الأربع الأولى قد اتصلت بالملوك والأمراء والولاة وحياة القصور اتصالاً وثيقاً ، أدركنا العلاقة الموضوعية والنفسية بين هذه المسرحيات وكثير من قصائد شوقي في الأسرة المالكة وفي وصف حياة القصور التي خبرها عن قرب . وإذا عرفنا أن المسرحيتين التاليتين قد اتصلتا بشاعرين عريين كانت عاطفة الحب مدار حياتهما ، أدركنا كذلك العلاقة الموضوعية والنفسية بينهما وبين قصائد شوقي الغزلية ، التي حاول فيها أن يشرح عاطفة الحب ، وأن يسمح لنفسه بالتعبير عن مشاعره الذاتية . ثم تأتى المسرحيتان الأخيرتان فتعلنان - باتصالهما المباشر بالواقع الاجتماعي - عن مرحلة التحول في شعر شوقي إلى هموم الشعب ومشكلاته . وأيضاً فإن الاتصال بين الفكاهة الشعبية الساخرة فيهما وشعر « المداعبة » عنده لا يحتاج إلى بيان .

وهكذا تصبح هذه المسرحيات في هذا النسق معبرة عن مناح ثلاثة ، هي المنحى التاريخي ، والمنحى الذاتي ، والمنحى الاجتماعي . وهذه المناحي هي نفسها التي يعلن عنها حصاد شوقي الشعري .

على أنه ينبغي أن يكون واضحاً أننا لم نقصد بهذه المقاربة بين نتاج شوقي المسرحي ونتاجه الشعري أن نقول إن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر أو يغني غناءه ؛ وأيضاً فإننا لا نقصد بها أن ندعم النقد القديم الذي ذهب فيه أصحابه إلى أن شوقي قد نقل شعره الغنائي إلى مسرحياته . وكل ما قصدنا إليه هو أن نشير إلى

الأطر الموضوعية العامة لعالم شوقي كما تتمثل في مسرحه وفي شعره على السواء .
ويبقى بعد ذلك أن يتميز الإطار الفني للمسرحية - حتى عندما تكون شعرية - عن
إطار القصيدة .

وقد كتب شوقي مسرحياته شعراً باستثناء مسرحية واحدة كتبها نثراً ، هي
مسرحية أميرة الأندلس .

وليس هنا مجال الخوض في علاقة المسرح بالشعر ، قديماً وحديثاً ، ولكن
ما ينبغي تسجيله هنا هو أن شوقي قد وجد نفسه - وقد أقدم على كتابة مسرح شعري
- مطالباً بأن يطوع ذلك قالب الضيق لمقتضيات الأداء المسرحي ، حيث تتباين
الشخص والمشاعر والأفكار في المواقف المختلفة ، وحيث يبطيء الحوار ويسرع وفقاً
لطبيعة كل موقف . ومن ثم فقد كان مضطراً - من أجل تحقيق هذا الأداء - إلى
الخروج من قبضة الوزن الشعري الواحد والقافية الموحدة ، إلى التنويع الدائم
للأوزان والقوافي ، على نحو يضمن مرونة الأداء ، ويلائم طبيعة الحوار في كل
موقف ، بل في كل منعطف شعوري أو فكري في داخل الموقف الواحد . ويمكننا أن
نلاحظ - بالإضافة إلى كل ذلك - أن بنية البيت الشعري الواحد صارت تفتت
أحياناً - وفقاً لمقتضى الحوار في مواقف بعينها - بحيث تستوعب مساحة البيت
اللغوية حواراً متبادلاً بين شخصيتين ، على نحو ما نرى في الحوار التالي من مسرحية
عترة :

عبله : فتى ! ومن الفتى ؟

ناجية : من عامر

عبله : وما حدها نحو عبس ؟

ناجية : الهوى

فهذه البنيات اللغوية الأربع ، المتمثلة في سؤالين من عبلة ، وإجابتين من
ناجية ، إذا ضمت جميعاً شكلت بنية عروضية لبيت شعري واحد ؛ لكن ورودها
على هذا النحو قد ذهب بالإيقاع الصوق الحاد لهذه البنية العروضية ، وحقق للحوار

ما يقتضيه في هذه اللحظة من مرونة وسرعة . وما نحسب أن شاعرنا كان في مقدوره - وهو يرتاد كتابة المسرح الشعري في بيئة ألفت الشعر في شكل القصيدة - أن يطوع هذا الشكل لمقتضيات الحوار بأكثر مما صنع . ومن ثم يصبح ضرباً من التجنى ما ذهب إليه بعض الدارسين * من أن شوقي لم يستطع تكييف المعجم الشعري لمقتضيات الأداء المسرحي ، وأنه كان ينزلق في الاسترسال الغنائي .

حقاً إن هناك مواقف يسترسل فيها الشاعر فيجري على لسان أحد الأشخاص حديثاً قد يطول حتى ليوشك أن يكون قصيدة . ولكن التأمل في مثل هذه المواقف يدلنا على أن الشخصية لا تسترسل - في الأغلب الأعم - إلا لأنها في موقف « مناجاة » . والمناجاة بطبيعتها حديث مع النفس ، أو كشف عن مكنونها ؛ وهي وسيلة من وسائل الأداء المسرحي ، عرفها المسرح منذ القدم ، وما زال يستخدمها حتى اليوم . وكثيراً ما كان شوقي ينص في توجيهاته المسرحية على أن الشخصية في موقف مناجاة ، مثلما صنع - على سبيل المثال - في بداية الفصل الرابع من « مصرع كليوبترا » :

كليوبترا : « كأنما تناجي نفسها »

نام ماركو ولم أنم وتفردت بالألم
إلى أن تقول :

أيها العين أبصرى إنما كنت في حلم

وفي هذه اللحظة تلتفت إلى « شرميون » التي كانت تقف مع « هيلانة » في أقصى الحجرة والدموع تنهمر من عينيها فتقول لها :

يا شرميون بلغنا موقفاً حرجاً لا الرأي ينفعنا فيه ولا الباس .

ومن الواضح أن تغيير شوقي للوزن والقافية هنا ، فضلاً عن المضمون ، يوحى بخروج كليوبترا من حالة التفرد والاستغراق في المناجاة إلى حالة الحضور الجماعي .

ويبقى بعد هذا أن بعض الشعر الذي ورد في مواقف المناجاة مشبع بغنائية تؤهله لأن يلحن ويغنى . وسواء قصد شوقي إلى هذا قصداً أو صدر عنه بطريقة

عفوية فإن هذا المسلك لم يكن بمعزل عن هدف من أهداف المسرح العربي قبل شوقي ، وهو - كما ذكرنا - التأثير في الجمهور عن طريق الغناء . وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد مندور : «ونحن لا نلوم شوقي لتضمينه مسرحياته بعض المقطوعات الغنائية ؛ وكنا نود لو مثلت - كما قلنا - بعض تلك المسرحيات كأوبرا ، وعندئذ كان لابد أن يخفى ما لاحظته بعض النقاد أو معظمهم من أن هذه المقطوعات الغنائية قد جاءت أحيانا دخيلة على بناء المسرحية ، معوقة لسير أحداثها وتطورها نحو خاتمته»* .

والواقع أن مواقف المونولوج المشبعة بالغنائية لا تصادفنا في كل مسرحيات شوقي الثماني ؛ فعلى الأقل هناك المسرحيتان الأخيرتان ، وهما «الست هدى» و«البخيلة» . هاتان المسرحيتان قد خللتا من الغنائية ، لا لأنها خللتا من مواقف المونولوج فحسب ، بل لغلبة الواقعية على أحداثها كذلك . والواقع أن شوقي قد تنبه - بعد تجربته في «مصرع كيلوبتر» و«مجنون ليل» ، ويتأثر ما وجه إليه حينذاك من نقد - فخفف في مسرحياته التالية من مثل هذه المواقف .

وعلى الرغم من تنوع مسرح شوقي من حيث مصادر مادته ، ومن حيث أساليب معالجته ، فإن القارئ المتأمل لهذا النتاج في مجموعه يستطيع أن يستشف صدور شوقي في هذا النتاج كله عن مبدأ أخلاقي ، يحكم نظره إلى التاريخ أو ما يشبه التاريخ من جهة ، وفهمه لوظيفة المسرح من جهة أخرى . فهو فيما يختار من أحداث تاريخية يدير حولها بعض مسرحياته يكون مدفوعا بمشاعر وطنية ، وأعراف وتقاليد اجتماعية ، يستهدف تعميقها في نفوس الجماهير وتأكيدا في ضمائرهم . وهو من أجل ذلك لا يفسر غدر كيلوبتر بأنطوني على أساس من الانحلال في سلوكياتها ، أو ميلها إلى النجم الصاعد آنذاك وهو أكتافيو بقصد إغوائه ، وبرغبتها في تحقيق أمجادها الشخصية ، بل يفسر هذا الغدر في ضوء سياسة وطنية كانت كيلوبتر - في رأيه - تتبناها ، مؤداها أن توقع بين قواد الرومان حتى يفنى بعضهم بعضا ، فتتمكن بهذا من بسط نفوذها على مصر وعلى الإمبراطورية الرومانية نفسها ؛ وكان شوقي قد هدف من هذه المعالجة إلى إحداث نوع من التعاطف بين الجماهير وبينها ، وكسب

* محاضرات عن مسرحيات شوقي - معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٤ ص ٢٠ .

عطفهم عليها . أما أن يكون قد نجح في تحقيق هذا الهدف أو لم ينجح فهذه مسألة أخرى .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن موقفه من واقعة زواج « نيتاس » من قمبيز ؛ فهو يميل إلى جعل إقدامها على الزواج من هذا الملك الغريب موقفا وطنيا منها . لقد كان قمبيز قد هدد وطنها مصر بالغزو عندما رفض فرعون مصر أن يزوجه من ابنته . وقيام نيتاس بدور البديل هو نوع من التضحية بالنفس فداء للوطن . هكذا أرادها شوقى ، على الرغم من أن رؤية أخرى للأحداث نفسها قد تنتهى إلى تفسير آخر لسلوك نيتاس ، مغاير لما رآه شوقى . وفي هذه الحال يمكننا أن نقبل وجهة نظر شوقى أو نرفضها ، ولكن دون أن نذهب إلى تخطئه . فشوقى لم يغير من أحداث التاريخ الكبرى المرصودة ، ولكنه مضى يفسرها في ضوء مبدئه الأخلاقى ، ويوجه مغزاها توجيهها خاصا ؛ وهذا حق مشروع له ولكل الأدباء ، عندما يتجهون إلى التاريخ ليأخذوا منه مادة موضوعاتهم .

ويرتبط بهذا المنزع عند شوقى ما يمكن ملاحظته من اختياره من حياة الأمة الحقب التاريخية التى تكون فيها فى حالة انكسار ، أو تكون قد ألت بها فيها بعض الكوارث . فالنظرة العجلى قد ترى فى هذا الاختيار تعارضا مع أهدافه الوطنية ، وإلا فقد كان الأولى به أن يختار الحقب التى يبلغ فيها الوطن أوج الازدهار ، والتى يحقق فيها أمجاده . هكذا كان اختياره لأحداث « قمبيز » و « كليوبتر » ؛ فالأحداث الأولى تنتهى إلى سقوط مصر تحت سيطرة الفرس ؛ والأخرى تنتهى إلى وقوعها تحت سيطرة الرومان . فإذا اتجه إلى الأندلس اختار الحقب التى أخذ فيها حكم « الطوائف » فى الانهيار ، وعلى وجه التحديد حقبة انهيار دولة المعتمد بن عباد فى إشبيلية . أما فيما يتصل بتاريخ مصر الحديث نسبيا فقد اختار - فى « على بك الكبير » - حقبة تصور انحلال الحياة السياسية والاجتماعية على أيدي المماليك فى زمن الحكم العثمانى . لكن المتأمل فى المسرحيات التى دارت أحداثها فى هذه الحقب يدرك أنها أكثر ما تكون ملائمة لكتابة « المأسى » المسرحية بصفة عامة . لكن شوقى - مدفوعا بأهدافه الأخلاقية - كان يبحث فى قلب هذه الانتكاسات التاريخية عن البطولات التى تكتسب عندئذ قيمة وأهمية خاصة فيبرزها .

هذا فيما يتصل بمسرحياته الأربع ذوات العلاقة الوثيقة بالتاريخ المعترف به . أما فيما يتصل بمسرحيتي « عترة » و « مجنون ليلي » فالهدف الأخلاقي يتركز في تأكيد المبادئ والأعراف والتقاليد التي درج عليها المجتمع . فالقيم والأعراف الاجتماعية السائدة تمثل عند شوقي الإطار المرجعي للحكم الأخلاقي على شخصه . فإذا اصطدمت مشاعر الفرد بأعراف الجماعة كان على الفرد أن يضحي بمشاعره في سبيل تحقيق هذه الأعراف . وفي هذا يتمثل الصراع الذي كتب على الشخصية المأزومة عنده أن تخوضه . وهذا المنحى يدل على رغبة شوقي في عدم الاصطدام بالتقاليد والأعراف ، أو لإحداث أي هزة لها ، وميله - على العكس - إلى تأكيدها .

إن ليلي حين خيرت في الزواج بين قيس وورد لم تتردد في اختيار ورد ، على الرغم من حبها لقيس . على أن رفضها لقيس لم يرق على أساس من مبدأ نابع من ضميرها الشخصي ، بل من ضمير الجماعة التي كانت تأبى للفتاة أن تزف إلى من شبب بها في شعره ، وكشف عن مشاعر الحب نحوها . فالتقاليد القبلية إذن هي التي اصطدمت برغبة ليلي ، فضحت بحبها أو بالزواج ممن تحب ، إبقاء منها على تلك التقاليد . وكذلك كانت التقاليد القبلية - على نحو آخر - هي المتسلطة في « عترة »

وعلى الجملة يمكن أن يقال إن التزام شوقي الأخلاقي بوجهيه الوطني والعرفي هو المسئول عما يكشف عنه تحليل الصراع في مسرحياته التاريخية وشبه التاريخية من نجاح أو إخفاق .



وكل من يتأمل مسرحيتي شوقي الأخيرتين ، « الست هدى » و « البخيلة » ، يدرك التطور السريع الذي حققه شوقي في مجال الدراما الشعرية . وهذا التطور يتمثل في عدة مستويات .

فعلى مستوى الاتجاه العام خرج شوقي نهائياً من إطار المأساة الكلاسيكية وانتقل إلى الملهاة الواقعية . وقد استتبع هذا انصرافه عن شخوص الملوك والأمراء . وعن الشخوص الذين صنعت الرواية الشعبية من حياتهم أسطورة ، واتجاهه إلى شخوص

عادين مآلفين من طبقة البرجوازية في مجتمع المدينة الذي عاصره . والطريف أن الشخصية الرئيسية في كلتا المسرحيتين شخصية نسائية . فالست هدى امرأة ثرية ودميمة ، يطمع أزواجها الواحد بعد الآخر في أن يرث ثروتها . والبخيلة كذلك امرأة تكتنر الثروة وتحرم نفسها وكل من حولها منها . ومن ثم كان أساس الدراما في المسرحيتين هو المفارقة . والمفارقة من شأنها أن تثير الضحك ، ولكنها قد تنطوي كذلك على نقد لاذع . وبهذا تسجل هاتان المسرحيتان تطورا في إنجاز شوقي الدرامي على مستوى الموضوع والتناول .

وقد استتبع هذا كله تطورا ملحوظا على مستوى الأداء اللغوي والشعري . فاللغة في هاتين المسرحيتين قد اقتربت إلى حد كبير من لغة الكلام وإن حافظ الشعر على تماسكها .

ومن جهة أخرى اكتسب الشعر كثيرا من المرونة والحركة نتيجة لتطويعه لمقتضيات الحوار . وسوف يلاحظ قارئ هاتين المسرحيتين إلى أى مدى امتزجت اللغة فيها بالشخص وصبغت دالة عليها ، وإلى أى مدى استوعب الشعر الإيماءات والنكات والتعبيرات الشعبية دون أدنى افتعال أو تكلف .

وبعد فليس الهدف هنا تقديم دراسة أو ما يشبه الدراسة لهذه المجموعة من المسرحيات ؛ وإنما هي كلمة تقديم لها ، لن تحول بحال من الأحوال بين القارئ وما ينتهي إليه من آراء خاصة . وقد اقتضى هذه الكلمة إصدار هذه المسرحيات الثماني مجتمعة في مجلد واحد ، بعد أن صدرت كل مسرحية منها في كتاب على حدة . والحق أن معظم هذه المسرحيات قد طبع خلال الخمسين عاما الماضية عدة طبعات . أما مسرحية البخيلة فلم يسبق نشرها في كتاب قط ، إلا في هذه الطبعة التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب . وقد كان من أثر الطباعات المختلفة غير المسئولة لتلك المسرحيات أن كثرت فيها التحريف والتشويه والأخطاء اللغوية والعروضية ، وتداخلت فيها أحيانا أقوال الشخص واخلطت على نحو يفسد

المشهد . وكان لابد من تدارك هذه الأخطاء والعيوب جميعا ، وإصدار هذه الطبعة الجديدة من هذه المسرحيات ، محبرة ومدققة قدر الطاقة ، ضمن مشروع لإصدار أعمال شوقي الكاملة ، على نحو يليق بمكانته الأدبية في تاريخنا الحديث ، ووفاء لأجيال المستقبل .

القاهرة في ١٦/١/١٩٨٤

عز الدين إسماعيل

أحمد شوقي

الأعمال الكاملة

المسرحيات

١	عنترة
١٠٥	مجنون ليلى
٢٣١	أميرة الأندلس
٣٤٥	قمبيز
٤٤٩	مصرع كليوباتره
٥٤٩	على بك الكبير
٦٦٣	الست هدى
٧٢٩	البخيلة

عن ترة

عن ترة

تمهيد

زمن الرواية : حوالى منتصف القرن الأول قبل الهجرة

مكان الرواية : بادية نجد - أحياء عبس وعامروما بينهما

أشخاص الرواية :

عنترة ، فارس بنى عبس ، أسود اللون لأمه .

عبلة ، محبوبة عنترة وابنة عمه .

مالك ، أبو عبلة ، وعم عنترة ، وهو سرى من

سراة عبس .

، إخوة عبلة .

{ زهير
عمرو

، سرى من سراة عامر يحب عبلة ويتردد

على حياها ويخطبها .

، فارس شاب من فرسان عبس يحب

عبلة ويخطبها كذلك .

ضرغام

ناجية ، فناة من عبس تحب صخرا .
 شاداد ، أبو عنترة .
 داحس ، رفيق عنترة .
 { مارد ، عبدان .
 غضبان
 رستم ، قائد الفرس .
 سعاد ، خادم عبلة .
 نكرات مسرحية ، رجال وخدم وفتيات من عبس وعامر
 راقصات ومغنيات وزامرون ،
 ولصوص ...

الفصل الأول

« عين ذات الأضاد في يمين المسرح وقد حفت بالنخيل.
« وفي اليسار مضارب بنى عبس، وأظهرها خيمة مالك الحراء
« التي يبدو جزء منها حوله ومن ورائه فضاء. في جبهة المسرح ربوة
« عالية وكثبان من الرمال تستوى بالأرض من ناحية اليمين .
« الوقت في مطلع الشمس وقد وقف عنزة أمام الخيام بأديا
« عليه النصب والكلال . يسمع نباح كلاب من وراء الخيام »

المشهد الأول

عنزة :

سَلِيَ الصَّبْحَ عَنِّي كَيْفَ يَاعَبَلُ أَصْبَحُ وَأَيْنَ يَرَانِي تَجْمُهُ حِينَ يَلْمَحُ
أَفِي خِيَمَتِي كَالنَّاسِ أَمْ فِي بُيُوتِكُمْ أَبْتُ الْخِيَامِ الشُّوقَ وَهُوَ مَبْرَحُ
أَقْبَلُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ وَرُبَّمَا تَلَقَّيْتُ عَنْ مُنْهَلَةِ الدَّمْعِ تَسْفَحُ
أَرَى يَوْفُوِي فِي دِيَارِكَ رَاحَةً كَمَا تَسْتَرِيحُ ابْنُ السَّبِيلِ الْمَطْرَحُ
أَبُوكَ غَيْرُ الْقَلْبِ لَمْ يَعْرِفِ الْهَوَى وَلَمْ يَدْرُ مَا يَأْسُو الْقُلُوبَ وَيَجْرَحُ

يَخْفُ لَوَائِشِ بَشْرِحِ الزُّورِ سَمْعُهُ وَفِي أُذُنِهِ وَقَرَّ إِذَا جِثْتُ أَشْرَحُ
أَرَى الْغَيْدَ مِنْ حَوْلِي وَفِيهِمْ سَلَوَةٌ فَإِلَى أَرْدُ الْقَلْبَ عَنْكَ قِيَّجَمَحُ
فَمَا سَرْنِي مِنْهُمْ مَا كَانَ يُشْتَهَى وَلَا رَأَى لِي مِنْهُمْ مَا كَانَ يَمْلَحُ
أَحِيدُ عَنِ السَّارَى لَكِي لَا يَرِيكُمْ وَأَقْصَى كَلَابَ الْحَيِّ عَنِّي فَتَنْبَحُ
فِيَا عَيْلَ قَدْ طَالَ التَّنَائِي وَظَلُّهُ مَتَى بَتْدَائِنَا الْحَوَادِثُ تَسْمَحُ؟
[يصد الربوة من اليمين]

يَالَيْتَ حَبِّكَ عَيْلَ لِي حُبُّ الْقَطَاةِ لِشِكْلِهَا
أَوْ حُبُّ قُبْرَةِ الصِّفَا لِأَلِفِهَا وَلِخَلِّهَا
أَوْ مِثْلُ حُبِّ تَجِييَةِ مَجْنُونَةٍ فِي قَلْبِهَا
لَيْتَ افْتِنَاكَ لَمْ يَكُنْ إِشْجَاعَتِي وَرَفْضُهَا
أَوْ لَيْتَ حَبِّكَ لَمْ يَكُنْ لِقْصَائِدِي وَلَنْبِلِهَا

[يهيئ لنفسه مضطجاً وراء نخلتين على الربوة تحجبانه
عن سائر المسرح جهداً المستطاع ثم يرقد ويعلم نباح
الكلاب ونغاء الشاء وصياح الديكة ويمتد به فتیان
سائران على الربوة وقادمان من ناحية الخيام]

المشهد الثاني

أحد الفتيين: ماذا لك؟ مَنْ؟ فِقُوا، انْظُرُوا جُلُودُ صَخْرٍ أَمْ جَسَدُ؟
الآخر: هذا الفتي عنترة كُلُّ الثَّرَى لَهُ وَسُدُّ

قَدِ التَّوَى كَالْأُنُوعَا نِ وَمَطَى كَالْأَسَدِ

[يهبط الفتيان الربوة ويخفبان

ناحية اليمن وراء النخيل ويسمع

صوت هاتف من وراء الخيام]

المشهد الثالث

الهاتف : الديكُ عند البيوتِ صباحاً يا حىَّ ميسَ عموا صباحاً

حىَّ هلاً يا رعاةً هُبُوا هاتوا المواشى خذوا البطاحاً

هائمُنَ ياراعياتِ ميسَ الرعى والحلبَ والفلاحاً

[يخرج صبية وجوار من كل ناحية في الحى مازين بالخمبة

الحراء ومتجهين الى الحظائر وراء النخيل بينما يجلس جماعة من

الجوارى على حفاقي الدين يملأن الجرار ومن يبنن ناحية ثم

تخرج عيلة من الخيمة الحراء وتقف أمام بابها تمطى وتتأهب]

المشهد الرابع

عيلة : وادى الصفا تجاوبت وزقزقت عصافيرُهُ

وأنتهت خيامُهُ وأستيقظت حظائرُهُ

صاحتُ هناك شأوهُ وههنا أباعرُهُ

أَوَّلُهُ فِي بُلْبُحَةِ الْفَجْرِ بَحْرَى وَآخِرُهُ
نَبَاتُهُ وَمَاؤُهُ وَظِلُّهُ وَحَافِرُهُ
فَنَافِئَتُنِي : جَنَّ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِي مِنْهُ الْخَرَارَا
الْأَنْثَرِيَّاتِ مُتَنَفِّئَاتِ :

جَنَّ الصِّفَا

الأولى وحدها :

مَاءٌ مِنَ الْفَجْرِ أَصْفَى فِرْدَنْ صِفًّا فَصْفًا
وَأَقْعَدَنْ قَاضِرِينَ دُفَاً وَفَنَ قَاضِرِينَ طَارَا
الْأَنْثَرِيَّاتِ : جَنَّ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِي مِنْهُ الْخَرَارَا

الأولى : تِلْكَ دُمُوعُ الْغَوَادِي جُمَعْنَ مِنْ كُلِّ وَادٍ
فِي عَيْنِ ذَاتِ الْأَصَادِ ثُمَّ انْفَجَرْنَ انْفِجَارَا

الْأَنْثَرِيَّاتِ : جَنَّ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِي مِنْهُ الْخَرَارَا

الأولى : رِدْنُ الْقَسْرَاحِ الزُّلَالَا رِدْنُ الرِّيحِيقِ الْحَلَالَا
فَمَا سَقَى مِنْهُ سَالَا يَكْمُلُ عَيْسَ دِيَارَا

الْأَنْثَرِيَّاتِ : جَنَّ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِي مِنْهُ الْخَرَارَا

[تَدْخُلُ عِبْلَةُ نَحِيمَتَا وَيَمُزُّ صَخْرَ أَمَامِ الْغِيَامِ مَتَاهَا]

وَأَقْفَا فِي الْمَسْرَحِ هُنَا وَهَنَّاكَ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ |

المشهد الخامس

إحدى الفتيات : ناجية اسمعي انظري من الفتى يا ناجية؟

ذلك الفتى المهندم الحلو الرقيق الحاشية

ناجية : كيف ألم تريه قبل هذه في الناجية؟

الفنارة : لله ما أظرفه

ناجية : أحببته يا غاوية

خليه فهو مغرم صب بأخرى سالية

الفنارة : من الفتى؟

ناجية : من عامري أبوه موفور النعم

يقال في حظايره ألقان من حمر النعم

الفنارة : يحب من؟ يعبد من؟ يا ليتني كنت الصنم

ناجية : إن التي هام بها بغير عيب لم تهم

الفنارة : عيلة؟

ناجية : لم لا؟ إنها اليوم حديث للأثم

صيرها عنبرة نارا على رأس علم

[تظهر عيلة على باب الخلاء]

المشهد السادس

ناجية :

خيمتك الجسراء يا عبل لعمرى فاخبره
تصلح أن يسكنها عقائل المناذرة

فتاة :

متعت يا أخت بها ولا تزال عامرة
وعاش أهلوك وعاش مالك
مع رجل كأنه ليث الوعى

مصر :

بل رجل كأنه بدر الدجى

عبلة :

بدر الدجى؟ لا، ليس ذاك بُعِثِي
إن كان فى الأسماريات عندنا
البدر فى بيض لياليه معي

مصر :

ماذا تريدن إذن ؟

عبلة :

أريد أجلادا شديدة القوى
وساعدا خشنا بكلمود الصفا
ليث الشرى

مصر :

وسخنة كأنما قد قُلبت
على هباب القدر وجهها وقفا

عبلة :

تُرِيدُ أَنْ تَسْخَرَ مِنْ عَنترَةٍ ؟
بَيْنَ كَفَى يَا صُخْرُ تُعْرِضُ كَفَى
إِنْ كُنْتَ كَالْفَتَيَانِ فَاْمِضْ لِأَقِيهِ

صخر :

أَنَا ؟ أَلَأَقِيهِ أَجْنُونٌ أَنَا ؟
لَمْ لَا تَقُولِينَ الْقَ حَيَّةَ الصَّفا
أَوْ أَسَدَ الصَّخْرَاءِ أَوْ ذُبَّ الْفَلَا

عبلة : خَلَّكَ مِنْهُ صُخْرُ لَا تَقْتَسِ بِهِ

لَا تَتَزَنُ صُخْرُ بِفَارِسٍ الْوَعَى

صخر : الْحَقُّ أَنَّى يَابُنَا

تَ عَنَسَ خَانِي الصَّبْرِ

سَمْتُ مِنْ عَنترَةٍ

وَمِنْ ثَنَائِهِ الْعَطْرِ

وَمِنْ حَدِيثِ بَاسِهِ

وَمِنْ نُعُوتِهِ الْأَنْحَرِ

وَقَتْنَةِ الْبَدْوِ بِهِ

وَشَأْنِهِ بَيْنَ الْحَصْرِ

أَكُلْ ذُبِّ رِيهِ

وَشَبْعُهُ مِنَ الْبَشْرِ

وَكُلْ لَيْثَ فَاتِكَ

وَكُلْ حَيَّةَ ذَكْرٍ

وَكُلْ سَيْلٍ لَمْ يَدْعُ

وَكُلْ رِيحٍ لَمْ تَذَرْ

عِنْدَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

ءِ كَائِنٌ لَهُ خَطَرُ ؟

عبلة : خَلَيْنَ صُخْرًا دَعْنُهُ

قَدْ قَتَلَ الْفَتَى الْحَسَدُ

إِسْمَعَنَّ شَاةَ عَامِي

مَاذَا تَقُولُ فِي الْأَسَدِ

صخر : شَاةٌ أَنَا يَا بَنَاتَ عَنَسِ

إِحْسَبْتَنِي الشَّاةَ مَا يَضُرُّ ؟

فِي الشَّاةِ وَاللَّهِ كُلُّ خَيْرٍ

وَلَيْسَ فِيهَا أَذَى وَشَرٌّ

مِزاجُها هادِيٌّ لطيفٌ وشكلُها رائِقٌ يسرُّ
عِلة [ضاحكة]: اصْحَكنْ يا بناتِ العامِرِ شاةُ
[ثم الى صخر]: بُسْبُسُ تعالى بُسْبُسُ

أخرى : هُسْ شاةُ عامِرِ هُسي

خُذِي كُلِّي مِنْ تُرْمِي

صخر : شهدَ اللهُ قد أَسَأْتُنْ فهِمَا

عِلة : نَحْنُ؟ بل أَنْتَ قد أَسَأْتِ مَقالاً

صخر : ما الذي قلتَ؟

عِلة : قلتَ ما قِيمَةُ البَا سِ وصَغُرَتْ عِندنا الأبطالُ

صخر : إِنما قلتُ تأخُذُ الذئْبَةَ اللَّذْبُ وتُعْطِي اللَّبَاءُ الرِّبْلَا

وابنةُ الناسِ لا يَنْهَمُ فَقِديماً سَخَّرَ اللهُ لِلنِّسَاءِ الرِّجَالَ

عِلة : لا تَريدُ الرِّجَالَ يا صَخْرُ إلا جُبْنَاءَ أَذَلَّةَ أَنْذالِ

صخر : بل أريدُ الحِياةَ خيراً وسِلْها ليس شِراً سِيلْها وقْتالاً

أريدُ الجِمالَ لهذا الجِمالِ وأبغى الشَّبابَ لهذا الشَّبابِ

ويَحْزُنُنِي أَنْ تُزَفَّ الطِّباءُ إلى أُسْدِ الغايِ أو للذَّئابِ

وَأَنْ تُحْمَلَ امْرَأَةٌ كالشُّعاعِ عَروساً إلى رَجُلٍ كالْهَبابِ

وفي البَيدِ كُلِّ قَتَى كالسَّراجِ إذا أَظْلَمَ اللَّيْلُ أو كالشَّهابِ

عبلة : جميلٌ وليس يحامي البيوتِ ولا مانعٍ من يد ماله
إذا ما عوى الكلبُ ضلَّ السلاحَ وبُلَّ من الخوفِ سروالهُ
يمجودُ بزوجهٍ للغيرِ ويرى إلى الذئبِ أطفاله
حضر : ومن تعين يا عبلة ؟

عبلة : ومن يا صخرُ من تعني ؟
لقد أسرفتَ في التعريضِ بالليثِ وفي الطعنِ
[نسمع ضجة وأصوات استغاثة من ناحية الخيام]

عبلة : ويح جيرانِي وَيُحِي صرَخَاتُ وَصْفِيرُ
وعلى الخيمَاتِ أشباحٌ وأقدامٌ تدورُ
أُرى قد نزلَ اللّصُّ بعيسٍ والمُغِيرُ ؟

حضر : الحياةُ الحياهُ النجاةُ النجاهُ
الفرارُ الفرارُ القفارُ القفارُ
[يفتر الجميع من هنا ومن هناك وتبقى عبلة
وحدها فتخرج اليها من الخيمة الخادم سعاد]

المشهد السابع

سماد : سيدي هي أمري
عبلة : أهربُ ؟ لا ! ما في طباعِ العربياتِ الهربُ
جمعُ الشياطينِ اقترَبَ

نَحْنُ ثُلُثَانِ يَا سَعَادُ تَعَالَى بِجَانِبِي
بَلْ قَفَى حَيْثُ أَنْتَ فِي طَرْفِ الْبَابِ رَاقِي

سعاد : ومي

عبلة : ما الذى حملت ؟

خَلِيلِي وَصَاحِبِي

سعاد [وتظهر خنجرها] :

[تدخل عبلة الخيمة ويسمع صوتها
من الداخل وترى من الباب]

عبلة : خَنَجَرٌ مِثْلُ خَنَجَرِي جَرِّدِيهِ تَأْمَنِي
خَنَجَرِي أَيْنَ خَنَجَرِي الْيَوْمَ مَنِي هُوَ ذَا خَنَجَرِي تَعَالَ أَعْنِي
حُطَّ عَقَافِي وَحَامٍ عَنْ قُدِّسِ الْعُزَّى وَرُدَّ اللَّصُوصُ عَنْهَا وَعَنِي

[تتجه عبلة الى منم بداخل الخيمة]

عُزَّى أَيْ قَوَّى يَمِينِي	عُزَّى أَيْ لَا تَحْدِلْنِي
أَبِي تَأْخُرَ عَنِّي	وَأَخَوَاتِي تَرَكُونِي
وَأَيْنَ مَنَتُهُ الْيَوْمَ	أَيْنَ حَامِي الْعَرِينِ؟
لَوْ كَانَ فِي أَرْضِ عِيسَ	بَلْ رَدَّ السَّيْفُ دُونِي
عُزَّى أَيْ مَعْبُودَ ثَقِيفٍ	وَالْمَلَّةَ الْعَرَبُ
إِنَّ اللَّصُوصَ طَمِعُوا	فِيَا طَلِيكَ مِنْ ذَهَبٍ

لن يسأبوك شجرة وفي عرق يضطرب
 [نخرج عبلة]
 كيم الرجال هلمى قومي أنظري يا سعاد
 [تدور سعاد حول الخباء في حذر ثم تعود]
 سعاد : سيدتي لأتراعى حول الخباء ثلاثة
 وجوههم كالحبات وبالتياب رثائنه

المشهد الثامن

« يظهر أحد اللصوص فتختفي الفتاتان وراء باب
 الخباء ، حتى إذا حاذى الباب طلعت عبلة في ظهره »

عبلة [هامسة]: ذئب؟ تعال خذ ميت قتلته بضربة

المشهد التاسع

« يظهر لص آخر تطلعه سعاد »

سعاد [هامسة]: وأنت أيضا يا شقي خذ اميض ميت به الحق

اللعن [مقددا على الأرض] :

آه من الحناجر

الأول :

شلت يمين القادر

[يظهر لصوم أترونت

من هنا وهناك وراه الخباء]

المشهد العاشر

سماد : سيدتي

عبلة : سعاد ماذا؟ ما الخبر؟

سيدتي الآن نواجه الخطر

سماد :

سرب من الذئاب تحونا التحدر

بل هوذا سعاد في البيت انفجر

عبلة :

قفي سعاد ناحية دونك تسلك الزاوية

وأنت من ورأية

سماد :

عبلة : لا بل مكاني ههنا فربة الدار أنا

سعاد للنية أحلى من الدنية

ولا يزيد في العمر شيء إذا الموت حضر

هي ابنتي تقني وأنا وليسي برقي

وقاتي للجمع معي

أحد اللصوص : الثلاثُ أكبرُ ما ذاك ؟

عبلة : خنجر

[تحاول أن تطلعه فيمحك بذراعها ويمسك لص آخر

بذراعها الأخرى و يقبض لصان آخران على سعاد]

اللسن : ما للبرقعات والخناجر يَحْمِلْنَهَا ؟

عبلة : لرُدِّعَ كُلِّ فَاجِرٍ

لص آخر : تعالى اسفري ارفعي ما ذا وراء البرقع ؟

الآن تمضين معي !

[يحمل بعض اللصوص عبلة وسعاد الى ما وراء

الستار من ناحية اليسار فتسمع استغاثة عبلة من

هناك بينما يبق في المسرح سائر اللصوص]

المشهد الحادى عشر

عبلة | مسترخية | وأعنترا وأعنترا لَيْتَكَ عِنْدِي فَتَرَى

حَلَّ الذئبُ سَاحَتِي إِلَى يَالَيْتَ الشَّرَى

أحد اللصوص : الخيمةُ الحمرَا القُبَّةُ الكُبْرَى

هنا روائعُ التَّحَفِ هُنا نَفَاسُ الطَّرَفِ

هنا عصائبُ التَّمَنِّ هُنا عَصَائِبُ التَّمَنِّ

آخر [مسا بخناق أخيه] :

بُشْرَايَ دَغْ يَا ابْنَ الزَّانَا الْقُرْطُ لِي
بَلْ لِي أَنَا

آخر :

الْأَوَّلُ : السَّيْفُ بَيْنَنَا حَكَمٌ

الثَّانِي [ويعلمه] :

خُذْهَا وَمَا شِئْتَ فَنَمْ

الثَّالِث : لَا لَكَ الْقُرْطُ وَلَا لَهُ

[ثم يعلن الثاني]

أَعْطِنِيهِ يَا حُتَّالَهُ

[خبيجة الغارة مستمرة من وراء الستار . يقدم

من يسار الربوة المرتفع شذاد ومالك فيهرب

الصَّوْصُ وَيَسُرُّ الْقَادِمَانِ بِمَنْتَرَةٍ وَهُوَ نَائِمٌ]

المشهد الثاني عشر

شَذَاد : أَضْجَعَةً يَا عَبْدُ وَالْحَيُّ سُبِّي

عَنْتَرَةٌ : مَنِ الْمُنَادِي؟ سَيِّدِي : صَوْتُ أَبِي؟

شَذَاد : مَاذَا يَقُولُونَ غَدًا فِي الْعَرَبِ !

[يظهر من بين الربوة بعض الهاربين]

المشهد الثالث عشر

أحد الهاربين :

أُيِّمَتِ الْحِظَارُ وَالْحِيَامُ وَاخْتِطَفَتْ بِحُرَّةٍ يَا هُمَامُ

مَالِك : وَأَفْرَسًا طَارَ بِهَا الطَّغَامُ !

مالك [عنزة]: عنتر قم ردّ عليّ جرّوتي
 عنسرة [برود]:
 سِرْأَنْتِ أَنْقِذْهَا وَأَبْعَثْ إِخْوَتِي
 وَخَلِّئِي أَغْمً لَدَيْدَ غَفَوَتِي

[وبردد]

هارب آتر: يَا سَيِّدَ الْمَاءِ لَيْسَ لَنَا الْمَاءُ
 أَطْرَدَتِ الْإِبِلُ وَسَيَقَتِ الشَّاءُ
 شَدَاد: يَابْنَ شَدَادَ

عنزة [بهكم]: مَا أَنَا أَبْنَى لَشَدَادَ وَلَكِنْ عَبْدٌ يُسُومُ وَيَسْقِي
 لَسْتُ مِنْ عِبَسٍ لَا؛ وَلَسْتُ لَكَ ابْنًا لَوْ أُمِّي أَفَاتَنِي مِنْكَ حَقٌّ

شَدَاد: قُمْ يَافَتَى عِبَسٍ أَنْهَضْ دُودَ عَنْ حَرِيمِي وَعَنِّي
 إِذَا رَدَدْتَ السَّبَا يَا فَاتَ عَنْزَةَ ابْنِي
 عنزة: يَا سَيِّدَ الْحَيِّ قُلْ لِي مَتَى فُطِنْتَ لِشَأْنِي
 أَأَنْتَ ذَا تَدْعِينِي وَكُنْتُ تَبْرَأُ مِنِّي؟
 هارب نالك: يَا سَيِّدَ الْوَادِي هِيَ أَحْمِيهِ هِيَ
 عبلة ...

عنزة [ناهضاً]: مَا الْخَطْبُ؟

الفق: سَلْتُ مِنَ الْحَيِّ

عنزة :

أنا كالليث ما الهزيمة في طبعي وليس الفرار لي في جيلة
أنا حرٌّ وإن أبت عبسُ والناس وآبأى السَّراةُ الأجلةُ
لا ليحترَّبني أموتُ ولكن حبذا الموتُ في سهيلك قبله

[يسمع صوت امتغاثة من وراء السار]

المتنب : عنزة البأس ويا عزيز الجار
تلك نسا عبس حل عليها الماز
عنزة : ليك يا عبس يا عبس ليك
عنزة الروع أمّن سربيك

[يسمع صوت عبله من بعيد ومن وراء السار]

عبلة : واعترتا واعترتا

عنزة : ليك عبل الليث أتى

عبلة يا عبل لا تُراعى ليك بالسيف بالقناة
يا عبلة القلب لا تُراعى ليك بالروح بالحياة
تأمل غضبي تريها كغضبة الليث للباة

[يظهر جماعة من الصوم من ناحية انليام
يحملون أسلابة ، ويحاولون الحرب عرب
طريق السين حيناً سمعوا صوت عنزة فيبعط
عنزة من الربوة ويقطع عليهم الطريق]

المشهد الرابع عشر

عنزة : يا سَرَقَه يا فَسَقَه
 اللبثُ جَا
 رءُوسَكُم نفوسَكُم
 أَوْ فالنَّجَا
 خَلُّوا الحُلَى
 دَعُوا الوُسْدَ
 من يَخْتَلِسُ
 جَبَلَ مَسَدَ
 فَوَيْلَهُ
 مِنَ الأَسَدِ

[يهجم عليهم]

أحد الصومس : عنزةُ جاءَكُم
 كُونُوا ذِيئَابَ الفَلَا
 عنزةُ عَنزةُ
 رُدُّوا الحَرَمَ إلى الحَلِيمِ
 سَوُّوْا النِّعَمَ إلى الحِطَّاءِ
 هَلُمُّوا يا ذِيئَابَ القَفِيرِ
 لَأَقُودَ السَّيْلَ والنَّارَ
 هَلُمُّوا جَمْعَكُم واجْبُرُوا
 رِياحًا أَجْرَ إِعْصَارًا
 فهِذا اليَوْمُ في البَيْدِ
 سَيَبْقَى بَيْنَنَا قَارًا
 مَن يَتَرَّنُ باللبثِ من؟
 حَذَارِ مِن بَطْشِي حَذَارِ
 هَاتُوا الْقَنَا أَلْقُوا هُنَا
 حَذَارِ مِن بَطْشِي حَذَارِ
 هَاتُوا الْقَنَا أَلْقُوا هُنَا
 زَجْجِرَةُ قَسْوَرَةٍ
 عَنزةُ هَيُوا الفِرَارَ
 عَنزةُ هَيُوا الفِرَارَ
 لا تُحْجِمُوا فَذَلِكَ عَارُ
 بَلْ أَهْجِمُوا وَأَقْدِمُوا
 أَنَحْسِرُ :

أسيد : مكانكم يا قوم لا تفرقوا
كم دامن العبد إلى كم تفرق؟
[عنزة] : هلم عنتر القني
نُسق الردى أو تَدني
عنزة : من القني ؟

أسيد : ابن حرة!
عنزة : عرّضت يا أحمدق بي
أنا ابن شدّاد من
أبوك؟ جئني بالأب
أسيد : أبي معاتق الأسل
سل عن أبي من شئت سل
عنزة : شدّاد أعلى وأجل

أحمد العروس : صاحبكم وعنزة
يا عجبا هيا نره
أسيد شهم
أسيد باسل
تعال تنظس
كيف ينزل
ليث الصحارى
غول القبائل

[يظن عنزة أسيد فريده ثم يبرى الى ما وراء
الخيام باحثا عن هبة ووراء مالك وشداد]

المشهد الخامس عشر

لمس : أسيد عيش أنت
أسيد يستاهل
من يظفر النار
فليس بالمائل

آخر : هَذَا الْقَدَرُ مَنْ يَقَحُّهُ
هَذَا الصَّخَرُ مَنْ يَصِدُّهُ

[يفزع اللصوص من اليمن ويدخل عنزة
وعيلة من اليسار ووراءهما داحس وسعاد]

المشهد السادس عشر

عنزة :

لبيك عيلة يا فداك حياتي
لورن صوتك في جوانب حفرتي
اليدي تحت يدي وتحتك ضيعة
رؤعت بنت العم ؟

عيلة : مم ؟

عنزة :

الم يرغ

مرأى البزاة حمامتي وقطاتي

عيلة :

مرأى البزاة ؟ ترى اللصوص بوازي
جبناء حطافون اكبر همهم
هم دون ذلك، هم حداثا
عكاز شيخ أو حلي قساة

عنتره : ماذا القيت من اللصوص ؟

عبلة : بل امض سل

[تشير الى فتيلين على باب الخباء]

هذين كيف تلقيا طعنا في

أنا وابنتي هاتيك جندلناهما

عنتره : حق سعاد فعليت

سعاد : سل مولاتي

عنتره :

أجل أرى جثة وأخرى داحس ماذا ترى ؟

داحس : دماء

عنتره : أأتيا تقتلان

عبلة : لم لا ؟

عنتره : من قلد الخنجر الطباء ؟

عبلة : ذئاب فقير مشيت إلينا
كوالحا تضيير العداة

عنتره : وأين كان الرجال ؟

عبلة : سلهم

عنتره : وكيف لم يسمعوا النداء ؟

عبلة : لقد تلقت لم أجدهم
ولم أجد حولي النساء

عنزة [ملفتنا لداحس] :

دَاحِصٌ صَحَّ وَأَسْمِعْ وَنَادِ . عُبْلَةٌ مَعِيَ
وَأَنَّهَا سَالِيَةٌ وَأَنَّهَا لَمْ تُرْعِ
[تدخل سعاد الخباء وينادي
داحس من وراء الخيام]

المشهد السابع عشر

داحس : ياعنُسُ بُشْرَى لَكُورُ قَدْ وَجَدْتُ أَخْتُكَ
عنزة حيا لكم وعبلة يَلْنَكُورُ

عبلة : عنزة ؟

عنزة : عُبْلَةٌ

عبلة : مِنْ أَيْنَ ؟

عنزة : مِنْ طَوْلِ السُّرَى

سَرَيْتُ أَبْنَى الْحَى لِيْلِي كُلَّهُ حَتَّى دَنَا

وَجِئْتُ فِي مُنْبَلَجِ الصَّبْحِ أَسَاقِ الضُّحَى

عَسَاىَ أُرْعَى شَاءَ كُمُ كَعَادَتِي فَيَمْنُ رَعَى

عبلة : لَا لَسْتَ تَرْعَى الشَّاءَ يَا عَنزَةَ بَلْ تَرْعَى الْحَى

وَأَيْنَ يَا بَنَ الْعَمِّ كُنْتَ لَمْ تَزُرْنَا مِنْ مَدَى

عنتره : في عالم الدنيا وفي وادي الحياة وفي شعابه
في اليد عبله في عريسين اللث في سلطان غايه
عبله : سعاد

[تخرج سعاد من الخباء ويعود داحس من
وراء الخيام فيصعد الربوة ويختفي وراء النخيل]

المشهد الثامن عشر

يا بنت اذهبي جيئي بتمرولين

[تدخل سعاد الخباء]

المشهد التاسع عشر

عنتره :

أجل لي ثلاث ألبس البيد حائرا كما يلبس الليل الطويل سقيم
إذا قت من ذنب عثرت بحية طريق منايا مكله ومموم
أهيم على وجهي وقلبي من الجوى على وجهه بين الضلوع يهيم
ويهدأ إلا حين تهترأنة ويطرق إلا حين يشخص ريم
أجئ حماكم من نجوم بعيدة وترجع بي من حيث جئت نجوم
ويحزني يا عبل أنى أزورك فيصرف عني الوجه وهو كريم
يكاد يسئل السيف حين أجئته ويوقد نار الطرد حين أريم
نخاض الموالى في حديثي وأقبلت على من الوادى الظنون تموم

وكم رام وُدِّي في القبائل سيِّدٌ وَوَدَّ مكانِي في الديارِ زعيمُ
ولو لم يكن يا عبلَ عمَّا ولا أبا لِعِيلةٍ سيم الحسَفَ وهو كظيمُ
عيلة :

تسومُ أبي خُسفاً ؟

عنزة : معاذكِ عبلتي

معاذ الهوى ما لي لاذنٍ للثيمِ

ولكن عمي جار

عيلة : هب لي ذنبه

وهبني التي جارت أكنث تلومُ ؟

عنزة :

عيلة جُورى وأتركى عمنا يجرُ فإني على عهدِ الهوى لمقيمُ

[تخرج سعاد من المناء حاملة قصعة فيها يجمع

وهو طعام يصنعه العرب من التمر واللبن ، تضع

القصعة على الأرض وتدخل من حيث نرجت]

المشهد العشرون

عيلة : عنتر خذ قاسمى المجيعا

عنزة :

ها تى فقد كدتُ أموتُ جوعا

[يجلسان الى قصعة المجيع فتناول

عيلة بضع بلحات تعطيها الى عنزة]

عنتره :

حَسْبِيَ النَّوَى عِبَلٌ مَا فِي الثَّمَرِ لِي أَرْبُ مُنَايَ كُلِّ نَوَاةٍ خَالَطَتْ فَالِكَ
التمرُّ أَطْيَبُ مَا فِيهِ النَوَاةُ إِذَا مَرَّتْ بِشَجَرِكَ أَوْ مَسَّتْ شَنَايَكَ
لَقَدْ مَرَرْتُ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي شَجَرٍ نَضِرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ الْغَيْثُ صَحَايَكَ
مُطَيَّبٌ تَفَحَّجَنِي مِنْهُ رَائِحَةٌ كَالْمَسِكَ يَا عِبَلُ أَوْ تَعْلُو عَلَى ذَلِكَ
فَقُلْتُ عِبَلَةٌ فِي الْوَادِي مَسَّتْ وَرَمَتْ عَلَى نَوَاحِيهِ مِنْ فِيهَا بِمَسْوَكَ

عبله : لقد أحسنت يا عنتر فاقبل من لي الثمرا

عنتره : بروحي قُوك يا عبلة هاتي الشهد وانخرجا

عنتره : عبس اشهدوا عبلة قد قامت تزق عنتره

كما تزق فرخها على الغصون القبره

عنتره : عبل

عبله : لبيك سمي الخيل

عنتره : لاما أنا للخيل يا عبيلة حام

عبله :

من إذن يمسك النجيلة في السسريج ويحي النجيب خلف اللجام؟

عنتره : ألهذا أحببتني؟

عبله : ولشأن كضحى الشمس أو كبذر التمام

كل يوم يقال عنتره أزدى كميًا وقام عن ضرغام

عنزة :

لم لا تعشقين عبل جوادى ؟ لم لا تعشقين عبل حسامى ؟
أو ليسا هما شريكى فى الفشك وضرب الطلى وحصد الهام ؟
[يظهر داحس على الربرة ثم يهبط منها
حاملًا معه فراخ نسر وثلاثة أشبال]

المشهد الحادى والعشرون

عبلة : ماذا ؟ ما تحمل ؟ ماذا عنزة ؟
ما تلك عنزة ؟

عنزة [مناولا أفرخ النسر من داحس] :

هذى	يا عبل أفرأخ نسر
اغترى أبواها	وكنت بالشعب أسرى
فظل الأب صدى	وغطت الأم ظهري
ومسباني بكر	على الجبال وفر
توهماني صيداً	يهنى الفراخ ويمرى
فلم أكن غير يتم	لبئنى الصيد مر

عبلة : مآنا ؟

عنزة : أجل لقيت عبلتى جزاء التجوى

مُزَقِّينَ بِظُفْرِى عُظْمَيْنِ بِكَفَى

[يدخل جماعة من الممارين فنياً وفتيات
من ناحية العين و بينهم صخر وناجحة]

المشهد الثانى والعشرون

صخر : عبلة لم تُسبِّ

صوت : عبلة فى الحى

آخر : عنصرة ثم

لاخوف من شى

عبلة : وما هذه الأخرى؟

عنصرة : شُبُولُ ثلاثة

تُربى هنا بين البيوت وتصلح

الى جانبيه لبوة تنجج

بكل سبيل ذو رعود ملمح

فاقبل تياه انلطا يترج

ويعجم فى قول الوعيد وأفصح

اليس لسيفى ذلك اليمد يصلح؟

ومن ذارأى الصرغام كالشاة يذبح

تركت ورائى فى الدم الحتر يسبح

تعرض لى ليث يدل ببأسه

وقد ملأ البداة رعداً كأنما

مشيت إليه فأنثنى فطلبته

ظللنا ملياً أنقبه ويتقى

فاغمدت سيفى فى قرارة جوفه

الى أن تمايا فى يدى فذبحته

وكم من كفى فى أعنسة ساج

عبلة :

وما صَنَعْتَ بِاللِّبَاةِ يَا بَنَ عَمُّ

عنتره :

عَفَوْتُ عَنْهَا

عبلة :

ذَلِكَ وَاللَّهِ الْكَرَمُ

عنتره : اقْتَحَمْتَنِي مَرَّتَيْنِ وَأَشْنَتُ لَمْ تَرَ مِنْ فَائِدَةٍ أَنْ تَقْتَحِمَ

أَنْتَى ضَعِيفَةُ الْقُوَى تَرَكْتُهَا إِنَّ الْإِنَاثَ عِنْدَ امْثَالِي حُرْمُ

عنتره :

حِمَاكُمْ ؟

شَبُولُ تُرْبِي فِي الْبُيُوتِ أَغَابَهُ

عنتره :

وَنَحْنُ الْأَسَدُ فِي الْغَايِ نَسْرَحُ

وما لَكَ يَا هَذَا وَعَبْسٌ وَدُورِهَا وَمَا أَنْتَ ؟ مِنْ هَذَا الْفَقَى الْمَتَوَقِّعُ ؟

عنتره :

وما هُوَ إِلَّا مَعْجَبٌ مُتَمَدِّحُ

فَتَى زَائِرٌ مِنْ عَامِرٍ مِنْ سَرَائِهَا

عبلة :

يَعْرِضُ لِلْإِنْفِكَ الْعَذَارَى وَيَفْضَحُ

جَبَانٌ ذَلِيلٌ جَاءَ عَبْسًا وَمَاءَهَا

فناة :

يَكَادُ فِتَاهَا فِي السَّرَاوِيلِ يَسْلَحُ

فَتَى عَامِرٍ فِي كُرْبَةٍ أَيْنَ عَامِرٌ ؟

ناجيسة : أَسَاتَ بِهِ يَاعَنْتَرُ الظَّنَّ

وَأَسْمَعُ ؟ أَنْتَى عَنْكَ يَا فُحْلٌ تَنْصَحُ ؟

ما أَرَى

عنتره :

مخبر [مما] :

دَعِينَا دَعِيهَ لَا تَرِيدِيهِ ثَوْرَةٌ

ناجبة : تَحْ أَذْنُ قَدْ أَوْشَكَ الْكَبْشُ يَنْطَاحُ

[ينصرف الجميع فلا يبق إلا حيلة وعذرة]

عنسرة :

يا عبل كم ببدأ جُبْتُ مَخُوفَةٍ قَذَفْتُ إِلَى بَذْلِيهَا وَالْفَرْقِ سَيِّفِي
فَلَقَيْتُ كُلَّ مُنَازِلٍ بِسِلَاحِهِ وَجَعَلْتُ أُضْرِبُ بِالْيَدَيْنِ وَبِالْأَنْعَامِ
أُحَرْتُ رُحَى وَأَذْهَرْتُ مُهَنْدَى وَرَبَطْتُ سَرْجِي لِلدَّكْنِ الْمُحَلَمِ
حَتَّى تَرَأَتْ طَيْبَةً قَدَمَلَأَتْ مِمَّا رَأَتْ رُعباً فَلَمْ تَنْتَقِمْ
لِمَا رَأَتْهُ وَالسَّابِغُ تَتَوَشَّى نَهَرْتُ نِفَارَكَ مِنْ عَيُونِ الْمُؤَسِّمِ
رَيْمٌ تَلَقَّتْ لَمْ يَفُتِّكَ بِحَيْدِهِ وَبِمَقْلُتَيْهِ وَفُتِّهِ بِالْمُصَيِّمِ
فَتَنَعَّمَا مِنْ كُلِّ خَسَائِرِ نَائِرٍ وَأُبْحِنْتُمَا الْوَادِي وَفَاتُ لَهَا أَسْلَابِي

يا لَيْتَنَا يَا عَبْلَ عُصْفُورَتَانِ فِي غُصْنِ خَسَالٍ أَوْ عَلَى فَرْعِ بَانٍ
فِي رَوْضَةٍ غُفْلٍ وَرَاءَ الرُّبَا لَمْ يَسْمَعْهَا إِلَّا الْغَوَادِي يَدَانِ
عَلَى جَنَاحَيْكَ جَنَابِي وَفِي فَمِي مِكَانُ الْبَلْبِ هَذَا الْجُرَارَةِ
عَبْلَةٌ : لَقَدْ وَدِدْتُ فَوْقَ مَا شَدَّتْ لَنَا بَاقِصُورَةٌ

مِنْ عَيْشِيَّةٍ وَادْعَةٍ خَامِلَاتٍ مُسْتَعِزَّةٍ
لَا بَعِيُونَ النَّاسِ أَوْ أَلْسِنُهُمْ مُعْكَدَةٌ

عنزة : لو لم تهيمى عبلتى بجملاتى المنكرة
 وليس بى أنا ولا بسحتى المحقرة
 لقلت إذ دعوتنى يا قمرى يا سكرة!
 عبله : هذا السوادُ يابن عمى مثل صبغة السحر
 كالمسك والكحل هما فى مفرقى وفى البصر
 وما يضرك السوا دُ يابن عمى ما يضرك
 الكعبةُ الفراءُ من أحسن ما فيها الحجر
 البندو فى إجلاله وفى وقاره الحضر
 عنزة : ماذا وددت يا عيىل يا حياة عنزة؟
 عبله : وددت أنى صدق وأنت فيه جوهرة
 فى زانح لم يدربعد الغائصون خبره
 وموضع لم يسمع الفلك به ولم يره
 عنزة : بى أنت يا عبله بى لا بل بأبى وأبى
 لا بل بعيس بل بنجيد بل بملك العرب

الفصل الثاني

المنظر الأول

« المكان كما كان في الفصل الأول إلا أن خيمة مالك قمرية »
« جدًا تملأ المسرح أو تكاد ، ويبدو بابها كأنه ستر مسدود »
« ولا أثر لعين ذات الأصا د ولا لسائر غيام بنى عبس ، »
« ويرى مقدم المسرح كأنه طريق عام أمام الخباء . »
« الوقت في الأصيل وقد وقفت عبلة وناجية توصو صان »
« من نقوب في باب الخباء ثم يتحدّثان »

المشهد الأول

عبلة : مَنْ يَأْتِي الرِّجَالُ مِنْ؟ أُنَى الْحَيِّ يَناجِيهِ؟
ناجينة: ضِيوفُكُمْ مِنْ عَامِيٍّ مِنْ السَّرَاةِ الْعَالِيَةِ

- عبلة : وَفِيمَ يَا أُخْتُ جَاءُوا
- ناجية : لا أذير... ما يطلبونا
- عبلة : عَسَاهُمْ رُسُلٌ خَيْرٌ لَّهُمْ خَاطِبُونَا
- ناجية : من عامرٍ أجلُ عرفتُ بعضهم وَيَخْطُبُونَ عِنْدَنَا مَنْ يَأْتِرِي؟
- عبلة : أَظُنُّ بِنْتَ مَالِكٍ عَالِمَةً بِكُلِّ مَا جَرَى وَيَجْرِي فِي الْحِمَى
- ناجية : وَمَنْ عَسَى يُخْطَبُ فِي الْحِمَى سِوَى عَبِلَةَ رَبَّةِ السَّنَاءِ وَالسَّنَا؟
- عبلة : هَازِلَةٌ يَا أُخْتُ أُمُّ مَجْنُونَةٍ أَنْتِ؟ أَجَاءَ الْقَوْمُ مِنْ أَجْلِ أَنَا؟
- ناجية : لَا تُتَكْرَى عَبِلَةُ لَا تَجَاهِلِي لَمْ يَبْقَ سِرًّا أَمْرٌ ذَلِكَ الْفَقَى
- عبلة : فَتَى وَتَمِنَ الْفَقَى؟
- ناجية : مِنْ طَامِرٍ
- عبلة : وَمَا حَدَاهُ نَحْوَ عَيْسٍ؟
- ناجية : الْهَوَى
- عبلة : وَمَا أَسْمُهُ
- ناجية : صَخْرٌ
- عبلة : لَعَلَّهُ الَّذِي فِي كُلِّ مَغْرِبٍ عَلَى الْمَاءِ يُرَى
- ناجية : كَيْفَ أَمَا تَهْوِيَنَّهُ يَا عَبِلَ
- عبلة : لَا أَخْطَاكَ مَا حَسِبْتَ يَا نَاجِيَةَ لَا

ناجية : يا فرحا خلد لي ريل

عبلة :
أذهبي به متى أخذته منك متى
| تنصرف عبلة من اليسار تنبهاة ، وتعود ناجية
الى الوصوة من ثقب الخباء ، وبه دلعان
يقدم صخر من اليمين متابعا صرة فم ما ثياب |

المشهد الثاني

ناجية :

عِم صباحا يا عامري إلى أين؟

صخر :

الى عبلة

ناجية :

أيمكن ذاك؟

صخر : لم لا

ناجية : عبلة ترى الذئب في جُوز الفياض ليكنها لا تراها

صخر : ما تقولين ؟

ناجية : لم أقل غير حق هي يا عامري تهوى سواها

صخر : عبلة لي غدا

ناجية : خدعت ولم يصدقك شيطانك الذي مناسا

صخر : عبلة وخل هواها وتحوّل الى التي تهواها

صخر : أنا أهوى سواك يا أخت عيسى.

ناجيسة : إمض لا نلت يا غي مناكا

| ينصرف صخر من ناحية اليسار، ثم يتبعها

ناجئة بعد قليل من التفكير ثم يفتح باب

السناد المسدود عن داخل البيت.

أحد الضيوف :

آخر : في البيد يا مالك قول شائع نريد أن نعلم منك خبره
ثم نخوض في الذي جئنا له

مالك : هاتوا أسألوني راشدين برره
ماذا لك ؟

الضيف : إن الناس قد تحدثوا أنك لن ترضى بغير عنتره
مالك : صهراً ؟

الضيف : أجل

مالك : من قال ؟ ذلك كذب أيطعم الأسود أن أصايرره ؟
الضيف :
ذلك يا مالك ما قلت لهم

[ثم يلفت حوله]

لا يسمعن ابن الإمام لا يره !

آخر :

عبلة لا تهدي إلى ابن أمة يرفع الشويعات ويسقي الأبره

آخر :

أبا عبلة جئناك نخطب عبلة

لين ؟

مالك :

لنجيب سيد وابن سيد

الأول :

لأبيض من فتيان عامر ماجيد وليس لعبد عند شداد أسود

- مالك : ما اسمُ الفتى
الأول : صخرٌ من ولد الأثستر
مالك : وهل رأى عليه؟
آخر : ألف مره وسميع الحشر حديثاً - لئلا
مالك :
أصبحوا لى... أصحابكم شجاع؟ فعبلة تُبغض الرجل الجبل
أحدهم :
كثب الغاب إقداماً وكراً اذا اعتقل المهتد والسنان
مالك :
أصبحوا لى أصحابكم جواد فعبلة تُبغض الرجل البخيل
أحدهم :
يكاد ندى يديه حين يهيم يُنسى حاتم السمع المنيا
مالك :
أصبحوا لى أصحابكم جميل؟ فعبلة تُبغض الرجل الدميم
أحدهم :
ألم تره ألم تنظر اليه اذن لم تبصر الملك الكريم
مالك :
أصبحوا لى أصحابكم قصيح؟ فعبلة تُبغض الرجل الغيب
أحدهم :
ألم ترقط قساً فى عكاظ؟ وسبحاناً اذا شهد النسيب؟

مالك :

أَصِيحُوا لِي أَصَاحِبُكُمْ رَثِيقٌ؟ فَعَبْلَةٌ تُبْغِضُ الرَّجُلَ الْعَنِيْفَ
أَحَدَهُمْ .

سَتُلْفِيهِ إِذَا حَمَلَتْ إِلَيْهِ وَدَيْعًا مِثْلَ نَعْجَتِهَا الْوُفَا

مالك :

أَصِيحُوا لِي أَصَاحِبُكُمْ غَنِيٌّ؟ فَعَبْلَةٌ طِفْلُهُ تَهْوَى الثَّرَاءَ

أَحَدَهُمْ :

سَتُسْكِنُهَا الْقُصُورَ كَبْنَتِ كَسْرَى وَتُلْبِسُهَا الْجَوَاهِرَ وَالْفَرَاءَ

آخر :

ذَكَرْنَا شَيْخَ عَيْسَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمْ تَذْكُرْ لَنَا مَهْرَ الْفَتَاةِ

آخر :

فَهِيَ سَلِ اقْتَرِخَ مَا شِئْتَ هِيَ أَلْفُ نَجِيسَةٍ أَمْ أَلْفُ شَاةٍ؟

مالك :

صَلَبُكُمْ أَتَيْتُ مُثْرٍ غَنِيٌّ فَلَا أَبْنَى النَّعَاجَ وَلَا النَّيَاقَا

وَلَسْتُ بِجَاعِلٍ مَهْرًا لِبَيْتِي هِجَانَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ الْعِنَاقَا

أَحَدَهُمْ : وَلَكِنْ مَا تُرِيدُ؟

مالك : أُرِيدُ شَيْئًا لَوْ ابْتُلِيَ الْحَدِيدُ بِهِ لَصَاقَا

أحدم : إذن فاذكُرهُ قلّه

مالك : وما انتفّاعى ولو حَمَلْتُ صَخْرًا ما أطاقا
أَصِيحُوا لى أَذْهَبُوا قَوْلُوا الصَّخِرِ يُقَدِّمُ رَأْسَ عُنْتَرَةٍ صَدَاقًا
أحدم :

نَقُولُ لَهُ انْتَرِغْ قُلِّلِ الرِّوَايَاسِ؟ نَقُولُ لَهُ أَهْدِمِ السَّبْعَ الطَّبَاقَا؟
نَقُولُ لَهُ تُطَالِبُهُ بِمَهْرٍ تَضِيقُ بِهِ الْقَبَائِلُ أَنْ يُسَاقَا
آخر :

وَلِمَ لَا؟ مَا هُنَاكَ مُسْتَحِيلٌ هُنَاكَ دَمٌ سَلْنَا أَنْ يُرَاقَا
أَلَيْسَ الْمَالُ يَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ؟ وَيَرْشُو السُّمْرَ وَالْبَيْضَ الرِّقَاقَا
وَلَوْ هَبَطَ الْأَبَاطِحَ مَالُ صَخْرٍ لَعَطَى الشَّامَ أَوْ غَمَرَ الْعِرَاقَا
إِذَا أَعْيَاهُ رَأْسُ الْعَبْدِ أَغْرَى مَوَالِيَ بَيْتِهِ وَرَشَا الرِّقَاقَا
مالك :

أَلَا نَ فَهَيْمُ قَدْ ضُفَّتْ ذَرْعَا بَعْنَتَرَةٍ وَضُفَّتْ بِهِ يَخْنَاقَا
أُرِيدُ الْعَبْدَ مَيْتًا مَا أَبَالِي قَضَى بِالسَّيْفِ أَمْ مَاتَ اخْتِنَاقَا
أُرِيدُ فِرَاقَهُ وَأُرِيدُ حَرْثَا مِنْ الْأَصْهَارِ يُبْلَغُنِي الْفِرَاقَا
إِذَا ذَاقَ الْمَهْلَاكَ لَنَا عَدُوٌّ أَنْسَأَلُ عَنْهُ أَيْنَ وَكَيْفَ ذَاقَا؟
أحد الضيوف :

فِي غَيْدٍ نَحْرٍ وَقَبْدَرٍ فِي غَيْدٍ دُفٍّ وَزَامِرٍ

انهضوا بورك في الصَّهْرِ لعنيس ولعامر

[يهون بالقيام]

مالك : مكانكم يا ضيوف عبس هنيئة تطعموا المحيعة
تجيع البيد من لبن وتمير ولا تلقاه إلا عند عبس
إذا الغلمان للأضياف قاموا فإني خادم ضيفي بنفسي

[ثم يخرج ليأتهم بالعلم]

المشهد الثالث

أحدم الآخسر : لقد كذبت كثيرا وقلت والله زورا
قد زدت للشاة شاة وللبعير بعيرا
وقد صنعت لصخر خالبا وزئيرا
وربما طار صخر إذا رأى عصفورا!

الآخسر : أجل كذبت وما ضرر لست أول كاذب
وكلنا قد كذبتا لكني تقوم بواجب
لقد خطبتنا لصخر والكذب فن الخوايط!

مالك : وما لك كيف نسيت كلمات قالها
مباهيا بنتيه ومظهرا كمالها
سمعناه يقول ولا يبالي فعبلة تبغض الرجل الدميا

ولم نر قبل عبلة في البوادي فتاة علفت عبدا زينا
سمعناه يقول ولا يلى فعبلة تبغض الرجل العنيفا
ولم نر قبل عبلة في البوادي فتاة علفت ذببا مخوفا
[يدخل مالك حاملا قصعة فيها طعام
ومن ورائه غلمان يحملون مثلها ، توضع
القصاع على الأرض ، وينصرف الغلمان]

المشهد الرابع

مالك : المجمع المجمع يا ضيف عبس إطعموه أطعموا هنيئا مريئا
[يقبل الحاضرون كلهم على القصاع]

أحمد : ألبان عبس تفضل المقارا

آخسر :

وتمرها تكلم العذارى

آخسر : أفديهما من لبن وتمير

آخسر : [هامسا]

لا أشتريهما بريق نخير

مالك : الآن استعملوا الحزم فما نعلم ما يظنرا

بنى عامر لا تجروا لما كان هنا ذكرا

أحمد : أبا عبلة لا تتخس سيق ما جرى سيرا

آخسر : وما ضر إذا نحن أذعنا الأمر ما ضرنا؟

ولم لا نذكر الخطبة أو لا نعلن البشري؟

إذن أنت تخاف العبد أو تحشى له شراً؟
مالك : أليس الحزم أن نأخذ من عنزة الحذر؟
فقد يقتلني وحدى وقد يقتلنا طراً
ولا يبقى لنا شاة على المرعى ولا بكراً
أحدهم : أبو عبلة بالعبد وما يفعله أدرى
فسيروا بالذى قال ولا تعصوا له أمراً
[يقومون عن الطعام ثم يحبون مالك ويسأون
في الانصراف فاذا انصرفوا وقف مالك بباب الخلاء]
أحدهم : فى ذمة الله وفى حفظه... مالك
مالك : تحروسين بالله

المشهد الخامس

مالك : عبّل
عبلة [من وراء الستار] : آى ؟
مالك : من أين يا عبلة

المشهد السادس

[تدخل عبلة]
من خبائيب : عبلة

مالك : وأَيْنَ تَمْضِينَ ؟
 عبلة : أَهَيْسَبُ بِسُقَاةٍ شَائِيَا
 مالك : قِنِي أَسْتَمِعِي لِي سَاعَةً وَخَفِّفِي عَنَّا يَا
 عبلة : قُلْ أَبِي مُرْ
 مالك : إِذْنِ تَعَالَى أَصْبِيحِي وَزُهَيْرُ أَخُوكِ أَيْنَ زُهَيْرُ؟
 عبلة : مَعَ عَمْرٍو هُنَاكَ
 مالك [يَنَادِي] : يَا عَمْرُؤُ
 عمرو [مِنْ وَرَاءِ السَّارِ] : لَيْسَ لَكَ أَبِي
 يَحْيَى تَعَالَى هِيَ زُهَيْرُ
 [يَدْخُلُ عَمْرٍو وَزُهَيْرُ]

المشهد السابع

مالك :
 عَمَلْ أَصْبِي فِي أَرْضِ نَجْدِ شَبَابُ أَطْلُعُوا فِي سَمَائِهَا أَفَارَا
 مِنْهُمْ الْأَسَدُ جُرَاءَةً وَثَبَاتًا وَالْقَوَارِينُ نِعْمَةً وَيَسَارًا
 مِثْلُ صَخِيرِ
 عبلة : وَمَنْ يَرَبِّكَ صَخْرٌ؟
 عمرو : عَامِرِيُّ مِنْ أَرْقَمِجِ الْيَدِ دَارَا

زهير :

مِنْ بَنَى الْأَشْتَرِ الْكَثِيرِينَ مَالًا وَنَحِيلًا وَضَيْعَةً وَعَقَارًا

عبلة :

قَدْ عَرَفْتُ الْعُلَامَ ذَاكَ الْفَقِي النَّضْوِ الَّذِي لَا يُطِيقُ يَقْتُلُ قَارًا
كُلَّ يَوْمٍ مَعَ الْعَذَارَى كَثِيرُ الْعُجْبِ مُسْتَحْيَا كَأَحَدِ الْعَذَارَى
أَتَرَى يَا أَبِي وَأَنْتَ أُنَى يَا عَمْرُوكَيْفَ انْتَقَيْتُمَا الْأَصْهَارَا

زهير :

وَأَنَا لَا أَرَى عُيْلَةً خَيْرًا مِنْ أَبِيهَا وَلَا أُخِيهَا اخْتِيَارًا
أَنْتِ مَقْتُونَةٌ بِأَسْوَدَ عَبْدٍ مِنْ بَنِي عَمْنَا تَسْرِبَلُ قَارَا

عبلة :

أَوْتَعْنِي الَّذِي حَمَى حَوْضَ عَيْسٍ وَكَسَا الْيَدَ مُؤَدِّدًا وَنَفَارًا؟
وَالَّذِي قَلَّدَ الْوَقَائِعَ وَالْأَيْتَامَ عَيْسًا وَخَلَّدَ الْأَشْعَارَا
يَا زُهَيْرُ أَتَيْتُ مَنْ كَانَتْ الْأُلُوهَا تُتَبْنَى وَتَهْدَمُ الْأَحْرَارَا؟
لَمْ يَحْطِ السَّوَادُ مِنْ أَسَدِ الْفَقْرِ وَلَمْ يَرْقَعْ الْبَيَاضُ الْحِمَارَا
أَرَأَيْتَ السَّوَادَ قَدْ عَبْدَ اللَّيْلَ كَمَا عَبْدَ الْبَيَاضُ النَّهَارَا؟

مالك : زهير

زهير : أبي

مالك : أَصْغِ عَمْرُو اسْتَمِعْ وَيَاعْبَلُ أَنْ لَنَا أَنْ نَجِدُ

عبلة :

مَتَى كُنْتُ هَا زِلَةً يَا أَبِي؟

مالك :

هَزَلْتُ ابْنَتِي وَأَضَعْتُ الرَّشْدَ

وَمَا زِلْتُ بِالْعَبِيدِ مَفْتُونَةً وَهِيَّاتَ بِالْعَبِيدِ يَرْضَى أَحَدٌ

فَلَا أَنَا أَرْضَى وَلَا أَخَوَاكِ وَلَا مَنْ تَدَانِي وَلَا مَنْ بَعْدُ

عبلة :

أَعْتَرَةً يَا أَبِي قَدْ عَنَيْتَ ؟

مالك :

أَجَلْ

عبلة :

وَأَلِغْتَرَةً الْمُضْطَهَدَةَ

أَبِي قَدْ تَمَكَّنَ مِنْكَ الْوُشَاةُ وَآثَرُ فَيْكَ كَلَامُ الْحَسَدِ

أَلَيْسَ ابْنُ عَمِّي؟ أَلَيْسَ الْخَوَادُّ؟ أَلَيْسَ الشَّجَاعُ أَلَيْسَ الْأَسَدُ؟

أَمَا هُوَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَتِي ثُمَّ أَنَا أَبٌ فِي الْأَوَالِي وَسَيِّدٌ؟

وَفِي الْيَسِيدِ رُدَّةٌ لِأَبَائِهِ وَلَيْسَ إِلَى الْأُمَهَاتِ الْوَلَدُ

أَبِي عَنَتَرَةٌ لَيْسَ يُزْنِجِي وَلَا عَبِيدُ

وَلَمْ يُجَلِّبْ مِنَ النَّوْبِ وَلَمْ يَحْضَرْ مِنَ السُّنْدِ

وَلَكِنْ مَيِّسَمُ اللَّوْنِ كَيْثِلُ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

فَتَى كَالْأَسْمَرِ اللَّذِينَ بِجَمِيلِ الشَّعْرِ الْجَلِيدِ

يُتَجَاعُ ذَائِعُ الصَّبِيتِ جَوَادٌ وَاسِعُ الرَّفِيدِ

عمرو :
أبي سُدى تُرَاجِعُ الْمُفْتَنُونَ وَعَبَّاتُ تُخَاطِبُ الْمُجَنُّونَ
زهير : فَرُّ يَكُنْ مَا شِئْتَ أَنْ يَكُونَا

مالك :
الْأَمْرُ يَا عَجَلْ مَا تَأْمُرِينَا فَالْشَّانُ يَعْنِيكَ لَيْسَ يَعْنِينَا
عبلة :

ذَلِكَ أَمْرٌ أَرَأَيْتُ فِيهِ لِعَمْرٍو وَزُهَيْرٍ وَلَيْسَ لِي أَلْرَأْيُ فِيهِ
يَا أَبِي أَعْقِدْ عَلَى زُهَيْرٍ لَصَبْخِيرٍ أَوْ فَرِّجْهُ يَا أَبِي مِنْ أَخِيهِ
مالك [في دهش] :

أَزْوَجُ السَّرَّجَالِ بِالرِّجَالِ؟ ذَاكَ لَعَمْرِي مُتَمَيِّهِ الْجَبَالِ
زهير : اسْتَهْتَرْتُ أَخْتِي فَمَا تَبَايَلِي

مالك : إِذْنُ يَا عَجَلْ أَصْرَرْتُ؟
عبلة :

أَجَلْ وَلَيْكَ مَا كَانَا
فلن أَرْضَى سِوَى عَنزَةَ ابْنِ الْعَمِّ إِنْ سَانَا
[ثم تخرج فاضبة]

المشهد الثامن

مالك : إِذْنُ فَانْتَظِرِي يَا عَجَلْ لِلْعَبِيدِ وَلِي شَانَا
[يخرج في أثر ابنته ويقبل صخر من
ناحية الطريق من جهة اليسار ومعه
العصية التي كان يحملها في المنظر الأول]

المشهد التاسع

مضر : عمرو زهير؟ عجب الحظ صديقاي هنا!
يا طيبها لقاء

عمرو : لله ما أسعدنا
أهلاً بصخر مرحباً بالقمر العالي السنا
ما هذه الحلة ما أظرفها ما أحسنها

زهير : أصنعة الشام؟

مضر : ولم لا تذكرين اليمن؟

صنعاء أعلى من دمشق سلعة ومنا

عمرو : تلك أمور يا أنى يعرفها أهل الغنى

زهير : وما ذلك ما المنديل يا مضر وما فيه؟

مضر : ثياب مثل أثوابي من الوشي وقاليه

لكل منكم توب إليه يجثأ أهديه

[يفرد الصرة فيتناول كل منها حلة]

زهير : عمرو تأمل يا هنا حلة لله ما أبهى وما أبهجا

الحق ما قال قتي عامر صناعاً أعلى بلد منسجاً

[يرى في الصرة طرحة من حرير فتناولها]

وتلك عمرو؟

عمرو : طرحةٌ مثلُ ذُنَابِ الطاوُسِ

كَمِثْلِهَا مَا لَمَسْتُ فِي الْوُثْيِ كُفَّ لَامِسِ

عمرو مبتسماً : هِدْيَةٌ لِعَبْلَةٍ؟

صفير : تجلوبةٌ من فارس

زهير : خَلْنَا صَخْرَ من هداياك . قل لي كيف أزمعت أن تُلاقِي عنزة؟

صفير : غَدَا على العبدِ أَصْبُ النَّحْسِ عَبدَيْنِ من شرِّ العبيدِ نَفْسِ

ومن أشدهم قُوًى وبأساً

إن صارَعا جُلُودَ صَفِيرٍ صُرْمَا أَوْ قَارَعَا صَبِغَمَ غَايِبٍ قُرْمَا

أَوْ رَمَيَا الشَّمْسَ أَصَابَا المَطْلَعَا

غَضْبَانُ وَهُوَ المَنِيَّةُ وَمَارِدٌ وَهُوَ جِنَّةُ

كَلَامُهُمَا جِنَّةٌ

مَا هُمَا أَقْبَلَا تَأْمَلُهُمَا يَا عَمْرُو

[ينظرون الى شبعين قاذمين من ناحية اليمن]

ماذا أقول جنَّان

عمرو :

ولين يا ترى هما ؟

ممر : السابق الأول عبيد وقد شريت الثاني

[يدخل المهدان غضبان ومارد]

المشهد العاشر

تعال غضبان قل لصخر كم أسيد صيدت ؟

غضبان : نحو ألف

عمرو : ألف ؟ أفي البيد ألف ليث لو قلت لثنين كان يكفي !

زمير : وكذباً قتلت ؟

غضبان : اثنين !

عمرو : ماذا ؟

غضبان : قتلت عداداً ناصيتي ذئاباً !

زمير : وكنت إذا بعثت لها سهاماً ويجئت تجسها ويجدت كلاباً !

وانت يا مارد قل لي كيف صيدك الأسد ؟

مارد : أصيده إذا أتى ليطرب واد فرقت

وكنت فوق تحلة يزل عنها من صيد

وَالْقَوْسُ فِي حُضْنِي كَمَا تَحْتَضِنُ الْأُمُّ الْوَلَدَ
وَكَانَتِ السَّهَامُ فِي كَنَانَتِي بِلا عَدَدَ
هُنَاكَ أَرِي فَاُسَلِّ الرُّوحَ مِنْ أَصْلِ الْجَسَدِ
فِي حَائِطِ التَّامُورِ إِنْ شِئْتُ وَفِي رُكْنِ الْكَبِدِ

عمرو : غَضْبَانُ

غضبان : لِيكَ

عمرو : أَجِبْنِي

غضبان : سَلْ مُرِي

عمرو : كَيْفَ لَقَا عَنْزَةَ الْغَضْغَضَرِ ؟

غضبان : وَجْهًا لَوَجْهِ ؟

زهير : لَمْ لَا ؟

غضبان : لَا أَجْتَرِي

زهير : كَيْفَ تَبِعَهُ إِذْ ذُنُوتُ شَتْرِي ؟

غضبان : أَقْدَفُهُ مِنْ قَرَسَخٍ يُخْجَرِ أَتْرُكُهُ كَالثَّيْلِ الْمَعْفَرِ

مضمر : وَأَنْتَ يَا مَارِدُ لَسْتَ مُجْهَلُهُ

مارد : مَنْ يَجْهَلُ اللَّيْثَ ؟

مضمر : فَكَيْفَ تَقْتُلُهُ ؟

مارد : آتَى لِرَأْسِ جَبَلٍ فَأَنْزَلَهُ وَثَمَّ

مَاذَا ؟

صحفر :

لَى سَهْمٍ أُرْسِلُهُ

مارد :

يُودِعُ الْحَيَاةَ مِنْ يَسْتَقْبِلُهُ

[يُتَاسَسُ الثَّلَاثَةُ لِحَفْظَةِ ثَمَّ يَتَجَمَّعُ عَمْرُو

وَصَحْفَرُ نَاحِيَةَ الْيَمِينِ لِيَنْصَرِفَا]

عمر : الْخَيْرُ فِي الْعَبْدَيْنِ سَيِّرَا امْضِيَا رَاشِدَيْنِ

[يُخْرِجُ عَمْرُو وَصَحْفَرُو يَنْصَرِفُ الْعَبْدَانِ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَسَارِ

وَتَسْمَعُ ضَجَّةً تَتَعَالَى شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَصَبَاحَ وَعَوِيلٍ ،

فَتُظَاهِرُ عِبِلَةً مِنَ الْبَابِ الَّذِي فِي الصَّدْرِ ، فَرَعَةٌ مَضْطَرِبَةٌ]

المشهد الحادى عشر

أصوات من الخارج : وَآ وَلَدًا ! وَآ كَيْدًا ! وَآ أَسَدًا !

عبل : زُهِيرُ مَا الضُّجَّةُ ؟ مَا هَذِهِ الرَّجَّةُ ؟

زهير : أَحْسَبُهَا قَافِلَةً مُذِيرَةٌ مُنْهَزِمَةٌ

تَعَرَّضْتُ لِقَاتِلِكَ فَرَدَّهَا مُحَطَّمَةً

[يَسْمَعُ صَوْتَ مَنَادٍ يَنَادِى]

الصوت : يَا مَعْشَرَ الْيَسِيدِ اسْمَعُوا بُشْرَى لَكُمْ أَهْلُ الْحَيِّمِ

يُظْهِرُ عُلَيْسٌ وَوَرَاءَ السَّحَى إِبْسَلٌ وَغَسَنٌ

ألفانٍ أو ما نحوذا لك من كرائم النعم
كانت إلى كسرى كسائ وإلى أرض العجم

[يسمع صوت مناد آخر من ناحية أخرى]

الصوت : وراء الحى يا مفس من الأنعام ألفان
جنى عنزة الفلحا من أسلاب سرحان
وكانت فى الفلا تزعجى إلى كسرى بن ماسان
ألا فليعلم القاصى من الخليات والدانى
بأن الليث قد جداد على الحى بقطعان
زمير : من الليث ؟

مبلة : لحالك الله هل فى البيد ليثان ؟

[يمر على الطريق رجال ونساء هم فلول القافلة المسلوبة

فى هيئة ذعر واضطراب داخلين من اليمين]

المشهد الثانى عشر

أحمد : وذراعى وأين منى ذراعى ؟
آخسر : أين ساقى قد طير السيف ساقى ؟

امرأة : نعلي . تركت في القتال نعلي

أخرى : أما أنا خلقت فيه بعلي

آخر : وأفرسي ما حال بينه وبين صاحبه !

أى جباب حطاني عن سرجه وطاريه !
عجوز [باكية] :

هفي على فوارس من قومي ناموا على العراء شر نوم

يا ليتني لم يتأخروني

عبلة : تلك العجوز ناكله تبكى ابنها في القافلة

يا أم ماذا دهاك أوجع قلبي بكائك ؟

العجوز : عشرون من بوايل الفرسان تحت لواء ولدى سرحان

عبلة :

سرحان ليث الضرب والطعان ؟

العجوز : أجل تركتهم على المكان

وليمة الحداء والغربان

عبلة : إذن سرحان في القتلى لك الرحمن من تكلي

من المغير ؟

و.د.د.
عصبة

العجوز :

من الزعيم ؟

عبلة :

عنسترة

العجوز :

عبلة : عَنْزَةٌ يَفْعَلُ أَفْعَالُ اللَّصُوصِ الْفَجَرَةِ ؟

المجوز : لَا يَا ابْنَتِي ظَلَمْتِي عَنْزَةٌ لَمْ يَتَّسِدِ

عَنْزَةٌ كَاللَّيْثِ عِنْدَ شَبْعِهِ لَا يَتَّسِدِ

عبلة : مَنْ بَعَثَ الْحَرْبَ إِذَنْ وَمَنْ جَنَّاها؟

المجوز : وَلَدِي

تَكَلَّمْتُ عَلَى الدَّرْبِ خَيْرَ الْبَيْنَيْنِ وَقَاجَانَا فِي الطَّرِيقِ الْهَبَلِ

وَكُنَّا ثَلَاثِينَ غَيْرَ الرِّمَّةِ

مَنْ أَمْرَاءُ مَعَنَا أَوْ رَجُلٌ

وَكَانَ السَّوَامُ كَثِيرًا يَضِيقُ

بِهِ السَّهْلُ أَوْ يَتَغَطَّى الْجَبَلُ

وَكُنَّا نَيْمُ أَرْضِ الْعِرَاقِ لِنَجْتَازَهَا

عبلة : نَحْوِ كَسْرِي ؟

المجوز : أَجَلْ

عبلة [غاضبة] : لَتُطْعَمُوا الرِّشَاءَ وَتَتَأَلَّوْا الْمَنَى وَيُمْنَحَ سَرَحَانُ بَعْضَ الْعَمَلِ

وَيُنْحَكُمْ فِي الْيَدِ بِأَسْمِ الْهَمَامِ وَتُحْتَطَّبِي فَارِسَ وَالْأَسْلَ

ذَلِيلُ بَابِ أَنْوَشِمْرَوَانَ وَعِنْدَ الْحَيَامِ الْعَزِيزِ الْبَطْلُ

إِلَى كَمْ تَهَيِّمُونَ تَحْتَ النُّجُومِ وَتَفْتَرِقُونَ أَفْتِرَاقَ السُّبُلِ ؟

فَنُصَفُ قِطَاعُ رَعْنِهَا الذَّنَابُ وَنُصَفُ عَلَى الْيَدِ قَوْضَى هَمَلِ ؟

وَلَيْسَ لَكُمْ دَوْلَةٌ فِي الْوُجُودِ وَتَسْجَبُكُمْ كَالذُّبُولِ الدُّوَلُ
أَلَمْ عَلَى حَوْضِنَاكُمْ قَبْضٌ وَكَسَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ نَزْلُ
وَيَحْكُمُكُمْ تَحْتَ نِيرِ الْغَرِيبِ وَمِهْمَا زِهْ الْأَدْعِيَاءُ الدَّخْلُ
هُمْ الْأَمْرَاءُ وَقَدْ يَرْتَدُّونَ بِبَابِ الْأَعَاجِمِ ذُلُّ النُّدُلِ

أحدهم : سَمِعْتُ !

آخر : ما ذاك ؟

الأول : سَمِعْتُ النَّاعِيَةَ ؟

فَهَمْتُ !

الثاني : فارقني تَزَجْرُجُ نَاجِيَةٍ

الأول [لعبة] يَا لَكَ مِنْ مُكَارِهِ تَطْلَعُنْ فِي الْأَكَايِرَةِ

وتلعبن المناذرة !

الآخر : عَبَلَةٌ تَنْطِقُ الذَّهَبُ لَوْ كُنْتَ تَمِيقُ الْخُطْبُ

الأول : وما الذي تَرْمِي لَهُ ؟

عبلة : أَرْمِي لِتَحْرِيرِ الْعَرَبِ

الأول : تَحْرِيرُهُمْ ؟ مِم ؟

عبلة : مِنْ الْقَيْدِ

الأول : وَكَيْفَ قِيدُوا ؟

عبلة : الْفُرْسُ وَالرُّومُ اسْتَرْقُوا قِسْمَنَا وَاسْتَعْبَدُوا

الثاني [لأخيه]: مَالِي إِذْنُ ؟

الأول : مَاذَا ؟

الثاني :

لَا قِيَدَ فِي رِجْلِي

بِجَمِيعِكُمْ مِثْلِي !

كَمَا سُرَّالَ حَوْلَ لِيَاةِ الرُّسُلِ ؟^(١)

وَأَنْتَ وَالنَّاسُ

مِثْلَةٌ : أَلَا بَطَلٌ تَلْتَقِي حَوْلَهُ

كَمَا فَكَّ مُوسَى رِقَابَ الْأَوَّلِ

بِفُكِّكَ مِنَ الرِّقِّ أَعْنَاقَنَا

الأول : وَجَدْنَاهُ ؟

يَكُونُ ؟ تَكَلِّمُكَ الْوَيْلُ قُلْ

صوت : مَنْ ذَلِكَ مَنْ يَأْتِي

مِثْلَةٌ : أَتَلْسُونَ عَنَزَةَ الْعَبْقَرِيِّ ؟

أَيُحْكِنَا الْعَبْدَ هَذَا خَبَلُ !

صوت :

وَيَنْسُ الدَّلِيلُ إِذَا مَا حَجَلُ

لَيْسَ أَمِيرُ الرِّجَالِ الْغُرَابُ

الأول : أَتُجَحِّدُ عَنَزَةَ ؟

فَمَا جَدَّ فِي قَوْلِهِ بَلْ هَزَلُ

خَلِّهِ

آخر :

يَا عِيسُ قُومَا وَنِسَا ؟

مِثْلَةٌ : مَا بَالُكُمْ جَبَلْتُمُو

عَنَزَةَ بِمَا رَمَى

حَقِّي رَمَى هَذَا الْفَقَى

(١) بنو إسرائيل .

أَلَيْسَ فِي أَرْجُلِكُمْ نَعْلٌ فِي الْأَيْدِي عَصَا؟

[يهجون على من سب عنزة ويضربونه]

الأول : مالك يَا فَتَى بَلَّغْتَ فِي الْوَقَاحَةِ الْمَدَى

آخر : مَاذَا الَّذِي غَرَّكَ يَا كَلْبُ بَضْرُغَامِ الشَّرَى؟

المضروب : وَأَنْتَ مَا يَعْينِكَ مِنْ عَنَزَةٍ؟ وَمَا الَّذِي يَعْينِكَ مِنْ شَأْنِي أَنَا؟

عبلة :

صَدَقْتَ مَا كُنْتَ لَتَعْنِي أَحَدًا لَوْلَمْ تَخْضُ فِي الْفَرْقِدِ الْعَالِي السَّنَا

أَمَّا ابْنُ شَدَادٍ فَدُنْخُرُ قَوْمِهِ يَهُمُّ مِنْ رَاحٍ وَيَعْنِي مِنْ غَدَا

[يسمع صوت عنزة من وراء]

السنار فادما من ناحية اليسار]

عنزة : يَا بَيْسَدُهَا أَنَا ذَا أَنَا سَامِي جِمَاكِ وَرَبُّ غَايِكَ

إِنْ كُنْتُ جَاهِلَتِي أَخْرَجِي بِجَمِيعِ ظُفْرِكَ لِي وَتَايِكَ

هَاتِي أَسْوَدَكَ كُلَّهَا هَاتِي الْكَوَايِسَ مِنْ ذِي تَايِكَ

أحدهم : يَا رِجَالُ الْفِرَارِ قَدْ طَلَعَ اللَّيْثُ عَلَيْنَا هَيُوا الْفِرَارَ الْفِرَارَا

[يلتزمون جميعا من ناحية اليمين وتبقى عبلة وحدها]

المشهد الثالث عشر

عنبرة [من وراء الستار] :

أيا عبل

عبلة : مَنِ الطَّارِقُ مَنِ بِالْخِيَمَةِ أَسْتَذِرِّي ؟

مَنِ الْهَاتِفُ مَنِ ؟

[يدخل عنبرة]

المشهد الرابع عشر

عنبرة : عنبرة العبي

عبلة : يا بشرى !

عنبرة : تَعَالَى ظُلَيْمَةُ الْقَضَائِعِ أَجِيرِي أَسَدَ الصَّخْرَةِ

سنار

الفصل الثالث

المنظر الأول

« المنظر في وادي الصفا على مقربة من حي بني عامر على سبيل »
« مطروق • حيون ونخيل وأشجار، عقلت حبله بغيرها تحت شجرة »
« منها ، على بعد قليل • أناس يقدون ويروحون على الطريق »

المشهد الأول

عجلة :	قل لي ربك من تحب	ومن تحبك يا بهي
	أى النياق فإنهم	على مراعيها كثير
	وهل اكتفيت بناقة	أم أنت كالعنسي زير
	تلهو بما دفع الرواح	إليك أو ساق البكور
	مُتَقَلًا بين البيوت	على عقالها يدور

ما حَقُّ عَنزَةٍ عِنْدَنَا إِلَّا التَّجَنُّبُ وَالنُّفُورُ
مَالِي تَمَلِّكَ مُهَجِّي عَبْدٌ عَلَى عُبُسِ أَمِيرٍ
لَوْ يَجْعُ الْعَرَبَ السَّرِيرُ لِحَاءُهُ يَسْعَى السَّرِيرُ
كَالْلَيْلِ إِلَّا أَنَّهُ فِي عَيْنِي الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
حَسَدَتْنِي الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَكُلُّ مُحْسُوْدٍ خَطِيرُ

[تسل عبلة باطعام بعيرها بينما يمر]

في الطريق ثلاثة فتيان ، فيلهون عبلة]

المشهد الثاني

فرداد : يُجَيِّرُ مَاذَا ضَرُّوْا أَنَا أَتَيْنَا الشَّجَرَةَ
هَلُمَّ نَلْهُو سَاعَةً بِالْغَادَةِ الْمُتَظَرَّةِ
بجسر : أَنَا مَجْنُونٌ أَنَا أَهْلُو بَرِيمِ الْقَسْوَرَةِ؟
لا يَا أَخِي لَا أَجْتَرِي عَلَى لَبَاةٍ عَنَزَةٍ
الثالث : صَبِّهِ صَبِّهِ يُجَيِّرُ حَسْبُ يَا قُرَادُ ثَرَوَتُهُ
دعنا الفضولَ وابعثنا تَحِيَّةَ مُعْطَلَةٍ
ما تلك إلا عبلة ما عبلة بَنَكْرَةٍ

[ينصرفون من الجانب الآخر ويسمع

صوت عنزة من وراء الستار]

المشهد الثالث

عنتره : يا عبِل ...

عبلة [لنفسها] : مَنْذَا يُنَادِي عِبِلَ؟ عنتره؟

عنتره : يا عبِل ...

عبلة [لنفسها] : تِلْكَ لِعُمَيْرَى تَبْرَةُ الْأَسَدِ

هَذَا هُوَ الْحُبُّ هَذَا اسْمِي عَلَى فَيْهِ يَأْتِي مِنَ الْقَلْبِ أَوْ يَأْتِي مِنَ التَّكْيِدِ

يُرَدِّدُ اسْمِي فِي الْيَدَاءِ مَنْفَرِدًا وَرَبِّمَا نَسِيَ اسْمِي غَيْرَ مَنْفَرِدِ

عنتره :

يَا عِبِلَ أَيْنَ جَبِينُ لَسْتُ سَالِيَسُهُ طَلَقَ الْبَشَائِثَ حَلَوُكَ الصَّبَاحِ نَدَى

وَأَيْنَ يَا عِبِلَ فَرْعٌ كَانَ فَأَغْبَيْتِي وَكَانَ لَهْوِي إِذَا ضَغْرَتُهُ وَدَدِي

وَلِي يَدُ خَشْنَةِ الْأَطْفَالِ أَنْقَلْتُهَا مِنَ الْغَدَائِرِ أَحْيَانًا إِلَى اللَّهْيَدِ

تَعَيْتُ مِنْ شَعْرِ الْغَادَاتِ فِي تَحْمِيلٍ حِينًا وَمِنْ شَعْرِ اللَّبَوَاتِ فِي زَرْدِ

[يَقْبِلُ عَنْتَرَةَ وَفِي أَمْرِه دَاحِسٌ لِيَهْنِئَ

دَاحِسٌ وَرَاءَ الشَّجَرِ بِمِثْلِهَا مِنَ الْمَرْحِ]

المشهد الرابع

عنتره : مَنْ أَرَى؟ عبلة؟

عبلة : مَنْ؟ عنتره؟

عنزة : مُهَجَّتِي عِبْلَةٌ مَاذَا تَصْنَعِينَ ؟

عِبْلَةٌ : نَحْرَجْتُ لِلزُّهْمَةِ عَلَى الصَّفَا وَحْدِي
أَقْضَى هُنَا بَرَهَهُ أَبْتُ مَا عِنْدِي
نَحْمِلَةَ الْبَابِ وَرَوْضَةَ الرُّنْدِ

عنزة [مشيرا الى البعير] :

وذاك يا نُورَ عَيْسٍ ؟

عِبْلَةٌ : هَذَا بَعِيرِي صَبَاحُ
رَبِّي مَعِي وَبَعِيرِي تَحْتِي وَهَذَا السَّلَاحُ

[وتربه سلاحها على هودج البعير]

عنزة :

أَمَّا أَنْتِ عِبْلٌ تَحْشَى بِأَسْمَى
لَقَدْ قُرِنَ اسْمُكَ الْمَحْبُوبُ بِاسْمِي
وَتَتَّخِذُ الْكَتَائِنَ وَالرَّمَاحَ
أَمَا يَكْفِي اسْمُ عُنْزَةٍ سِلَاحًا

عِبْلَةٌ : مَنْ أَيْنَ يَا ابْنَ الْعَمِّ ؟

عنزة : مِنْ حَالَمِ الْيَسِيدِ

عِبْلَةٌ : كُنْ مِنْ فِتَاةٍ تَمَّ
يَقُولُونَ عُنْزَةٌ لَمْ يَقِفْ
مَاذَا مِنْ الْيَسِيدِ
يَحْيَى مِنْ الْيَسِيدِ إِلَّا خَطَبَ

فَقَالَ لِمَاتِيكَ مَا تَشْتَهِي وَغَازَلَ تِلْكَ وَأُخْرَى أَحَبُّ
خَلَا إِلَهُ صِرْنَ مِثْلَ الْحَصَى
عنتره : وَأَنْتِ أَصْدَقْتِ هَذَا الْكَذِبُ
أَحَادِيثُ لَفَقَهَا حُسْدِي وَقَدْ يَخْلُقُ الْحَاسِدُونَ الرَّيْبُ
مبلة : وَأَخْتُ سَعِيدٍ ؟
عنتره : مَا لَهَا ؟
مبلة : أَلَمْ تَقْدِ بَعِيرَهَا ؟
وَمَا تَسِيَّتْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ أَنْ تَزُورَهَا
| يَسْمَعُ حَفِيفٌ فِي أَرْوَاقِ الشَّجَرِ
وَرَوْطٍ أَقْدَامُ يَقْبَسِلُ دَاحِسٌ مَذْعُورًا |

المشهد الخامس

داحس : سَيِّدِي سَيِّدِي خُذِي الْحِلْدَرَ
عنتره : مَاذَا دَاحِجُ ؟
داحس : أَحْسَسْتُ أَرْجُلًا وَدَّيْبًا
عنتره : لَا تُخَفِّ دَاحِجُ
داحس : بَلْ أَخَافُ وَأَخْشَى خَطَرًا مَاثِلًا وَشَرًّا قَرِيبًا
[يَعُودُ دَاحِسٌ مِنْ حَيْثُ أَتَى]

المشهد السادس

عبلة :	وراثتك ؟
عنزة :	كيف صُنِي بها ؟
عبلة :	بعثت إليها بجلد القمَر
عنزة :	وكيف وأين ؟
عبلة :	لقد كَانَ ذاك
	وهندُ بنتُ عامِر
	وابنةُ سُطَّامِ الْم
	وابنةُ شَيْبَانَ الْم
عنزة :	قد زورُوا واختلقُوا
	رُحَمَاكَ يَاعَبَلُ
عبلة :	دَغْنِي
عنزة :	من قَالَ ذاك ؟
عبلة :	كثير
عنزة :	
	لَا وَعَيْتِكَ وَأَعْظَمُ بِالْقَسَمِ
	لَمْ أَتَمْ يَاعَبَلُ عَنْ عَهْدِ الْهَوَى
	أَذْكُرِي يَاعَبَلُ أَيَّامَ الصَّبَا
	وَشَوْيَهَا تُكِ حَوْلِي أَسْ
	وَفِيمَ عَنْ غُرَّةِ الصَّبْحِ ابْتَسَمَ
	مَنْ رَعَى أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَنْمَ
	حِينَ أَسْقَى بَيْنَ عَيْنَيْكَ الْغَنَمَ
	يَغْتَرِفْنَ الْمَاءَ مِنْ رَاحِي السُّحْمِ

إن حضرت الماء حانت وارتوت أو تولّى الماء غيّر لم تهم
 إذ كرى إذ أنت طفلٌ حلوةٌ قد كساك الحسنُ فرحاً لقدّم
 إذ يجيئان يصبيان الحى وصبايا الحى في ظلّ الحليم
 فتقصّب عليهم خبرى مع ذئب القفر أو ليث الأجم
 أنا يا عبلةُ عبدٌ في الهوى وأنا يا عبل في القربى ابنُ مَم
 اطلبي الإيوانَ أحمله على راحتي كسرى وهامات العجم
 أو سلبني الهرمَ المشهورَ يا عبل أجلب لك من مصر الهرم
 أو سلبني اليدَ مهراً أو سلبني ما وراء اليد من ضمير النعم
 أو تعالى نخذي أشرف ما قلّد الإنسان سنيي والقلم
 ربّ خيلٍ قدت حتى قادني وحوى رقي بنات كالنعم
 وليوثٌ صدت حتى صادني رشاً القايح ورعوب الأثم
 قد رميت النجم حتى ملّني وتعهدت الذهبى حتى سئم
 أشتى طيفك في حلم الكرى فيقول الليل لي أين الحلم ؟

[في هذه الأثناء يظهر مارد وغضببان من وراء الشجر
 وفي غير الناحية التي اختفى فيها داحس ، فيسدد
 أحدهما سهمه الى ظهر عنزة ، فتراه هبلة وتضطرب
 فيصبح عنزة بالرجل دون أنت بلضت اليه]

المشهد السابع

عنزة [ضاحكا] :

حذار يا وغد حذار يا لكح الليث لا يقتله الكلب فدع

[يقع القوس من الرعب من يد مارد ثم يخر

هو نفسه الى الأرض ميتا و يفر غضبان]

قد وقعت من يديه وقد وقع

المشهد الثامن

قد كان لا بد أن أراه لليث عينا في قفاه

سيري اظري مات ورب الكعبة زجرة الليث المصور صعبة

بل اسمي قبل اسمي كلامي لولاك لم أنج من الحمام

قد كنت أنت صني قدامي لك اتجاهي وبك اهتامي

رايت في عينيك قوس الراي ويده في جعبة السهام

عبلة : وما رايت ؟

عنزة : رايت العين حائرة والوجه لونه الإشفاق ألوانا

وقف شعرك وانسابت غدائره كما أثرت وراء الليل ثعبانا

وقام صدرك كالمنفاخ مجتهدا لا يفرغ الريح إلا ارتد ملانا

فقلتُ شرٌّ ورائي لستُ أبصرهُ في عطفِ عبلةٍ لما رُوعتُ بأنا
ولا حلّ الحبِّ في عينيكِ مُرتبياً لم تستطِعي له يا عبلَ كتماننا
عبلة : الحبُّ كيف عرفتَ الحبَّ ؟

عنبرة : منك ومن عينيكَ

عبلة : قد تكذبُ العيناينِ أحياناً
عنبرة :

لا عبلَ لا إن عينَ الحبِّ صادقةٌ وما تعودتُ من عينيكَ بهتاناً
عبلة :

أجل ولكن قديماً كانَ ذاكَ أجَلَ هذا السوادُ لعيني كانَ إنساناً
عنبرة : واليوم ؟

عبلة :

مالك في قلبي الجريحِ هوى اليومَ عنتر من أحببتُ قد خانا
عنبرة :

دعي الوسواسَ والأوهامَ عنك دعي يا عبلَ بُحري على ما قيلَ نسياناً
[يسمع رطه أقدام |

عبلة : عنتر تلكَ صُحبةٌ فلتسوارِ ناحيته

لا يحسد الواشي اليأسُ سُبلاً والواشي

[يخفغان وراء الشجر و يقبل من ناحية أخرى مالك

وضرغام وزهير كأنهم مارون بالطريق، ويتشاعل

زهير بالشرب من ماء عين أو بئى، من مثل هذا |

المشهد التاسع

- ضرغام : سيد الحى
مالك : ألف لييك ضرغام تكلم ائتم شىء تقول ؟
ضرغام : سيد الحى عبلة اختارها القلب فهل لى الى الزواج سييل ؟
مالك : والمهر يا ضرغام
ضرغام : مهر عبلة ؟ اقترح تره
قدرة او خل الى عبلة ان قدره
وغاليا ماشئما فيه وطننا المقيرة
مالك : المهر يا ضرغام غال فاجتهد ان تحزرة
ضرغام : سل تاج كسرى واقترح عمامة المناذرة
سل سبعة القيصر او فاطلب صليب القيصره
مالك : المهر فوق ذاك
ضرغام : قلله لا تخف ان تذكره
مالك : اسمع اذن اصيحه له المهر رأس عنتره
ضرغام [لنفسه] :
له الويل ماذا قال ؟
مالك : قد وجهم الفقى
ضرغام : ابا عبلة اذكر هول ما انت سائل

مالك : جئت !

ضرغام : معاذ الله ما الجبن في دمي

مالك :

فلم ضقت ذرعا؟

ضرغام :

مهر عيلة هائل

أأمشي الى الفحاء أخطف رأسه
كريم لعمري والكرام قد انقضوا
إذا قال برّ القائلين ريننه
هزار البوادي طارحته بشجوها
وما بيننا ثار ولا بين أهله
مالك : وعيلة يا ضرغام؟

ضرغام : ما شأن عيلة؟

مالك :

أليس فداها في الجحاز العائل؟

ضرغام :

أجل وفداها الشمس ما التفت الضمى
عليها وما رقت عليها الأصائل
مالك :

أأنت تخاف العبد؟

ضرغام : لم لا أخافه

وإن أبى شدايد وإن ذاع بأسه
فستى ملء برديه هفاف ونائل

من العُصْبَةِ الْمَسْطُورِ فِي الْبَيْتِ شَعْرُهُمْ قَصَائِدُهُمْ أَسْتَارُهُ وَالْوَصَائِلُ
مالك :

فَمَا لَكَ مُصَفَّرًا كَأَنَّكَ هَالِكٌ مِنْ الْخَوْفِ قَبْلَ الطَّعْنِ وَالضَّرِبِ زَائِلٌ؟
تَعَالَ زَهِيرُ أَسْمِعْ حِسْبَنَاهُ حَائِطًا
زهير : فَا هُوَ؟

مالك : رَكْنٌ فِي الْعَوَاصِفِ مَائِلٌ
وَأَمَلْتُهُ سَيْفًا فَلَمَّا لَبِثْتُهُ إِذَا هُوَ عُودٌ أَنْكَرْتُهُ الْجَسَائِلُ
وَقُلْتُ غَمَامٌ يُمِطُّرُ الْحَىَّ فِي غَدٍ فَكَانَتْ جَهَامًا مَا لَنَا فِيهِ طَائِلٌ
وَقُلْتُ كَلِيبٌ نَسْتَطِيلُ بِصَهْرِهِ إِذَا هُوَ كَلْبٌ
ضرغام : ضَلَّ مَا أَنْتَ قَائِلٌ

وَأَقِصْ لَوْلَا ظُلَيْسَةٌ تَحْتَ خِيَمَةٍ وَغَصْنٌ حَوْتُهُ فِي الْجِبَالِ الْغَلَائِلُ
لِمَا رُحْتَ إِلَّا جُثَّةٌ فِي الثَّرَى لَقِيَ وَظَلَّتْكَ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ الْغَوَائِلُ
مالك : تَجَرَّاتٌ يَا ضِرْغَامُ

ضرغام : مَا تِلْكَ بُرَأَةٌ وَلَكِنْ كَمَا قَدْ كَلَّتْ لِي أَنَا كَائِلٌ
مالك :

كَفَى حَسْبُ يَاضِرْغَامُ حَسْبُ وَقَاحَةٍ فَمَا أَنْتَ إِلَّا مُكْثِرُ الزَّهْوِ خَائِلٌ
لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا شَفَّ عَمَّا وَرَاءَهُ وَقَامَتْ عَلَى لَوْنِ النَّجَارِ الدَّلَائِلُ
وَلَا يَرْفَعُ الْأَبْطَالُ أَنَّكَ مِنْهُمْ فَا هَذِهِ لِلْبَاسِلِينَ شِمَائِلُ

وما لك كالأبطال سيفٌ مجيئه ولكن لسانٌ بالسفاهة جائل
أبد كُربد السوء في كل قفرة وذكرُك يا ضرغام في البيد خامل
أما أنت كالفلاح صنديد قومه أما لك كالفلاح سيفٌ وعامل
ألا حسدٌ للعبد؟

ضرغام: لا ، لست حاسداً ولا أنا للنار الأكلية حائل
أحسدُ من يحيا العفاة بماله وياوى اليتامى ظلّه والأرااملُ؟
أحسدُ من لا يعصم البيد غيره إذا زحفت من أرض كسرى الجحافلُ؟
أحسدُ من يرجى لتأليف قومه إذا افتقرت تحت الملوكة القبائلُ؟
مالك :

يؤلفنا عبدٌ أما هم سيد عن العبد يعيننا أما هم حائلُ؟
إذن فليسننا الخسف كبرى وقومه وقبصر الروم الجفأة الأراذلُ
أيمعننا عبدٌ؟ إذن نحن عززلُ فإين عوالينا وأين المتأصيلُ؟

ضرغام:

لقد عيل صبرى للذى أنا سامعٌ

إذا الصبر لم ينفد فما أنت حائلُ؟
مالك :

ضرغام:

عقابٌ ينسبك الوقاحة عاجلٌ وآخر متروكٌ الى الفسء آجيلُ

مالك :

رَوَيْدَكَ يَا ضِرْغَامُ مَالِكَ هَازِيًا وَمَالِكَ قَدْ ضَاعَتْ لَدَيْكَ الْمَنَازِلُ؟
فَمَا الْعَبْدُ إِلَّا كَالدُّخَانِ وَإِنْ عَلَا إِلَى النَّجْمِ مُنْهَضًا إِلَى الْأَرْضِ سَاقِلُ
ضِرْغَامُ :

تَعَالَ تَاهِبُ

[يَسْكُ بِكَفِّهِ فَيَهْرَهُ هَذَا]

مالك : كَاهِلِي خَلِّ كَاهِلِي

أَقَالَ بُ زُبَيْدُ ذَاكَ أُمُّ ذَاكَ كَاهِلِي
ضِرْغَامُ :
زَهِيرُ [صَانِحًا] :

هَلُمُّوا سَرَاةَ الْحَيِّ هَاتُوا رِجَالَكُمْ

إِلَى فَعْبَسُ فَاجَأَتْهَا النَّوَازِلُ!
مالك :
يَا عَبْسُ

[وَيَرَى عَنزَةً قَادِمًا فَيَجْرِي]

نَحْوَ الْحَيِّ هُوَ وَابْنُهُ زَهِيرُ]

عَنْزَةُ؟

المشهد العاشر

عنزة [من وراء الستار]: لَيْلِكَ مَا يَكُمُ؟ خَوْفٌ مِنَ السَّيْلِ أَمْ خَوْفٌ مِنَ النَّارِ؟
أَللَّهُ أَتَمَنَ بِالْفُلَحَاءِ سِرْبُكُمْ أَوْ أَتَمَنَ الصَّرِيمِ وَلَيْتَ الْتَقْفَرِ الضَّيَّارِ
[يُظْهِرُ عَنْزَةً]

المشهد الحادى عشر

مَنْ الْفَتَى مِنْ أَرَى؟ ضَرْغَامُ أَنْتَ هُنَا أَغَارَةٌ؟ أَيْنَ عَهْدُ الْجَارِ لِلجَارِ؟
أَجِئْتَ تَسْبِي مَهَاتَى؟

ضَرْغَامُ: جِئْتُ أَخُطِّبُهَا

عَنْتَرَةُ: مَا أَجَمَلَ الصَّنِيقَ لَمْ يُلْبَسْ بِإِنْكَارٍ

فَمَا جَرَى؟

ضَرْغَامُ: نَالَ مِنَّا مَالُكَ وَبَنَى عَلَيْكَ بِالشَّتْمِ هَذَا الْعَائِبُ الزَّارِى

حَتَّى انصَرَفْتُ إِلَيْهِ كَى أُوذِّبَهُ

عَنْتَرَةُ: يَا لَيْتَ أَذْبَتَهُ تَأْدِيبَ جَبَّارٍ

ضَرْغَامُ

ضَرْغَامُ: عَنْتَرَةُ

عَنْتَرَةُ: اسْمِعْ بَيْنَنَا شَرَكُ فِى حَبِّ عِبَلَةٍ قَدْ يَدْنُو مِنَ النَّارِ

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ أَتْنَى غَيْرَهَا أَرْبَابًا فَإِنَّ عِبَلَةَ آرَائِي وَأَوْطَارِي

ضَرْغَامُ:

وَأَنْتِ فَاعْبُدِي سِوَاهَا إِنِّى زَوَّجْتُ جَعَلْتُ عِبَلَةَ أَوْثَانِي وَأَنْجَارِي

تعال نذهب الى شمس النهار معا نقول عبلة قد خيرت فاخترى
فما ترى أنت ؟

عنزة : رأيي أن نصير الى جمال تضحية أو فضيل إشار
رأسي ورأسك في الميزان قد وضعا وحكم سيفك أو سيفي هو الجاري
من مات منا قضى حق الهوى كرما وليس بالموت دون الحب من عار
ضرغام :

رأيت عنتر رأيا لست أتبعه يا به حبي وإعجائي وما بكاري
والله لا جمعنا ساحة

عنزة : لم لا ؟ الحرب تجمع مغواراً بمغوار
ضرغام :

هني قتلتك

عنزة : ماذا ضر ؟

ضرغام : كيف إذن تكون في اليد أنبأى وأخبارى ؟

ألست شبلًا فتياً من شبولتها فهل أجرب في الرمال أظفاري ؟

وكيف أفلق رأساً ملؤه شرف أحق من جهات الروم بالفار ؟

وكيف أضرب عنقا في أماتها كرامة القوم من بدو وحضار ؟

وكيف أرمي لساناً طالماً سقيت بشهيد اليد من شرب وسمار ؟

عنزة ينادي : يا عبلة

عبلة [من وراء الستار] : لبيك يا ابن العم

[تقبل بمسلة]

المشهد الثاني عشر

- ضرغام : أنت هنا؟
 عبله : أجل
 ضرغام : إذن سمعت ما قيل أذنالك؟
 عبله :
 أجل علمت بما قد دار بينكما
 عترة : فأتري؟ لعل القول أرضاك
 يا عبل حبك في لحي جرى ودي وقد يحبك ضرغام ويهواك
 ضرغام : أحبهاحي العزى وأعبدها عبادة اللات
 عترة : بنت المسم بشراك
 ضرغام :
 ولو يطفأ بغير البيت في زمي ما طفت يا عبل إلا حول مغانك
 عبله :
 ماذا تقول ابن عمي يم تبشرني بشري بماذا؟
 عترة : بهذا العاشق الباكي
 عبله [لنفسها] :
 يحبني؟ رب أشقيت الفوارس ي فلا أتيتم إلا المعلم الشاكي

عنزة :

عبلَ اسمي عبل هذا الحب كيف أتى هل كان في قترتِ الدهر يلقاك؟
عساه جاءك يشكو الحب من زمن لعله بالهوى من قبل نالِك
ضرغام هاتِ تكلم

ضرغام : أنت تظلمني فما نصبت لعيس قط أشراكي
قولي لعنزة يا عبل ما خلقي كما يقول ولا في شيتي ذاك
هل التقينا على ذات الأصاد ضحى وهل لقيتك إلا في مذارِك؟
وهل نظرتك إلا خاشعا خفرا كما نظرت وراء السّتر عراك؟
عنزة :

الآن يا عبل تخارين راضية هالك الخطيين قد مدا يدا هالك

ميلة :

إني قد اخترتُ يا ابن العم من زمن

عنزة :

من ؟

سيدي !

ميلة :

[تندفع اليه]

عبدك الوافي ومولاك !

عنزة :

[نسج ضخمة وقعقة سلاح راصوات]

[استغاثة من الحى كأنها من بعيد]

عبلة :

« ويح أذنى صيحه وفوارس ما ذاك عنتر؟ »

عنتره :

غارة وصياح

عبلة : ضِرغام عنتر ما مقامك هنا؟ والحى ثم مروءع يُحتاج

| يهل داحس وسيلربا |

المشهد الثالث عشر

عنتره :

ماذا ورأيتك داح ما دمهم الحى ؟

داحس :

فيلة عليهم شكة ويب

وطقت تراب المهيد أرجل خيلهم وطسا هلبيه نشوة ويمر

عنتره :

أين البوايدى ؟

داحس :

بل غساسة على قسما تهم أثر النعيم

في ظل دجلة والفرايت ترعرعوا وغدوا على وشي الرياض وراحوا

أولاد نعيم والذين رمى بهم أرض العراق تطلع ويطامح

جاء الجواز بهم ومكة والتقت فيهم جبال حوفا ويطاح

نُسبوا هناك فبا تهلل مئسر لهمو ولا بلغ القمام جناح

عنتره : ما يتفنون ؟

داحس :

أظن رأسك مؤلم عتفوا به حول البيوت وصاحوا

أَنْسَيْتَ سِرْحَانَا وَكَيْفَ قَتَلْتَهُمْ وَفَوَارِسًا بَيْنَهُمَا بِسَيْفِكَ طَاحُوا
ضَرْطَامَ :

مَا الْقَوْمُ ؟

عنزة : عَسْكَرُ رُسْتَمٍ

ضَرْطَامَ : مَنْ رُسْتَمٍ ؟

عنزة : بَطْلٌ لَهُ شَرَفٌ وَفِيهِ سِمَاحٌ

وَقَتَّى يُعْظَمُهُ الْعِرَاقُ وَصَاحِبُ كِسْرَى إِلَيْهِ بِأَنْسِهِ يَرْتَاخُ

عنزة [لداحس] :

مَا شَكْلُهُ ؟ مَا لَوْنُهُ مَا وَجْهُهُ ؟

داحس : رَيَّانٌ أَبْلَجُ نَاعِمٌ وَضَّاحٌ

ضَرْطَامَ :

هَذَا الْجَمَالُ فَمَا شَجَاعَةُ رُسْتَمٍ

داحس : مَوْتُ لِمَنْ يَمْشِي إِلَيْهِ مُتَاحٌ

عنزة : وَثِيَابُهُ ؟

داحس :

زَرَدُ الْحَدِيدِ وَبُرْسُ ضَافٍ عَلَى أَعْطَافِهِ وَوَشَاحٌ

قَدْ حَقَّ سَاعِدَهُ السَّوَارُ وَرَقَّ فِي أَذْنَيْهِ قُرْطُ اللَّوْلُؤِ الْيَاقُوتِ

[تزداد الضجة وتقترب الأصوات]

ضرغام :

اسمع لواء البید اصنع لصوتهم هذا النداء يزيد والإلحاح

[يسمع صوت رسم]

الصوت :

العبد! رأس العبد

عنزة [لدا حس]: إمض فقل لهم رأسي لهم في منكبتي مباح

[ثم يواجه الأشباح القادمة من بعيد]

يا قوم لم أفهم نداءكم أعزبوا إذ ليس في لغة الأسود نباح
ويج رأسي قد غدا كرة لهم راح تيج به وترجع راح
كثروا عليه في الطلاب ودونه لتقطع الأسياف والأرماح

[يقبل جماعة من الحى هاربين]

وينصرف عنزة وضرغام للقاء المهاجمين]

المشهد الرابع عشر

عنزة [من وراء الستار]:

ليسك يا أسوار تعلم أينما يئكي عليه في غيد ويُنساح

عبلة [للقاديين] :

حُيْتُمو عُبْسَ عُمُو مَسَاءَ

عُبْسَ اسْتَمَعُوا الزَّيْدَ وَالْعَوَاءَ

قُومُوا انْظُرُوا عَنزَةَ اللّٰوَاءِ

[يشرف الكل على المعركة الدائرة من وراء الستار]

أحدهم : عَلَى قَدَمٍ حَيُّوا الْعَلَمَ لَيْثَ الْأَجَمِ

عنزة [من وراء الستار] : عَبَلْ عَبَلْ

عبلة : لَيْكَ أَلْفَ لَبْ

أحدهم : ذَاكَ عَبْدُ شَدَادٍ انْقَلَبْ

عبلة : بَلْ لِسَاءِ عُبْسٍ فَتَى الْعَرَبِ

أَنْصَبُوا اسْتَمَعُوا الرِّعْدَ فِي السَّحْبِ

تِلْكَ صُرْخَنَةُ اللَّيْثِ فِي الْقَصَبِ

أحدهم :

وَأَنْزِلِيسَ دُونَ أَخِيهِ بَاسًا

عبلة : أَجَلْ

الأول : ضِرْغَامُ الْعَصْبِ الْحُسَامُ

مُبِيدُ الضَّيْغَمِينَ بِشَيْعٍ خَبِثَ

آخر : أَجَلْ ضِرْغَامُ الْمَوْتِ الزَّوَامُ

المنظر الثاني

« تقص المنظر بمد زمن قصير ، لاتزال عبلة ومن معها من »
 « بنى عبس يشرفون على المعركة ، وإن كان يبدو أنهم قد تأخروا »
 « فى المسرح الى مكان أبعد من مكانهم فى المنظر الأول لليلة . »
 « فى مقدمة المسرح من ناحية أخرى جماعة قليلة من بنى نلم »
 « أنصار الفرس ويبد أحدهم صندوق وحدتهم يكاد يكون ممسا »

المشهد الأول

واحد من بنى نلم :
 ماذا لك؟ ما الصندوق؟ ما يا كفكم؟
 حامل الصندوق :
 السِّلْمُ يا إخوان والإصلاحُ
 العبدُ رأسُ العبدِ بشرى فارس اليومَ كُلَّ مَحَلَّةِ أَفْرَاحِ
 [يفتح الصندوق فترى فيه رأس قنبل معطى |

آخر :

أبرأيس عنترية أتيسم ماله يترو؟ وما للسُّنر عنه يُزاح؟

آخر :

أترأه حياً !

آخر : هل جئنت

الأول : إذن قضى وتخلصت من غولها الأرواح

آخر :

من ذا الذى ذبح الغضنفر ؟

الجماعة : رستم فحل العراق وكبشه النطاح

آخر :

حطوه ننظرو يا إلهى ما أرى [يكشف القائل الرأس]

ويل لهم أى الرءوس أطاحوا؟

ما ذاك عنزة ولكن رستم من يأتى الجاني من السقاح؟

آخر :

من غير عنزة يُعندل رستم قد كان بين الضيفين كفاح

ماتنظرون الرأس فى الدم ظارقا وعليه من كل الجهات جراح؟

لهفى على قسمايه وجبينه عفت البشاشة وانطقا المصباح

آخر [صالحا] :

يا لكسرى ونواحى فارس لقتيل حول عبس دارس

فتك العبد بخر فارسى قائد المجفل أسوار العراق

يَا بَنَى الْمُنْذِرِ آلَ الْأَشْهَبِ شَرَفَ الْفَرَسِ وَبَجْدَ الْعَرَبِ
 قَدْ صَحِبْتُمْ رُسْتًا فِي الْمَوْكِبِ فَارْكَبُوا فِي ثَارِهِ الْخَيْلَ الْعِتَاقِ
 بَيْفُنَا يَا عَيْسُ يَوْمَ دُونَبَا

[تجبه الجماعان: بنو عبس
 وبنو نلم بمضهما الى بعض]

بنو عبس : مَرَحَبًا بِالْيَوْمِ أَهْلًا مَرَحَبًا
 أحمد : هَذِهِ السُّمُرُ أَمَدَتْ وَالطُّبَى أُرْهِفَتْ وَانْتَظَرْتُ يَوْمَ التَّلَاقِ

عبلة : أَوْلَادَ نَلِّمِ

آخر : مَنِ الْمُنَادَى؟

آخر : عِبْلَةُ

الأول : مَنِ تِلْكَ؟

الآخر : بِنْتُ مَالِكٍ

عَنْتَرَةُ جُرْ فِي هَوَايَا وَالْبَنْتُ جُنْتُ بِهِ كَذَلِكَ

آخر : لِبَيْكِ لِبَيْكِ أُخْتِ عَيْسِ

عبلة : أَلَا أَنْيَّيْكُمُ بِأَمْسِ؟

ما نحنُ إِلَّا أَبْنَاءُ بَجِيسِ نحنُ بَنُو الشَّمْسِ وَالصَّحَارَى

لَا تَحْفَلُوا رُسْتًا دَعُوهُ خَلُّوهُ لِلْفَرَسِ يَثَارُومُ

وَلَا يُقَاتِلْ أَخَا أَخُوهُ مِنْكُمْ وَلَا تَحْذُلُوا الدِّيَارَا

حُسِرْتُمْوَتَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ وَأُسْرِجُوكُمْ لِكُلِّ غَايَةٍ
وَسَعْتُمُو الْمَلِكَ وَالْوَلَايَةَ لِكُلِّ كَسْرَى وَكُلِّ دَارَا،
قَبِيلَةً تَحْتَ حُكْمِ كَسْرَى وَفِيصَرُّ الرُّومُ دَانَ أُخْرَى

أَصْبَحْتُمُو لِلْغَرِيبِ جِسْرًا يَرْكُبُهُ كُلُّهَا أَغَارَا
أحدم : مَاذَا تَقُولِينَ يَا فَنَاءُ؟ أَيْتُرْكُ الْقَائِدَ الْغُرَاءُ
كَأَنَّهُ فِي الطَّرِيقِ شَاءُ وَذَايْحُ الشَّاةِ قَدْ تَوَارَى؟
عبلة : يَا لَحْمُ يَا بَنَى الْعَرَبِ يَا لَحْمُ حُرْمَةَ السَّبِّ!
[ضجيج]

رُوَيْدَ مَا هَذَا الْجَلْبُ

بنو نغم : نُرِيدُ رَأْسَ عَنْتَرَةٍ
عبلة : قَدْ رُمْتُمُو مَا لَمْ يُرَمَ مَا أَتَمُّوْا وَلَا الْعَجَمُ
بِبَالِغِي لَيْثِ الْأَجَمِ

بنو نغم : نُرِيدُ رَأْسَ عَنْتَرَةٍ
أحدم : يَا عِبْلَ أُخِي رُسْتِمَا — إِنْ شِئْتَ — نَحْقِنِ الدَّمَ
أَوْ نَأْوِلِيْنَا الْمُجْرِمَا

الجميع : نُرِيدُ رَأْسَ عَنْتَرَةٍ

[يسمع صوت عنتره مقبلا من
بعيد فيلتفت الى ناحيته الجميع]

الصوت :

أراك يا عبل تفضينا يا عبل من ذا تخاطبنا
من ذا الذى يرفع الجبيننا مخاطباً ملكة العذارى.

جيلة :

عنترة البأس خل سيفك وعدت لنا فى الحى ما يفتك
ولا يرا الأقربون حيفك ولا يقولوا العيبى جارا

ما أنت من ظلم القريب وهذه نلحم قرباننا الأذاني، فاء بدا،
بالأمس تبنى ركن قومك بإذنا واليوم تفعل فيه فعل المفعول
بالبيت بالعزى ببسلة يالهوى بالحق لا سرت مسيرة مجمل
[يظهر صفة]

المشهد الثانى

عنترة : مالك عبل ثائرة ما يتسنى المناذرة
صنائع الأكاسرة

بنو نلحم : نريد رأس عنترة

عنترة : رأسى أنا

واحد من بنو نلحم : لم لا أجل

هل لنجو به فبل عنترة :

الكل : أَجَلْ أَجَلْ أَجَلْ أَجَلْ

عنتره :

يَا بَعْدَ رَأْسِ عَنْتَرَةَ !

يَا نَحْمُ هَاتُوا جَمْعَكُمْ هَاتُوا الْقَنَا وَامْضُوا لِكُسْرَى وَارْجِعُوا فِي مَحْفَلِ
جِيئُوا بِفُرْسَاتِ الْعِرَاقِ وَفَارِسٍ مِنْ رَاكِبٍ فَيْلًا وَمِنْ مُتَجَلِّ
وَتَقَلَّدُوا أَمْضَى الْمَنَاصِلِ وَاطْلُبُوا رَأْسِي بِمَا قُلْدُمُو مِنْ مُنْصَلِ

هَاتُوا يَا بَنِي نَحْمِ خُذُوا رَأْسِي مِنْ جِسْمِي

بِمَا شِئْتُمْ فَبِالسَّيْفِ وَبِالرُّيْحِ وَبِالسَّهْمِ

[يَنَازِلُهُمْ وَ يَقْتُلُ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً فَيَفْرُونَ مَا تَحْتِمْ]

أحدم : خَلَّى أُنْجُ بِنْفِي

آخر : أُنْجُ مِنْ جَبَّارِ عَيْسِ

ذَاكَ يَحْنِي وَلَا يَدْرُؤُ الْحَنْفَى الْمُسِي

عبلة : رُحْمَاكَ عَنْتَر

عنتره : أَنْتِ عِبْلَةُ ذِي

عبلة : أَجَلْ

عنتره : مَا تَأْمُرِينَ سَلِي الْخَوَارِقَ أَفْعَلِ

عبلة :

رُحْمَاكَ عَنْتَر لَا تَسِي سَيْفًا وَلَا تَطْعُنْ بِرِيحٍ وَاتَّبِعْ وَتَمَهَّلِ

[يُلْقِي عَنْتَرَةُ سِلَاحَهُ ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَيْهَا]

لم أنس ذِكْرَكَ وإِجْرَاحُ تَسِيلٍ مِنْ يَدَيْ عِي وَتَصْبِيغُ أَشْقَرِي بِالْعَنْدَمِ
 (وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّيْحَ نَوَاهِلُ مَنِي وَبَيْضُ الْمُنْدِ تَقَطُّرُ مِنْ دَمِي)
 فَضَيْتُ أَهْنَقُ الرِّيحَ لِأَنَّهَا خَطَرْتُ كَأَسْمَرٍ قَدْ كُنتَ الْمُنْقَوْمِ
 (وَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ بِكَارِقٍ تَغْفِيكَ الْمُتَبَسِّمِ)

ستار

الفصل الرابع

« في حي بنى عامر وفي مضارب بنى الأشتر وفي خيام صخر .
« مرادق نغم وسامر حافل فيه جماعة من سداة عبس وأخرى
« من وجوه عامر . خلدن يروحون ويحيطون بقصاع الطعام
« وأوالى الشراب . جماعة يزمرون ، وآخرون يضربون
« حل الدفوف والمزاهر... .. »

المشهد الأول

أحدم : عبلة في الوشي زُفَّتْ الى عامر
يا زامر الحى هاتِ أشد يا زامر
هى ارتجىل هى وأطرب السامر

شيخ من عامر :

الطعام الطعام يا عبس قوموا الطعام الطعام ضيفان عامر

آخر :

الشرابَ الشرابَ تلك بواطيه وهذي أقداحه يا حساة
دونكم نمر عامر ما اكتست أطيّب منه ولا ألدّ النّواة
دونكم من زبيب جلق والطائف مالم يسق الملوكة السقاة

آخر :

هذا شراب الرّاة دغني منه وهات اسقني الكروما

آخر :

هي جوارى الحمى هي صبايا عامر
فن الى الدّفوف واضير بن على المزاير
زدن جمال العريس أو زدن جمال السامر
قد كلّ الأس قد بعيت الكأس
قوموا اطربوا عيس
قد كلّ السامر وزيم الزامير
قوموا اطربوا عامر

غناء : يا عبل حيننا إنا نحيّسوك
هاك الرياحينا ينفعن عن فيك
يا عبل يا حرة يا ملكة العيد
أصبحت كالدره في مفريق العيد

ضيف : لَا تَسْقِنِي التَّمْرَ وَلَا بَنَتَ الشَّعِيرِ وَالذَّرَّةَ

وَعَاطِنِي مَا يَشْرَبُ الرُّومُ وَرَاءَ أَنْقَرَةَ

إِذَا شَرِبْتُ أَرْبَعًا مِنْهَا انْقَلَبْتُ عَنْتَرَةً!

[يسمع صوت عنزة من بعيد]

يخاطب رجلا من وراء الستار

صوت عنزة : مَنِ الرِّجَالُ ؟

صوت أحد الرجال : وَمَنْ أَنْتَ ؟

صوت عنزة : فَاتِكُ وَمُغِيرُ

مَنْ آثَرَ الْعَيْشَ فَلْيَنْجُ بِالنَّفْسِ

لَا جَرَدَ اللَّهُ سَيْفِي عَلَى عَيْسِ

واحد من بني عامر : عَنْتَرَةُ ؟

آخر : مَاذَا ؟

الأول : عَنْتَرَةُ جَاءَ

آخر : بَلْ ذَاكَ سَكَرَانُ يَقُولُ مَا شَاءَ

آخر : مَاذَا تَرُدُّ إِلَيَّ ؟

آخر [بملا] : مَا ذَاكَ إِلَّا ثَغَاءُ

شُوَيْهَةٌ جَاوَبَتْهَا مِنَ الْمَرَاغِي الشَّاءُ

- صوت عنزة : وقفتم يا رجال ؟
- صوت أحد الرجال : أجل وقفنا
- صوت عنزة :
- تزال إذن تزال إذن تزال
- صوت أحد الرجال : تاهب يا فتى
- صوت عنزة : أبناء عمي ؟
- صوت أحد الرجال : تاهب يا فتى للقاء عيس
- صوت عنزة :
- وأنتم فاستمعوا للفتال
- واحد من بني عامر : [تسمع قهقهة سلاح]
- أما تبليت الفسق
- أما عرفت الزبحر ؟
- واحد من بني عامر [تلا] : عامر
- آخر : ماذا ؟
- الأول :
- ظفرت
- أيديكم بالجواهر
- فزتم من اليد ومن
- سمائها بالنيرة
- آخر : وبعد ؟ ...
- آخر :
- ماذا تبتي ؟
- الأول :
- أريد أن أعلم أين
- عيس على سلاحها
- اليوم أين عنزة ؟
- وعامر متظيرة
- فليجئ العبد يره !
- وذاك سيني في يدي

أحدم : أعودُ بالعُزَّى أعودُ باللاتِ
آخر : نعودُ بالبيتِ من الفُجاءاتِ

صوت عنزة :

أنا الذى لَقَّبَنِي أَبِي وأُمِّي القسورة
صَجَّتْ ضَرَاغِمُ الفلَّا من حَمَلَاتِي المنكورة

واحد من بنى عامر [لآخر من بنى عبس] :

أولم تقل لي إن رأس العبيد كان صدقاً عليه؟

الآخر : قد قيل ذلك أجل

الأول : فكيف إذن نراه؟

ثالث [من عبس] : أنت أبله !

منذا الذى يَقْوَى على رأس الغضنفرِ عنزة؟
قد ماتَ رَسْمُ دُونَهُ وهَوَى أَسِيدُ القسورة
وجنى شيوخُ الحى من مَهْرِ الفتاةِ الثرثرة
فرضوا صدقاً فتاتهم نَعْمًا تُساقُ وأبعده !

[يدخل عنزة ومعه رجال آخرون من عبس وثناة مقنعة

فينهض السامرون ويشمرون سيوفهم ويفر من

بنى عامر غير قليل ، ويرز لعنزة واحد من بنى عبس]

المشهد الثاني

المتقدم : أنا الذي تعلم عيس أتي أذود عنها وتذود عني
خذ يا ابن عمي الحذار مني

عنتره : مرحباً بك مرحباً بك عيش تتمتع بشبابك

[يحمل عليه عنتره فيطير السيف من يده ولا يؤذيه]

تعال سيفك طاراً لا تخش بالأسير عاراً
إني أرى الأسارى

[ياخذ رجال عنتره أسيراً]

عنتره : خذوا الأسير ناحية ولا تجزوا الناحية

[يبرز له آخر من بني عيس]

المتقدم : إني أنا الفضنقر العيسى تعرفني الرماح والقيسى
والوحش في الغلاة والإنسي

عنتره [حامل عليه] :

أنا المنايا المائلة أنا القضايا النازلة
غضنقر في قافله

[يحمل سببه]

سَيْفُكَ يَا هَذَا كُيِّرَ وَصَاحِبُ السَّيْفِ أُسِرَ
[إلى رجاله] : خُذُوهُ

[إلى منزله] : هِيَ إِمِيضُ سِرِّ

[بأخذه رجال عنزة فيبرز له شاب ثاك]

الْمُقَدَّم : أَنَا أَخُو الْأَشْبَالِ مِثْلُ أَبِي الرَّثْبَالِ
بِالْقِرْبِ لَا أَبَالِي

عنزة : وَأَنْتِ أَيْضًا يَا حَدَثَ مَا الْحَرْبُ يَاطْفُلُ عِبَثَ
قِفْ لَا تَسِرْ إِلَى الْجَلَدِ

[يحمل عليه عنزة فيطير السيف من يده]

الشاب : أَيْنَ مَضَى سَيْفِي ؟ قَدْ كَانَ فِي كَفِّي

عنزة : لَا تَقْتَمِمِ وَلَا تَسْلُ سَيْفُكَ فِي سَيْفِي دَخَلَ !

سِرِّ قِفْ هُنَاكَ يَا بَطْلُ !

الآن أَنْتِ لُغَبِي لِحَقِّ بِصَاحِبِيكَ

إِمِيضِ انْضِمِّي إِلَيْهِمَا

[وفي هذه الأثناء يكون قد رفع يده من الأرض]

مبارزا آخر كان قد خرج إليه فيقلده بجانب الشاب]

وَمِمَّذَا إِلَيْكَ

[ثم يخاطب الجماعة]

سُدِّي حَرْبُكُمْ يَاقَوْمُ اتَّقُوا سِلَاحَكُمْ وَلَا تُرْكِبُونِي فِي دِمَائِكُمْ وَزَرَا
رَأَيْتُمْ يَدِي؟

أحد بنى عامر : ما كان أعظم بطشها؟

عنترة : وسيفي؟

آخر : كسيف الموت يفري ولا يفري

[يفترب عنترة من الفتاة]

المقنعة التي دخلت معه

أنهض الآن يا عروس تعالي لا تتجافى مني ولا من رجالي

بطل كلهم فلا خوف منهم كيف تشقى النساء بالأبطال

[يرفع عن وجهها القناع فاذا هي عبلة]

مضمر [في ذمول] : من هذه؟

عبلة : عبلة!

مضمر : من بن تزوجت أذن؟

من التي تركت في الجلاء؟

ومن ترى تكون في النساء؟

وجل لآخر : لكن أيجبنى السنأ في دار مضمر وعمرسه؟

الآخر : نعم وأحسب مضمرأ جرت أمور يتخسسه

عنترة :

قياما عامر انتظروا قضائي فإني الموت ما منه فرار

وأتم عبس للأوطان عودوا لما في عامر لكم قرار

نَسِيتُ لَكُمْ وَأَنْسَى مَا جَنَيْتُمْ تُحِبُّ وَإِنْ تَنَكَّرْتَ الدِّيَارُ

الجماعة : [كل جملة يقولها رجل] :

العفو عنزة الصفح يا بطل
مُرْنَا بِمَا تَشَاءُ أَمْرُكَ مُمْتَسَلٌ

عنزة : رَأَيْتُمْ يَا قَوْمُ عِبْلَةَ مَعِيَ وَكُتُمُوا حَسِبْتُمْوهَا فِي الْخَبَا
نَيْطَ بَعْثِشَ وَشَبَابِ عَامِرٍ أَنْ يَنْقُلُوهَا مِنْ حَمِيٍّ إِلَى حَمِيٍّ
سَاقُوا بِعِيرِهَا وَكَانُوا حَوْطَاءَ عَشِيرَتِنَا أَشَدَّاءَ الْقَوَى
أَدْرَكْتُهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ فَنَجَا مِنَ الْمُنُونِ بِالْفِرَارِ مَنْ نَجَا
وَمَاتَ دُونَ الرَّحْلِ نَحْوَ عَشْرَةٍ قَدْ غَوْدِرُوا مُجْنَدِلِينَ فِي الْفَلَا
وَهَؤُلَاءِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ أَبَوَا إِلَّا الْمَسِيرَ مَعَنَا إِلَى هُنَا
كَانَتْ مَعِيَ نَاجِيَةٌ فَرَكَبْتُ بِعِيرِ عِبْلَةَ وَحَثَّتِ الْخَطَا
فِي وَشْيِ عِبْلَةَ وَفِي نِجَارِهَا وَانْطَلَقْتُ تُحْدِي بِاتِّبَاعِي أَنَا

رجل : حَدِيثُ عِبْلَةَ عَجَبٌ لِيُؤْثَرَنَّ فِي الْعَرَبِ
لَتَرْوِيَنَّهُ الْحَقُّ

مضر : وَاشْفَقَوْنِي وَابْلَاوْنِي فَقَدْتُ إِبْنِي وَشَائِي!
عبله : يَا مَضْرُؤَانِ فِي الْخَبَاءِ جَارِيَةٌ تَهْوَاكَ فِي السَّرِّ وَفِي الْعَلَانِيَةِ

- صخر : جاريةٌ تحبُّني ! من ؟
- عبله : ناجية
- صخر : ناجية ؟ ومن أرادها ليه ؟
- عبله : أنا التي جعلتها مكانيه
- عنته : ناجية يا فتى جارية كالرثا
- وَأَنْتَ بَارِكْ بِهَا إِنَّ شِلْتَ أَوْلَمَ تَشَا
- صخر : قِيلْتُ بِالْحُكْمِ إِنَّ قَبْلْتَ عَامِر
- مُرْمُومَ بِمَا شِلْتَ أَنْتَ هُنَا الْآمِر
- عنته : من يُخَالِفُ إِرَادَتِي مِنْكُمُ يَمِضُ نَاجِيَةً
- [لا يهزك أحد]
- قَدْ قِيلْتُ مَشِيَّتِي وَرَضِيْتُ قَضَائِي
- أَشْهَدُوا عُرْسَ عَبْلَةٍ وَأَشْهَدُوا عُرْسَ نَاجِيَةٍ
- عبله : إِنِّي أَخَافُ
- عنته : عَجَبًا يَخَافُ جَارُ الْأَسَدِ
- عبله : غَدًا يُقَالُ صِدَّتِي وَكُنْتُ لِي بِمَرْصِدِ
- غَدًا يُقَالُ قَدْ تَأْمُرُنَا عَلَى التَّمَرْدِ

يُقَالُ خَانَ عَمَّهُ

عنزة : وَأَنْتِ
عَبْلَةٌ : خُنْتُ وَالْيَدِ
عنزة : لِيَقْلِ السَّامِرُ مَا قَدْ شَاءَ وَلِهَذَا النَّدَى
وَلَتَقْسِمِ الْيَدُ لِمَا نَأْتِي بِهِ وَتَقْعِدِ
مَاذَا يَهُمُّ بَعْدَ مَا قَدْ صَارَ كَثَرِي فِي يَدِي
وَبَعْدَ أَنْ نَلِيتُ مِنْهَا لِي وَبَلَغْتُ مَقْصِدِي
عَبْلَةٌ : وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ فُضُو لِي وَكُلِّ مُعْتَدٍ؟
عنزة : النَّاسُ ؟ خَلَى لِقْنَا فِي النَّاسِ أَوْ مُهْنِدِي
أَنْتِ إِذَا أَطْعَمْتِهِمْ خُجَّ الرَّشَاءِ لَمْ تُحْمَدِي
غَدًا يَخْضَعُونَكَ بِالسَّمَلِيْقِ وَالْتَوَدُّدِ
الْيَدُ مَعْبُدٌ وَأَنْتِ دُمِيَّةٌ فِي الْمَعْبُدِ

واحد من عبس :

عَنْتَرَا سَلَمَ لِمَنْسَ نَحْنُ فِدَاؤُكَ لَقَدْ أَبَى عَمُّكَ أَنْ
تَقِيَ الذِّلَّ وَالرَّدَى أَعْدَاؤُكَ عَمُّكَ نَحْنُ قَوْمُهُ
يُهْدِي إِلَيْكَ الْجَوْهَرَةَ نَحْنُ لَنَا أَنْ نَأْمَرَهُ
عَنْتَرَا هَاكَ عِبْلَةٌ عِبْلَةٌ هَاكَ عَنْتَرَةُ

عنتره : الآن صخر أمض إلى الخباء جئ بناجيته
 عامر عيس أقبلوا زفوا العروس الغالية
 ما هي بالخدم في عيس ولا بالرأعيه
 لكن فتاة حرة من البيوت العاليه
 تزوجت بوافر المال كثير المشيه

مضر : عنتر

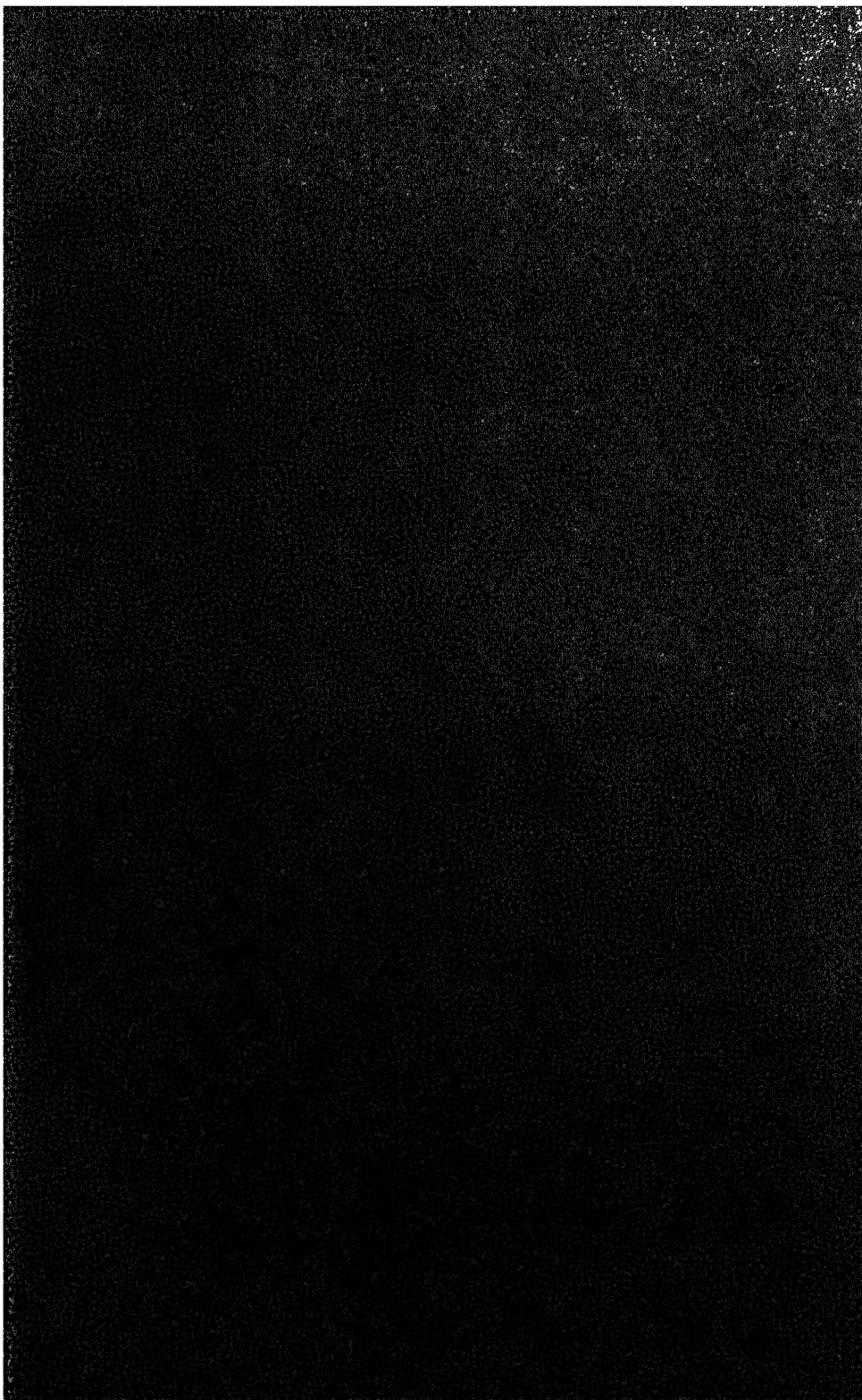
عنتره : صخرها قل

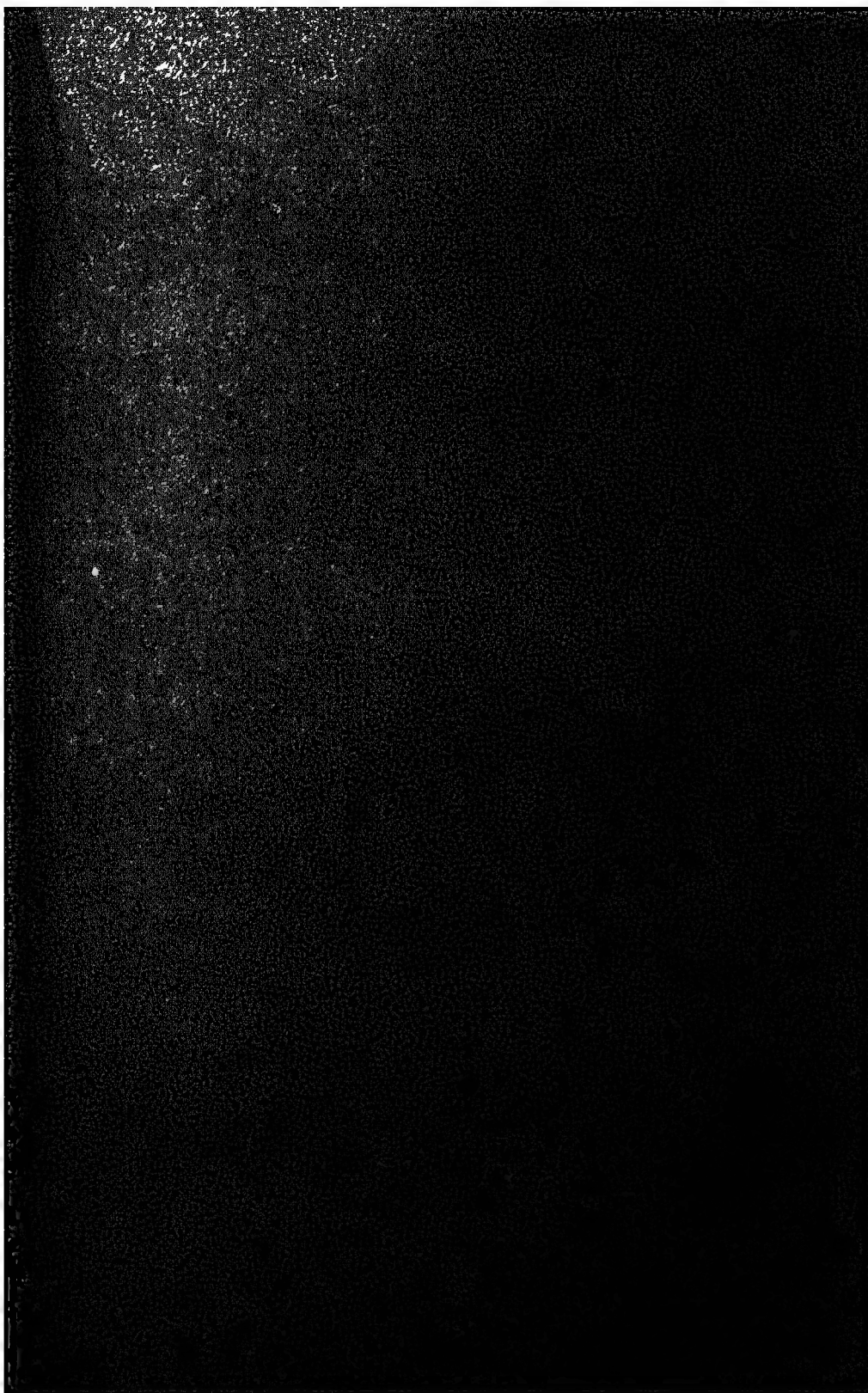
مضر : وإيلي وشائيه؟

عنتره : ترد في غد اليك وهي مهر ناجيه
 يا عبل سامحي في قريكم زمني وشاء رب الليالي أن نعيش معا
 يا بيدهي اشهدي أعراس عنتره ويا سباع تعالي هني السبعه
 مبله :

التام في عامر شمل بعنتره وكان ظني في شمل به انصدقا
 قد اجتمعنا على عريس وفي فريج كم من شيتين بعد الفرقة اجتمعنا
 اني وضعت بناني في يدي أسيد لو مر محلبه فوق الصفا خشعا
 سام القبائل لاجلالى وملكني عقائل البيد حتى صرن لي تبعا

ستار الختام





مجنون ليلي

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

بادية نجد

أشخاص الرواية :

قيس — مجنون ليلي

ليلى

المهدي — أبو ليلي

ورد — زوج ليلي

ابن عوف — أمير الصدقات في الحجاز وعامل من

عمال بني أمية

زياد — راوية قيس وصديقه

منازل — غريم قيس في حب ليلي

بشر — رجل من بني عامر

- ابن ذريح - شاعر من شعراء الحجاز
 نصيب - كاتب ابن عوف
 سعد - رجل من بني عامر
 القريظ - مغمم مشهور
 ابن سعيد - شاعر
 أمية - رفيق ابن سعيد
 الأموي - شيطان قيس
- عصفوت
 هيب
 عسر
 عاصف
 بلهاء - جارية قيس
 عفراء - جارية ليلي
- سلمى
 هند
 عبلة
 رجال - قوافل - حداة - صبية - فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدي في حي بني عامر - مجلس من مجالس السمر في هذه الساحة - فتية وفتيات من الحلي يسلمون في أوائل الليل ، وفي أيدي الفتيات صوف ومفازل يلهون بها وهم يتحدثون - تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها في يد ابن ذريح »
« ليلى »

دعى الغزل سلمى وحيي معي منار الحجاز فتى يثرب^(١)
« تصالحه سلمى »
وياهيند هذا أديب الحجاز هلمي بمقدمه رحبي
« تصالحه هند ويحتفي به السامرون »
« مسعد »

أمن يثرب أنت آت؟

« ابن ذريح »

أجل من البلد القدس الطيب

« ليلي »

أيابن ذريح لقينا النعام

« هند »

وطافت بنا نفحات النبي

« عبلة - هامة إلى سعد »

من ابن ذريح ؟

« سعد »

فتى ذكره على مشرق الشمس والمغرب
رَضِيعُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَرْبُ الْحُسَيْنِ مِنَ الْمَكْتَبِ

« عبلة - إلى بشر ومشيرة إلى ابن ذريح »

أَتَسْمَعُ بَشْرُ رَضِيعِ الْحُسَيْنِ فَدَيْتُ الرَضِيعَيْنِ وَالْمُرْضِعَةَ
وَأَنْتِ إِذَا مَا ذَكَّرْنَا الْحُسَيْنَ تَصَامَمْتَ !

« بشر - هامة ومتلفتة كما يخشى أن يسمعه أحد »

لا جاهلاً مؤذياً

ولكن أخاف امرأة أن يرى عليَّ التشيع أو يسمعه
أُحِبُّ الْحُسَيْنَ وَلَكِنَّمَا لِسَانِي عَلَيْهِ وَقَلْبِي مَعَهُ !

حَبَسْتُ لِسَانِي عَنْ مَدْحِهِ حِذَارَ أُمِّيَّةٍ أَنْ تَقْطَعَهُ
إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَّتْ فِي الْبِلَادِ وَرُبِمَتْ النِّجَاحُ فَكُنْ إِيْمَعَهُ !

« ليلي »

إِبْنُ ذَرِيحٍ نَحْنُ فِي عَزْلَةٍ فَهَلْ عَلَى مُسْتَفْهِمٍ مِنْكَ بَأْسٌ ؟

دارُ النبیِّ کَیفَ خَلَقْتَهَا ؟ کَیفَ تَرَكْتَ الْأَمْرَ فِیْهَا یُسَاسُ

« ابن ذریج »

تَرَكْتُهَا یَالِیْسَ لَ مَضْبُوطَةٌ یَحْكُمُهَا وَال شَدِیدُ الْمَراسِ
إِنْ حَدِثَ النَّاسَ فِی یَثْرِبَ هَمْسٌ وَخَطْوُ النَّاسِ فِیْهَا احْتِرَاسُ

« لیلی »

إِبْنُ ذَرِیجٍ لَا تَجِرْ وَاقْتَصِدْ أَحْلَامُ مَرَّوَانِ جِبَالِ رَواسِ
یُؤَسِّسُونَ الْمُلْکَ فِی بَیتِهِمُ وَالْعُنْفُ وَالشَّدَةُ عِنْدَ الْأَسَاسِ
« تَضاحكُ الْفَتیاتُ وَقُولُ إِحْدَاهُنَّ لِأُخْرَى »
« فُتاة »

لِیْلَى عَلَی دَیْنِ قَیسٍ فِیْ حِثِّ مَالِ تَیْمِلُ ؟
وَكُلُّ مَاسِرٍّ قَیْسًا فَعِنْدَ لَیْلَى جَمیلُ

« ابن ذریج »

مَا الَّذِی أَضْحَكَ مَنِ الطَّبِیَّاتِ الْعَامِرَةِ
أَلَأَنِّی أَنَا شِیعِیٌّ وَلِیْلَى أُمَوِیَّةٌ ؟
إِخْتِلَافُ الرَّأْیِ لَا یُنْفِیْ سُدَّ لِلَوْدِ قُضِیَّة

« لیلی »

أَعَرَنِی سَمَاعُكَ یابْنَ ذَرِیجٍ وَلَا تَسْمَعْ الْعُفْلَةَ الْمَاضِیةَ
أَتِیتَ لَنَا الْیَوْمَ مِنْ یَثْرِبَ فَكَیْفَ تَرَى عَالَمَ الْبَیادِیةِ
أَكُنْتَ مِنَ الْبُورِ أَوْ فِی الْقُصُورِ تَرَى هَذِهِ الْقُبَّةَ الصَّافِیةَ ؟
كَأَنَّ النُّجُومَ عَلَى صَدْرِهَا قَلَانْدُ مَاسٍ عَلَى غَایِیةِ

« هند »

كفى يابنة الخال ! هذا الحريرُ كثيرٌ على الرِّمَّةِ الباليه
تأملُ تر البيدَ يابن ذريح كمـهـرةٌ وحشةٌ خاويه
سئنا من البيد يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه
ومن موقِدِ النار في مَوْضِيع ومن حالب الشاة في ناحيه
وراغية من وراء الخيام نجيبُ من الكَلأِ الثاغية (١)
وأنتم يثرب أو بالعراق أو الشام في الغُرفِ العاليه
مُعنيكو مَعْبَدٌ والغريضُ وقينتنا الضُّبُعِ العاويه
وقد تأكلون فُنونَ الطَّهارة ونأكل ما طهتِ الماشيه

« ليلي »

قد اعتسفتُ هندُ يابن ذريح وسكانت على مَهدها قاسيه
فالبيدا لا ديارُ الكِرامِ ومَسْزَلَةُ الذَّمِّمِ الوافيه
لها قُبْلَةُ الشمس عند البزوغ وللحَضِرِ القُبْلَةُ الثانيه
ونحن الرياحينُ ملءَ الفضاء وهنَّ الرياحينُ في الآنيه
ويقتلنا العشقُ والحاضراتُ يَتَمَنَّ من المشق في عافيه
ولم نصطَلِّمِ بهومِ الحياه ولم نَدِرْ - لولا الهوى - ماهيه
وآنا نجف لصيدِ الظباء وآنا الى الأسد الضاريه

« هند - ساخرة »

وفي كل ناحيه شاعرٌ يغنى بليلاه أو راويه

(١) الراغية : النافه والثاغية : الشاة

« تحاول ليلي أن تمد رجلها فتألم وتستقيث »
« ليلي »

قيسُ ، إلى قيسُ

« هند »

ما دهاك ليلي ما الخيرُ

« ليلي »

أحس رجلي خلرت حتى كأنها الحجرُ
« هند »

قد صحت قيسُ مرتين

« ليلي »

أو ثلاثاً ما الضرر

« هند - متهمكة »

إسم الحبيب عنبدنا نذكره عند الخدر
« ليلي »

هند كفى دعاة إن هو الا اسمُ حضر
« لنفسها »

يا قيسُ ناجي باسمك السقلبُ اللسانُ فعثرُ
« عبلة - ضجرة »

أما سوى هذا الحديثِ شاغلُ ؟ كيف ظلت اليومَ يا منازلُ ؟
« منازل - ضاحكا »

منازلُ اليومَ كأمس هازلُ يشربُ أو يطعمُ أو يفازلُ ا

« هند »

بخـ ! كذا فلتكن الحياةُ مُتْ يا بغيرُ وانفقْ يا شاةُ
انغمست في الترفِ الرعاةُ !

« ليلى »

وكيف ظلت اليوم سعدُ؟ أهازلُ كتر بك أم في صالح ورشاد !

« سعد »

بل الجدُّ ياليلى سبيلى ودينى حياتى بوادٍ والمجنونُ بوادٍ
صحبْتُ زيادا طول يومى تلقفا لأشعار قيسٍ من لسان زياد
وإن زيادا - منذ كان - لرائحٌ علينا بشعر العامرى وغاد
ولولا زيادٌ ما تمثَّل حاضرٌ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد
« يبدو على ليلى شيء من الزهو فتهاوس الفتيات »

« سلمى »

انظرى هند ترى ليلى ا كتست زهواً وكبرا
وتعالت كابتة النعمان أو كابتة مكسرى ا

« هند »

لم لا سلمى، ألم يرفع لها الجهنونُ ذكرا؟

« عبلة »

لم اذن يا هند من قيس وما قال قبرا ؟

هند

عبثُ النسوة ! إنا نحن بالنسوة أدرى ا

«سلي»

سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه؟

«أصوات»

سلوه

«هند»

سلي يا ليلَ عن يومه بشرا

«ليلى»

وهل يومه الا شؤونٌ كما مسيه من الصيد؟

«هند»

إن الصيدَ كذته الكبرى

«بشر»

نعم هو ملهاى الذى لا أمّله ولا النفسُ تُعطى عن تناوله صبيرا
ولو كان عيشى فى قصور أمية لعلّمتُ فنَّ الصيدِ فتيناها الزهرا
وما أنا صيَّادُ الأرناب مثلهم ولكن على حيّاته أُلجُ الفقرا

«ليلى»

إذن هاتِ واصدقُ بشرُ فى القول مرّة

ولا تتخترعْ أو تبني من حَجَرٍ قصرا

«بشر»

دعى عنك هذا الشُّخَرُ يا ليلَ واسمعى

«ليلى»

تحدّثْ فلا واللهِ لم أضمرِ الشُّخرا

« بشر »

بكرتُ كدأبي اليومَ أبغى قنيصةً
ومَن يتصيدُ يحسبُ الغنمَ والخُسرا
(رأيتُ غزالا يرتعى وَسَطَ روضة
فقلتُ أرى ليلي تراءتُ لنا ظهرا)^(١)

« هند - مشيرة الى ليلي »

وأىَّ الليالى بشرُ آنست ؟ هذه

« بشر »

إذا شئتُ - أوهانك - أوحرةً أخرى .
قلتُ له يا ظبي لا تَحْتَسِ حادنا
(فانك لى جارٌ ولا ترهب الدهرا)
(فما راعنى الا وذئبٌ قد انتحى
فأعلق فى أحشائه الناب والظفرا)
(ففوقتُ سهمى فى كَتَومٍ غمستُها
فخالط سهمى مهجةَ الذئبِ والنحرا)

« ليلي ضاحكة »

أخى بشرُ لاشلتُ يمينك من يدِ
ولا فاضُ فاك الصبحُ والليلُ ما كرا

(١) الأبيات التى بين الأقواس من شعر المجنون

سمعنا بإقدام اللصوص وفتحهم
 فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجرا !
 والله لم تغضب لظبي ولم تثب
 بذئب ولم تُعمل خيالا ولا فكرا
 أخذت فلم تترك لقيس بضاعة
 سرقت لعمري الظبي والذئب والشعرا !
 « ضحك من الجميع »

حديث الظبي والذئب وقيس لست أنساه
 زياد عنه نبأني ولا ينيك إلاه
 رأى قيس على رابية ظبيا فناده
 فألقى الظبي أذنيه ومس الأرض قرناه
 « ثم نقول في لوعة وصوت غفوض وكأنا تحدث نفسها »
 برُوحى قيس ! هل راحت ظبائه القاع تهواه ؟
 وهل يرثى له الريم ولا أرثى لبلواه ؟

« تسترسل في حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ بقايا صبغت فاه
 رأى في جيده قيس وفي عينيه ليلاه
 فيينا هو في السوق وفي نشوة ذكره
 حبا الذئب من الوادي الى الظبي فأرداه

تغدى بحشا الظبي غداة ما نهناه
رماه قيس في المقتل بالسهم فأصماه
« بشر : مندفعاً بحماسة ! »

أجل يا ليل ! ما قلت سوى شيء شهدناه
وإن لم تذكرى القبر ولا كيف خططناه
حفرنا القبر للظبي وقنا فدفعناه
وصلينا على الميت وبالدمع سقيناه
فقولوا ولتقل ليلي مى يرجمه الله !

« أصوات : بين الضحك والسخرية »

أجل بشر !

أجل بشر !

أجل يرحمه الله !

« ابن ذريح »

بشر كفى هزلاً وتخليطاً كفى
أرسلنى قيس فلو أخبرتنى
بتنا نخاف أن يجبل خطبهُ
وقيس ياليلي وإن لم تجهلي
لم ندر في حيك أو في حيّه
ولا جمالا ، وهنا (ياليل) ما
ويا بنة الم مضى الليل سدى
مى متى بأمر قيس يعتنى ؟
وتبلغ البلوى بقيس المدى
زين الشباب وابن سيد الحمى
فتى حصكاه نسبا ولا غنى
ترين أنت لا الذى نحن نرى

« بشر - ساخرا »

بحر بحر ! ابن ذريح خاطب

« ابن ذريح »

أسكت فلست للمروءات أخوا

« ليلي - غاضبة »

فيم هذا الكلام يا ابن ذريح ؟

« ابن ذريح »

إتقى الله واقصدي في التجني

« ليلي »

ما تجنيت

« ابن ذريح »

بل ظلمت ، دعيني أحسن الذود عن صديقي وخيلى

« ليلي »

أنا أولى به وأخى عليه	لو يداوى برحمتي والتحنى
يعلم الله وحده ما لقيس	من هوى فى جوانحي مستكين
إننى فى الهوى وقينا سواء	دَن قيس من الصباة دَنى
أنا بين اثنتين كلتاها لنا	رفلا تلحى ولكن أعنى
بين حرصى على قداسة مرضى	واحتفاظى بمن أحب وضنى
صنت منذ الحداثة الحب جهدى	وهو مستهتر الهوى لم يصر

قد تغنى. بليلة النّيل ، ماذا كان بالغيل بين قيس وبنى ؟
كل ما بيننا سلامٌ وردّ بين عين من الرفاق وأُذت
وتبسّمتُ في الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأني
« تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاء »
أَوغل الليلُ فلنقم

« ابن ذريح - متوسلا »
بل رويدا واسمعي (ليل)
« ليلى »

خلّ عني دعني ا

« تدخل خباءها بينما ينفذ السامرون فلا يتناهل منهم في القيام »
« الا منازل - الهرج والاسف يسودان الجميع »
« يمر »

انفضّ سامرُ ليلى وكان حَفلاً كريما
« سعد »

قد فاضه ابنُ ذريح ففض عِقدا نطيا
أثار ليلى فهاجت كما تنفّر رِيما
تري أتُبغضُ قيسا
« ابن ذريح »

لا تقلبوا الحبّ بنفا
ليلى العشيّة غضى ويصبح المصبحُ ترضى

« سعد »

أنعم (مُنَازِر) مساء

« منازل »

نعمت سعدُ مساء

« هند »

بشرُ مُسَيِّتَ بخير

« بشر »

أنعمي هندُ مساء

« هند »

نحن يحويننا طريقُ فامض بلغنى الخبَاء

« سعد - ضاحكا »

احذري يا هند منه !

« هند »

أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنا كيف يصطاد الظباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر »

« قيس وزباد من جانب المسرح الآخر »

« قيس »

سجا الليل حتى هاج لي الشعرَ والهوى
ومأ البیدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ

ملأت سماء البيد عشقا وأرضها
وحملت وحدي ذلك المشق يارب
ألم على آيات ليلى بى الهوى
وما غير أشواقى دليل ولا ركب
وباتت خيامى خطوة من خيامها
فلم يشفنى منها جوار ولا قرب
إذا طساف قلبى حولها جن شوقه
كذلك يطوى الغلة للنهل العذب
يحن إذا شقت ويمبسو إذا دنت
فيا ويح قلبى كم يحن وكم يصبو
وأرسلنى أهلى وقالوا امض فالتس
لنا قبسا من أهل ليلى وما شبوا
عفا الله عن ليلى لقد نوت بالذى
تحمّل من ليلى ومن نارها القلب
« منازل - وقد سمع مهمة الصوت ورأى شبيها فى الظلام »

أرى شبيها مقبلا فى الظلام	وأسمع مهمة فى الدجى
هو ابن اللؤلؤ دلى الهزال	عليه ونم اضطراب الخطا
عدوى المبين وما بيننا	ولا بين صاغيتينا (١) جفا
روى شعره البدو والحاضرون	وشعري ليس له من روى

(١) صافية الرجل قومه

وهام بليلى وهامت به لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرّد مستعظماً في البلاد وجئت فما ازداد إلا نهى
وإني لأبدي إليه الوداد وأخفى له في الضلوع القلى
وأحسده حسدا ما علمت أقيسُ الشقّ به أم أنا
« يتقدم منها خطوات »

من الراكب الليل ؟ قيسٌ أخى ؟

« قيس »

منازل ؟ ما أعجبَ لللتقى !

« منازل »

أقيساً أرى في ظلال البيوت ؟ وعهدى بقيس حليف الفلا

« قيس »

منازل ، من أين ؟

« منازل »

من عندها من السمر المتعّ الشّهى

« قيس : حقا »

أمن عند ليلي تجرّ النّيول حديثَ لعمرو أبى مفتري

« منازل »

بل الصدقُ ما قلتُ يابن الملوّح

« قيس »

إخساً متى قلت صدقا متى ؟

وما كنت تصنع ؟

« منازل ساخرا »

ما يصنعون لهوت لعمري فيمن لها
وسامر ليلى كثير الزحام فليست تعدُّ شباب الحمى
وليلى تُقيضُ على من تشاء رضاها وتحرمه من تشاء

« زياد مضطربا »

منازل، قيس، سبيلك قيس ! وكلّ لى تأديب هذا الفتى

« منازل - وقد أخذ بتلاييه »

تؤدبني زياد وأنت ظل المجنون وراوية لهاذى
وتزعم أننى نداء لقيس رضيت من المصائب غير هذى

« زياد »

من قال ذا ؟ أنت لقيس نداء لم يبق فيك يا حياة جد

إمض بنا ناحية يا وغد !

« يمر به الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تخفى »

« فيقبل قيس على خباء ليلي وينادى »

« قيس »

ليلى !

« الهدى : خارجا من الخباء »

من الهاتف الداعى ؟ أقيس أرى ؟ ماذا وقوفك والفتيان قد ساروا

« قيس : خجلا »

ما كنتُ يا عمُّ فيهم

« المهدى : دهشا »

أين كنت إذن ؟

« قيس »

في الدار حتى خَلَتْ من نارنا الدار
ما كان من حطب جَزَلٍ بِساحتها أودى الرياحُ به والضيفُ والجار
« المهدى - مناديا »

ليلي - انتظر قيس - ليلي

« ليلي - من أقصى الخباء »

ما وراء أبي ؟

« المهدى »

هذا ابن عمِّك مافي بيتهم نار

« تظهر ليلي على باب الخباء »

« ليلي »

قيس ابن عمي عندنا يا مرجسا يا مرجسا

« قيس »

مُتَمَتِّ ليلي بالحيا ة وبلَقَّست الأربا

« ليلي : قنادي جارتها بينما يخنق أوبرها في الخباء »

عفراء

« عفرء - مليية نداء مولائها »

مولاتى

« ليلى »

تعالى تقضِ حقاً وجباً
خذى وعاءاً واملئيه لابن عمى حطباً
« تخرج عفرء وتنبها ليلى »

« قيس »

بالروح ليلى قضت لى حاجة عرضت
ماضرها لو قضت للقلب حاجات
مضت لأبياتها ترتاد لى قيساً
والنار ياروح قيس ملء أيساتى
كم جئت ليلى بأسباب ملفقة
ما كانت أكثر أسبابى وعلاى

« تدخل ليلى »

« ليلى »

قيس

« قيس »

ليلى يجانى كل شىء اذنت حضر

« ليلى »

جمعنا فأحسنت ساعة تفضل العمر

« قيس »

أتجدّين ؟

« ليلي »

ما فـ_____وا دى حديد ولا حجر
لك قلب فسله يا قيس ينبئك بالخبر
قد تحملت في الهوى فوق ما يحمل البشر

« قيس »

لست ليلى داريا كيف أشكو وأنفجر ؟
أشرح الشوق كله أم من الشوق أخنصر ؟

« ليلي »

نبى قيس ما الذى لك في البید من وطر ؟
لك فيها قصائد جاوزتها الى الحضر
كل ظبي لقيته صغت في جيده الدر
أثرى قد سلوتنا وعشقت لها الآخر ؟

« قيس »

غرت ليلى من المها والمها منك لم تغر
حبب البید أنها بك مصبوغة الصور
لست كالغيد لا ولا قر الیید كالقمر

« ليلي : وقد رأيت النار تكاد تصل الى كم قيس »

ويح عيني ما أرى قيس !

« قيس »

ليلي

« ليلي : مشقة »

خذ الحذر !

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

رُبَّ فجر سألتُه هل تنفست في السحر
ورياح حسيبتهَا جررت ذيلك العطر
وغزال جفونه سرقت عينك الحور

« ليلي »

إطرح النار يا فتى أنت غادر على خطر
لهب النار قيس في كمك الأيمن انتشر

« قيس : مستمراً بعد أن رمى النار من يديه »

وذئاب أرق يا ليل من أهلك الفير
أنست بي ومرغت في يدي الناب والظفر

« ليلي »

ويح قيس تحرقت راحتاه وما شمر

« قيس »

أنت أجبت في الحشا لاعج الشوق فاستمر

ثم تحشّينَ جمرَةً تأكلُ الجلدَ والشعرَ

« يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بؤادر الانهزام »

« ليلي »

فذاك أبي قيس ، ماذا دهاك ؟ تكلم ، أين قيس ، ماذا تجد

« قيس »

أحسُّ بعينيَّ قد غامتا وساقى لا تحمِلانِ الجسدَ

« يخرج صريعاً الى الأرض فتلقاه على صدرها صارخة »

« ليلي »

يا لأبي للجارِ قيسٌ صريعُ النارِ ملقًى بصحنِ النارِ

« يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاقتها »

أبي ها أنت ذا جئت أغثنا أبي أدرك

لقد حرَّق بالنارِ فما يصحوا إذا حرَّك

« المهدي »

يرانا الناسُ ياليلي

« ليلي »

أبي أنفِ الناسِ من فكرك

على غيري ولا غيرك

على سرى ولا سرك

باشفاقك أو برك

فأسنذه الى صدرك

هنا لا تقعُ العينُ

ولا يطلُّعُ إنسانٌ

ولا أجدر من قيس

أبي صدري لا يقوى

« المهدى - وهو يتلقى عنها جسد قيس ومحاول إلهاشه »

رعاك الله يا ليلي وكافاك على صبرك
أخافُ الناسَ في أمرى وأخشى القلبَ في أمرك
وكم داريتُ يا ليلي وكم مهتتُ من عذرك
ولست الوالدَ القاسى ولا الطامعَ في مهرك

« يناجى قيسا في غيبوبة »

أبا المهدى عوفيتَ ويا بورك في عمرك
أراني شعرك الويلَ وما أروى سوى شعرك
كما لَدَّ على الكره كلامُ الله للشرك

« يتحرك قيس ويبدو عليه "كا" نما "بق" فيناديه »

قيس

« قيس - يحاول الوقوف فتسنده ليلي »

لبيبك عم

« المهدى »

حسبك فاذهب لا تطأ لي بعد العشيّة دارا

« لبلى »

أبقى لا تجزّ على قيس

« المهدى »

لم لا إن قيسا على القراية جارا

« ليلي »

أبني ما تراه كالفنن الدا وى نُحولاً وكالتغيب اصفرارا ؟
وتأمل رداءه ويديه تجدد النار أو تر الآثارا
أبني دعه يسترح

« المهدي »

بل دعينا لا تزيدي ياليل سُخطى انفجارا

« قيس »

حسبُ يا ليل، حسبُ ذلالمى وكفى حلقة له واعتذارا
عمُ ماذا جنيت ؟

« ليلي »

ماذا جنى قيس

« المهدي »

نسيت الرواة والأخبارا

« قيس »

إنهم يأفكون يا عم

« المهدي »

والغيل أليلاً غشيتَه أم نهارا ؟
ما الذى كان ليلة الغيل حتى قلتَ فيها النسيبَ والأشعارا ؟

« قيس »

لم تكن وحدها ولا كنتُ وحدى
إنما نحن فتية وعذارى

جمعتنا خمائلُ الغيل بالليل كما يجمعُ الحمى السُّمَّارا
ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترقنا ذهبَت يَمْنَةُ وسِرَتُ يسارا
« المهدى »

إمض يا قيس إمض لا تكسُ ليلى كلَّ حينٍ فضيحةً وشناراً
فكأني بقصة النار تُروى وكأني بذلك الشعر ساراً
وكأني ارتديتُ في الحمى ذلاً وتجللتُ في القبائل عاراً
إمض قيسُ إمضِ

« قيس »

عُمُ رفقا بليلى وبقيسٍ ولا تكن جباراً
الحذارَ الحذارَ من غضبِ الله ومن سُخطه الحذارَ الحذاراً
« المهدى »

إمض قيس إمض جئت تطلب ناراً
أم ترى جئت تُشعلُ البيتَ ناراً ؟
« يخرج قيس »

ستار

الفصل الثاني

« طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حى بني عامر حيث
« تندو مضارب هذا الحى على مدى البصر وعلى سفح جبل التوباد – قيس وزباد
« جلوس الى جذع نخلة ، يستشران شبحا يسير نحوهما »

« قيس »

زيادُ ، ماتلك؟ من الجؤيريه؟ أتلك (بلهائه) ؟

« زياد »

أجل قيس هيّة

« تظهر بلهائه وعلى رأسها قصعة »

« قيس »

بلهائه كيف الحى؟ كيف أميّه؟

« بلهائه – وهى تضع القصعة »

تسأل عنك كما سألت

« تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

« زياد »

بالله قيسٌ إلا أكلت

« يشتد ميل قيس عن الطعام »

« بلهاء هامة لزياد »

زيادُ ما ذاق قيسٌ ولا هما

« زياد »

طبخُ يدِ الأمِّ يا قيسُ ذُقْ عِمَّا

الأمُّ يا قيسُ لا تطبخُ السَّمَا

« ينزع عن القصصة غطاءها »

تعال تأملْ قيسُ ، تلك ذبيحةٌ

« قيس »

عسى اليومَ نُحرِّقُ

« زياد »

أين نحنُ من الأَضْحَى ؟

« قيس »

أرى صنْعَ أمي يازيادُ ، فدَيْتُها بروحي وإن حَمَلَتْها الهمُّ والبرُّ حا
ستخبرنا البلهاء

« زياد »

بلهاء يئني ولا تكتنى عنا الحديث ولا الشرحا

« بلهاء »

لقد مرَّ عرَّافُ اليمامةِ بالحي فمارعنا إلا زيارتهُ صُبْحًا

طوى الحى حتى جاء عن قيس سائلا	وأظهر ماشاء المودة والنصحا
ولاحت له شاة جثوم بموضع	تخيّلها ظلا من الليل أو جنحا
فقال اذبحوها تيك فالخير عندها	فقام اليها يافع يحسن الذبحا
فقال انزعوا من جثة الشاة قلبها	فلم نال قلب الشاة نزعاً ولا طرّحا
فلما شويهاها رقى بعزائم	عليها وألقى في جوانبها الملحا
وقال اطلموا قيساً فهذا دهاؤه	كأنى به لما تناوله صّحّا

« زياد »

تعلّل قيس بالشاة	عساها تذهب الحبّا
فما العرّاف بالجھو	ل لا علماً ولا طبّا
ولم تعلّم عليه البيد	تدجيلا ولا كدبا
طبيب جرّب الياّس	في الصحراء والرطبا
فندق قيس ولا ترتب	بما قال وما نبّا
وتلك الأمّ يا قيس	أطعمها تطيع الرّبّا

« يس »

زياد اسمع وكن عونى وخلّ اللوم والعتبّا
إذا ما لم يكن بُدّ فإنى آكلُ القلبّا

« زياد »

قيسُ يبغي القلبَ يا بلهه أين القلبُ أينّا ؟

« بلهاء »

هو عندي ويسيرُ ما اشتهى قيسُ علينا
هو في الشاة

« زياد »

هلمّي أخرجي القلبَ إلينا

« بلهاء »

القلبُ ! أين القلبُ ؟ أين يا ترى وضَعْتُهُ ؟
يا ويمح لي ! نسيتُ أني يسدي نزعتُهُ !

« قيس »

وشاقِ بلا قلبٍ يداوونني بها
وكيف يداوى القلبَ من لاله قلب !

« تسير بلهاء الى الحى ويظهر صفار من ناحية الحى يلهون في طائفتين واذا تقع
« أبصارهم على قيس وزياذ تنفى كل طائفة ببناء »

« الطائفة الأولى »

قيسُ عُصفورَ البوادي وهزارَ الرّبواتِ
طرتَ من وادٍ لُوادي وغمرتَ الفلواتِ
إيه يا شاعرَ نجدٍ ونجىّ الظبّياتِ
أضمرَ الحبَّ وأبدى لآعفتَ الفتّياتِ

« الطائفة الثانية »

قيسُ كَشَفَتَ العذارى وانتهكتَ الحرُماتِ
ودمَعَتَ الحى عارا في السنين الغابراتِ

قد ذكرت الغيلَ دعوى واصطنعت الخلوات
صليت ليلي ببلوى منك دون الفتيات !
« يلقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« فينثر الحصى من يده ، بينما يظهر من جاب الطريق الآخر ابن عوف وكأنه نصيب »
« قيس : مناجيا نفسه »

قيس ! سامح صغارا لا يحشون الخبيثه
إنهم فيما أتوه ببغاوات بريئه
لكنوها كلمات نزهاة أو بذئيه

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إذهبوا عودوا الى آبائكم واذكروا قيسا بخير يا خبث
إذهبوا أو حوا الى أترابكم وليبلغ حدثا منكم حدث
سيطر الحب على دنياكمو كل شيء ما خلا الحب عبث

« يجرى الصغار أمام زياد مضطربين ثم يخفون عن الأنظار ، بينما يستلق قيس »
« على الأرض في شبه إغماء »

« ابن عوف : الى نصيب وزياد يطارد الصغار »

انظر نصيب ضجة وصية ورجل يرمى الصغار بالحصى
« نصيب »

أرى أميري نسا تعلقوا بأبن سبيل متعب واهى القوى

« ابن عوف »

بل امضِ سَلْ

« نصيب : معترضاً زياد »

من الفتى ؟

« زياد : لنفسه وقد رأى ابن عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقَاتِ ههنا

« ثم يرد على نصيب »

قيسُ إمامُ العاشقين

« ابن عوف »

أيُّهم فُهم كثير ، كل فيس بهوى

« زياد »

أجل ولكن الذي تُبَصِّرُهُ أرفعهم ذكراً وأعلام سنى

« ابن عوف »

لعله قيسُ الذي نعرفُهُ لقد رَوَيْتَ شعرَه فيمن رَوَى
فأين ظَلُّهُ زياد ؟

« زياد »

أناذا أنا الذي يتبعهُ حيثُ مشى

« ابن عوف »

أنت الذي تهدي لكل قريةٍ مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبَا
ما باله يَطَأُ الترابَ حافياً ويقطعُ البيدَ مُرَّتَقِ الرُّدَا
خذ يا نُصَيْبُ بُردتي فغطّه لا يلحقنّه من العُرى أذى

« زياد »

إحفظ عليك البرد يا أميرُ لا فقرَ اليه بآبن سيد الحمى
 إن لقيس من ثياب الوشي ما يفنى به العمر وما يُعي البلى
 « ابن عوف : مناجيا نفسه »
 يا ويح قلبي ما خلا من قسوة ما باله رقَّ لقيس ورثى
 « يقبل على قيس »

قيسُ بنُ

« زياد »

هسو في إغماءة من وجده وما أظنه صحا
 « يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى يظهر الحادي »
 « ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت قليلا قليلا حتى ينقطع »
 « أنشودة الحادي »

يا نبج سدُ خذْ بالزمامَ ورحبِ
 سرّ في ركاب القمام ليثربِ
 هذا الحسينُ الامام ابنُ النبي
 النور في البید زاد حتى غمر
 أحدُ الحيا في الوهاد أحدُ القمر
 أحدُ جمال البواد زين الحضرة
 ابن النبي

« ابن عوف »

سمعتمو ؟ يالك من رنة حادٍ مطربِ

« زياد »

يا ليت شعري ما الركا ب من لواه الموكب

« نصيب »

قد بين الحادي قفل أصم أنت أم غبي ؟
 هذا منارُ العرب هذا الحسينُ ابنُ النبي
 هذا الزكيُّ ابنُ الزكيِّ الطيبُ ابنُ الطيب
 عارضنا الحسينُ في طريقه ليثرب
 هذا سنا جبينه مل الوهاد والرَّبي
 قد جلَّ حاديه جلا ل القاريء المطرَّب

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نصيبُ حصه لا تسكن بنا مسالك التهم
 ولا تظاهر بالهوى لوارث البيت العلم
 إحدز جواسيس ابن هند وعيون ابن الحكم
 نحن رجال دولة قوامه على الأمم
 ليس بينها عمي ولا بأذنها صمم
 تسمع في ظل القصور همس رُعيات الغنم

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زياد انظر فما انفك صريح الوجد والذكرى
 كما مرَّ بنا الركب الحسيني به مرّا

فلم يشغلْ له بالا ولم يوقظْ له فكرا

« زياد »

رويدنا سيدى مهلا ولا تستغرب الأمرا
لقد سقناه بالأمس فحجَّ الكعبةَ الغرا
فلما لمس الركنَ ومست يدُ السِّترا
وقلنا الآن من ليلي ومن فتنها يبرا
سمعناه ينادى الله من ساحته الكبرى

« ابن عوف »

وماذا قال ؟

« زياد »

ما تاب من العشق ولا استبرا
ولكن قال ياربُّ ملكت الخير والشر
فهايت الضرَّ إن كان هوى ليلي هو الضرا
وإن كان هو السحرَ فلا تُبطلْ لها سحرا
وياربُّ هب الساوى لفيرى وهب الصبرا
وهب لي مَوْتَةً الْمُضَى بها لا مِيتَةً أُخْرَى

« يقبل على قيس ويميل عليه بمحنا »

حنانك قيسُ إلامَ الدهول ؟ أفق ساعةً من غواشى الحبَل
صليلُ البغال ورجع الحذاء وضجَّةُ ركبٍ وراء الجبل
وحادٍ يسوق ركبَ الحسَنِ يهزُّ الجبالَ إذا ما ارتجل

فلم يبقَ ما يش ولا راكبٌ على نجدٍ الا دعا وابتهلُ
 فقم قيسُ واضرعْ مع الضارعين وأنزلْ بجندِ الحسينِ الأملُ
 « بسمع صوت حاد آخر قادما الى نجد من ناحية يرب ، على رأس مافلة أخرى »
 « وتغر هذه القافلة كما مرت الأولى »

« أنشودة الحادي »

هلا هلا هيّا * إطوى الفلا طيّاً * وقرّبي الحيّا * للنازح الصبّ
 جلاجل في البيد * شجيرة التريد * كرنّة الغريد * في الفتن الرطب
 أناح أم غنى * أم للحصى حنا * جليجل رنا * في شُعب القلب
 هلا هلا سيري * وامضى بتيسير * طيري بناطيري * للماء والعُشب
 طيري اسبق ليلا * وأدركي الغيلا * العهد من ليلى * ومنزل الحب
 بالله يا حادي * فتش بتوباد * فالقلب في الوادي * والعقل في الشعب
 يا قرا يبدو * مطلعهُ نجد * قد صنع الوجد * ما شاء بالركب
 « يبق قيس ثم يثقت مصفيا الى الحداء »

« قيس »

ليلي ! مناد دعا ليلي فحفّ له نشوان في جنبات الصدر عريده
 ليلي ! انظروا البيد هل مادّت بأهلها
 وهـل ترنّم في المزمار داود

ليلي ! نداه بليلى رنّ في أذني سحر لعمري له في السمع ترديد
 ليلي تردّد في سمعي وفي خلدي كما تردّد في الأيك الأغاريد
 هل المنادون أهلوها وإخوتها أم المنادون عشاق معاميد

إن يشرّكوفى فى ليلي فلا رجعت°
 أغير ليلاى نادوا أم بها هتفوا
 جبالٌ نجدٍ لهم صوتا ولا البيدُ
 فداء ليلي الليالى الخردُ الغيدُ
 إذا سمعت اسم ليلي ثبت من خبلي°
 وثاب ما صرعت منى العناقيدُ
 كسا النداء اسمها حسنا وجبّه
 حتى كأن اسمها البشرى أو العيد
 ليلي العلى مجنونٌ يُخيّل لى ؟
 لالحى نادوا على ليلي ولا تُودوا

« ابن عوف »

لا تكتتب وتعال يا قيسُ استرح°
 مما تكابد فى الهوى وتلاقى
 « قيس »

هل أنت آسى يا أميرُ جراحتى
 أم أنت من سحر الصباية راقٍ؟
 « ابن عوف »

بل من رُواتك قيسُ من زمنٍ مضى
 لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق
 « قيس »

قل للخليفة يا ابنَ عوفٍ فى غدٍ
 هدرت حكومتُه دمي فتحرّشت°
 منذ أباح له دمَ العشاق ؟
 بدمٍ على سيف الجفون مُراق
 « ابن عوف »

أرضيتنى عند الخليفة شافعا ؟
 يا قيس
 « قيس : فى أنفة »

لا والواحد الخلاق

بل عند ليلى فامض فاشفع لي لدى
 ليلى وناشيد قلبها أشواق
 جئها فذكرها العهد وحفظها
 واذكر لها عهدي وصف ميثاق
 ليلى إذا هي أقبلت حقنت دمي
 كرما وفكت يا أمير وثاق
 « ابن عوف »

الآن قيس اذهب فبدل حلة
 وترد غير ثيابك الأخلاق
 فالصبح تدخل حي ليلى قيس في
 ركي وبين بطايتي ورفاق
 « قيس : الى زياد »

أسمعت ما قال الأمير؟ زياد، طر
 نحو الحمى بجناتى المشتاق
 اذهب وسل أمة أعز ملاهى
 من كل شامي وكل عراق
 واذكر لها فضل الأمير، ولم تزل
 نعم الأمير فلائد الأعناق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس باذن عوف كالطفل »
 سكر الصنوع بأمرٍ ودُمت مقصود الرحاب
 عجل أمير

« ابن عوف ضاحكا »
 بل انتظر أسيت يا قيس الثياب ؟
 « فيس »

من مبلغ أمى الحزينة أن عفى اليوم ثاب ؟
 ومن البشير البك يالى بقیس فی الركاب ؟
 اليوم أهلا بالحياة ومرحباً بك يا شباب !

ستار

الفصل الثالث

« قطعة من الصحراء تندو في يسارها طائفة من مضارب بني عامر ممتدة الى ما وراء »
« اليسار على سفح جبل التوباد - خباء مضروب الى عين هذه الطائفة من المضارب »
« كأنه نهاية خيام الحى - على اليمين أشجار بان يقف في ظلها ابن عوف »
« وحاشيته وقيس وزباد »

« ابن عوف »

تراءى الحى للركب وأشرتنا على الشعب
أفق قيس أما في رؤ به الخيمات ما بصى
ألا تهتف بالشعوى الى لى --- لى وبالغيب

« قيس »

ديار الحى من لى سلام من شج صب
على الحى على الدار على لى على الحب
عدا الركب على طيب كريح المندل الرطب
فيا لى لى عسى اليوم أبل الشوق بالقرب
عسى الخطبة لا تنزل فى ناديك كالحطب

عسائم لا يقولون فتى مشتركُ اللب
ولا يذهبُ إحسانى ولا يبقى سوى ذنبى
يقولون بها غنيّ لقد غنيتُ من كربى
سلى تُربك كم مرّغت خديّ على التُّرب
وكم جدتُ على الرمل ولم أبخلْ على العشب
بدمعٍ مثل دمع الثُّكل مغروفٍ من القلب
« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »
« ابن عوف »

قيسُ انتبه قيس

« قيس »

مَنْ المنادى ؟

« ابن عوف »

الحى فى السلاح سدّ الوادى
وأنت قيسُ بعد حينٍ غاد على خصومٍ لُدُدٍ شِداد
فالتقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لا تلقهم مُضِيعَ الرشاد
« قيس : متطلعا كذلك »

أتبصرُ يا ابنَ عوفٍ حى ليليّ
فألى لا أحققُ غيرَ ليليّ
لقد ألتقى هوى ليليّ حجابا
وبغضتِ النصيحَ إلى ليليّ
تدججُ فى السلاح ولا تراها ؟
وإن كُثر السوادُ لدى حماها
على عينيّ فلست أرى سواها
وسددتُ مسامعى عنه هواها

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لجب وقعته »
« سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئا فشيئا »

أرى حى ليلى فى السلاح ولا أرى سلاحا كهجر العامرية ماضيا
دمى اليوم مهدور ليلى وأهلها يداء ليلى مهدرات دمايا
لى الله! ما ذامنك باليل طافى وما ذلك الساقى وما ذا سقانيا؟
دعونى وما عندى ليلى أقوله ليلى وأستنشى الذى عندها ليا
أهيم فاستعدى نهارى على الجوى وأقبح ليلى أستجير القوافيا
(فما أشرف الأيقاع الاصابة ولا أنشد الأشعار الاتداويا)
إذا الناس شطر البيت ولوا وجوههم تلمست ركنى بيتها فى صلاتيا
(أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها أئنتين صليت الضحى أم ثانيا)
توارت وراء الجبع ليلى فخانها فم كابتسام الصبح يأبى التواريا
وطيب به خضت حوى الطيب كله فسهبه الأقالى أو فهبه القوافيا
فأحسست من فرعى لساقى هزة كأن عيانا منك لاقى عيانيا
دعونا وما يبقى إذا ما فنيتمو فوالله ما شى به خلا الحب باقيا
مشى الحب فى ليلى وفى من الصبا ودب الهوى فى شاء ليلى وشائيا
وإنى ولىلى للأواخر فى غد لشغل كما كنا شغلنا الأواليا

« يدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترخ فيتلقاه »
« زياد - تسمع أصوات الحى من قريب »

« ابنى عوف »

زياد أدركه أدرك إنى أرى الداء عادة
لقد تضاءل قيس واصفر مثل الجراده !

وليس قيسٌ بملقٍ إلا إليك قياده
الآن أسعى لقيسٍ سعيا أخافُ فسادَه
فيلُ بنا وقيسٍ حتى يُصيبَ رشادَه

« يحملون قيسا ويختفون به وراء شجر »
« البان ، وتظهر طلائع الحمى من اليسار وعلى »
« رأسها المهدى ومازل ، وكلهم شاكي السلاح »
« المهدى »

يا قومُ إن البغيَ شرٌّ مركبةٌ والخيرُ في جانبٍ من يُجنِّبهُ
هذا ابنُ عوفٍ قد أطلَّ موكبُه وإن قيساً في الرِّكابِ بصحبُه
جاء يرومُ صهرَكم ويخطبُه وقد علمتمُ كيف ساءَ مذهبُه
وكيف طال بابتنى تشبُّهُه

« صوت »

كله إلى سيوفنا تؤدُّ بهُ لقد وجدناه وكنا نرقبهُ

« المهدى »

لا، دمُ قيسٍ دمنا لا تقربُه يكفيه منا أننا نُخَيِّبهُ
ونصرفُ الأميرَ عما يطلبُه

« صوت آخر »

شيخَ الحمى لا تضعُفٍ ولا ترددُ وقف
دُدْ عن عقيلة الحمى وامنعُ حياضَ الشرفِ
لا تُصغِرْ للشافعِ في قيسٍ ولا المستعطفِ
ليس ابنُ عوفٍ في الذئبي سعى له بالنصفِ

أيا لأمير بعد ما أجار قيسا تحتفى؟
 لا تخش بأسه ومن رجاله لا تخف
 نحن كعثمان وليلى بيننا كالصحف
 « يظهر ابن عوف وحاشيته من »
 « وراء الشجر ومعهم زياد »
 « ابن عوف »

عم أبا ليلى صباحاً
 « المهدى »
 عم صباحاً يا ابن عوف
 « ابن عوف »

قل لهم يلقوا السلاحاً ليس ذا موطن خوف
 « صوت من الحى »
 يا ابن عوف يا أمير ليس ذا شأنا الولاؤ
 كيف تحمى وتنجى مستبىح الحرمات؟
 « ابن عوف »

عامير يا أجاود البطراح وأسمح الناس بطون رايح
 مالى وللسيوف والرماح؟ ضيف أنا وما من السراح
 ركك وجه الضيف بالسلاح ماجئكم ياقوم الكفاح
 بل جئت للتوفيق والإصلاح

« تحدث ضجة فى جانب الحى وتصايح وتهامس »
 « ثم يلقى كثير منهم السلاح ويفقد السيوف »

« صوت من الحى »

يا أبا ليلي بليلى جُدْ لقيس بالحياة
إنه شاعرٌ نجدِ ونجى الطيّباتِ

« صوت آخر »

قيسُ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلاً لدم
نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم
هبوه جنّ بليلى ليس الغرامُ مجرم

« منازل : حيث يستقبل الجمين خطيباً »

إن قيساً معشر الحى أخٌ وابنُ عمٍّ أفنه تبراؤن ؟
« أصوات »

لا وربّ البيت

« منازل »

أصفوا إلى إذنٍ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
إن قيساً شاعرُ البید الذى لا يُجارى أفاتم مُنكرُونَ ؟
« أصوات »

لا وربّ البيت

« منازل »

أصفوا إلى إذنٍ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
إن قيساً سيّدٌ من عامرٍ وابنُ سادات ، أفیه تمترون ؟

« أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذن ثم ظنوا كيف شتم بى الظنون
إن قيساً قد بنى المجد لكم ولنجد أبقيس تكفرون ؟
« أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذن ثم ظنوا كيف شتم بى الظنون
إن قيساً كامل فى عقله أو آتسم على قيس الجنون ؟
« أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذن ثم ظنوا كيف شتم بى الظنون
أنا لم أعد بقیس شاعرا لا ولا أتم بقیس تعدلون
« أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذن ثم ظنوا كيف شتم بى الظنون
أنا فى ودى وإعجابى به لا يدانىنى الرواة المعجوبون
سعره يبنى ويفنى غيره ليس كل الشعر ترويه القرون
شعر قيس عبقرى خالد ليه لم يتخلله الجوف

ولو ان المتجسني شاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون
رُبَّ شعيرٍ فال في ليلي ، به هتف البدو وضجَّ الحاضرون
إنني أخشى عليكم عارَه رُبَّ عارٍ لبس تمحوه السنونُ
ضجرتُ ليلي وضجت أمها وأبوها وتأذى الأقربون
وعدا كلُّ فتى من عامِرٍ حين يلتقي الناس ، محنيّ الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ماقلت

« منازل »

إذن ما بالكم لم تشوروا ، مالكم لا تفضبون ؟
هو ذا قيسٌ مع الوالى أتى يطأ الحى وأتم تنظرون
وأبو ليلي امرؤٌ أدري له رقة القلب وأخشى أن يلين
بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم ومن الحى بليلي يخرجون
آف يا قومُ لكم أن تعلموا أن قيساً هتك الخدر المصون
قيسٌ لم يترك ليلي حرمةً ما الذى أتم بقيس فاعلون ؟

« صوت »

ما جنُّ لابد من تأديبه

« صوت آخر »

إن بالسَّوط يُرَبَّى الماجنون

« صوت »

نأخذُ الحَيَّ عليه

« آخر »

ولنتقفُ دون ليلى وحماها كالحصون

« منازل »

حلَّ السلطان بالأمس لكم دمَ قيسٍ ما الذى تنتظرون ؟

« صوت »

حلَّ السلطان بالأمس لنا دمَه

« أصوات أخرى »

إنا بـقيسٍ فأنكون

« ضجيج واندفاع »

« صوت »

مُنَازٍ يابنَ العم ما هذا الخبرُ ؟ رفعتَ قيساً فجعلته القمرُ
والآن أغريتَ بقتله الزُّمرُ كفعل جزار اليهود بالبقر
برأها من العيوب وعقرَ !

« يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتاح حوله جماعة من الناس »

« قائل »

إرجعوا يا قومُ هذا منبرُ

وخطيب

« يسأل أحدهم »

ليت شعري من يكون ؟

« آخر »

أو أعمى أنت هذا بشر

« آخر »

هل يحسن الخطبة بشره ويُبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

« بشر »

قف منازل اسمع سمعت الرعد من جانبي صاعقة فيها المنون
وسمعت الذئب في جوف الفلا وسمعت الليث في جوف العرين
أخطيب أنت أم خطب وإن لم تهن وأخطب أحيانا يهون

« منازل صامحا »

بشر . . .

« بشر »

قف، !

« منازل »

مالك يا بشر ولى ؟

إن حرب الأهل والصحب جنون

« بشر »

لم إذن حاربت قيساً لم تصن ؟

حرمة ابن العم أو حق الخدين ؟

« منازل »

قلتُ بشرُ الحق

« بشر »

خلّ الحق ما

أنت والله على الحق أمين
إنما أنت لقيسٍ حاسدٌ منطوى الصدر على الحق المهيّن
كلما حدثت عنه عامراً قرأت في وجهك الداء الدفين
ترسلُ الزفرة تتلو أختها وتنفّسُ الصدر من حين لحين
يا منازلِ يا بن عمّي أصغ لي أنت دون أنت دون أنت دون !

« منازل »

دعوني

« بشر من المنبر »

دعوني فلا بدّ لي

« رجل »

أنا تلك

« بشر »

لا بد أن أقتله

« منازل »

دعوني

« بصر »

دعوني

« رجل »

دعوه اتركوه

« آخر »

ومن كتف النذل أو كبّله :

« منازل »

دعوني

« رجل »

دعوه

« آخر »

كلا البطلين

يقولُ الوعيدَ ولن يفعلهُ

« بصر »

دعوني

« رجل »

تَقَلَّمْ

« منازل »

دعوني

« رجل »

انطلق

« بصر »

دعوني

جئه

« رجل »

« منازل »

دعوني

« رجل »

امش له

« آخر »

تَنَحَّوْا وَخَلُّوا سَبِيلَهُمَا وَلَا تَخْشَوْا الْوَقْعَةَ الْمَقْبَلَةَ

« بشر »

مَنَازِلُ فِي عَقْلِهِ كَامِلٌ

« منازل »

وعقلك يا بشرُ ما أكملُ

بشر

أَنْزَوِ عَلَى الْحَيِّ نَزْوُ الدِّيُوكِ وَتَقَفْزُ كَالْأَكْبَشِ الْمَرْسَلِ

وَتَقَلِّقُ رَأْسِي كَرُمَانَةٍ وَأَفْلِقُ رَأْسَكَ كَالْحَنْظَلِ

فَإِذَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْعَوِيلُ وَمَا دَا انْتِفَاعِي بِالْوَلُولِ ؟

« زياد »

منازلُ كنت كثير الكلام . ووالله ماقلت الا الكذب

« صوت »

أترعّمه كاذباً يا زيادُ . وقد ذاد عن حُرّمات العرب؟

« زياد »

رويدك لا تنخدع يا فتى ولا تأخذ الأمر دون السبب
فلم يبع الا خداع الجوع وجلب الظنون وخلق الريب
وأثر فيكم وفي آخرين وأفرغ فيكم سُوم الرقب

« صوت »

منازلُ دافع عن سُنّةٍ مُعظّمةٍ من قديم الحقب

« زياد »

تأمل منازلُ سُخطَ الجوع وجهلك ماذا عليهم جلب !
أجل قد غضبت ولكم لنفسك ليس ليلي الفضب
تحضُّ على قتل قيس الرجال لتحظى بيلي إذا مذهب

« أصوات »

يُرِيدُ ليحظى بيلي ؟

« زياد »

نعم !

« صوت »

تكلم

« صوت آخر »

أين

« ثالث »

إن هذا عجب !

« زياد »

سلوه ألم يكُ يَعْسَى النَّدِيَّ وَيَطْلُبُ لَيْلَى أَشَدَّ الطَّلَبِ ؟

« صوت يخاطب المهدي »

إذن كان يخطبُ لَيْلَى ؟

« المهدي »

نعم !

« صوت »

إذن قد تجنّى

« صوت آخر »

إذن قد كذَّب !

« زياد »

منازلُ قل لهمو كم ضرعت لَيْلَى وكم أعرضت لم تُحِبِّ

« صوت »

منازلُ اخدعْ وغُشَّ غَيْرِي

« آخر »

قد جازَ الا على كَذْبُكَ !

« ثالث »

ما أنتَ إلا جَوِّ شَقِيٍّ تُحِبُّ لَيْلَى ولا تُحِبُّكَ !

« تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثة رجال »

« في ركن قصي من أركان المسرح يتعدهون »

« الأول »

قد اختلف الحى في أمر قيس
وليلى فكل له مذهب
وأنت الى أي رأي تميل
وأى الفريقين تستصوب

« الثانى »

إذا صدقت نظرتى في الأمور ولى نظرة قلما تكذب
منازل غادر على خيبة وقيس على فضله أخيب
وقد يُحققان ويلقى النجاح غريب له فيكمو مأرب

« الأول »

غريب ؟

« الثانى »

أجل من نواحى ثقيف

« الأول » .

ومن ذاك ؟

« الثانى »

ورد

« الأول »

وما يطلب ؟

« الثالث »

رأيناه فى الحى يمشى الحياء وقيل ألقى عامرا يخطب

« الأول »

وليلي ابنةُ الشيخِ مارأيها أما من حسابٍ لها يحسب ؟

« الثاني »

أراها وإن لم تخطَّ الشبابَ عجزوا على الرأي لا تُغلبَ
تصونُ القديمَ وترعى الرميمَ وتُعطيُ التقاليدَ ما توجب
وبالجاهليةِ إعجابُها إذا قل بالسلف المعجبُ
ومن سُنَّةِ البيدقُض الأكَفَ من العاشقين إذا شبيبوا
فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ يُحدثُ عنه ويُستغرب
وإن رضيتُ وردَ بعلا لها وقيسُ الأحبُّ لها الأقرب
فينا طالما التست مهربا وأرضُ ثقيفٍ هي المهرب

« منازل »

بنى عامرٌ لا تُضيعوا الخُلومَ فإن الأناةَ بكم أجملُ
هبوا لي آذانكم إنني أجدُّ وصاحبكم يهزلُ
خطبتُ وأخطبُ ليلي غدا وما لي يا قومُ لا أفعلُ
وقد تُعرضُ اليومَ ليلي فلا أضيِّقُ، عسى في غدٍ تُقبلُ
فما قيسُ أجدرُ مني بها ولا هو خيرٌ ولا أفضلُ

« زياد »

إليك منازلُ ! لا تترنَّ قيسٍ قد اختلف المنزلُ !
ولا يستوى الشاعرُ العبقريُّ ومن هو من باقلٍ أهقل

« منازل »

وما أنت ؟ بین لنا یا زیاد

« زیاد — ممسکا بذراع منازل »

ستعلم منی ما تبھل
هلم منازل ، هلم الصراع ! وودع ضلوعك وانع الذراع

« منازل »

خلّ زیاد خلّ عن ذراعی

« زیاد »

سألت ما أنت ؟ فأصغ ، راع

إنی أنا مُرّقُ الأضلاع !

« ثم یجره من ذراعه ویمضی به الی خارج المسرح »

« صوت »

ما ذا یكون یا تری ؟

« آخر »

هیّوا نری هیّوا نری

« آخر وهم یتدافعون »

زیاد غیر هازل

« آخر »

نوحوا علی منازل

« آخر »

حماسةً وبازى !

« آخر »

هلكت يامنار !

« آخر من بعيد »

إهرب من البراز

« يخلو المسرح الآن إلا من المهدى وابن عوف »
« ولصيب ثم تسمع صرخة من وراء الشجر »

« مهدى »

ما بقيس يابن عوف ؟

« ابن عوف »

إنه مغنى عليه

« مهدى »

قيس لا بأس عليك كبروا فى أذنيه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سئى كبروا ما أذن قيس مفيقة وإن سكبوا فيها أذان بلال

ولكن على ليلى يقيق وشبهها إذا ما بدت ليلى بشكل غزال

ويصحو على ليلى إذا ردد اسمها وراء بيوت أو وراء رجال

« المهدى »

دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيزة علينا أن نراه يسيل

وإني لإنسانٍ وإني لوالدٌ ولي مذهبٌ في الوالدين جميل
فرقنا بقيس يا أميرٌ ونَحَّه بعيدا لعل الشرَّ عنه يزولُ

« ابن عوف »

أناةً أبا ليلي وحِلما ولا يَكُنْ عليك لطفيان الظنون سبيل
رددتم ركابي واتهمتم زيارتي وأجلبَ فتیانٌ وضجَّ كهول
تأملُ تجدُ جمعا مغيظا وكثرةً تصولُ وما تدرى علامَ تصولُ !
رءوسٌ تنزَّي الشرَّ فيها وراءها نفوسٌ ذئابٌ مالمهن عقول
تطلُّبُ أن يُلقي اليها بجُثَّةٍ على غير جوعٍ أو يُساقَ قتيل
نواظرٌ ما يأتى به اليوم من دمٍ وإن لم يُساورها صدَى وغليل
نزلتُ فلم أكرمُ فهل أنت متبعي وقومك نارَ الطرد حين أميل؟
أبيتُم على القول قبل استماعه فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فهل لي أبا ليلي بناديك وقفةً فإن الذي قد جئتُ فيه جليل
وما أنا مرمٍ السوء أورجلُ الأذى ولكن سفيرٌ خيرٌ ورسول
ولم اتخذْ جاهَ الأمور ذريعةً ألا إنما جاءُ الأمور يزول

« الهدى »

بقيتم بنخير يا ولادة أمية ولا زال يقوى ركنكم ويطول

« مشيرا الى باب الخباء »

هنا مجلسٌ ناوى اليه لعلني أقولُ صوابا أو عساك تقول
وتمَّ ترى ليلي وتسمعُ قولها وليلى لها رأىٌ يُساقُ جميل

فسلها عسى أن نهتدى ماجوابها إباء وردّ أورشى وقبول
« بهم ابن عوف بخلع نعليه »

« المهدى »

أَتَحْلَعُ نَعْلَيْكَ لَا يَا بْنَ عَوْفٍ نَسَدْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَفْعَلِ
أَتَمْشِي إِلَى مَنْزِلِي حَافِيَا فِدَيْتُكَ، مَنْ أَنَا؟ مَا مَنْزِلِي؟

« ابن عوف »

خَلَعْتُهَا وَانْتَعَلْتُ التَّرَابَ إِلَى خِيَمَةِ السَّيِّدِ الْمُفْضِلِ

« لصيب : متدخلا »

دَعُهُ يَا مَهْدِيَّ يَفْعَلُ إِنَّمَا يَرْمِي لِمَعْنَى
كَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ هُوَ بِالْعَشَّاقِ يُعْنَى
الْحُسَيْنُ انْتَعَلَ التُّرْبَ إِلَى وَالِدِ لُبْنَى
فَرَأَاهُ حَافِيَا فِي سَاحَةِ الدَّارِ فَجُئْنَا
قَالَ لَا أَمْلِكُ يَا بَنُ الْمَصْطَفَى بَنْتًا وَلَا ابْنًا
أَنْتَ فِي الدَّارِ أَمِيرٌ فَمَا شَتَّ مُسَرَّنَا

« لنفسه »

يَا دَهْرُ دُرٍّ بِمَا تَشَا وَيَا حَوَادِثُ اهْزِلِي أ
وَيَا وَظِيفَةَ اعْزُبِي وَيَا جَرَايَةَ ارْحَلِي
يَعْنَى ابْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكُونَ نَ كَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ !

« يدخلان وينادى المهدى : »

هُوَ الضَّيْفُ يَا لَيْلَ هَاتِي الرُّطْبُ هَاتِي الشَّوَاءَ وَهَاتِي الْحَلَبَ

وهاتى من الشهد ما يُشْتَهَى ومن سَمَنَةِ الحَيِّ ما يُطَلَّبُ
فما هو ضيفٌ ككلِّ الضيو ف ولكن أميرٌ كريمُ الحسبِ
« ليلى من وراء حجاب »

أبى ألفَ لبيك !

« ابن عوف »

لا بل قفى فما بى ظمأه ولا بى سغبُ
وأعلمُ أن القرى دينكم وأن أبالكِ جوادُ العربِ
ولكن طعامى

« المهدى »

ماذا ؟ اقترحْ

« ابن عوف »

طعامُ الرسولِ بلوغُ الأربِ

« المهدى »

إذن قفى ليلى اقربى

« تظهر ليلى من وراء الستر »

تقدنى ورحبى

حلّ ابنُ عوفٍ دارنا

« ليلى »

أكرمُ به وأحب !
قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمامِ الصَّيْبِ

« ابن عوف »

أهلاً بليلى بالجمال بالحجى بالأدب
عشت وقيساً فلقد نوّهتما بالعرب
« ليلي - بين المحلل والغضب »
أقرن قيساً بنا يا أمير؟

« ابن عوف »

ولم لا وقد جئت من أجله
ومن أنا حتى أضم القلوب وأعطف شكلاً على شكله
لقد جمع الحب رُوحكما وما زال يجمع في حبله
« ليلي : في استحياء »
أجل يا أمير عرفت الهوى

« ابن عوف »

فهلّا عطفت على أهله ؟

« يلتفت الى المهدى »

أبا العاصية قلب الفتاة يقول وينطق عن بُنْه
فأصغ له وترفق به ولا يسع ظلمك في قتله

« المهدى »

أظلم ليلي ؟ معاذ الخنا ! متى جارشينخ على طفله ؟
هو الحكم بالليل مانحمين خذى في الخطاب وفي فصله

« ليلي »

أَقْبَسًا تَرِيدُ ؟

« ابن عوف »

نعم

« ليلي »

مَنَى الْقَلْبُ أَوْ مُنْهَى شُغْلُهُ	إِنَّهُ
وَتَمَشَى الظُّنُونُ عَلَى سِدْلِهِ	وَلَكِنْ أَتَرْضَى حِجَابِي يَذَالُ
وَيَنْظُرُ فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَلَّةِ	وَيَمَشِي أَبِي فَيَسْغُضُ الْجَبِينِ
وَيَقْتُلُنِي النَّمُّ مِنْ أَجَلِهِ	يَدَارِي لِأَجْلِ فَضُولِ الشُّيُوخِ
حَمَاقَةُ قَيْسٍ وَمِنْ جَهْلِهِ	يَمِينًا لَقِيتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْ
وَفِي حَزْنٍ نَجْدٍ وَفِي سَهْلِهِ	فُضِّحْتُ بِهِ فِي شِعَابِ الْحِجَازِ
	فَخَذْتُ قَيْسُ يَاسِيدِي فِي حِمَاكَ

« فِي جِأَاءِ وَإِبَاءِ »

وَأَلْقَى الْأَمَانَ عَلَى رَحْلِهِ	وَلَا يَفْتَكِرُ سَاعَةً بِالزُّوْلَجِ
وَلَوْ كَانَ مَرَوَانُ مِنْ رُسُلِهِ	

« ابن عوف »

إِذْنُ لَنْ تَقْبَلِي قَيْسًا	وَلَنْ تَرْضَيَّ بِهِ بَعْلًا
إِذْنُ أَخْفَقَ مَسْعَايَ	وَأَخَابَ الْقَصْدُ يَالِيلِي

« ليلي »

عَلَى أَنْكَ مَشْكُورٌ وَلَا أَنْسَى لَكَ الْفَضْلَا

وأوصيكَ بقيسَ الخيرِ لا زلتَ له أهلاً
لقد يُعوِزُه حاتمُ فكنه أيتها المولى

« تلتفت الى أبيها وكأنها تحاول »
« أنت تحبس في عينها دموعاً »

أبي كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ فقيم أنى؟ ما يتغنى؟

« المهدى »

جاء يخطبُ

« ابن عوف »

ومن وردٌ ياليلٍ وهل تعرفينه؟

« ليلي »

فتى من ثقيفٍ خالصٍ القلبِ طيبُ
أتى خاطباً بعد افتضاحي بغيره وعارى، أهذا يا ابن عوفٍ يُخَيِّبُ؟
أبي: أين وردٌ الآن؟

« المهدى »

عند قرابةٍ من الحىّ تنموه اليهم ورحبوا
فإن شئتِ أرسلنا إليه

« ليلي »

ابستِ ادعُهِ وجئنا بقاضٍ تجدي اليوم يكتب

« ابن عوف »

تجاوزت ليلي غابة السخط فاذكرى عواقب رأيت قد رأيتٍ سخيف

« لیلی : متکمة »

أ كنتُ ابنَ عوفٍ غیرِ أنثی ضعیفۃ
تساهتُ رأی فی الأمور ضعیف

« ابن عوف »

أرى وقفی یالیلَ كانت شریفۃً ولكن جزائی کان غیر شریف

« لیلی »

أنظفُ ثوبی یا أمیرُ فطالما ظهرتُ به فی الحی غیر نظیف

« ابن عوف »

لئن كنتِ یالیلی بوردِ قریرۃً فإنی علی قیسٍ لحیدُ أسیف
« ثم یخاطب أباهَا »

ألان بحفظ الله یاسید الحی

لقد طال لبثی عندکم ووقوفی

ووقفتُ یا لیلی

« لیلی »

لقد كنتِ سیدی حلیفاً لقیس، هل تكون حلیفی!

« ابن عوف »

سألتُ محالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافی لا لورد ثقیف !

« یتخرج من باب الخباء ویشیمه »

« المهدی الی ما وراء شجر البان »

« ليلى »

رباهُ ماذا قلتُ ! ماذا كان من
 فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً
 فرزعتُ قيساً نالنى بمساءةٍ
 والنفسُ تعلمُ أن قيساً قد بنى
 لولا قصائده التى نوهن بى
 نجدُهُ غداً يطوى ويفنى أهله
 مالى غضبتُ فضاع أمرى من يدى
 قالوا انظرى ما تحكين فليتنى
 مازلتُ أهذى بالوساوس ساعةً
 وكأنى مأمورةٌ وكأنا
 قدرتُ أشياء وقدّر غيرها
 شأن الأمير الأرميحي وشانى ؟
 فيه وكنت قليلة الاحسان
 ورمى حجباى أو أذال صياني
 مجدى وقيسٌ للكارم باب
 فى البيد ما علم الزمان مكانى
 وقصيد قيسٍ فى ليس بغان
 والأمرُ يخرجُ من يد الغضبان
 أبصرتُ رشدى أو ملكتُ عياني
 حتى قتلت اثنين بالهذيان
 قد كان شيطانٌ يقودُ لسانى
 حظٌ يحطُّ بمصاير الانسان

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بني تفيف ، في قرية من قرى الجن ، حيث اجتمعت طائفة منهم »
« للحفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالا في القلوات ، وبينهم شاب منهم »
« في شكل إنسى جميل الثياب يتردى الحرير من فرعه الى قدمه ، وعلى رأسه »
« عقلاان من الحرير المحلى بالذهب ، هو الاموى شيطان قيس - الجميع ينشدون »
« ويرقصون »

« نشيد الجن »

هذا الأصل كالذهب يسيلُ بالمرأى العجبُ
على الوهاد والكُثْبُ

الرقصُ يبعثُ الطربُ	هلمَّ يا جنَّ العربُ
هلمَّ رقصه اللهبُ	إذا مشى على الحطبُ
نحن بنو جهنمًا	نفلي كما تغلي دما
ثور في الأرض كما	ثار أبونا في السما
نحن بنو الجبار	العلم النار

إِبْلِيسَ بِكَرِّ النَّارِ يَا عَزَّ مِنْ لَهُ انْتَمَى
نَحْنُ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ نَحْنُ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ
وَالظُّلُمَاتُ الزَّاحِفَةُ عَرَمَرَمًا عَرَمَرَمًا
لَنَا وَمَا لَنَا صُورُهُ نَرَى وَنَسْمَعُ الْبَشَرِ
وَلَا يَرَوْنَ مَنْ حَضَرَ مَنَا وَمَنْ تَكَلَّمَ
تَقُولُ حِينَ نَصْطَلِمُ بِسَادَةٍ أَوْ بِخِدَمِ
صَمَّ صَمَّ صَمَّ عَمَّى عَمَّى عَمَّى عَمَّى

« هبید »

فَيْمَ اجْتَمَعْنَا هَهُنَا ؟ يَا عَضْرَفُوتُ مَا الْخَبَرُ ؟

« عضرَفُوتُ »

لَا أَدْرِ ... تِلْكَ ضَجَّةٌ حَضَرْتُهَا فَيْمِنْ حَضَرُ
فَسَلْ أَخَاكَ عَسْرًا

« هبید »

مَاذَا هُنَاكَ يَا عَسْرُ ؟

« عسر »

نَحْنُ مَسْوُقُونَ إِلَى مَا لَيْسَ نَدْرِى كَالْبَقَرِ

« الانموى »

بَنَى الْجَنَّةَ فِي أَرْضِكُمْ عَابِرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَرْسُفُ فِي ضُرُوفِ
فَقَالُوا بِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ فَتَى نَبَّهَ الشَّعْرُ مِنْ قَدْرِهِ

« هيد »

وَأَيْنَ تُرَى هُو ؟

« آخر »

ماذا يكون

« الأموى »

وماذا يهتك من أمره

ألم تعلموا أن لى صاحباً من الإنس أحكم في شعره

« هيد »

أجل أنت توحى له ما يقول وتقذف ما شئت في فكره

« الأموى »

إذن فاعلموا أنه عاشق تملأت اليد من ذكره

« عاصف »

وأعلم أن الهوى واحد حوى المستهامين في أسرته
وأن التى سحرت قلبه مدله القلب من سحره

« الأموى »

وانى لأكفل لىلى له وأصرها عن هوى غيره
سهرت على طهر ليلى الزمان ولم أغض العين عن طهره
صرفت عن الحب حتى الزواج وما قدس الله من سره
ولو أن عيني تشق القبور سهرت على الحب في قبره !

« عضرفوت »

ومن يكون

« الأئوى »

قيس

« عضرفوت »

من قيس

« عاصف »

وهل يخفى القمر
الشاعر الذى سحر والساحر الذى شعر
حنجرة لنا وتر منها وللانس وتر

« هيد »

وما لنا يا عضرفوت ولفتيان البشر ؟
وما لقينا منهمو ومن أبيهم غير شرار

« عضرفوت »

بنى الجن اسمعوا أبكم زكام

« جني »

ولم ؟

« عضرفوت »

ننت لعمركموا الجوا

« آخر »

وما في الجو ؟

« عضرفوت »

ريح آدمي

ففيه نثانة وله ذكاه
إذا البشري مرّ على يوماً فقد مرّت على الخنفساء

« جني »

أجل بعداوة البشر ابتلينا وطال بها التبرّم والعناء
مضى بالكبر إبليس أبونا وكلّ تراث آدم كبرياء
يعيب رجالهم فيقال عينا وتدفن عارها فينا النساء
وان عجز المطيب قال داء من الجني ليس له دواء
وان ققرت صغارهم فزلت فمنا معشر الجنّ البلاء
وخفنا من أذاهم فاحتجينا فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم متعوذ بالله منّا تعوذ الأرض منه والسماء !

« عضرفوت »

وقد نشكو من الناس التجنى وننسى ما جناه الأنبياء

« جني »

أرسل الله أيضاً من عدانا ؟

« عضرفوت »

أجل هم في عداوتنا سواه

بنى فخمًا سليمانٌ وضخمًا ولولا الجنُّ ما نهضَ البناء
فبنينا تدمرَ الصَّكبرى بأيديهم فهل تَدرونَ ما كانَ الجزاءُ ؟

« جى »

وما كانَ الجزاءُ ؟

« آخرون »

أين !

« عصفوت »

عذابٌ

وسيجن ما لدته انقضاه !

وتحتَ الماء

« جى »

تحتَ الماء ؟

« عصفوت »

عانٍ

عليه طلاسُم وعليه ماء !

وفى جوف القمام لو علمتم

« آخرون »

وما ذا فى القمام ؟

« عصفوت »

أبرياء !

« جنى »

ومن ذا زجهم فيها ؟

« عضر فوث »

أمير

علينا لا يُردُّ له قضاء،

نبيُّ فهو عدلٌ حيثُ يَقْضَى

وملَّكُ فهو يفعلُ ما يشاء !

« عاصف »

قيس يا قومُ منكمو ليس قيسٌ من الشر

« جنى »

قيس منا وإنما في بني عامرٍ ظهر

« آخر »

إننى قد رأيتُه يتفلى على الشجر

« ثالث »

وسمِعناه قد عوى عوَّةَ الجنِّ واستتر

« رابع »

أنا أيضًا رأيتُه ركبَ الظبيِّ في السفر

« عاصف - متطلما »

تعالوا فانظروا

« يتطلع الجميع الى حيث ينظر »

« جنى »

ماذا ؟

« آخر »

عجيب

« عصفوف »

نرى شبتاً يدحرجه الفضاء

أقيسوا ذا ؟

« عاصف »

نعم هو فاستعدوا فقد وجب التحفز واللقاء

« هيد بلبي آخر »

تأمل قيساً المُنْصَنِيَّ تجده من الذَّوْبَانِ أصبح كالحَيَالِ

« الآخر »

لقد ضلَّ الطريقَ أما تراه يُصَفِّقُ باليمينِ وبالشَّمالِ ؟

وقد قلبَ الثَّيَابَ عليه نَهْجاً على عاداتهم عند الضلال

« يظهر قيس فيلتفون حوله وينشدون »

سلامٌ مَلِكِ الحُبِّ وسلطانَ المُحِبِّينَا

وأهلاً وعلى الرَّحْبِ لقد شُرِّفَ وادينا

أتى الجن من الوادى يُحيي — ونك بالورد
حدا ركبهم الحسادى الى ناديك من بُعد

« ظلت فيس ذات اليمين وذات الشمال »

رب الى أين اتهمت بي السرى وأى واد أنزلتني ياترى
عساي في الشام، لعلّ جزته أو أنا بالطائف أو أين أنا؟
وهذه المسوخ حولي جنة أم عمل الوهم وتهويل الكرى
لا، أنا صاحبه

« يتحسس جسمه »

هذه رجل وذي يدى وتلك مقلتي يقطي ترى
ولم لا أو من بالجن وأن تكون للجنة كالناس قري؟
لا أدعى معرفة بعالمهم ظاهره أكثر منه ما اختفى
« يمسح جبينه ويميد النظر والتطلع »

تلك من الجن لعمرى شيرذمة وهذه خيلهمو السومة
نعامة كالفرس المطهمة وأرنب مسرجة وملجمة
وقنقد وطبية وشيهمه

يا عجباً كل العجب ! الجن منى عن كتب
سود دقاؤ في العيون كالذخا في الخطب
يخرج من أفواهها ومن عيورها الذهب
من كل من جال بقرة فيه وصال بالذنب

« الجان »
 نَبِيَّ الْحَبِّ لَا تَخْشَ أَذْيَ أَوْ شِرَّةَ مَنْ
 عَطَفْتُ الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ فَلَيْمَ لَا تَعْطِفُ الْجِنَّ ؟
 وَسَلْ حَسَّانَ وَالْأَعْشَى وَشَيْطَانِيهِمَا عَنَا
 « الأُمَوِي »

تَرَكْتُ وَرَأَى الشَّامَ لَمْ أَتَفَعُّ بِهِ وَلَا هُوَ مِنْ شَوْقِي الْقَدِيمِ شِفَانِي
 وَعَدْتُ إِلَى نَجْدٍ أَقْاسَى صَبَابِي وَوَجَدِي كَأَنِّي مَا بَرَحْتُ مَكَانِي
 تَرَكْتُكَ لَيْلِي فَانْفَجَرَتْ لِيَالِيَا مُؤَلَّفَةَ الْأَشْكَالِ جِدَّ حِسَانِ

فَلَمْ يَخْلُ سَيْرِي مِنْكَ يَوْمًا وَلَا السُّرَى
 وَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَمَالِكِ الْقَمَرَاتِ
 عَلَى كُلِّ أَرْضٍ مِنْ هَوَاكِ سَوَارِحُ
 مَلَانُ سَبِيلِي أَوْ مَلَكْنِ عَنَانِي

(وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَى)
 (وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لِمَا عَرَفْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي)
 « يَدْنُو مِنْهُ قَيْسٌ وَيَأْمُلُهُ »

« قَيْسٌ : لِنَفْسِهِ »

يَا وَيْحَ عَيْنِي مَا تَرَى ؟ وَيِيحَ أُذُنِي مَا تَسْمَعُ !
 وَأَيْنَ عَقْلِي ؟ غَابَ عَنِّي الْيَوْمَ أَوْ عَقْلِي مَعِيَ ؟
 الشَّعْرَ لِي مُدَّ قَلْبُهُ مِنْ شَفَقَتِي لَمْ يُسْمَعْ

من ذا الذي أوحى به لذا الغلام المدعى ؟

« يقترب من الشاب ويأخذ في انتقاده »

عقالان يمانيتان من وشي وعقيان
يضيئان كلح الشمس في جلدة ثعبان
وأين الشفق الأحمر من مطركك القاني ؟
وقد تقرب في الرو عتر من أملاك غسان
وقد تبلع في الشعر الى رقعة حسان
فا شأنك يا هذا ؟

« الأموي »

وما يعنيك من شاني ؟

« قيس »

أرى سارق أشعار جريئاً ما له ثان
فقد سطى على بيت وقد يسرق بيتان
ولا ينتحل الإنسان ألياتاً للإنسان
وما أنشدت من شعر فن صنعى وإحسانى
ولم أهتف به بعد ولم تسمعه أذنان
فمن أنت ومن أين أتت أذنبك الحانى ؟

« الأموى »

أنا الملقى عليك الشعرَ من آنٍ الى آن .
أنا الهاجس والشيطان

« فيس »

لا ، لا ، لستَ شيطانى

« ثم يناجى نفسه »

أجلُ سمِعتُ باسمِ شيطانى ولكن لم أره
أبى وأمى حدثنا فى الليالى خبره

« يعود الى خطاب الأموى مترددا »

ألستَ أنتَ الأموى ؟

« الأموى »

لا تخفُ أن تذكره

« قيس »

ما أنتَ إلا صورةٌ فى عصبى مُصوّره
وعبثٌ لو كان عقلى حاضرا لأنكره

« قيس - وهو ينكت الأرض بمود »

ويحى أقيسُ واحد أم نحن قيسان هنا ؟
وأيننا الشاعر هذا الأموى أم أنا ؟
أم الذى بى وبه من عبثِ السحر بنا ؟
أم أنا مجنون على حبِّ ليلى قد جنى

« الأموى »

قيس

« قيس »

لبيك قيس

« الأموى »

ما أنا قيس

« قيس »

من إذن ؟

« الأموى »

قلتُ إِنِّي شيطانُهُ

« قيس »

قيس من آدم فما أنت منه

« الأموى »

أنا من قيس عامر وجدانه

« قيس »

أنت وجداني ؟ استعذتُ بربي منك

« الأموى »

لا تستعذ به جلّ شأنه !

هكذا شاء : كلُّ شاعرٍ قورم عبقرى اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحاً بوجهه ومطرفاً »

يا عجباً أصبحَ بالجنِّ لسانى يعمر !

وصرتُ ينهى ماردٌ على في ويأمرُ
 ما للسانى لا يطولُ؟ ما له لا يقصرُ؟
 يا ليت شعري كيف لا يخرجُ منه السرُّ؟
 «الأموى - واضعاً يده على كتف قيس»

علامَ قيس فيم أنت مُطرقٌ مفكرٌ؟
 فى خبرى؟

«قيس»

أجل وما صدقتَ فيما تُخبرُ
 ليس لسانى مardاً إن لسانى بشرُ
 «الأموى»

قل وحدك الشعرَ إذن!

«قيس»

تظننى لا أقدرُ؟

«الأموى»

جربِ إذن قلَّ أرنا يا قيسُ كيف تشعُرُ!
 «قيس»

وما تُحبُّ؟

«الأموى»

قربةُ الجنِّ وهذا المنظرُ
 أليس فيما أنت راء قيسُ ما يؤثّرُ؟

« قيس »

إسمع إذن يا أموى !

« الأموى »

إننى أنتظر

« قيس »

وجوهه تصوّر ، وفضاء يزهر ، ورمال فى مطارح البصر تزخر ،
وقرية تموج بالجن كأنها عبقر !

« الأموى ضاحكا »

قه قه ! تعالوا واضحكوا !

« تضعك جماعة من الجن »

« قيس فى غضب »

قه قه . . أمى تسخر ؟

« الأموى »

ما هكذا ياشاعر البيوت تُكسر

« جنى آخر »

إنك لا تنظم يا قيس ولكن تنثر !

« الأموى »

مالك قيس مفعما هذا لعمرى الحصر !

لا يفهم الشاعر لكن يفهم الشؤير !

مالك كالعودِ الذي أدبرَ عنه الوترُ ؟
ما للقوافي الآنساتِ منك قيسُ تنفرُ ؟
كيف ترى لسانك الـ آن

« قيس »

عليه حجرُ !
أنتَ على مشاعري وشعرى المِيطِرُ !
إن غبت غاب خاطري وإن حضرت يحضرُ

« الأموى »

الآن لا تُنكرُني قيسُ وكنت تُنكرُ !
عجبت كيف تخفى الجنُّ وكيف تظهرُ
يا قيسُ هذا عالمُ طينته التجبرُ
تطفئ على رائدها صخراؤه وتغمرُ
وغاية المعين في نظامه التحيرُ
مهما علمت عنه فالذى جهلت أكره !

« قيس »

يا أخا الجنِّ لئن كنت أنا لى وخليلا
أنا فى أعماء أرض لا أرى فيها السبيل

« الأموى »

أين تبغى قيس ؟

« قيس »

ليلى كن الى ليلى الليل

« الأموى »

ملّ يميناً يا أبا المهدى ثم امش قليلا
تجد المنزل والماء الذى يشفى العليل

« ينطلق قيس آخذاً يمينه مهرولاً »

المنظر الثانى

« فى حى بنى ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل - ورد مضطجع
على الرمل وبجانبه يجلس رفيق من رفاقه - يقترب قيس من الخباء مناجياً نفسه »

« قيس »

إن قلبى لخبرى أن هاتيك دارها
أنا بالطائف الذى قرّ فيه قرارها
فى ثقيف تنقلى وثقيف ديارها
مالساقى جَرَرْتُها فتعابى انجرارها
ولقلبي يقول لى قد تدانى مزارها
كيف لا أهتدى ليللى وفى القلب نارها

ليت ليلاي نُبِّتْ أنى اليوم جارها

« يتين وردا وصاحبه »

عجب! هُدِيت الدارَ بعد ضلالة ما كان شيطاني على كذوبا
هذى منازلها وذلك بعلها بعثت إلى ديار ليلي الطيبا
هذا غريبى ورد أشقر كاسمه أترأه ألبس جلدَه مقلوبا !
ما باله افترش الأديم كأنه بغل يُعَفَّر فى التراب جنوبا !

« رفيق ورد »

ورد أرى من المدى القريب شخصا يدب نحونا كالذئب
على خطاه خشيته المريب

« ورد »

لم لا تقولُ نحيرةً الغريب
لعله ابن سبيل يمر بالحي مرًا
إنى أراه سقيما يجر ساقيه جـ... را
« ينهض من رقدته قلقاً »

« الرفيق »

عرفت من هو ؟

« ورد »

قيس به الغرام أضرا

« الرقيق »

قيس ؟

« ورد »

أجل

« الرقيق »

كيف أنفنى إليك ؟ كيف تَجْزأ

« ورد »

دعنى وقيساً وشأنى لعل فى الأمر سرّاً

« ينصرف الرجل ويتلاقى ورد وقيس »

« قيس »

أهذا أنت ورد بنى ثقيف ؟

« ورد »

نعم والوردُ يَنْبْتُ فى ربابها

« قيس »

ولم تُسميتَ ورداً لم تُلقَّبْ بقَلَمِ العسيرة أو غضاها!

« ورد - فى سكون وحلم »

وما ضرتَ الوردَ وما عليها ؟

إذا المزمكومُ لم يَطْعَمَ شذاها

« قيس »

(بربك هل ضمت إليك ليلى
قُبَيْلَ الصبح أو قَبَّلْتَ فاها ؟)
(وهل رَفَّتْ عليك قرونُ ليلى ..
رَيفَ الأُفْحُوَانَةِ في نداها ؟)

« ورد — بعد فترة سكون »

نعم ولا يا قيس

« قيس »

بل لا بدَّ من لا أو نعم

« ورد »

هَبْهَا نعم يا قيسُ هل مع الحلال من تُهَمُّ ؟
المرء لا يُسأل : هل قَبَّلَ أهله ؟ وكم ؟
أجل لقد قَبَّلْتُهَا من رأسها الى القدم

« قيس فاضيا »

تلك لعمرى قُبْلَةُ الحُمَى ——— وسقم !
أو قُبْلَةُ الذئبِ إذا الذئبُ على الشاة جثم
« يتراجع قليلا وكأنما يحدث نفسه »

قلبي يقول لى : لا ! يا صِدْقَهُ فيا زعم !

« ورد »

إذْنا تعالَ قيسُ واسمعْ في أناةٍ وكرم

لا تجعلنَّ الغضبَ الجائرَ بيننا الحكم
إسمع حديثي إنه ما خطَّ مثله القلم
وسره لا الأهل يدرون به ولا الخدم
أنا الذي ظلمتُ قيس ما أنا الذي ظلم
أليّة وما على لك يا قيس قسم
كم مرّت الليلة بي والليلتان لم أنم
منذ حوت دارى ليلى ما خلوت من ندم
كانت إطاقتى بها كالوثى بالصم
وربما جئتُ فرا شها فخاننى القلم
كانها لى مخرمٌ وليس بيننا رجم
شعرك يا قيس جنى على هذا واجترم
هيبها فامتنعت كأنها صيد الحرم
وهبتُها للحب والشعر وقيس والألم

« قيس »

ولكن تعال سريّ ثعيف
تقول لقيت بشعري الشقاء
أبني لى ما لم تُبين تعال
وجرّ عليك يابنى الوبالا
لقد قلت قولاً فأوجزته
فبالله إلا شرحت المقالا

« ورد »

إذن . أصغ قيس

« قيس »

قل الصدق ورد

« ورد »

وهل كان لي الصدقُ إلا خلا
ولم ألقُ للعالمياتُ بالاً
أغنى القصار وأروى الطوالاً
والمحُ بين القوافي الخيلاً
والعشقُ بين المحبين حلالاً
ولم أدخِرْ دون مساعي مالا
وأى أمرى هاب قبلى الحلالاً
لقيتُ به وبليلى الضلالاً
فلما التقينا كساها جلالاً
نهتني قداستها أن أنالا
إذا جثتها لأنالَ الحقوق
أمسكُ أبا المهدى !

« يستحيل كلامه الى همس ، إذ تبا و ليلي على باب الخباء »

أنظرُ هذه ليلي علينا ملعت من الخبا

« ثم ينادى بصوت متهدج »

ليلي تعالى أسرعى ، قيسُ أتى ليلي هناك ، من تحبين هنا

« قيس »

أما زح يا ورد قل لي أنت أم تسخر مني أم تُرى تهزأ بنا ؟
« ورد »

بل قلتُ جدًّا لم أقلُّ مهزلاً

« قيس - هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعها لا تُجسّمها الخطأ

« ورد - ولي تقرب »

إسمعُ أبا المهدى همسَ خطوها كأنه وطءُ الغزال في الحصى
دعوتُ فاهتمتُ ولو لم أدعها لوجدتُ ريحك من أقصى مدى
قيسُ تثبتُ واستعدَّ ، هي ذى أتتْ ، فلا يذهبُ بلبكّ القفا
الآن أمضى لسبيلي

« قيس »

بل أقمْ إلبثْ أعني ، إنني خرتُ قوًى

« ورد »

قيسُ أرى الموقفَ لا يجمعنا أنت حبيبُ القلب ، والزوجُ أنا
يا لكما مني ويالى منكما ! نحن الثلاثة ارتطمنا بالقضا
« ينصرف وتقبل ليلي على قيس »

« قيس »

ليلاى ، ليلي القلب

« ليلي »

قيس مالى دارتْ بي الأرضُ وساء حالى ؟

« قيس »

فداك ليلي مهجتي ومالي من السقام ومن الهزال
تعالى اشكى لى النوى تعالى ألقى ذراعيك على خيال

« تصافه بشوق »

« ليلي »

أحق حبيب القلب أنت بجاني أحلم سرى أم نحن منتبهان ؟
أبعد تراب المهد من أرض عاير بأرض ثقيف نحن مغتربان ؟

« قيس »

حنانك ليلي ، ما نخل وخلة من الأرض إلا حيث يجتمعان
فكل بلاد قربت منك منزلى وكل مكان أنت فيه مكاني

« ليلي »

فألى أرى خديك بالدمع بللا أمين فرح عيناك تبدران

« قيس »

فداؤلك ليلي الروح من شر حادث رماك بهذا السقم والذوبان

« ليلي »

تراني إذن مهزولة قيس ؟ جبدا هزالي ومن كان الهزال كساني

« قيس »

هو الفكرُ ليلي، فيمن الفكر؟

« ليلي »

في الذي تجنى

« قيس »

كفاني ما لقيتُ كفاني

« ليلي »

أدركت أن السهم ياقيسُ واحدٌ وأنا كلينا الهوى هدفان؟

كلانا قيسٌ مذبوحٌ قنيلُ الأبِ والأمِّ

طعنانٌ بسكينٍ من العادة والوهم

لقد زوّجتُ بمن لم يكن ذوقى ولا طعمى

ومن يكبرُ عن سنى ومن يصغرُ عن علمى

غريبٌ لا من الحى ولا من ولد العمِّ

ولا ثروتهُ تربي على مال أبي الجمِّ

فنحن اليوم فى بيت على ضدّين منضمِّ

هو السجنُ وقد لا ينطوى السجنُ على ظم

هو القبرُ حوى ميتين جارين على الرغم

شيتين وإن لم يبدُ العظم من العظم

فان القرب بالروح وليس القربُ بالجسم

« قيس »

تعالني نعيش يا ليل في ظل قفزة
تعالني الى وادي خلبي وجدولي
تعالني الى ذكرى الصبا وجنونه
فكم قبلة يا ليل في ميعه الصبا
أخذنا وأعطينا إذ البهم ترتعي
ولم نك ندرى يوم ذلك ما الهوى
مضى النفس ليلي قربي فالك من في
ندق قبلة لا يعرف البؤس بعدها
فكل نعيم في الحياة وغبطة
ويخفق صدرانا خفوقا كأنما
من البید لم تُنقل بها قدمان
ورقة عصفور وأیکه بان
وأحلام عیش من ذکر وأمان
وقبل الهوى ليست بذات معان
وإذ نحن خلف البهم مستتران
ولا ما يعود القلب من خفقان
كما لف متقاربهما غردان
ولا السقم روحانا ولا الجسدان
على شفتينا حين تلتقيان
مع القلب قلب في الجوانح ثان
« تنفر ليلي »

« ليلي »

وكيف ؟

« قيس »

ولم لا ؟

« ليلي »

لست يا قيس فاعلاً ولا لي بما تدعو إليه يدان
« قيس »

أتعصيني يا ليل ؟

« ليلي »

لم أعص أمري ولكن صوتاً في الضمير نهاني

ووردُ يا قيس؟ وردُّ ما حَفَلَتْ به

لقد ذَهَلَتْ فلم تَجْعَلْ له شأنا

« قيس : غاضبا »

تعنين زوجك ياليلي

« ليلي : منكسة رأسها »

نعم

« قيس »

ومتى أحببت وردا؟ ترى أحبته الآنا !

« ليلي »

فيم انفجارك؟

« قيس »

من كيدٍ فُجئتُ به

« ليلي »

إني أراك أبا المهدى غيرانا

وردُّ هو الزوجُ ، فاعلم قيسُ أن له

حقاً على أوديه وسُلطانا

« قيس »

إذن محاييتما ؟

« ليلي »

بل أنت تظلمني فما أحبَّ سواك القلبُ إنسانا

ولستُ بَارِحَةً مِنْ دَارِهِ أَبَدًا
حَتَّى يُسَرِّحَنِي فَضْلًا وَإِحْسَانًا
نَحْنُ الْحَرَاثِرُ إِنْ مَالِ الزَّمَانِ بِنَا
لَمْ نَشْكُ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ بِلَوَانَا
« قيس »

بل تذهيبين معي !
« ليلي »
لا ، لا أخونُ له عهدًا ، فاحاذِ عهدي ولا خانَا
فَتَيَّ كَنَبْعِ الصَّفَا لَمْ يَخْتَلَفْ خُلُقًا
ولا تَلَوَّنْ كَالْفَتِيَانِ أَلْوَانَا

« قيس : متهمًا »
أراكِ في حُبٍّ وَرَدٍّ جِدٍّ صَادِقَةٍ
وكان حُبُّكِ لِي زورًا وَبُهتانًا
« ليلي »

فبِس !
« قيس : صارخًا »
أتركيني بلادُ اللَّهِ واسعةً ! غَدًا أَبْدَلُ أَحِبَّاءِي وَأَوْطَانِي
« يحاول أن يتركها فتسك به ليلي »

« ليلى »

العقلَ يا قيس !

« قيس »

لا خَلَّى الرداءِ دعى

« ثم يفلت منها ويندفع الى سبيله »
« ناركا اياها باكية في هيئة استعطاف »
« ليلى »

وارحمته لقيس عاد ما كانا!

واها لقيس وآو ما صنعا؟ أ كثرَ قيسُ بلواى والوجعا.

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

« عفراء »

لبئس سيدتى الصبرَ واستدفعى به الجزعا .

« ليلى »

لقد سمعتَ الحديثَ كيفِ إذن

صبرى على ما جرى وما وقعا؟

قلتُ لقيسَ مقالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بالألّه ولا سمعا

وقيسُ ذو جنةٍ وإن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا

تحير الناسُ فى جنون فتى لا عقلَ الا بشعره ولعا

والله لو جاء فى محاسنةٍ يسألُ وردَ الطلاقَ مانعا

فوردُ يا عفرَ لا كِفَاءَ لَهُ مروءةً في الرجال أو ورعا
آه من من السقم

« عفرء »

ألف عافية

« ليلي »

آه من الحادثات

« عفرء »

ألف لعا

« ليلي »

أنا عذرية الهوى أحملُ العبء وإن ناء بالصباية جهدى
المحبات ما بكين كدمعى فى الليالى ولا أرقن كسهدى
ويح قيس ويح لى أى نار للمقادير عند قيس وهندى
أتعب الحى داه قيس ودائى وتساوى الدواء كُهان نجد
لا الحواميم تصرف الجن عنا حين تلتى ولارقى السحر تجدى
أقيس وبى هوى عبقرى يسلب العقل من ذويه ويردى
علة البيد من قديم وداء ضاع فيه الرقى وطار القدى
ما سلاحاه حين يقتل إلا من عفاى ومن وفاء بعدى
لم تعذب بالحب عذراء قبل كعذابى ولن تعذب بعدى

« عفراء »

هي عفراء؟ ربي اشهد!

« ليلي »

أجل عفراء حتى يضمني ركني لحدتي

« عفراء »

والذي أنت تحته؟

« ليلي »

تحت بعلٍ غير ذي جفوة ولا مستبدٍّ
راعني اللوم من جميع النواحي فتواريت في مروة «ورد»
« يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »

رب ماذا سمعت؟ ليلي شكور لك نفسي الفداء يا بنت «مهدي»

« ليلي »

ورد

« ورد »

ليلى

« ليلي »

رُحماك ورد وعفوا

كنت أخفي الجوى فأصبحت أبدو

« ورد »

ما بيلي؟ ماذا أثارك ليلي؟ هدي روعك المفزع هدي

« لیلی »

الداء يا وردُ فيَّ مجتهد ملتئمٌ هيكلي وما شيعا
أصبحتُ لا أشتهي الطعامَ ولا

يَحْمَدُ جَنِّي إِلَىٰ مُصْطَبَعِهِ

قلبي من اليأس حين حلَّ به أحسنُ يا وردُ أنه انصدعا

لم يحمل اليأس ساعة ولقد كان بما حملوه مضطربا

المتننى بالعيش متنفع^١ ولن ترى يائسا به انتفعا

القدرُ اليومَ والقضاءُ على

حربك قيس وحرابی اجتماعا

استار

الفصل الخامس

«مقابر على سفح جبل التوباد في طريق عام على مقربة من حى بنى عامر يبدو»
« من بينها قبر جديد مازال أشخاص من الحى يهيلون عليه التراب ويضعون »
« الأُحجار، ومن حوله كثير من رجال الحى وفتياته وصغارهم يرى بينهم المهدى »
« وورد وكلهم باك أو حزين - يبدأ المشيرون فى الانصراف وهم يعززون المهدى »
« ويمسحونه واحداً بعد واحد ويمرون على ورد مرورا »

« معز »

إنا لله أبا ليلي

« آخر »

صبرته أبا ليلي جميل

« فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق »

« فيسأل صبياً من صبيان الحى فى ناحية »

« المار »

قبر من يا صبي ؟

« الصبي »

قبرها يا أبى

« المار »

إمرأة؟

« الصبي »

نعم

« المار »

ومن تكون؟

« الصبي مشيراً الى المهدى »

بنتُ ذا الرجل

لَيْلى ابنة المهدى أَلستَ من نجد؟

« صبي آخر »

أَجَلٌ قَدْ دُفِنَتْ لَيْلى وما جَفَّتْ لها خَلْدُ

وذا الشيخ أبو لَيْلى وذا صاحبُها وردُ

هنا الوالدُ والزوجُ

« المار »

وقيس!

« الصبي »

لم يَجِبْهُ بعدُ

« يقترب الرجل من المهدى فيعزيه »

«البار»

مَهْدَى أَجَلْ جَزَعَا

«معز»

يَا أَبَا لَيْلَى جَمَالَكَ

«آخر»

عَزَاءُ أَبَا لَيْلَى

«آخر»

عَزَاءُ أَبَا لَيْلَى

«آخر»

صَبْرُهُ أَبَا لَيْلَى جَمِيلٌ

«صديق من أصدقاء ورد هاسا إليه»

لَقَدْ أَحْسَنْتَ يَا وَرْدُ وَمَا لِلنَّاسِ إِحْسَانُ

يُعْرِضُونَ أَبَا لَيْلَى وَمَا عَزَاكَ إِنْسَانُ

بَلْ انظُرْ تَرَاهُمْ أَقْسَى عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَا كَانُوا

عَلَى الْأَوْجُهَةِ بِنِضَاهِ وَفِي الْأَعْيُنِ عُدْوَانُ

«ورد»

مَهْلًا أَخِي وَانظُرْ إِلَى النَّاسِ بَعِينَ مُنْصَفٍ

هَمْ يَأْخُذُونَ مَا بَدَا وَيَتْرَكُونَ مَا خَفِيَ

ظنُّ الجماعات فيَّ سوءه ورأيهم فيَّ ما أصابا
يَرَوْنَ أني عدُوُّ قيس أخذتُ ليلي منه اغتصابا
وزدتُ نفسيهما شقاء وزدتُ قلبيهما عذابا
ليسأل الناس قبر ليلي فإن في قبرها الجوابا

« يلتفت الى المهدى بعد أن يمزيه آخر معز »

تجسَّلُ أبا ليلي

« المهدى - مصالحا إياه »

تجسَّلت طاقتي ولستُ بخوارٍ قليل التجلُّدِ
تجلَّتْ فُضُولُ الناس ياوردُ حِقْبَةً إذا قتُ من باغٍ عثرتُ بعتيدِ
يَعِيثُونَ في عرضي فن كل معولٍ ومن كل مقراضٍ ومن كل مبردِ
وهذا يحيتني ويقطعُ فرّوتي وهذا يُفدني ويهدمُ سوددي
وياوردُ لو لم تُرخ سترًا على ابنتي لظلتُ بعريض في البوادي مُبددِ

حَفِظَت ابنتي حفظ الشقيق ومُرَّضَت

بيتك تمرّض الصغير الممهد
وصيرت ليلي في حماك وخدرها كعدراءٍ دبرٍ أو كدُمية معبدِ
لقد صنتها ياوردُ فاذهب فما أنا بنابر لك المعروف أو جاحد اليدِ
وليلي فتاة حرة بنت حرة أحببت غلامًا سيّدًا وابن سيّد

وأعلمُ أني كنتُ حربَ هواها وكنتُ مع الواشي وعَوْنُ المَفند
« يلتفت الى القبر باكيا »

بطل الله ياليلي

« ورد »

وفي محبوبحة الخلد
وهذا نجدُ ياليلي فنامي في ثرى نجد
« يدخل دائرة المرح من جانب الطريق الآخر »
« الفريض المغي والشاعر ابن سعيد وأمية وسعد »

« الفريض »

دنا الحى يا ابن سعيدٍ وثمَّ

« ابن سعيد »

وما ثمَّ ؟

« الفريض »

أنظر يُجِبُّكَ النظرُ

« ابن سعيد »

قبورٌ ؟

« الفريض »

أجل عارضتنا القبور وعمّا قليل يُجِزُّ الحفرُ

« ابن سعيد »

وهل نحن إلا على حفرةٍ هي الأرضُ أو هي قبر البشر

محجبةً بفرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضر
غريضُ : بصرت بقبر جديد
« الغريض »

وماذا سوى الموت في ذا القفوة ؟
« ابن سعيد »

أنح كان يملأ أمس الهواء ويحيا الحياة ويحمرى العمر
نزىل لعمري غريب العطشاء
غويب الوطاء بغريب الحجر

لدى منزل كيبوت الكراء مرارا خلا ومرارا عمر
يزار كثيرا فدون الكثير فبقيا فينسى كأن لم يز
وليس بنافعه الواصلون وليس بضائره من هجر
فياميت أمس عدتلك الرياح
وحياك في الفترات المطر
وأمر كعاد وإن كان منك

مطيف الخيال قريب الصور
لقد نفى الليل منك اليدين
وأدرك فيسك النهار الوطر
وأسميت تحت لواء التراب
قهرة القضاء ودنت القدر

تلفت وراءك أين الغرورُ وأين السرورُ وأين الأشر
وأين معالمُ عرس الحياة وأين سنا ليله المزدهر
وأين شبابٌ كحلهم العروس

ضحكك العشيات طلق البكر
وأين العداوات من سافرٍ مبين ومن كاشحٍ مستتر
وأين المودات من ضحية كنعلٍ يحمن وأنت الزهر
قليلون عند امتناع القطاف كثيرون عند رجاء الثمر
وكم من سقيت بشهد الوداد فلم يجز الا بصاب الا بر
فذق سنة لا ككل السنين

وتم ليلة ما لها من سحر
وقل للصديق طويلاً الحديث

وقل للعدو دفتاً الخبير
وهي مكانيهما في التراب فإن ركبهما منتظر

« سعد »

أمية ماذا ترى في الغريص؟

« أمية »

وماذا أرى في أمير الطرب؟

« سعد »

لقد علم الناس أن الغريص

مُعنى الحجاز وشادى العرب

ولكن...

« أمية »

وماذا وراء « ولكن ؟ » فن شأنها أن تُثيرَ الرِّيبَ

« سعد »

أُمىَّ اخْفِضِ الصَّوْتَ لَا يَسْمَعَنَّ

فِيغْضَبَ فَهُوَ قَرِيبُ الْغَضَبِ

وَأُذُنُ الْمَغْنَى تُحَسُّ النِّسِيمَ

وَتَسْمَعُ فِي الْكَأْسِ رَقْصَ الْحَبِّبِ

أُمِيَّةُ إِنِّي أَخَافُ الْغَرِيضَ وَإِنِ التَّطْيِيرَ بِي قَدْ ذَهَبَ

« أمية »

وَأَيْنَ تَرَى الشُّؤْمَ حَوْلَ الْغَرِيضِ

وَكَيْفَ ؟

« سعد »

رُؤْيُكَ تَدْرِي السَّبَبَ

أَلَيْسَ الْغَرِيضُ يَهْبِجُ الْبَكَاءَ

فَلَوْ رَامَ دَمْعَ الْعُرُوسِ انْسَكَبَ

تَرَعَرَعَ فِي بَيْتَةِ النَّائِحَاتِ وَعَلَّمَنَهُ النَّدْبَ حَتَّى نَدَبَ

يَنُوحُ يَثْرَبُ آلَ الرِّسُولِ

وَيُذَكِّرِي مَا تَمَّ أَهْلُ الْحَسَبِ

« أمة »

وأين يدُ الشؤم مما ذكرت
وأىَّ بلاءٍ علينا جَلَبَ
وما هو الا مُغنى الحياةِ بناحيثها الأسى والطرب

« سعد »

ولكننا قاصدو عامرٍ لنقضى حقاً لقيسٍ وجب
ونسألَ عن عاشقٍ في الديارِ
طويلِ البلاءِ ثَقِيلِ الوَصَبِ
ومن زار بالنائمات المريضَ
وأهلَ المريضِ أضاع الأذب

« ينهياً الفريض للفناء »

هو ذا هاج شجوه هو ذا يُرسلُ النغمَ
هاتفٌ من نواحيه رنَّ في القاعِ والأكرمُ
هو في كلِّ خاطرٍ وفؤادٍ صدى الألم

« أنموذة الفريض »

وادي الموت سلامٌ وسقى القاعِ النعامُ
السماءُ القدسُ محرابك والأرضُ الحرامُ

أَنْتَ فِي الصَّمْتِ مُبِينٌ وَمَنْ الصَّمْتِ كَلَامُ
لَمْ يَمِتْ أَهْلُكَ لَكِنْ غَشِيَ اللَّيْلُ فَنَامُوا
غُيِّبٌ لَمْ نَدْرِ مَا صَارُوا وَلَا أَيْنَ أَقَامُوا

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آخر »
« الأنشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على »
« أثر اختفائهم ، قيس وزباد »

« قيس »

وسقى الله صبانا ورعى	جبل التَّوْبَادِ حَيَّاكَ الْحَيَا
ورضعناه فكنت المُرْضِعَا	فِيكَ نَاغِيْنَا الْهَوَى فِي مَهْدِهِ
وبكّرنا فسبقنا المَطْلَعَا	وَحَدَوْنَا الشَّمْسَ فِي مَغْرِبِهَا
ورعينا غنمَ الأهلِ معَا	وَعَلَى سَفْحِكَ عَشْنَا زَمْنَا
لشباينا وكانت مرّتعا	هَذِهِ الزَّبَوَةُ كَانَتْ مَلْعَبَا
واثنينا فحونا الأربعا	كَمْ بَيْنَنَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبَعَا
تحفظ الريحُ ولا الرملُ وعى	وَحُطَطْنَا فِي ثِقَا الرَّمْلِ فَلَمْ
لم تزد عن أمس إلا إصبعا	لَمْ تَزَلْ لَيْلِي بَعِيْنِي طِفْلَةً
هاج بي الشوقُ أبت أن تسمعا	مَا لِأَحْجَارِكَ صُمًّا كَلِمَا
فأبت أيامُ أن ترجعا	كَلِمَا جِئْتُكَ رَاجِعْتُ الصَّبَا
وتهون الأرضُ إلا مؤمعا	قَدْ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةً

« يظهر بشر قادمًا الى القبرة من ناحية الحى »

« بشر »

عزراء قيس !

« قيس »

مَنْ ؟ بشر ؟

« بشر »

أجل

« قيس »

فيمَنْ تُعزِّينى ؟

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإنَّ آخرَ تكفينى

« يضطرب بفهم وقد أدرك جهل قيس »

« وخرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

« بشر »

يجهلُ قيسٌ موتَها ولم أخلُ أن يجهلَها
ويجَلُّ له وويجَلُّ لى ! ماذا عسى أقولُ له
إنَّ الحبيبَ نعيمُه الى الحبِّ مُعضلة
إنى أخافُ إنَّ أنا خبرتُه أن أقتله

« قيس »

بشرُ

« بشر »

لَبَّيْكَ قَيْسُ

« قيس »

من أين يا بشرُ ؟

« بشر »

من الحى

« قيس »

ماحوادثُ عامرُ ؟

كيف أمى يا بشر ؟

« بشر »

برَّحها الشوق

« قيس »

وأهل . .

« بشر »

حنينهم متكاثر

« قيس »

ولداتى من فتية وعذارى ؟

« بشر »

كلهم شقيقٌ لعمدك ذا كر

« قیس »

کیف بیتُ لنا بِمَدْرَجَةِ الرِّیحِ
وَنَادِ عَلَی النُّجُومِ وَسَامِرِ ؟

وَالنَّخِيلَاتُ کَیْفَ خَلَقَتْهَا بَشَرُ ؟

« بَشَرِ »

کَمَا هُنَّ بِاسْقَاتٌ نَوَاضِرُ

« قیس »

وَمِهَارِی الَّتِی تَرَكْتُ صِغَارًا ؟

« بَشَرِ »

کَبِیرَتِ قَیْسٍ فَهَیْ جُودٌ ضَوَامِرُ

« قیس »

عَزَّتِ الْبَیْدُ، تُنَبِّئُ السَّابِقُ الْفَدَّ

وَتَأْتِی بَفَارِسٍ وَبشَاعِرِ !

« بِضَرْبِ بَشَرِ »

وَيَحِ بَشَرٍ مَاذَا بِهِ ؟

« بَشَرِ »

قیس !

« قیس »

بَشَرُ !

أنت في نفسك الخفية نائر
تُشبهُ الحزنَ والبكى نبراتٍ
لك كانت كضاحكات المظاهر

« بشر - الى نفسه ثم الى قيس »

ربّ ماذا أجيب ؟ لاشيء يا قيس ..

« قيس »

بل الحزنُ في مُحيّاك ظاهر
ولقد راعني لك اليوم جدّ

من خليع العذار بالأمس سادر

« تفرورق عينا بشر بالدموع »

ما جرى؟ ما الذي أثارك يا بنّ ألم؟

ما هذه الدموعُ البسودر ؟

« بشر »

قيس لاشيء

« قيس »

بل كتمتَ جليلاً
هذه وَجْهَةُ النعْيِ المحاذر !

« بشر »

قيس ..

« قيس »

لا، لا تَحْجِمِ ولا تُخَفِ شَيْئًا
أنا يا بشرُ بالفَجِيعَةِ شاعر
خُلِجْتُ قبلَ نلتقي عينيَ اليسرى
ودريعَ الفؤادِ روعةَ طائر
« بشر »

أعفني! أعفني! بربك ما أنت
على ما أقوله لك قادر!
« قيس »

أماتت؟

« بشر »

أجل قضتْ أمسٍ..

« قيس - وهو يغمى عليه »

واليلاه!

« بشر »

الله - ما أشدَّ المقادر!
« يغمى بشر في سبيله »

« زياد - مقتربا من قيس »

هو مغمى عليه ربّ أيصحو؟ هل لهذا العذاب ياربُّ آخر؟

« يصحو قيس »

« زياد »

تباركت ياربّ قيس أفاق؟ صحت عينه وصحا المسمع !
رجعت لنا قيس

« قيس »

هيات هيات !

من كان في النّزع لا يرجع

لقد بقيت خفقة في السراج زياد غدا يلتقي الموجهون
سيلفظها ثم لا يسطع وموعدنا ذلك البلقع !
« يشير الى المقابر »

عرفت القبور يعرف الرياح ودلّ على نفسه الموضع
كشكلى تلمس قبر ابنها الى القبر من نفسها تذف
هداها خيال ابنها فاهتدت ويلي الخيال الذي اتبع
لنا الله يا قلب ! ليلك لا تجيب ويلي لا تسمع !
فجعنا بيلي ولم نك نحسب يا قلب أنا بها نجمع
« يقترب الى القبر باكيا فيكب بوجهه على حجر من أعماره »

أعني هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا آدمع !
هنا جسم ليلى هنا رسمها هنا رمقى في الثرى المودع

هنا فمُ ليلي الزَّكِيُّ الضَّحْوُ كُ يَكَادُ وراءَ البسلى يَلْمَعُ
هنا سِحْرُ جَفَنٍ عَفَاهُ التُّرَابُ وكان الرُّقَى فيه لا تنفع
هنا من شبَّابٍ كَتَابَ طَوَاهُ وليس بنَاشِرِهِ الْبَلَقُ
هنا الحَادِثَاتُ ، هنا الأملُ الحُلُوُّ اللَّيْلُ ، والألمُ الْمُتَعِ
طَرِيدَ الْمُقَادِيرِ هل مَنْ يُجِيرُ كَ مِنْهَا سَوَى الْمَوْتِ أَوْ يَمْنَعُ ؟
تَذَلُّ الْحَيَاةُ لِسُلْطَانِهَا وَلِلْمَوْتِ سُلْطَانُهَا يَخْضَعُ
طَرِيدَ الْحَيَاةِ أَلَا تَسْتَقِرُّ أَلَا تَسْتَرِيحُ ، أَلَا تَهْجَعُ ؟
بَلَى قَدْ بَلَنْتَ إِلَى مَفْزَعٍ وَهَذَا التُّرَابُ هُوَ الْمَفْزَعُ

« يظهر الأُمُوى شيطانَه من بعيد ويناديه »
« الأُمُوى »

قيسُ

« قيس »

مَنْ الْمَآتِفُ مِنْ نَادَى الشَّرِيدِ الْمُطَّرَحِ

« الأُمُوى »

أَنَا الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ حُبَّ لَيْلَى وَاقْتَرَحَ

« قيس »

إِذْهَبْ وَإِنْ لَمْ أَدْرِ رُوحُ أَنْتِ أَمْ أَنْتِ شَبَّاحُ
إِذْهَبْ فَلَسْتَ صَالِحًا وَأَيُّ شَيْطَانٍ صَالِحُ
كَنتَ قَرِينَ السُّوءِ لِي وَكَنتَ شَرًّا مِنْ نَصَحِ

لولاك ما بُحْتُ بها خدش ليلى وجرح
كانه في عرضها زيت على الثوب سرح

« الأموى »

أفق قيسُ

« قيس »

سِرْ خلّنى ياخيال ومنّ بالخيال لمن لم يئم

« الأموى »

حنانيك قيسُ أقلّ العتاب	ولا تسكن دموع الندم
تقرّدت بالألم العبرى	وأنبغ ما فى الحياة الألم
مريبك يا قيسُ فوق التراب	وأنت مع النجم فوق التهم
أخذت سبيلك نحو الخلود	وليس الخلود سبيل الأمم
قم اهتف بليلى وشبّ بها	وخلّ التقاليد وأنس الحرم
وطرّ فى الهواء طليق الجناح	وسرّ فى الأديم طليق القدم
فلو أنصف الناس خلّو كما	كترك الوفود حمام الحرم
قم أبسط جناحك فوق القفار	وطرّ فى الوهاد ، وقع فى الأكم
وأترع من وتر العبرى	سماء القصور وأرض الحميم
والف على الحب شتى القلوب	وأرسل سرّ الجمال النعم
تغنّ بليلى وبُغ بالفرام	وبثّ العصابة واشك السقم
فلا خير فى الحب حتى يدّيع	ولا خير فى الزهر حتى ينم

« قيس »

أقوم ؟ هات قدما

أقول ؟ أعطني فنا

أما تراني هيكلاً محطماً مهتماً !

« يخنى الشيطان ويستتر قيس »

كأسٌ تدورُ على النفوس مشاعُ	يا ربِّ قيس هل نعتتُ وهل جرتُ
للموت فيه وللحياة صراعُ ؟	أولا فما بالي أنوه بهيكل
مالي ولا لك يا حياة دفاع	اليوم آذننا القضاء بحكمه
في التزع يا ليلي اليك نزاع	راجعت في الموت الحياة وعادني
لى منك يا ليلي الغداة وداع	كيف الوداع من الحياة ولم يتح
حولى ولم يعدرُ سنائك يقاع	هيهات لم تعدرُ شذاك قرارة
وعلى رمال البيد منك شعاع	وعلى سماء البيد منك بشاشة
قسماً وجهك دونهن قناع	وكان كل ضبابية دون الضحى

« يمر به ظي سارح فيتأمله قليلا ويناجيه »

يا ظي بك من افتدالك بما له

إذ أنت عانٍ تُستري وتُباع

وأباح طفلك ماءه وطعامه إذ هنَّ عطشى بالفلاة جياع

يا قاعُ كن نعشى وكن كفى وكن

قبري وقم في مائتي يا قاع

واجمع لتشييعي الأطباء ، ومن رأى
 ميتاً بأسراب الأطباء يُساع
 أترى أموت كما حييت مُشرّداً
 لا الأهل من حولى ولا الأتباع
 وأبيت وحدى لا الوحوش أو أنس
 حولى هناك ولا الأطباء رتاع؟

« تنخاذل سيفان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »
 « ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً »

« زياد »

قيس لا بأس عليك أنا ذا بين يديك

« قيس »

نفس اطمئني الآن لست وحدى
 قد حضر الذى يحيط لحدى
 ويرشيد الحى الى بعدى زياد أنت المشفق المغدى
 لم أقفرد إلا رُئيت عندى
 « يتبين شبح ابن ذريح »

زياد ما ذاك من ذا يسكى وراء الضريح
 إني أغار على القبر من غريب الجروح

« زياد »

لا تخشَ يا قيسُ منه فإنه ابنُ ذريحٍ

« ابن ذريح »

يا ليلَ قبرك ربوة الخلدِ ففاح النعيمُ بها ترى نجدِ
في كل ناحية أرى ملكاً يتنفسون تنفسَ الورد
لبسوا الجمآن الرطبَ أجنحةً

وتناثروا كتناثر العقيد
وتقابلوا فعلى تحيتهم
وكان نجواهم وسبب حثهم
صوب الغمامة أو صدى الرعد

نفحات طيب ههنا وههنا ما للرياض بهن من عهد
يا قيس صبرا ههنا ملك ذبح الصباة مشهد الوجد
أصبح انتبه واطرح بعينك في بهج السماء وحسن ما تبدى

« قيس »

أين السماء وأين مختصره طلعت عليه الأرض بالحد
السهد عذبي وذى سنة أجد الشفاء بها من الشهد
ولقد أقول لمن يبشرني بالخلد ما أنا داخل وحدي
لو أن ليل في النعيم معي أوفي الجحيم تساويا عندي

ليلي النعيمُ وقد ظفرت بها فاليوم نرقُدُ في ثرى نجد
إني أحبُّ وإن شقيتُ به وطني وأوثره على الخلد

« يسمع صوتاً ضئيلاً كأنما هو خارج من القبر »

« الصوت »

قيس

« قيس »

مَنْ الصوتُ ويحيى أبي سحرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

زيادُ اسمعْ وأصغرُ يابشرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

سمعتُ اسمي يلفظه القبرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

تناديني من قبرها باسمي
لبَّيكِ ياليلي بالروح والجسم

« يدخل في دور الاحتضار الأخير »

هل أسأ الموتُ جراحينا وهل قَرَّبَ الدارَ وهل لمَّ الشَّتاتُ ؟
« أصوات »

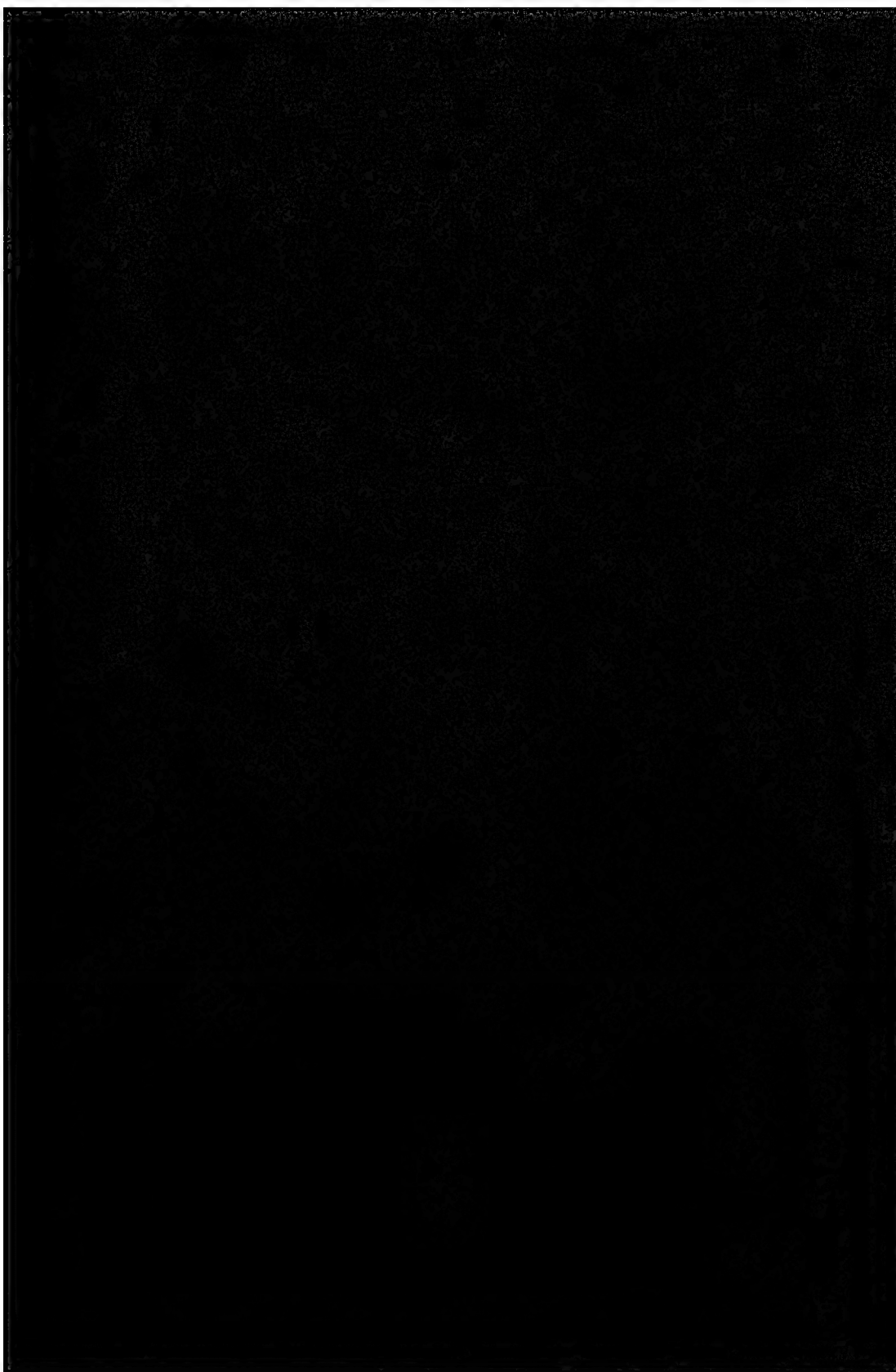
قيس ، ليلي

« قيس »

رَنَّةٌ في أُذُنِي رَدَّدَتْ قَيْسَ وَليلي الفلواتُ
نَحْنُ في الدنيا وإن لم تَرَنَا لم تَمُتْ ليلي ولا المجنونُ ماتُ

ستار الختام

امير المؤمنين



أميرة الأنكلس

تمهيد

- زمن الرواية : عصر ملوك الطوائف .
- مكان الرواية : أشبيلية ، أغمات .
- أشخاص الرواية :
 - المعتمد بن عباد ، ملك أشبيلية .
 - الرميكية ، الملكة .
 - العبادية ، أم المعتمد .
 - بثينة ، بنته .
 - القاضي ابن أدهم ، قاضي القضاة .
 - الأمير حريز ، من أبطال الأندلس .
 - الأمير بولس ، شقيق ملك الأسبان .
 - أبو الحسن ، تاجر بأشبيلية .
 - حسون ، ابنه .

- ابن حيون ، من الأدباء .
أبو القاسم ، من الأدباء .
مقلاص ، مضحك الملك .
لؤلؤ }
جوهر } من حجاب الملك .
ابن شاليب ، رسول ملك الأسبان .
الباز بن الأشهب ، لص شهير .
أمراء
جنود

مقدمة

جرت حوادث هذه القصة في زمن كان قطعة من ليل الملمات . أخذت الأندلس في جنتها الحالك ثم تركته نظماً منحلاً وركناً مضطرباً ، وشمساً من دول الإسلام سقمت فالح عليها السقم فاحتضرت ، فكانت لها في الغرب هدة وكانت عليها في الشرق فجعة . وخلال تلك القطعة من ليل الملمات كان الأندلس تحت ملوك الطوائف ، وكان هؤلاء الملوك على شرف بيوتهم وتميز شخصياتهم ونبوغهم في كل علم وأدب أصحاب بذخ وترف وأخدان صبوة وخلاعة ، لاحظ لهم من همة الملك ولا نصيب من مرشد السلطان . وإنك لتعجب من أنفاسهم في اللذات ونسيانهم لذكر العواقب ، وهم أتعب خلق الله وأكثر الملوك ركوباً للغرر ، واستهدافاً للخطر ، ومشياً على الحبال والحفر ، فأما في داخل دويلاتهم فكيد وأثمار ، وقتنة نومها غرار ، وسيفها في النعمد قليل القرار ، حتى لا تكاد الشمس تطلع إلا على ملك

مخلوع ولا تغرب إلا على ملكٍ مقتول ؛ وأما في الخارج فكنتَ ترى هؤلاء الملوك بين نارين لتواعدان ، وبين سيلين يتهدران : فملك الأسبان الفونس يتجنى ويعتدى ، ويضرب الجزية ويفرض الإتاوات ، ويعت لأخذ الأموال جباةً أهل غلظة وقحة ، وصاحبُ مُراكش يوسف بن تاشفين هو وقواده ووزراؤه مشغوفون بالأندلس يمتطرونه الرسل والرسائل إلى قضائه وفقهائه ، مهينين بذلك لفتح بنوا عليه الرجاء وعلقوا به الآمال . وكان ملوك الطوائف يخافون جارهم هذا المسلح المتوثب سلطان المغرب ويرجونهُ فكان تملقهم له لا ينقطع ، وكانت الأموال تحمل إليه في صورة المعونة ، وكانت الرشى تقدم لوزرائه ورؤساء دولته في صورة الهدايا والألطاف ؛ وكل هذا المال إنما كان يجمع من المكوس والمغارم ! فتخيّل كيف كان بؤس الرعية ، وتأمل كيف تذهب معالم البلاد بين عبث الفرد وغفلة الجماعة ... ولقد كان على قرطبة وهي حاضرة الملك أن تحمل شطر هذا البلاء فلم تلبث أن انحطت عن ذلك المكان العالى الذى كانت فيه دار الخلافة ومطلع القصرين ^(١) الدمشق والرصافة فصارت كرسى إقليم وقاعدة دويلة وعرش ملك صغير يؤدى الجزية ولا يُجس لها ذلة ولا هوانا .

(١) قصور الخلفاء الأول من بني أمية في قرطبة .

الفضل الأول

المنظر الأول

« مقصورة من مقاصير البديع ”قصر المعتمد بن عباد“ في اشبيلية »
« وإلى يمينها مصلى وفي مؤخرها ستار كبير يحجب . وقد وقف على »
« بابها جوهر حاجب بن عباد ولؤلؤ ساقيه ومقلاص مضحكه »

جوهـر | إلى لؤلؤ | : كيف وجدت وجه الملك اليوم يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : كسنته ، يفيض من البشاشة والبشر .

جوهـر : بل أنت واهم يا لؤلؤ ! إن وجه الملك تغير في هذه الأيام
وبدا عليه التفضن وأثرت فيه الهموم أثرها الظاهر المبين .

مقلاص : كان الله عون الملك ، إنه ليحمل من هموم الملك وأكدار
السياسة ما تنوء به الجبال ، لعن الله السياسة وقبح الولاية ،
ولا جعل لي من أشغالها نصيبا .

جوهـر | يضرب يده على حدة مقلاص | : وأى نصيب كنت تؤمل من

أمور الدولة يا مقلاص حتى سألت الله أن يجرمك منه ؟

مقلاص [ملتفتا] : دعني من هذيانك يا جوهـر وانظر : هذه الأميرة

أقبلت كأنها البدرُ في الليلةِ الظلماءِ أو كأنها الظيُّ يتخطّر
على الحصباء .

[تدخل الأميرة بثينة]

بثينة : يا بشرى ما هذا الخطُّ العظيم ، أصدقائي الثلاثة ههنا ،
يجمعهم باب الملك : جوهر حاجب الملك ، ولؤلؤ ساق
الملك ، ومقلاص .

مقلاص [مقاطعا] : مقلاص المهرجُ الساقطُ والمضحكُ الوضع .
الأميرة [بثينة] : لا تقل هذا يا مقلاص ! ولكن قل نديمُ الملك ،
وصديقُ ابنته بثينة .

مقلاص : أنا مقلاص المهرجُ صديقك أنت يا أميرة اشبيلية ، بل
يا مليكة الأندلس ، بل يا شريكة الشمس في عرش
الوجود ؟ !
الأميرة : أعرفت الآن مكانك ؟

مقلاص : عرفت يا سيدتي وإني به لمزهوٌ فخور .

الأميرة : إذا فاعلم أيضا أن هذا الحاجب جوهر قد يأذن على
الملك لرجال يكره لقاءهم ويغمه رؤيتهم وسماعهم .
مقلاص : أتما أنا يا سيدتي فما وقفتُ على باب الملك مرة إلا هجبتُ
عنه الفكر والغم .

الأميرة : وهذا الساقى يا مقلاص .

مقلاص : هذا الساقى يا مولاتى يقبض كل يوم من دماغ الملك

شعاعا ، ولولا أن دماغه الشريف كالشمس التي لا تتفد
أشعتها لكان اليوم جُمُجَمَةً لا عقل فيها كأكثر هذه
الرءوس التي نراها في الطرقات .

الأميرة : وأما أنت يا مقلّاص فتسقي الملك كلّ ساعة من رحيق
مَرَحِكَ ودُعائِكَ ما يملؤه غبطة وعافية وسرورا .

جوهري [مقاطعا — مت دخلا] : لقد استأثرت يا نديم الملكِ ويا صديقِ
الأميرة .

مقلّاص [مغضبا] : بالرغم من أنفك !

جوهري : لقد استأثرت يا مقلّاصُ بمحديثِ الأميرة فتنحّ ساعة
واترك لنا فضلة من الشهد .

جوهري [للأميرة] : مولاتي ، سيدتي ، بثينة أبة وحشية خلّفت
في القصر يا مولاتي .

الأميرة : أو أبداً تبالغ ؟

جوهري : كلا يا مولاتي ! هي كلمة طافت بالقصر منذ افتقدناكِ
هذا الدهر الطويل

الأميرة : أتعدّ الثلاثة الأيام دهرًا يا جوهري ؟ ألم أقل لك إنك
تبالغ كثيرا ، لم تُسألني يا جوهري أين كنت ؟

جوهري : أعلم أنك كنت في قرطبة يا مولاتي .

الأميرة [وتبتسم ابتسامة سخر] : أجل كنت في مُلكنا الحديد يا جوهري .

جورم : وكيف وجدته ؟

الأميرة : العنوانُ قبة ، والكتاب حبة .

جورم : أرجو ألا يكون غرامُ الأميرة بأشبيلية وطنها الغالي ومهدى العزيز قد أنساها ذِكر الفضيل لقرطبة دارية الملك الأولى ومهد الفتح والعمران و...

الأميرة : أجل . وسماء الرعود والمواصف ووَكرِ الفتن والقلاقل... آه من قرطبة وبخاءاتها يا جوهر ، وويل على أنى الظافر من هذه الولاية الحمراء التي لم يُقلدها أميرٌ إلا قتل أو عِزل... عرشٌ يضطرب تحت كل جالس ، وتاجٌ لا يستقر على رأس كل لابس .

مقلاص : مولاي !

الأميرة : مقلاص . أشبيلية وأبي وأنت كانت ذكرا ثم ملء خاطري في قرطبة ، هل من دُعاية جديدة يا مقلاص تُنسني ما ليقيت من النعم والكدر على تلك العاصمة الثانية للملك السعيد .

مقلاص : لا تقولى هذا يا مولاي فيغضب القرطبيون ، إنهم لا يُقدّمون على مدينتهم حاضرة من حواضر الدنيا ولو كانت دمشق أو بغداد فكيف يرضون أن تكون الثانية لأشبيلية وما مدينتنا في زعيمهم إلا بلد الخلاعة والمجون .

الأميرة [مناحكة] : وأين قرطبة منا الآن ، وأين القرطبيون يا مقلاص

وبيننا وبينهم سَفَرٌ شاقٌّ طويلٌ؟ تُرى من علمك كلُّ هذا
الحرص ومن أين لك كل هذا الدهاء !

مقلاص : هي الأيامُ يا أميرتي . هي الأيام . وهذا السيفُ ماذا ...
كنتِ تصنعين به يا مولاتي ؟
الأميرة : كنتُ أتقي به عوادي الفُجاءات .
مقلاص : وهذا اللثام ؟

الأميرة : كنت أذود به عنى العيونَ والظنونَ في بلدٍ ضيقِ الصدرِ
مُبلِّدِ العقلِ ؛ شتانَ بينه وبين أشبيلية ذاتِ العقلِ الواسعِ
والصدرِ الرحيبِ .

الأميرة [جوهري] : لقد نسيْتُ يا جوهري ذكرَ واجبٍ كانَ عليَّ أنْ
أُقدمه قبلَ كلِّ شيءٍ .
جوهري : وما ذاك يا سيدتي ؟
الأميرة : السؤالُ عن الملكِ .
جوهري : هو يا مولاتي بخير . أبداً يسألُ عنكِ .
الأميرة : وأين هو الآن ؟
جوهري : هو في الصلاةِ يا سيدتي .

الأميرة [تطرق في نائثر ثم تقول] : يا ويحَ أبي لقد نظرت إليه وهو في قصرِ
السوسانِ الضيقِ الصغيرِ بقرطبة فوجدته كئيباً متمللاً كأنَّ
تلك السقوفَ المنخفضةَ لم تكن تليقُ برأسه العالِيَّ وكأنَّ

تلك الحجرات الضيقة لم تُصنع لعينه السامية الطمّاحة .
 وكأنما كان يرى الزهراء أولى بأن تُقلّعه . وأجدر بأن
 يُظله . وهناك دنوتُ حتى صرْتُ خلفه بحيث أسمع
 ولا يراني . فسمعتَه يقول وكان وحده في الحجرة مطّلا من
 نافذةٍ يلقي نظره على قرطبة .

جوهر [باهتمام] : وماذا كان يقول يا مولاتي ؟
 الأميرة : كانت يقول : قرطبة ... مُلك جديد أُضيف إلى ملك
 أشبيلية ؛ ما أصغر المضاف والمضاف إليه . أنظر ابن عباد
 إلى العرش كيف صغر ، وإلى الصوبلحان كيف قَصُر ،
 وإلى الملك كيف اختَصِر ، وتأمل مكان الحكم في قرطبة كيف
 سُدَّ اليوم بالمتعمد ، وبمجلس الناصر كيف شُغِلَ بابن عباد .
 جوهر : نحن بانتظار القاضي ابن أدهم يا مولاتي .

مقلاص [مداخلا] : لعله هذه الكرنبة التي تتدحرج من بعيد منحيرةً إلينا ،
 الأميرة [متضحكة بلوهر] : استقبل أنت يا جوهر القاضي وأدخله
 على أبي فإن قضية الأندلس لا يستأذن لهم على ملوكه .
 الأميرة [ثم لمقلاص] : وأنت يا مقلاص . أعرفت أني وجدته .
 مقلاص : وما ذاك يا مولاتي ومن هو ؟

الأميرة : أنسيت يا مقلاص حين تقول لأبي يسمع مني إن الزوج
 الكفّ لبثينة لم يُخلق بعد لا في الأندلس ولا في غيره .
 مقلاص : لا لم أنس يا مولاتي . قلتُ هذا ولا أزال أعيدّه .

- الأميرة : إذا فاعلم أن الزوج الذى يصلح لى قد خُلِقَ .
 مقلّص : ومن ذاك ؟ ما أسمه وأين هو الآن ؟
 الأميرة : كل هذا تعلمه بعد حينٍ يا مقلّص . تعالَ معى الآن ،
 اتبعْنى ودعْ جوهر ولؤلؤ يستقبلان القاضى الجليل ...
 الأميرة [الى جوهر] : فى حفظ الله يا جوهر .
 الأميرة [الى لؤلؤ] : فى حفظه يا لؤلؤ .
 جوهر ولؤلؤ معا : فى ذمة الله وكلاءتيه يا مولاتى .
 الأميرة : لا تنسيا أن تذكرا نى عند الملك وأنى رهنُ إشارتيه .
 [تخرج الأميرة مع مقلّص] .
 جوهر : أشكر الله أن أخرجني القاضى .
 لؤلؤ : كذلك كنتُ أحدثُ نفسى وأخشى على مولاتى فى زيهما
 هذا من عين الشيخ ولسانه .
 [يظهر الملك]
 الملك : هل جاء القاضى ابنُ أدهم يا جوهر ؟
 جوهر : أجل يا مولاي رأيتُهُ فى ساحةِ القصر .
 لؤلؤ : وقد عادت الأميرةُ من قرطبةَ يا مولاي .
 الملك : أوعادت الآن ؟
 لؤلؤ : أجل يا مولاي .
 الملك : أهى بخير ؟

لؤلؤ : بأتم عافية يا مولاي .

الملك : إذا انتهى ابن أدهم من زيارته فأت بها الى .

لؤلؤ : أمرك يا مولاي .

[يخرج لؤلؤ] .

الملك : وعليك يا جوهر أن تستقبل ابن أدهم وتأتيه في أوفر

بشاشة وتعظيم .

[يخرج جوهر ثم يرجع يتقدم القاضي |

| ابن أدهم وينادي من باب الخيرة |

جوهري [مناديا من الباب | : القاضي ابن أدهم .

القاضي : السلام على الملك ورحمة الله وبركاته .

الملك : وعليكم السلام أيها القاضي ومقدم الخير ، فقد علمت

أنك كنت نزيل المغرب في الأيام الأخيرة وكنت به ضيفا

على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

القاضي : هو ذاك يا مولاي .

الملك : فكيف الحوادث والأحوال هناك ؟

القاضي : عندي من ذلك الشيء الكثير وسأذكره في مجلس تالي

ياهر به الملك ولا أذكر الآن إلا رسالة حملتها الأمير

سيدي بن أبي بكر .

الملك : وما هي أيها القاضي ؟

القاضي : أو يعرف الملك الأمير سيدي ؟

المسك : كيف لا أعرفه ! هو كافل الدولة المغربية وكبير وزراء
السلطان وقائد جيوشه الأكبر . وما يتغنى مني الأمير
أيها القاضي ؟

القاضي : إنه يخطب إليك الأميرة بثينة .

المسك : ألتخصمه يخطبها أم لواحد من أولاده فهم فيما أعلم أكثر
وأصغرهم فيما أذكر يوافق ميلاده ميلاد بثينة .

القاضي : بل يخطبها لنفسه أيها الملك .

المسك : إن هذا عجيب أيها القاضي ... وما كان جوابك ؟

القاضي : قلتُ له إن الملك ابن عباد يذهب بيته بثينة كل منذهب
ولا أظن قلبه يطاوعه على تزويجها في الغربة وإخراجها
إلى بلاد بعيدة .

المسك : أحسنت أيها القاضي . فها هذا زواج ... إن هذا إلا قبر
أخطئه بيدي لبثينة . على أنني محضر اليك بثينة لتحادثها
وتسمع منها .

الملك [إلى جوهر] : جوهر . جئنا بالأميرة يا جوهر .
[يخفى جوهر لحظة ثم يعود بالأميرة]

الأميرة : أبي !

المسك : بنتي !

الأميرة : أطلبيني يا أبي ؟

المسك : تعالى بثينة حي عمك القاضي ابن أدهم .

الأميرة : السلام عليك يا مولانا القاضي ورحمة الله وبركاته .

القاضي : وعليك السلام يا بنت أكرم الملوك . تعالى خذي مجلسك
بين أبيك وعمك .

المسك : مع من عدت من قرطبة ؟

الأميرة : مع لثامى وجوادى .

المسك : وكيف وجدت قرطبة ؟

الأميرة : وجدت طرقا فيها تموج بالفقهاء يعرفهم الناظر بزيمهم فذكرت
عندئذ شهرة هذا البلد بالفتنة والتشغيب وجرأة أهله على
أمرائهم وحكامهم وأشفقت منه على أنى الظافر ، وإن
كنت واثقة بحزمه وعزمه .

القاضي : ومن أنباك أيتها الأميرة أن الفتنة والشغب يميئان من
ناحية الفقهاء ؟

الأميرة : لم يبق سرا يا سيدى القاضي أن الفقهاء يعلّقون سعادة
الأندلس وخلاصه بالقائه فى أحضان جيرانه سلاطين
المغرب .

القاضي : وأنت يا بنت ملوك المسلمين ؛ أما تجددين ما يطلبه الفقهاء
فى قرطبة أجدى على الأندلس من بقائه على الحال التى هو
فيها مشرفا على التلف والضياع ؟

الأميرة : لا يا سيدى القاضي ليس فى الحق أن يقتصب جماعة من
المسلمين أوطان جماعة غيرهم من المسلمين فإن الوطن هو
كالييت فى قداسته وكالضيعة فى حرمتها .

الملك [متدخلًا في الحديث] : لقد بعثتُ يابينة في طلبك لغير هذا الشأن
وفي أمري ذى بال وإني أترك للقاضي التحدث معك فيه .

الأميرة [ملفتة إلى القاضي] :

تكلم يا عم فكلني إصغاء ؟

القاضي : لقد خطبتك إلى أبيك رجل من عظماء الإسلام في هذا
الوقت هو الأمير سيرى بن أبي بكر وزير الدولة المغربية .

الأميرة : أفارغ هو أم مشغول يا سيدي القاضي ؟

القاضي [في حيرة] : بل له من الأزواج ثلاث وستكون الرابعة وستكونين
المدللة المتهدة من بين أزواجه .

الأميرة [في غضب] : إنك يا سيدي القاضي تدعوني إلى خطبة لا أنا
مضطرة فأحمل النفس الكارهة على قبولها ولا الأمير ابن
أبي بكر معطل البيت من الربة الصالحة فيتشبت بها ويصر
عليها ، بل تلك خطبة لم أجد أبوي عليها ولم آلف رؤية
مثليها في حياة أسرتي : فهذا أبي جعلني الله فداء لم يتخذ
على أمي ضرّة ولم يكسر قلبها بالشريك في قلبه بغامت بنا
أولاد أعيان ، نجتمع في جناح الأبوة ولا نفترق في عاطفة
الأمومة ، ولو شاء أبي لكان له كنظرائه الملوك والأمراء
نساء كثير ولكان له منهن بنو العلات تحسبهم إخوة وهم
أنصاف إخوة من كل دجاجة بيضة ومن كل شاة حمل .

القاضي [ملطفا] : شهد الله لقد أحسنت يا ابنتي . ولكن مصلحة الملك
أنسيته ونصرة الوالد أغفلت عنها . وسلامة الأندلس
أهميت شأنها ؟

الأميرة : لا يا سيدي القاضي كل ذلك في المحل الأول من نفسى
واهتمامى ولكننا مختلفان في النظر فانت ترى أن الأندلس
لا ينهض من كبوته إلا اذا مد السلطان اليه يده وأنا
أتخيلها يد الذئب يمتدّها الى الحمل ، وأنت يا سيدي
القاضي قد أخذك اليأس فى أمر الأندلس وأنا كلّى رجاء
ولا أستبعد أن تنهيا لأبى ، وهو كهف الأندلس وملاذه ،
الفرصة لجمع الكلمة وضرب الأفرنج ضربة تُريح العرب
منهم السنين الطوال وأنت تعلم أن تاريخ الأندلس مفعم
بالفجاءات السعيدة من هذا الطراز .

القاضي : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولقد رددتُ عنك
أيتها الأميرة وعن أبيك الملك وأحسب أنى أحسنتُ الرد .

الملك : كل الإحسان أيها القاضي .

القاضي : الآن لم يبق إلا أن أنصرف .

الملك : مشيعا بحفظ الله ورعايته .

[ينصرف القاضي وبشيعة الملك]

الملك [للقاضي] : كيف تجدُ بثينة يا ابن أدهم ؟

القاضي : بورك لك فيها وبورك للأندلس في عقيلته ! إني أجدها
روحَ الوالدِ وأرى عليها طبعَ الزمنِ وحضارةَ الجليل .

[يعود الملك معه مقلّاص بعد أن يودع القاضي]

الملك : أعلمتَ يا مقلّاص ؟ أسمعُ أن سيرى ابن أبي بكرٍ يخطبُ
إلى بثينة ؟

مقلّاص [ملفتنا إلى بثينة بصوت خافت] : أهذا الذي وجدته ياسيدي ؟
إني لا أهنئك بتيس المغرب .

الأميرة : لا يا مقلّاص إن الذي وجدته هو غزال الأندلس لا تيس
المغرب .

الملك : خبريني يا بثينة ماذا وجدت في قرطبة .

الأميرة : حال من القذارة تنتزه عن مثله أشيلية .

الملك : هذا من توالى الفتنة والاضطراب على الناس حتى شغلوا
عن تنظيف مدينتهم التي كانت المثال المحمدي بين المدن
نظافة ونظاما ... ثم ماذا ؟

الأميرة : راعني قصورها المهجورة الموحشة كأنها الأطلال .

الملك : هذا من انقراض الوارثين أو ضيق نعمتهم عن سكنى
الدور الواسعة وصغر أقدارهم عن نزول المنازل الرفيعة .
[يظهر على بثينة التأثر والاعتمام] .

الملك : ماذا غمك يا بثينة ؟

الأميرة : تذكرتُ يا أبي قصورنا بفيزعت ، قلتُ : الزاهى ترى

ما نصيبه ، والتأج ما ذا غداً يصيبه ، والبديع ما يكون
مصيره ، والمؤنس هل توحش مقاصيره ؟

الملك : ينبغي خلى عنك هذه المواجهات ، ولا تتجلى على الشباب
الأمير : والهم فإنه لم يخلق لها . إصرفي الشباب إلى الضحك
والخيلة فإنهما طبيعتهما وديده . ألا نعود لحديث قرطبة .
خبريني كيف وجدت أسواقها ؟

الأمير : دون أسواق أشيلية حركة ونشاط إلا سوق الكتب
فلا أحسب بغداد أقامت مثلها ، دخلتها يا أبي فلبثت فيها
ساعة أتأمل ما يقع في جوانبها وأشهد النداء على نقائس
الكتب وذخائر المخطوطات ، وهي في أيدي الناس يقلبونها
في اعتناء وإشفاق كأنها كرائم الحجارة في أسواق الجواهر .
الملك : وهل كنت تهتمين بكتاب هناك ؟

الأمير : أجل يا أبي . تودى على رسالة المنجم الضبي ، التي سماها :
هل القمر مسكون ، وكنت سمعت بها وكنت أريد
إحرازها فسرني الظفر بها ، وكان بالقرب مني فتي حسن
الهيئة ظريف الثياب هو لا شك من بني البيوتات ، وكان
ينازعني الرغبة في الرسالة فلم يزل يزيد فيها وأنا أخرج
فأزيد حتى بلغت إلى خمسين مائة دينار فقبضت بيدي فرجع
إليه المنادي فآخذ المال وناولته الرسالة .

الملك : لا أظنّ حرص الشاب على الرسالة إلا للباهاء ، ولكي يقال
عنده خزانة كتب حوت كل ثمين ونادر حتى رسالة المنجم
الضبي فإن الشهرة في قرطبة من قديم الزمان أن يتنافس
الناس في اتخاذ الخزائن للكتب حتى الذين لا علم لهم
بها فيها .

الأميرة : ظلمت يا أبي غريمي الشاب فقد كنتُ ألحظ عليه الحرص
على الرسالة والسعي لإحرازها حتى ما بقي في نفسي شك
أن الفتى من أهل المعرفة والاطلاع .

الملك : وكيف هو يا بئينة : ما شكله ؟ ما صفته ؟

الأميرة : شاب يناهز الثلاثين ، جميل وقور يشبهك يا أبي أو كأنه
أنهى الظافر وما كان أعظم أدبه ومروءته فانه حين غلبنى
على الرسالة بادر فقال : أيها الفتى الملم ! إن كان اعتناؤك
بهذه الرسالة شديدا كما رأيتُ فعرفني بموضع إقامتك وأنا
أستصنع منها نسخة وأبعثُ بها إليك . فشكرتُ واعتذرتُ
بكثرة أسفاري في الأندلس فأنطلق شديد الفرج بما نال
وكان جواده بانتظاره فاعتلاه فوالله يا أبي ما رأيتُ قط
بعدك وبعد أنى الظافر أرشق وتو با على جواده ولا أحسن
قياما في صهوة من غريمي الشاب .

الملك [مبتسما ودو يضع يده على كتفها] : أخشى يا بئينة أن يكون غريمك
الشاب أعرف بتصيد القلوب منه باعتلاء الجياد .

مفلاص : الآن عرفته هو فتى السوق ، هو فتى الرسالة .

[يدخل لؤلؤ يقول] :

الجماعة يتواردون على مجلس الشرايب أيها الملك فانظر

ماذا تأمر ؟

بثينة : وأنا أيضا ذاهبة لبعض شأني إن أذنت .

الملك : في كلاءة الله يا بثينة .

[تخرج بثينة] .

المنظر الثاني

« ترفع الستار الخلفية عن مجلس شراب الى جانبه ستر مسدل »

« وفي وسطه مائدة حولها الملك وجماعة من حاشيته وتطل »

« هذه المنظرة على الوادى الكبير حيث للسك زروق » .

الملك : ما عندك من الشراب لأصحابنا ياؤلؤ ؟

ؤلؤ : نحمور مائدة وزيني أشبيلية .

الملك : وماذا هيات لهم من ثقل وطعام ؟

ؤلؤ : الجوز واللوز من وادى الطلح .

الملك [يرفع عقيرته ويغنى] : الجوز اللوز يارب الفوز .

أحد الحاضرين [الى جاره] : هذا لحن الملك الذى يحبه ويمتف به حتى

فى الحمام .

مقلاص : ولحنى أيها الملك أسمعته ؟

الملك : قل . هات يا مقلاص .

مقلاص [ينغى] : الجوز اللوز يوادى الحوز^(١) .

الملك : مرحى ! مرحى ! .

(١) متنزه مشهور بالأندلس .

- الحاضرون جميعا : مرحى ! مرحى ! .
- الملك [مقلاص] : تعالَ قِفْ خلفي يا مقلاص وقم عند رأسي .
مقلاص : ها أنا قائم عند رأسك الشريف هل أفلته ؟
- الملك : تأذّب يا وقاح، القمّل لا يوجد في رءوس الملوك .
مقلاص : ما أدري يا مولاي ولكني أعلم أن القمّل يوجد في لبدة الأسد وأنت أسد الأندلس الذي يعنوله الملوك .
- الملك : لله ما أمرّ لسانك وما أحلاه . فهو كيشرط الجراح المساهر جمع مرارة القطيع وحلاوة الشفاء .
- الملك [اللولؤ] : ثم ماذا يا لؤلؤ ؟
- لؤلؤ : كلّ مالدّ وطاب من السمك . بعضه مجلوب من بحير الزقاق . وبعض من صيد الوادي الكبير .
- الملك [بننى] : الجوز اللوز ياربّ الفوز .
- الملك [الى وزيره ابن سعيد] : ماذا يقولون في المدينة يا بن سعيد ؟
- الوزير : لا حديث اليوم لأهل أشبيلية الا تلك النكبة التي حلّت بأبي الحسن التاجر .
- الملك : واهّا لأبي الحسن . ويحّ الأندلس ما أعظم مصيبتة في تاجره العايل الموقّي الأمين .
- الملك [الى ابن سعيد] : وكيف وقعت الكارثة يا بن سعيد ؟
- الوزير : كانت لأبي الحسن التاجر في بلّح البحار ثلاث بوارج

وهي، الزهرة، والثريا، والجوزاء، خرجت الزهرة إلى
الاسكندرية تحمل إليها مقداراً عظيماً من الزيت الأشبلي
فأخذها عاصفٌ ففرقت في الطريق . وأفلعت الثريا
بعد ذلك بأيام مشحونةً بالمتاجر المتنوعة إلى ثغور الأندلس
فصادفها أسطولٌ للفرنجية كان يتجول على الشواطئ فأخذها
مَغْنَمًا بارداً . وكانت الجوزاء قد سبقت أختها إلى عرض
البحر تقصد سواحل المغرب محملةً الشيء الكثير من
مصنوعات الأندلس ومتاجرهِ فشبت فيها النار فأعيا
إطفائها فسقطت شعلة في الماء .

الملك : ويح لأبي الحسن ويح ! !

الوزير : إن أبا الحسن أيها الملك شيخ كبير قد فرغ من الدنيا
وفرغت الدنيا منه ، فصبيته أقصر عمراً وأهون وقعاً من
مصيبة ابنه الواحد وولده النابه الشاب حسون .

الملك : قد ذكر لي اسمه وسمعتُ الثناء عليه من كثير من الناس .
الوزير : وإنه لكما نعتوه لك أيها الملك وفوق ما نعتوه : شابٌ جميلٌ
وقورٌ جريءٌ ، وافر القسطن من العلم والأدب ، تعلم لغة
الإسبان حتى أجادها حديثاً وكتابةً يجري بها لسانه كما يجري
بها قلمه .

الملك : إن شاباً هذا شأنه وهذه همته في الحياة لا يترك نبوغه

سدى ولا يوكل الى الياس القاتل ، بل يجعل بنا أن نأخذ
بيده فنهون عليه عثرة أبيه البرئ .

الجماعة [تهامسون] : ما هذا الستر ؟

آثر [مسا] : ترى ماذا يخفى هذا الستر ؟

ثالث [مسا] : ماذا خبا لنا الملك وراءه ؟

الملك : فيم تهامسون ؟ لعلكم تذكرن الستر . إشرىوا الآن ما بدا
لكم واطربوا ، وأما الستر فستعلمون نبأه بعد حين . لقد
وزعت عليكم من أيام وفد النصارى من نبأه الاسبان
فماذا صنعتهم بهم وكيف كانت أنصبتكم ؟

الملك [ملفتا الى وزيره داني] .

الوزير داني : كانت حصتي يا مولاي أطيّب الحميم ، فضيئي شاب
نيل طروب لطيف الأذن ، مولع بالقيثارة لا يضعها من
يده وله عليها ضرب يأخذ بالألباب .

الملك [متبسما] : يسأل آخر من المجلس . وأنت يا ابن الصانع كيف
ضيفك ؟

ابن الصانع : أنا أقل الإخوان حظا أيها الملك ، فضيئي رجل كهل
قسيس يقطع الليل بالصلاة وتلاوة الانجيل .

الملك : بل لعلك أعظم الجماعة حظا ولا تدري .

ثالث من المجلس [مخاطبا الملك] : أما أنا أيها الملك فقد ابتليت برجل
شيخ شريب نمر لا يرويه في اليوم دن ولا دنان . فاذا

كان قبل كل طعام قَدِمْتُ له ز يبي أشبيلية فأقبل يعبه
عبا كما يقع الظمآن على الماء الزلال؛ وقد شرب من خمير
مالقة في ثلاث ليالٍ أقامها عندي ما يكفيني أنا شهرا
وأنا الذي يعرف الملك وليي بالخير الملقى .

المسك : وأنت يا لؤلؤ كيف ضيقك وما حاله ؟

لؤلؤ : إنه شاب يا مولاي خفيف الظل والروح . مولعٌ بالرقص
وأنا ألتقي عليه كل ليلة دروسا في الرقص الأسباني حتى
كدت أحسنه .

المسك : وأنت يا مقلّاص . كيف ضيقك وماذا يصنع معك ؟
مقلّاص : ضيفي يا مولاي رجلٌ كهلٌ بادنٌ ضخمُ الجثة كالخنزير
المتدلى البطن من تراكب الشحم واللحم اذا جاء في البيت
وراح ارتجحت الجدرانُ واهترأ ما على الرفوف من آنية .
واذا نام نرج الفطيط والنخير من حلقه ومن أنفه ومن كل
موضع فيه ولو نام في جبانةٍ لأيقظ غطيطة الأموات .

المسك : وكيف طعامه يا مقلّاص؟ وما أحبُّ الألوانِ إليه ؟
مقلّاص : هو يا مولاي مجنون المعدة بالإوز . له كل صباح على
الريقِ إوزة وغداؤه إوزة وعشاؤه ...

الحضور جميعا : إوزة .

الملك [ملتفتا لوزيريه داني] : وما عندك أنت يا داني مما يقولون في المدينة ؟
داني : يتهامسون في المدينة بأن الفتنة قد تحركت شياطينها في قرطبة

وأن القادرَ صاحبَ طَلِيْطَلَةٍ يسعى لأخذها من ولدك
الأميرِ الظافر، وأنه يستعين في دسه وكيدِه وتدييره بالبطل
حُرِيْز وصاحبه ابن طولون .
المُلك : الولاياتُ يا داني تكلّيا النحل فيها العسل وفيها الأسل
وأنا واثقٌ بحزم الظافر وعزمه والله يفعل بعد ذلك ما يشاء
إن ضيؤكمُ النبلاء أيها الأصحاب سيكونون هنا بعد ساعة .
المُلك [إلى جومر] : وأنت يا جوهر أنظر . أين الجنديان ؟
جومر : بالباب يا مولاي .
المُلك : أدخلهما .

[يدخل الجنديان]

المُلك [إلى الجنديين] : أين الكلب ؟ ! أجنّتا به ؟
الجنديان : هو بالباب يا مولاي يرُسُفُ في قيوده .
المُلك : أدخلاه .
[يدخل ابن شاليب اليهودي يجر قيوده]

ابن شاليب : التحية والإجلال للملك .
المُلك : تحية لا نتقبلها من رجلٍ شتمنا بالأمس بسمع من رجالنا
وأعواننا .
ابن شاليب : معاذ الله أيها الملك : ما شتمتُ ولا تهجمتُ ولا نسيتُ
أني تزيل هذه الملكة ، يجبُ على لصاحبها التوقيرُ
والإكبار .

المالك : بل أنت تكذبُ يا بنَ شاليب .

ابن شاليب : على رسلك أيها الملك ، أنسيَت أن ورأى ملكا عظيما يسأل عن أمرى وأنا سفيرُهُ عندك ورسولُهُ اليك ، وقد يغضبُ لى إن أنتَ نلتني بسوء .

المالك : فان كان السفيرُ وقاحًا قليلَ الأدب ؟

ابن شاليب : هذا كثير أيها الملك فاجعل للإهانة حدًا ولا تنسَ لى مكانى .
المالك : ستعلم مكانك بعد قليل .

[ال ابن وهب]

أُعيدَ يا بن وهب على هذا الكلب ما لُحِثَ به حين عرِضَت عليه مال الجزية .

ابن وهب : لقد همَّ يا مولاي برد المالِ معتلًا بسوءِ العِيَارِ ونُقْصَانِ الإِتَاوَةِ عن السَّنةِ المَاضِيَةِ وقال : بلغ سيّدك أنه لا يحول الحول حتى آتى فأخذَ عَيْنِيهِ .
ابن شاليب : هذا كذبٌ واختلاق .

المالك : بل أنتَ الكذاب . فما أنا بالملك الذى يكذب عليه وزرائه وأعوانه . وما شرفُ الأندلسِ وجلالُهُ إلا عدلُ قضاياه وقلةُ شاهدِ الزور فيه .

ابن شاليب [يمرغ خديهِ على البساط ويقول] : ألا تعفو أيها الملك الكريم .
فهم يقولون إن العفو شيمتكم معشر العرب .

المسك : إلا ما مَسَّ الشرف والكرامة .

ابن شاليب : أتقتلني أيها الملك من أجل كلمة سبق بها لساني وأعماني
الغضب فلم أزينها ولم أقدر عواقبها .

المسك : عجبا يا وزير الفونس ... أنت تزن القناطير الممنطرة من
الذهب والفضة فلا يفلت من حسابك برادة مثقال . ثم
لا تحسن أن تزن كلمة تخرج من فمك ! ...

ابن شاليب : أعف عني واستبقني أيها الملك وأنا أشتري منك حياتي
بوزن جسمي ذهباً .

المسك : لا والله ولا بتقله لآئى ويواقيت وأنا أعلم أن وراءك ملكاً
عظيماً هو عبد المسال . أما أنا يا ابن شاليب فعبد الله .
الملك [المجندين] : أيها الجنديان خذا هذا المجرم فأمضيا أمرى فيه .

[الجنديان ينقضان على ابن شاليب
فيأخذانه الى ما وراء الستر المسدل]

الحاجب [يدخل] : نبلاء الأسبان بالباب يا مولاي .

المسك : يدخلون .

كبير النبلاء : التحيات للملك .

المسك : مرحباً بضيوفا النبلاء . تفضلوا وخذوا مجلسكم
وآطرحوا الكلفة .

كبير النبلاء : شكراً يا مولاي ؛ هذه الحفاوة بالضيف لا تستغرب من
ملك العرب الكريم .

المالك : تعال اجلس بجانبى أيها النبيل .

| يجلس كبير الأسباب حيث أشار الملك
| يطوف لؤلؤ على القادمين بالشراب وبالنقل |

لؤلؤ : ماذا تشتهي من الشراب ؟

كبير الأسباب : ما دمتنا في أشبيلية يا فتي الملك فإنى لا أقدم على زبيها
الصافى المعطر شيئا .

أحد الحاشية [فى أذن جاره] : انظر السكير يا أنخى كيف تجاهل نمر ماله
وكيف نسي أنه أنفد ذخيرتى منها فى ثلاث ليالٍ أقامها
عندى .

[خجعة وشراب واحاديث همس]

المالك [الى لؤلؤ] : دلنا يا لؤلؤ على ضيفك الرقاص .

لؤلؤ [يشير الى أحدهم] : هو هذا النبيل يا مولاي .

المالك [الى الاسبانى] : إن قتائى لؤلؤ أيها النبيل مغتبط بما تعلم عليك
من أصول الرقص .

الاسبانى : وأنا يا مولاي ما رأيتُ أسرعَ خاطراً ولا أرشقى حركاتٍ
ولا أحسنَ حفظاً لما يلقى عليه فى فنون الرقص من
صاحبي لؤلؤ .

المالك : إن مطربى هذا ابن حزم يحسن الضرب على القيثارة .

وقد تعلم فى صغره الكثير من الحانكم ونغمات رقصكم .

المالك [الى لؤلؤ] : فليرقص لؤلؤ على إيقاعه .

الملك [إلى الأسباني] : وأنت ترسم له أيها النبيل النعمة التي تصلح
للرقصة .

[لؤلؤ وصاحبه الأسباني يرقصان ويعزف لهما ابن حزم... ويصفق
لها الملك والجماعة ثم يجلس الثلاثة بين الاستحسان والاعجاب]
الملك [في جدال جليسه الأسباني] : أيها الضيف النبيل . أمر يشغل
بالي ويهتم به أصحابي وينتظرون حكى فيه . وقد رأيت
أن أتهرز فرصة الأئس بحضوركم لأسير على ضوء رأيك
في تصرفه .

النبيل الأسباني : ليس أحب إلى أيها الملك ولا أزيد في شرفي من
مشورة خالصة نافعة ألقيا إلى جلالتك .
الملك : إذن فاعلم أيها الضيف النبيل أن أحد جيراننا الملوك أوفد
إلى رسولاً في مهمة معلومة فنسى الرسول مكاني حتى
سبني بمسمع من رجالي وأوعد وتهدد . فما الذي يقضى
به عرفكم على رجل هذا فعله .

النبيل الأسباني : مثل هذا جزاؤه القتل يا مولاي .
الملك [إلى النبلاء] : أسمعتم يا معشر النبلاء .
النبلاء : سمعنا أيها الملك وقد أفتى كبيرنا وهو العدل والصواب .
الملك : إذن فانظروا .

الملك [ثم لأحد الجند] : أيها الجندى ارفع هذا الستر .
[يرفع الستر عن جثة ابن شاليب بجثة هامة معلقة على حود]

الجماعة صائحين : ابن شاليب ؟

المسلك : هذا صاحبكم ابن شاليب قد رمانى أنا ووزيرى هذا ابن وهيب بتروير العيار والغش فى الميزان وقال لرجالى وأعوانى :
بلغوا سيدكم أنى آت فى العام القابل فأخذ عينيه من رأسه .
أحد الجماعة مستكرا : وما ذنبنا نحن أيها الملك حتى عاقبتنا بهذا المنظر؟
المسلك : لقد ترددت بين أن أقتله بأعينكم وبين أن أعرضه عليكم وهو كما ترون جثة بلا روح ولكنى وجدت فى الرأى
الثانى تخفيفا على ضيوفى فعملت به .

[ثم ينهض الملك علامة الاذن فى الانصراف ويختلط بهم وهو يشيعهم]

المسلك : انقلوا أيها النبلاء إلى الملك ألفونس ما سمعتم ، وصِفُوا له ما رأيتم ، وتحدثوا به فى طول بلادكم وعرضها ليعلم الناس هناك أن الأسد العربى لا يُشتم فى عيرينه وأنه لو غلب على غايته حتى لم يبق له منها إلا قاب شبر من الأرض لما استطاعت قوى الإنسان والجن أن تنفذ إلى كرامته من قاب هذا الشبر .

[ينسل النبلاء الاسبان من المنظره وهم يجرون سيقانهم جرا من الرعب]

الملك [إل حاشيته] : الآن يا نبلاء العرب نطوى هذا البساط ويبقى

هذان الجنديان حتى إذا خلت منا المنظرة رفعا السِتر عن
 جثة ابن شاليب ليعلم أهل أشبيلية كيف يحل العقابُ
 من يجترئ على شرف أميرهم الذى هو شرفهم الرفيع .

المنظر الثالث

« الملك نشوان ، ومعه مضحكة مقلّاص يدنو من زورق »

« على الوادى الكبير فينب فيه ويقول »

الملك : أنظر يا مقلّاص إلى هذا الزورق ما ألطفه ، صدق القول :

كلّ صغير لطيف .

مقلّاص : إلا وظيفتى فى قصرِكَ فإنها لا لطيفة ولا شريفة ، وإن

هذا الزورق قد ينقلبُ يأخذ شكل النعش ولن يكون

النعش لطيفا أبدا .

الملك : هبه انقلب يا مقلّاص فصار نعشا ، أليس النعش مركّب

كل حى وإن طالت سلامته ؟

مقلّاص : أما أنا فيحفينى الملك .

الملك : لا يا مقلّاص — لا أعفيك ولا أحسبك تدعى أسير

فى بلجة النهر وحدى وأنا كما ترائى نشوان .

مقلّاص : وإن كان ولا بد أيها الملك فإنى أقترح .

الملك : وما تقترح ؟

مقلاص : أن أكون أنا المجدف وحدي .

الملك : ولماذا ؟

مقلاص : الأمر يتن ! التيار مجنون ، والسكر مجنون ، وأنت سلطان وكل سلطان مجنون ، وهذا الزورق خشبة لاعتقل لها فهو أيضا مجنون ؛ وإنى أرُ بأجياتى أيها الملك أن أجمع عليها مجانين أربعة .
الملك [مستضحكا] : لا يكون إلا ما اقترحت يا مقلاص تعال اركب وجدف وحدك واترك لى أنا الدفة .

مقلاص : أما هذا فنعم . وإنى أرجو أن تكون دفة هذا المركب الصغير أحسن مصيرا فى يدك من دفة المملكة .

الملك [مستضحكا] : تعال ثب ؛ هات يدك .

[مقلاص ينزل الى الزورق وياخذ المجدفين] .

الملك : أنظر يا مقلاص وراءك لى أرى قاربا يندفع نحونا مسرعا كأنه حوت مطارد مذعور .

مقلاص : هو ذا قد دنا منا يا مولاي فأحسن مسك الدفة واجتنب الصدمة وأنا أذوده عنا بمجدافى هذا وأضربه ضربة تقذف به الى الشاطئ الآخر من النهر .

الملك : إياك أن تفعل ، بل أسره فلا بد لنا أن نؤدب هذا الشاب المغرور فإنى أرى الملاح فى كريم الهيئة فهو لا شك من أبناء أعيان أشبيلية .

[يصطدم الزورقان و يظهر مقلاص ارتباكا وجبنا فيقبض

الملك على الزورق المهاجم بيد قوية ويقول لمقلاص] :

المسك : إقذف الآن به إن استطعت إلى الشاطئ الآخر من النهر
[ثم يلتفت إلى الشاب الملاح ويقول] : مكانك أيها الغلام الوقاح ،
ما هذه الجرأة على التيار وعلى شبابك هذا الغضض النضير .
وما غمرك بالملك حتى قربت عودك من عوده تريد أن
تأخذ عليه الطريق .

الملاح : مولاي . إن الرعية يهفون . وإن الملوك يعفون ، وزورقي
إنما اندفع بقوة التيار القاهر فوافق مرور مركبك المحروس
فكان ما كان مما أعتذر إلى الملك منه .

الملك [بصوت منخفض] : ويح أذنى ما ذا تسمع ؟ هذا الصوت أعرّفه !
[ثم يلتفت إلى الملاح قائلاً] : قد عرفناك أيها الفتى من نحن
فعرفنا بنفسك .

[يرفع الملاح قناعه]

الملك [صائحاً] . بشينة ؟

الأميرة [الملاح] : أجل أيها الملك ابنتك وأمتك بشينة .

المسك : عجباً أنت هنا بين العبيد والتيار وعلى هذا العود الذى
يشفق أبوك من ركوبه وأبوك من تعلمين أشجع العرب
قلباً .

الأميرة : ولم لا تكون ابنة الملك شجاعة القلب مثله إن الأسد لا يلد
إلا اللبابة .

الملك [يبدأ غضبه] : ومن أين مجيئك الساعة يا بثينة ؟

الأميرة : من الموضع الذى أحبه كما أحب الحجرة التى ولدتُ فيها ،
ومن ناحية السُرحة التى أحنُّ لها كحنيني للقاصير التى ضمتني
طفلة ممهدة ، ومن بقعة مباركة وقفت السعادة بك فى ظلها
على أمى الرميكية فرأيتها فأحببتها أول وهلة . ولم تكن
إلا غسالة منمورة فتزوجتها فرفعتها أعلى دُرى الشرف
ومن هذا الزواج الموفق السعيد ولدتُ أنا لأب قصر
الآباء عن يره وملك جل عن النظراء والأمثال . أليس ذلك
المكان الذى هو مهد حبكما الأول من حقه أن يُحنَّ إليه
أحيانا بل من حقه أن يُحجَّ آنا قانا .

الملك [مناثرا] : بنفسى وروحى أنت يا بثينة . لقد عظميت المهدة
وقضيت الحق والآن ألا ترجعين الى القصر بسلام فلا
أحسب القصر إلا قائما لغيبتك على ساق حتى لكأنى بأمك
تسأل عن أمرك ويجدتك أشغل وأشد قلقا .

الأميرة : لقد كنتُ يا مولاي فى طريقى الى القصر لولا هذا الاتفاق
السعيد الذى صدم عودى بعودك والآن إذ أمرت فإنى
أنطلق فى سبيلى وأستودعك الله يا مولاي .

الملك : لذهبي يا بنتى فى كلاءة الله وإياك والمجازفة فيما تفعلين فإن
الحياة أعز وأنفس من أن تُعرض للهلكة وأنهلك عن

الخروج بعد اليوم إلا مصحوبةً بلؤلؤ أو جوهر فإنهما
لا يألوانك خدمة وحراسة .

الأميرة : لا يكون يا مولاي إلا كما أشرت .

[تندفع بثينة بالزورق وتغادر الملك — وقد أطارق

مليا إلى أن بدا لمقلاص أن ينه من هذه السة]

مقلاص : مولاي إن الشط قريب وإن الأرض أصلح مجلسا لمثل
ما أنت فيه من الهم والتفكير .

المسلك : كيف رأيت بثينة وكيف وجدت جراتها يا مقلاص ؟

مقلاص : تلك اللبابة من هذا الأسد يا مولاي .

المسلك : ما كل جرىء فطن ؛ وهذه الفتاة جمعت الحجا والشجاعة .

إنها تعلم أنني رجل رقيق القلب يحب العاطفة وتعلم كذلك

أن شيئا من التفور قد دخلني نحو أمها منذ حين فانظر

كيف تحيَّلت حتى ذكرتي العهد القديم . فوالله ما أنا

الساعة بأقل حبا للمريكية ولا عطفًا عليها منى منذ عشرين

سنة . جدد يا مقلاص جدد . سبحانك اللهم جعلت

الولد سفير المودة والرحمة بين والديني .

[يندفع الزورق]

المسلك [يتغنى] : الجوز، اللوز، بارب التفوز .

مقلاص [يجيب] : الجوز اللوز يواذى الجوز .

ستار

الفصل الثاني

« خان التيمى فى أشبيليه حيث مضت الموائد والأرائك وجلس اليها »
« قوم يلحدون ويحتسون الشراب . ابن حيون منفرد وحده الى مائدة »
« وأبو القاسم قادم عليه من باب الخان . حريز يجلس الى مائدة أخرى »
« وأمام ابن حيون . ورجال هنا وهناك يلمبون الترد والشطرنج »
« أو يطالعون بعض الرسائل »

أبو القاسم : ابن حيون ؟ ما أطيب هذا اللقاء .

ابن حيون : سيدى أبو القاسم يا مرحبا يا مرحبا ها هنا صُفَّةٌ لينة
ومجلس كريم فلو جلسنا ساعة نتحدث . أذا ترى أنت أبا القاسم
أم جئت الخان فى شأنٍ يعينك .

أبو القاسم : بل إياك قصدتُ يا ابن حيون . وإن الشوق اليك لشديد .
ابن حيون : شوقٌ بعضه من بعض يا أبا القاسم ولكن من أنباك أنى
مقيم بخان التيمى .

أبو القاسم : لقد عرفناك كالروادى الرجل . لا ترى إلا فى خانٍ أو عند
دواريس الأحجار .

ابن حيون : الخائن والسوق يا أبا القاسم مدرستان من مدارس الحياة
ينتفع بهما الرجل الأريب ... ألسنتُ في هذا الخان كل يوم
أبدل أهلاً بأهل وجيرانا بجيران وأستعرض صوراً متحركة
من الخلائق كلما احتجبت صورة خلفتها صورة ... وكيف
حال أشبيلية يا أبا القاسم وهل من حوادث هناك ؟

أبو القاسم : الحال إن لم يصلحها الله فالحا من صلاح . والحوادث
يا بن حيون نتوالى ولا نتوَلَّى واليوم مغبر والغد مكفهر .

ابن حيون : وابن عباد في غوايته مستمر !

أبو القاسم : خل ابن عباد يا أنسى لا تبحر ذكره بسوء فانه السيف الذى
يرجوه العرب . والحصن الذى يحتمون غداً فيه .

ابن حيون : لم تُصِفْ يا أبا القاسم . طبعت للعرب من الخشب
سيفاً وبنيت لهم من الشفير الهاثر حصناً .

أبو القاسم : إلتقى الله يا بن حيون ... بعض هذا البغى ... للتعتمد من
المحاسن ما يعطى على مساويه . أجهلت إحسانه على أهل .
العلم وعطفه على أهل الأدب ؟ أجهلت كيف يربى أولاده
تربية لم نعرفها من الأمراء والملوك ؟ أجهلت كيف يعامل
الريكية زوجته الفاضلة معاملة تمسدها عليها عقائل الأندلس ؟

ابن حيون : آه يا أبا القاسم من ههنا دائى وههنا ثارى عند صاحبك
آبن عباد .

أبو القاسم : يا عجباً كل العجب . ما هذا الثأر ما حديثه ؟

ابن حيون : اسمع أبا القاسم وأنصفني .

أبو القاسم : تكلم يا ابن حيون فكلّي مسامح .

ابن حيون : كنتُ في صدر شبابي صبياداً شاباً مليحاً رأسُ مالى شبكة
وقوام معيشتي ممكة ، وكانت تختلف إلى المواضع التي
أخيلف إليها من النهر للصيد وابتغاء الرزق صبية غسالة
حلوة الدلال بارعة الجمال كأن حديثها السحر الحلال .
فانعقدت بيدينا ألفة وكانت لنا مجالس على الماء كأنها
أعراسُ النهر ولقاءاتُ على الوادى الكبير كأنها أعيادُ الدهر ؛
أحببتُ الصبية وأحبّبتني وتكلمنا في الزواج وشرعنا نأخذ
له أهبتة .

أبو القاسم [مقاطعا] : وبينما أنتم على ذلك طلع عليكم من النهر فلكت عليه
شارة الملك ، يجعل ملكاً شاباً جميلاً فنظر الصبية فراعته حسناً
وكلها فأعجبه أدها . وارتجلت الشعر بين أذنيه فبلغ إعجابه
بها الغاية فتزوجها من يومه فلأت قصوره غبطة وبهجة
وولدت له الشموس والأقمار ، هذا حديث الرميكية يا ابن
حيون وهذا خبر زواجها يعلمه كل من في الأندلس
ويتناقلونه بالإعجاب ويتحدثون أن بنت الشعب نزلت
قصور الملك من أول يوم نُزول الأقمار في هالاتها ، وأنها

من عشرين عاما الى اليوم قدوة عقائل الأندلس والمسال
الأعلى بين أميراته وملِكَاته ؟ .
ابن حيون : وما كان ذنبى يا أبا القاسم حين احتقرت حُبى واستهانت
بخطيبي ؟ وكيف تريد منى بعد ذلك أن أكون لصاحبك
المعتمد من المخلصين .

أبو القاسم : هب الأمر كان معكوسا يا بن حيون ، وهب الفلك الذى
وقف يومئذ بكما كان يحمل ملكة شابة فاتنة الجمال يمينها
الجاء وفى شمالك المال فنظرتك فأحبتك ودعتك لتبنى بها
وتشاطرهما عزة الملك وراء المال — أترأى كنت تُعرض
عن الملكة وفاء بعهد الغسالة . لا والله يا بن حيون ما كنت
فاعلا ذلك . وهذا ما فعلت الريمكية . رأيت ملكا كبيرا
وشبابا نظيرا وفضلا وأدبا غزيرا فحلت نفسها من ذلك
الوداد وفضلت أصيد على صياد . عرفت يا بن حيون أن
ذنب الريمكية ليس بالعظيم كما توهمت . بقى المعتمد وأنا
لا أجده اقترب اليك ذنباً أو أراد لك ضراً بل أنا أقسم
لو علم ابن عباد يومئذ بما كان بينكما من الحب وما صرُّتما
إليه من الخطبة وشك الزواج لأخذكما فى كنفه وتكفلت
لكما نعمته بالزواج ونفقتيه ، وبالبيت وجهازه وبالضيعة
التي تُغل عليكما وتبقى بعدكما على الأولاد .

[ابن حيون مطرقا] :

أبو القاسم : ابن حيون . مالك مطرقاً لا تنيس . ما بأل عينيك تمتلنان
استرح يا أنى للبكاء واسكب دموع الندم .

ابن حيون : الآن استرحتُ يا أبا القاسم وانطرح عن صدرى أتونُ
من الحقد حملته عشرين عاماً حتى حنى الظهر وأكل
الصدر وأدنى من القبر .

أبو القاسم : مسكين أنت ابن حيون إن حقد عشرين عاماً لو جمع
وقذف به في جهنم لكان لها منه وقود لا ينقذ .

ابن حيون : لقد شفيتني أبا القاسم من ضلالي القديم فأرشدني كيف
أعذر إلى الرميكية عن سوء ظننت وبغض أسررتُ
وأعلنتُ وكيف أكفر عما سلف مني في ذات المعتمد من
جهير السوء وهمسه .

أبو القاسم : يغفر الله لك يا ابن حيون إن الحقد ما نخرج من قلب
إلا دخلته الرحمة وإنى لأرجو أن ستحب صاحبك
وترحمهما وتحسن إليهما كلما وجدت إلى الإحسان سبيلاً .
| بطوف قيم النمان مل الجالسين حتى يقف به الطواف |
| على المائدة التي يجلس الياسر يز وابن لا طوف |
قيم النمان : لعل السيدين قد وجدا الراحة في هذا النمان الصغير ببنايه
الكبير بأقدار رواده ونزلائه ؟

حرير : ومن السيد ؟

ابن لاطون : هذا الأديبُ التيمى صاحبُ الخانِ وقيمه .

قيم الخان : لعلى أيها السيدان بحضرة الأمير حريز أسيد الأندلس
وصديقه ابن لاطون نيمر الجزيرة .

ابن لاطون : هو ذاك يا أخا تيم . هذا الأمير حريز بطل الأندلس
وواحد وأنا ابن لاطون خادمه وكاتب ديوانه .

قيم الخان : يا طيب هذه الزيارة وما أعظم شرفي بها ، لقد مر بنا أيها
الأمير منذ ساعة ركبنا حدثونا العجب عن ذلك السباق
الذى أقامه ملك الفرنجة ألفونس فى معسكره إكراماً لك
وحفاوةً بك وخبرونا كيف احتلت على الطاغية فرقت من
ذلك الجيش الحرار ناجيا بجوادك الصاعقة وظافرا بالأمير
بطرس شقيق الطاغية .

حريز : وكلاهما الساعة تحت سقف خانك هذا . ففى بعض
غرفه بطرس أمير الأسبان يأخذ قسطه من الراحة .
وفى الإسطبل الصاعقة أمير الجياد يُعلف ويستجم .

قيم الخان : يافرحا يا شرفا . أخو الطاغية أسيرٌ فى خانى نبأً والله عظيم
لا تطلع شمس الغد حتى ينتشر فى الأندلس قتشتغل الدنيا
بالتيمى ويهت بجانه الناس .

حريز : والصاعقة أمير الجياد أنسيته يارجل ؟ إن اسطبلك ليتيه به
على مغانى الفرنجة وقصورهم فاذهب فرجالك أن يمتنوا

به وليأتوا بما كان عليه من الأمتعة والأسباب فيضعوا
ذلك كله في هذه الزاوية من الخان .
قيم الخان : سيكون ما أمرت ياسيدى .

[يخرج الأمير بطرس من غرفة الخان]

[فينفض حرير وابن لاطون حفاوة به]

الأمير حرير : الأمير بطرس ؟ لعلك أخذت قسطك من الراحة .
الأمير بطرس : أجل قد استرحت يا حرير والآن خبرنى ما أنت صانع بى
لقد أصابت الحُبالة فما أنت صانع بالصيد .
حرير : إنها أيها الأمير حُبالة كريمة . .

بطرس : ولكننى على كل حال أسيرك يا حرير .

حرير : أجل ولكك الحاكم فى الأسر .

بطرس : لم تتصف أنى الملك يا حرير . اطمان إليك نفدعته
ووثق بك وختته وأطلق لك جوادك الصاعقة وأسرت
أخاه .

حرير : نحن فى حرب معكم أيها الأمير والحرب لا تُسأل عما تفعل
وأنا صاحب حصن للعرب يحاصره أخوك وفى الحصن
أبطال لا يعرفون الخوف ولكنهم بشر يعرفون الجوع .
ومنهم المرأة والصغير والشيخ الفانى الكبير؛ وحصنى يوشك
أن يسقط بعد طول الحصار وضيقه .

بطرس : إذن يهيك أن يخرج النساء والأطفال والشيوخ
من الحصن .

حرير : أراك فهمتَ أيها الأمير .

بطرس : إذن فاعلم يا حرير أنك إن خَلَيْتَ الآن سبيلَ فرجعتُ الليلةَ إلى معسكرى وقومى فإنه لا يُصبح الصبحُ حتى يطلق سراحُ كل من فى حصن رباح وينالهم من برأى وعطفه ما ينسيهم جراحهم ولا يترع من رجالك سلاحهم بل تُترك للأسد أظفارها .

حرير : هذا ما أبغى أيها الأمير .

بطرس : وأى الأقسام تريد أن أعطيك عليه ؟

حرير : إن الرجلَ الشريفَ كلمته قَسَمٌ وإشارته يمين ؛ فانا أكتفى بما سمعتُ من وعدك فانطلق الآن محرونا بعناية الله ومد لأخيك الملك فبلغه تحيتى وإجلالى وخبره بأن رجعى من ذلك السباق كان عظيما فقد غنمتُ صحبةَ أخيه الأمير النبيل الكريم وغنمتُ أيضا خلاص رجالى فى الحصن . وخرجتُ فوق ذلك من الميدان بكنوز طليطلة وجواهر ملوكها بنى ذى النون .

الأمير بطرس : كنوز طليطلة؟ خرجتَ بها بين عين الجيش وأذنه ؛ يالك من داهية عتيد . أكانتْ هذه الكنوز معك حين أتيتَ للمعسكر ؟

حرير [ضاحكا] : كلا أيها الأمير بل كانتْ فى طليطلة وفى خزان ملوكها

بنى ذى النون وإنما احتلتُ حتى حملتُ إلى مع الصاعقة
إذ أمر أخوك الملك أن يذهب إلى المدينة المحصورة من
رجاله ورجالى من يأتى بالصاعقة .

بطرس : عجباً . لقد رأيتُ الصاعقة حين جىء به من طليطلة فلم
أَرَ عليه شيئاً من الأحمال والأثقال فهل كان يحمل فى بطنه
الكنوز ؟

حرير [مضحكاً] : ولم لا تقول إنها كانت على ظهره أيها الأمير ...
(منادياً) يا تيمى .

التيمى : مولاي .

حرير : إُدفع إلى الأمير جواده قيصر وشيعة بفارسيين من أشد
رجالك يرافقانه حتى يبلغ خطوط الفرنجة .

بطرس : فى حفظ الله يا حرير .

حرير : بزيمة الله أيها الأمير .

[يخرج حرير مشيماً الأمير بطرس إلى باب الخان

ويعود فيجلس على مائدة مع ابن لاطون]

ابن لاطون [يسأل حرير مساً] : لقد ذكرتُ أيها المولى كنوز طليطلة
للأمير الأسباني فأين هى منا الآن ؟

حرير : هى معنا يا ابن لاطون بين أعيننا وفى خفارة سيفينا ولكلك
لا تراها ولا يقع فى وهم وأهيم بأى موضع هى من الخان .

[يسمع من خارج الخان مناد ينادى متنبهاً]

المنادى : أنا ذا طاهٍ أناكم من شريش بقطائف

من ينقّ حلوى يبرز لحريز غير خائف
حريز : لله ما ألدّ الصوت وما أحسن الشعر .

ابن لاطون : وإنا نرجو ألا تكون القطائف دونهما لذة وجودة .

[حريز متجها الى باب الخان]

حريز : تعال يا صاحب القطائف . أتعرف أيها الرجل حريزاً
الذى أشدتّ بذكره فيما أنشدت ؟

البائع : أوتجهله أنت كائننا من كنت وهو عترة البيد وحيدرة
الحلى ونادرة الزمان ؛ أعرفه بأمره ويومه كما يعرفه سائر
الناس .

حريز : وكيف صفته ؟

البائع : رجل عملاق أشم طويل الساعدين عبل شمردل .

حريز : كفى يا شريشى كفى لكشف عن بضاعتك لذي أين
المنادى عليه من النداء .

[البائع يعرض الصينية مكشوفة]

صوت من الحاضرين : تعالى الله ما أشهى .

صوت آخر : تعالى الله ما أطيب .

حريز : بكم تبغني هذه الصينية يا رجل .

البائع : كل ما أعطيت مقبول أيها السيد الكريم .

حريز [ويلقى اليه مرة دنانير] : خذ هذه الصرة مباركا لك فيها .

البائع : ولكم في القطائف أيها الطاعم الكريم .

حريز [للمحاضرين] : تعالوا أيها الإخوان نتقاسم هذه اللقمة الطيبة .
تفضلوا . أقبلوا . ذوقوا معنا من هذا اللون الذي ذاعت
شهرة في البلاد حتى قيل إن من دخل الأندلس ولم يذق
من مجبنات شريش فما عرف من متاع الأندلس شيئا .
أحد المحاضرين : إن لهذه القطائف لطيبا يسير من بعيد .
[الجميع ياكلون]

أحدهم : ما ألد .
ثالث : ما أطيب .
حريز [وهو يأكل ملتصقا إلى ابن حيون] : ما بال الأديب لا يجيب الدعوة .
ابن حيون : إني صائم أيها الأمير .
حريز : تقبل الله منك وإن أنت لم تقبل منا .
أحد المحاضرين [مل المائدة وهو يأكل] : هذه المائدة جمعت الملقف
والشرف . فوالله ما كان أحدكم يعلم أن يؤكل أسد
الأندلس .

آخر : حق إن هذا هو الشرف العظيم .
[يفرغون من الأكل]

حريز : يا الله ما هذا الدوار ؟ ! ابن لاطون
ابن لاطون : وأنا أيضا كأني داخل في غيبو
رجل [لصاحبه] : كيف تجد الدنيا في عينك يا ضبي ؟
الضبي : مظلمة صاعدة نازلة .

الرجل : وأنا أيضا أجد الدن يا .
 أبو القاسم : لقد رُجِمَت بصيايكم يا بن حيون فاني أظن القطائف
 طيخت بالبنج وأخذت تصرع ... بنى .
 ابن حيون [مذعورا] : يا ويح للجماعة غودروا صرعى وويح لك أبو القاسم
 سقطت سلب العقيل والحرالك .
 | يظهر صاحب القطائف ويصفر فيدخل جماعة من الصوص | .
 ابن حيون [وقد امتلأ المكان بالصوص] : يا الله ! امتلأ المكان بالصوص .
 الآن تبين أن القطائف كانت مصيدة لم يعصني منها
 إلا الصيام .
 ثم لنفسه [همسا] : تناوم يا بن حيون "وتتناوم على مقعده" .
 صاحب القطائف : يا أصحاب الباز . غدا يتحدث الأندلس أن صاحبكم
 صرع الأسد وأخذ الصاعقة من فارسه الجبار وقد
 خصصت نفسى بأمر الخيل الصاعقة فهو حصتي من غنائم
 اليوم وما سواه فهو لكم تقسمونه بينكم فدونكم الجيوب
 ففتشوها وعليكم بالحقائب فانبشوها وخذوا أثاث الخان
 وعروضه، كل ما خفت زنته وعظمت قيمته .
 أحد الصوص : ولكن الصاعقة عريان لا سرج عليه أيها الزعيم .
 البازى : يجياد الأندلس جميعا هو كاسيا كان أو عريانا .
 لص آخر : لقد لمحت أيها الزعيم في زوايا الاسطبل سرجا محلى بالذهب
 والفضة .

الباز : أو أتم تاركون لي السرج المذهب المفضّل أيها الأصحاب؟
 اللصوص : نحن وما نملك للزعيم .
 الباز اللص : إذن فاسبقني يا شهاب فضع السرج المذهب على الصاعقة
 وانتظرني هناك .

[يأخذ اللصوص في السلب والنهب وينسلون واحدا إثر واحد
 بما حوت أيديهم ويبقى رجل منهم فينحني على سرج عاطل
 يتأمله ويظن ابن حيون المكان قد خلا فيستوى في مجلسه
 ويقع نظر اللص عليه فيرى السرج العاطل عليه قائلا ...]
 أحد اللصوص [لابن حيون ويرى عليه السرج العاطل] : خذ يا شبيب السوء
 هذه الخشبة لعل فيها العوض عما أفاتك الصيام من
 القطائف .

[ويخرج اللص] :
 ابن حيون [لنفسه] : شئت يد اللص ؛ لقد قذفت السرج بقوة حتى
 كسره ولو أصابني به لتركني جثة بلا روح ، يا لله . ترى
 أي شيء في فروج هذا السرج .
 [يدنون منه ويمسك به ثم يتأمله ويدس فيه يده]
 ربّ ما هذا الحصى ؟ أي مجنون يملأ سرجه بهذه
 الأحجار ... !

[ثم يستخرج عددا من الأحجار الباردة
 ويقلبها بين يديه مذهولا قائلا] :
 لآلئ ! يواقيت ! أبا القاسم قم فانظر إن الذي حشا

رَأْسَكَ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ قَدْ حَشَا رُذْنِي بِاللَّائِي وَالْيَوَاقِيتِ .
 [ثم لنفسه] يا ابن حيون أين يُذْهَبُ بك ؟ هذا كثرُ ملكٍ عظيمٍ من
 أقبال الروم جَدَّ به الحرصُ وخاف امتدادَ الفِتْنَةِ إلى كثره ،
 فاختار له هذا السرج البالي وفي نفسه أن يصوِّنَهُ أو يموتَ
 دونه فأخلف الدهرُ ظنونه .

[يجمع اللآئِي بين الدهشة والاضطراب ويقول] :

ابن حيون [وينظر إلى اللآئِي] : لآئِي ! يَوَاقِيت ! ماس ! زمرد !
 رباه هذا عجل الذهب ، هذا هو معبودُ الناسِ بعدَكَ
 هذا هو المال .

ستار

الفصل الثالث

« بستان أمام دار أبي الحسن . الى يمينه باب الدار ومن ورائه شاطئ »
« الوادى الكبير — أبو الحسن جالس فى هذه الساحة وبين يديه »
« تابع له هو (سعيد) وجماعة بالقرب منه من السامرة يتها مسون »
أبو الحسن : ما هذا ؟ ما أرى ؟ إلى لا أعرف هذه الوجوه ؟ فمن
الرجال يا سعيد وما يتفنون ؟

سعيد : هذه الوجوه تحوم على الدار منذ حين يا مولاي وتساؤل
عن أجزائها وتستفهم عن مشتملاتها ؛ وتحدث عن
المكتبة خاصة وما عسى تضم من نفائس الأسفار .

أبو الحسن [رافعا وجهه الى السماء] : لطفك اللهم ! لقد ليحج الناس بالنكبة
واشتغلوا بالمنكوب ، وما أولع الناس بالناس .

[ثم الى الرجال] : أيها الرجال تعالوا فان كنتم ضيوفا فيا مرحبا بكم ، وإن
كانت لكم حاجات تريدون قضاءها فهاتوا آذكروا .

أحمد : إيذن لى يا سيدى التاجر أن أصارحك القول فليس

مررُوك بسرٍّ؛ والدارُ معروضة لا محالة، فلنبعها اليوم،
فقد تغبن جدًا في الغد .

أبو الحسن : أُنشِفِق على الدارِ أن يكسد سوقها في غد ؟ أم تشفِق
على نفسك أن يكون السمسارُ غيرك ؟ ... بكم قوّمتم الدارَ
أيها الوسيط المجتهد ؟ وأي ثمن تعطون ؟

أحمد : عندي المشتري لهذا بنخسين ألف دينار يا سيدي التاجر .
تعمل اليك في الصباح إن قبلت .

أبو الحسن [الى الثاني] : وأنت فماذا عندك ؟

الثاني من السامرة : عندي الراغب الذي يزيد خمسة آلاف دينار .
أبو الحسن [مشيرا الى الثالث] : وهذا الثالث الآخر . ماذا عنده ؟

الثالث : عندي أيها السيد أن صديقًا لك لا أسميه يريد أن يشتري
مكتبتك بالثمن الربيع فهل أنت بائع ؟

أبو الحسن [في غضب] : والمكتبَةُ أيضا أخذوا يتحدّثون في شرائها !
ووسادتي وفرش نومي أما لها عندك من طالب أيها
الرجل ؟ أعزُّب عنى ! أعزُّب وخذ صاحبك معك
وانطلقوا . إن النكبة لم تبلغ بعدُ تمامها ولم تبلغ معها
الى اليأس .

[يقترِب شيخ عريب الثياب ملفتا الى الرجال الثلاثة قائلاً]

[المغربي الشيخ] : تلك والله وقاحة !

أحد السامرة : حجلت فيها يا وجه النحس !

[ينصرف السامرة] .

أبو الحسن [ينادي نفسه] : ظهر فيك السمسار يا دار ! اللهم أنت
أعطيت وأنت أخذت وأنت تعلم أني لست التاجر اللص
ولا المحتال ، فألطف بي فيما قضيت وأعين ولدي حسوناً
على ما يواجه من فرار النعمة وانتقال الأيام [ثم يشعر براحة
و يقبل : يا الشيخ المغربي قائلًا] : وأنت يا شيخ البربر ما وراءك ؟
المغربي : أنا زائر ياسيدي التاجر . وربما كلمتك في شأن يكون
فيه ارتياحك ورضاك .

أبو الحسن : مرحبا بالزائر . تعال يا سيدي نتحدث على هذا الفضاء
الطلق ، وفي ظل هذا الروض الكريم [يسيران قليلا ثم يجلسان] .
المغربي : أنا يا سيدي التاجر رجل من أغنياء المغرب . حبيب الله
إلى السياحة في أرضه . أجوب مذ كنت البر وأرفع
شراع البحر ، الى أن دفعتني الأسفار منذ أيام الى
مدينتكم هذه أشيلية الغناء وكنت سمعت عنها وقرأت
الشيء الكثير . فلما نزلتها ودخلت في مواضعها وخرجت
ملأت نفسي وشغلت خاطري . فاعتزمت أن أجعلها
قرارى وملق عصاى في رحلة الأيام .

أبو الحسن : ما أسعد أشيلية يا سيدي بابنها الحديد البار .

المغربي : مهلا ياسيدي التاجر وخذ الحديث الى آخره ، لم يبق

في نفسي من هوى الأسفارِ إلا جولةً أجولها فيما وراء هذا
الأندلس من ممالك للفرنجية وديار . فاذا كتب الله لي
السلامة؛ أتيت هذه المدينة فاتخذتها وطناً ودياراً .
التاجر أبو الحسن : مشيئاً بالسلامة والكرامة .

المغربي : ولكنني مزيجٌ سقراً شاقاً بعيداً . وما يدري المسافر ما وراء
الغربة من الفجاءات، وما تدري نفس بأى أرض تموت،
ومعى يا سيدي من كريم الجوهر وناديه ما أخشى عليه
السيرة أو الضياع وأنا منقطع الوارث لا أهل ينتظرونني
ولا ولد، ولقد مررتُ بدارك هذه مراراً فكنْتُ كلما
زدها تأملاً زادتنى بهجة وروعة . حتى حدثتني النفسُ
بشرايتها .

أبو الحسن [في غضب] : أنت أيضاً ياسيدي أتيت تساوئني في الدار !
المغربي : دعني أستم يا أبا الحسن فإني جاد ! ما أنا بالمساوم ولا بالرجل
الذي يلتمس الفوائد لنفسه من مصائب الناس؛ ولكنني
جئتُ أخطبُ اليك الدارَ وأجعلُ مهرها ما أقدرُ أنا
لا ما تهدرُ أنت ولا الناس .

أبو الحسن : ماذا تريد ياسيدي؟ بين ! صرّح ! إني لا أفهم ما تقول !
الشيخ المغربي [ويخرج عقد لؤلؤ من كفه] : هذا عقد من كبير اللؤلؤ وخالصه
قيمتُهُ زهاء المائة ألف دينار فخذ ياسيدي ثمن الدار

وَأَبَقَ فِيهَا وَأَحْرَسَهَا لِي حِرَاسَةَ الْقِيَمِ الرِّفِيقِ . فَإِنْ لَقِيتُكَ سَالِمًا
بَعْدَ ثَلَاثَةِ شَهْرٍ تَمُضِي مِنْ يَوْمِنَا هَذَا نَزَلْتُ فِي دَارِي ؛ وَإِنْ
مَضَتْ هَذِهِ الْمُدَّةُ وَلَمْ أَعِدْ ، بَقِيتُ عَلَيْكَ الدَّارَ مَبَارَكًا لَكَ
فِيهَا وَلَوْلَاكَ .

أَبُو الْحَسَنِ : وَلَكِنْ يَا سَيِّدِي هَذَا الثَّمَنُ كَثِيرٌ جَدًّا لِدَارٍ يُشْتَغَلُ بِهَا الْآنَ
السَّمْسَارُ وَالذَّلَالُ .

الْمَغْرِبِيُّ : بَرَكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ لَا تُعْرِضْ عَنْ خَيْرٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَقِفْ لِأَهْلِ الْمُرُوءَاتِ فِي سَبِيلِهِمْ وَلَا تَسْتَنْكِزْ عَلَى رَجُلٍ
قَدْ زَادَ مَالُهُ حَتَّى مَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ بِهِ أَنْ يُعِينَ بِقَضَلَةٍ
مِنْهُ كَرِيمًا مِثْلَكَ طَالَمَا آسَى الْجُرُوحَ وَأَقَالَ عَثَرَاتِ الْكَرَامِ
فَاجْزِ الصَّفْقَةَ يَا سَيِّدِي أُجْزِئُهَا .

أَبُو الْحَسَنِ [يَنْظُرُ إِلَى الْعَقْدِ قَائِلًا] : أُمَامَةٌ أَلْفِ دِينَارٍ ؟

الْمَغْرِبِيُّ : أَجَلْ يَا سَيِّدِي فِي أَقَلِّ تَقْدِيرٍ .

[أَبُو الْحَسَنِ يَأْخُذُ الْعَقْدَ وَيَتَأَمَّلُهُ وَيَقْلِبُهُ وَفِي هَذِهِ الْحَفْظَةِ يَرَسُو

شِرَاعَ فَنَزَلَ مِنْهُ بِثِيَابٍ مَتْنَكَةٍ فِي ثِيَابِ شَابٍ وَمَعَهَا جَوْهَرٌ وَلَوْلَا]

أَبُو الْحَسَنِ : مَاذَا أَرَى ؟ مَا هَذَا الشِّرَاعُ ؟ مَنْ الْفَتِيَّةُ يَأْتِي ؟ لِمَ يَذْنُ لِي
أَيُّهَا الزَّائِرُ الْكَرِيمُ وَأَنْتَ تَنْتَظِرُنِي فَإِنِّي عَائِدٌ إِلَيْكَ مِنْ فُورٍ .

[يُجِبُهُ أَبُو الْحَسَنِ بِحُجُومِ الْقَادِمِينَ مِنَ الشِّرَاعِ . الْمَغْرِبِيُّ

يُزِيلُ تَنْكَرَهُ فَإِذَا هُوَ ابْنُ حَيَّوْنَ . حَسُونُ يُلَاحِظُ ابْنَ

حَيَّوْنَ مِنْ دَاخِلِ الْكَشْكِ فَيُنَادِيهِ مِنْ وَرَاءِ مَجْلِسِهِ] .

حسون : تعال يا بن حيون ألاعبك الشطرنج .

ابن حيون : ليك ياسيدى حسون .

[ويدخل ابن حيون الى حسون عند اقتراب أبي الحسن

من القادمين يسارع اليه ابن غصين ولؤلؤ وجوهر] .

ابن غصين (ثينة) : السلام عليكم ياعم .

أبو الحسن : وعليكم السلام يا بنى .

ابن غصين : لمن ياعم هذا القصر المنيف وهذه الربوة الغناء ؟

أبو الحسن : هذا الكوخ يا بنى لخادمكم أبي الحسن التاجر .

ابن غصين : تسمى غرفة الفردوس كوخا ! هذا منتهى التواضع

ياسيدى التاجر .

أبو الحسن : ومن السيد ؟

ابن غصين : ولدك ابن غصين من أبناء أعيان قرطبة ، وهذان جوهر

ولؤلؤ صاحبى ورفيقا سفرى .

أبو الحسن : مرحبا مرحبا بشباب قرطبة النابه . لاني أرى الدار

قد أعجبتكم يا بنى وإنه ليسرني ويشرف قدرى أن تدخلوا

فتقضوا ساعة مع ولدى حسون فإنى أرى عليكم الفضل

والأدب والمجادة ، وحسون لا يصاحب ولا يجالس

إلا أهل الفضل والنبل ، فتفضلوا أيها الأدياء وشرفوا

أخاكم بزورة وأتم واجدون عند حسون كل ما يشتهى

النشء المتقف ، ففي خزانته ما قدم وما حدث من آلات
الطرب حتى عود زرياب .

جور [يصيح] : عود زرياب ؟

أبو الحسن : أجل يا بني ذلك العود الذي على أوتاره كان عواد الأندلس
يُسمع الخلفاء ما توحى إليه الجن من روائع الألحان
وتجدون كذلك عند حسون مكتبة لم يُجمع مثلها في البلاد .
قد حوت الذخائر في كل علم وفق .

ابن غصين : وكيف ولع فتاك ياسيدي بعلم الفلك ؟

أبو الحسن : أشد الولع يا بني وقد جمع الكثير من نفائس المخطوطات
فيه وفي أولها رسائل المنجم الضبي .

ابن غصين : المنجم الضبي ؟

أبو الحسن : أجل يا بني وأذكر أنه من شهرين أو أكثر أو أقل ،
قد انتهت الى حسون رسالة مما وضع الضبي فدخله
من ذلك فرح يشبه الجنون .

ابن غصين [لنفسه] : رسالة للضبي من شهرين أو أكثر أو أقل ؟ ! بشراك
ياقلب إنه هو ؛ وبشراك يا عين ستكتحلين به الساعة
[ثم الى أبي الحسن] لقد شُقتنا الى ولدك الفاضل أيها السيد
فأين من يستأذن لنا عليه ؟ .

أبو الحسن : يا مرحبا ! يا مرحبا ! ما أعظم حظ حسون . إتبعون
ياسادة اتبعون ، فإني دليلكم الى ناديه ، وإني أرجو أن

سُيُعِجِبُكُمْ ، إِنْ حَسُونُ شَابُّ قَدْ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ حَبَّةَ لِلْنَّاسِ .

[أبو الحسن مع ابن غصين ورفاقه يقفون أمام

كشك حسون . ابن غصين يلحظ لعبة الشطرنج] .

أبو الحسن [لابن غصين] : هو ذا حسون ياسيدي يلعب الشطرنج

مع صديق لنا قديم كريم لا تخلو منه الدار ساعة .

[أبو الحسن ينادى ابنه] .

أبو الحسن : حسون يا ولدي .

حسون : لبيك .

أبو الحسن : هذا ابن غصين من نبلاء قُرطبة ومعه صاحباؤه ورفيقا

سفيره يريدون أن يجتمعوا بك ساعة .

حسون : يا مرحبا ! يا مرحبا ! أهلا وسهلا بالسادة .

أبو الحسن : لقد جمعتك بضيفانك الكرام يا حسون والآن أترككم

في حراسة الله لأعود الى زائري المغربى فإنه بانتظارى

وأخاف أن يأخذه القلق .

[أبو الحسن يرجع يفتش عن المغربى فلا يجده] .

أبو الحسن : يا لله . أين الشيخ ؟ أين ذهب [مناديا] سعيد .

الخادم : لبيك يا مولاي .

أبو الحسن : ما صنع الله بالشيخ المغربى الذى كان ههنا منذ لحظة ؟

سعيد : لا أدري أين ذهب يا مولاي .

أبو الحسن [ينظر فى يده وكان قد نسى فيها عقد اللؤلؤ] .

أبو الحسن [لنفسه] : ويحيى ما ذا أرى ! هذا عقد اللؤلؤ فى يدي نسيته

فيها يانجملا ! ماذا يقولُ الرجلُ عني ؟
ابن حيون [من داخل الكشك] : سيدي أبا الحسن لقد لمحتُ زائرَكَ
المغربي خارجا من الدارِ يهرولُ فعبثًا تبحثُ عنه .

[حسون مع ابن غصين ورفاقه وابن حيون] .

ابن غصين [لنفسه] : إلهي . صدقني القلب ما حدث وقَلَبًا تكذب
القلوب ، هذا هو شاب قرطبة الذي لم يخل منه القلب دقة
[ثم إلى حسون] الآن صدقني الذاكِرَةُ فنحن ياسيدي
قد تعارفنا قبل اليوم .

حسون : وأين كان ذلك ؟ وكيف نلت هذا الشرف ؟

ابن غصين : في سوق الكتب بقرطبة من نحو شهرين أو أقل أو أكثر .
حسون : لله ما أعظم حظي . أنت والله ياسيدي ذلك الفتى المثلّم
الذي نازعته رسالة الضبيّ ونازعنيها حتى غلبته عليها . نعم
أنت هو ، وهذا صوته ، وهذه شمائله ، فكيف اهتديت
إلى كوني أيها السيد العزيز ؟ يا مرحبا ! يا مرحبا !
جعلها الله بيننا صداقة الدهر .

ابن غصين : ولكن أنت ياسيدي تلاعبُ صاحبك الشطرنج وأخشى
أن أقطعَ عليكما لذة اللعب .

حسون : لا ياسيدي هذه لذة نجدها في كل وقت وأما لقاءكم
والأنس بكم فلذة الدهر وخلسة الأيام . تفضلوا ياسادة .

ابن غصين [بلوهر ميسا] : إجتهد يا جوهر أن تلاعب هذا الشيخ
وتشغله حتى يخلو لي وجهه حسون .

ابن غصين [المؤلؤ] : وأنت يالؤلؤ إذا أخذنا في اللعب فقم عند رأسيهما
ولا تدعهما حتى أهمم بالانصراف .

جوهر [الى ابن حيون] : أأأذن ياسيدي أن أحل محل السيد حسون
في ملاعبتك .

ابن حيون : تفضل ياسيدي خذ مكان حسون وأرخصني من قدرته
العجيبة على الظفر بالملاعبين ، ومن حظّه الذي هو أعجب
من قدرته .

ابن حيون [المؤلؤ] : وأنت ياسيدي أتحب أن تكون من النظارة ؟
لؤلؤ : يا حبذا لو أذنت ياسيدي .

[يتأبط ابن غصين ذراع حسون ويتعدان ناحية] .

ابن غصين : أحق أننا التقينا يا حسون ؟

حسون : أجل ! وكنا نظن ألا نلتق .

ابن غصين : عناية ولطف وتوفيق أقدار لأقدار .

حسون : وقديما جمع الله الشهيدين ، وطوى الأرض للبعيدتين
[يجلسان] .

ابن غصين : أذكرك يا حسون قرطبة وسوق الكتب ؟

حسون : أجل وأذكر رسالة الضبي وكيف كنا نتنافس فيها ، وكيف
غلبت عليك عليها .

ابن غصين [مبتسماً] : وأين هي الآن يا أنخى ؟
 حسون : هي هاهنا يا ابن غصين بالقرب منك وفي متناول يدك ،
 إن شئت انتقلنا الى المكتبة فأخذتها .
 ابن غصين : لا يا أنخى بل دعها في موضعها من خزانتك فإنها عندك
 في الحفظ والصون وكأنها عندي ، ويكفيني نظرة ألقياها
 على الرسالة من حين لحين كلما جئتُ دارك زائرة .
 حسون [في دهش] : زائرة ؟
 ابن غصين [لنفسه] : ويح لسانى قد عثر وكشف السرَّ القدر ! .
 حسون [مبتسماً] : كيف تأثلت أنخى ؟ ما أنت الفقى الذكر ؟ أما كفالك
 هذا الصوت الساحر الرنة اللذيذ الثبرة حتى جمعت اليه
 أنوثة اللفظ ولين الكلام ؟
 ابن غصين [في تلجلج وفضب] : عثرة لسان يا شاب فتر عليها من الكرام .
 حسون : وما أثارك يا أنخى وليس فيما قلت ما يُغضب ؟
 ابن غصين : لنطو هذا الحديث ولنرجع لما كنا فيه ... أما يسرك
 يا حسون أن أخلق لزيارتك العلل والأسباب وأن أجعل
 رسالة الضبي سلماً الى دارك كلما اشتقت اليك ؟
 حسون : كل السرور يا ابن غصين ، أنا واحد أبى لم أعرف عاطفة
 الأخوة ولم أجدها حناناً ولا رقةً ويحيل الى منذ
 عرفتك أن قلبي يفيض منها وأن وجداني بها مترع ، فهل
 ترضاني أخاك شقيقاً برّاً بك شقيقاً ؟

ابن غصين [ويتند] : يا مرحبا وإن كنتَ حلتَ من قلبي محل أنى
الظافر من أول يوم .

حسون : ويح أذنى ما أسمع ؟ وما أنتَ من الظافر يا ابن غصين ؟
وما الظافر منك ؟

ابن غصين [ويتجلج في الجواب] : عثرةً أخرى ، ويح لسانى اختلَّ عصبُه
واختلط عضلُه ، لا غفر لى هذه أيضا وأنسها يا حسون .

[وكان ابن غصين ينظر الى رباط بذراع

حسون فوب في الحديث وقال :]

ابن غصين : وقى الله ذرامك بيمينه يا أنى ، ما هذا المنديل ؟ ما وراءه ؟
حسون ؟ جرحٌ اندمل أكثره وبقي أثره .

ابن غصين : بعد عنك الشر يا أنى ، من جرحك ؟

حسون : هذا واحد من جراح لم يكن يُرجى أن أقوم منها لو لم تلقِ
عليها العناية يدها الآسية الشافية .

ابن غصين : بالله إلا حدثتني حديثك . أطلع عليك اللصوص يا أنى

في مكان خالٍ من الناس فأبليت فيهم وأبلوا فيك ؟

أفاجأتك عصابة الباز بن الأشهب فخرحت رجالها

وجرحوك ؟

حسون : لا يا سيدي إن القتال الذى شهدت أعظمُ شأنًا وأنبلُ

أقرانا مما ذهب إلى ظنونك .

ابن غصين : وما خبره وأين كان وكيف ؟

حسون : كان ذلك في قرطبة .

ابن غصين : قبل تلاقينا في سوق الكتب أو بعده ؟

حسن : بل بعد ذلك بأسابيع وكنتُ نزيلا على بعض خانات
المدينة فكان من عجائب القدر أني اكتشفت مؤامرة
تدبر في الخان لاغتيال الأمير الظافر وإزالة إمارته عن
قرطبة وكان شيطان الفتنة ورأس أفعالها هو الأمير حريز بطل
الأندلس المشهور فما أطلعتُ على سر المؤامرة وخطط
أصحابها حتى ثار ثائري و غضبتُ لوطني ولقومي فانسملتُ
من الخان ليلا وركبتُ جوادا كان معدا لركبته بوق
الثورة والفتنة فعدوتُ حتى أتيتُ قصر السوسان فنبهتُ
الأمير وحاشيته وحرسه ولم أكن الى تلك الساعة رأيتُ
الظافر وجها لوجه ولا حضرتُ له مجلسا وتأهب الجميع
للقتال وما ليثَّ الثوار أن طلعوا علينا آتين من نواحي
المدينة يقودهم بطل الأندلس حريز فتلقيناهم بصدور قد
رحبتُ بالمسوت ونفوس قد هشت اليه وذكرنا إذ ذاك
الوطن وحقه وأشبيلية ويمتها في الأعناق فحملنا حملة
تجيد عنها الجبال . وكان الظافر طيب الله ثراه .

ابن غصين [مزجعا] : حدثني يا سيدي عن الظافر؛ قل لي كيف قاتل ؟
وكيف قتله الغادرون ؟

حسن : تسألني عن الظافر كيف قاتل ؟ سل حريزا عنه فهو ينبئك
أنه الأسد .

ابن غصين : وأين كنت من الأمير في ساعة البأس يا سيدي ؟
 حسون : كنت حوله أحى ظهره ويشد سيفه الى أن ناءت
 به جراحاته فسقط عن جواده وكنت أنا أيضا قد أُنخِئتُ
 بالجروح فسقطت الى جنبه حتى اذا أفقت من غشيتي
 نظرت حولى فرأيت عند رأس الظافر هذا الصديق الذى
 تراه يلاعب صاحبك الشطرنج الآن .

ابن غصين : وما اسمه يا سيدي ؟

حسون : ابن حيون وهو من رجال العلم والأدب .

ابن غصين : وماذا كان من اهتمامه بالقتيل ؟

حسون : طبع على جبينه قُبلة وبكاه ورحم ثم ألقى عليه رداءه .

[ابن غصين يدخل فى الاغواء]

حسون : ما هذا ؟ ماذا أرى ؟ ما أصابك يا أنى ؟ ما لعينيك
 تغمضان ؟ وما بال رأسك يميل ؟ ويحى ماذا جنيت على
 الشاب ؟

قد كان عن حديث الظافر لى غنى . ربّ أصحاب أنا أم حالم ؟

[وعند ما يميل ابن غصين فى الاغواء تقع القلنوسة]

حسون : هذه ضفائر فتاة قد هوت عنها القلنوسة فانسدت كجنيح
 الليل على جبين كغزاة الصباح . أيها الملك الكريم لقد عبثت
 بى إذ كنت 'تنتكر وترجل فاعبث اليوم بقلبي ما بدا لك

فقد دبّ لك الهوى فيه، إن شئت فتنكر، وإن شئت
فاظهر فلا كتمنّ حديثك ولا فقد سنّ سرّ هواك أن يذاع،
ويلاه إن الإغماء قد طالت . ابن حيون ... ابن حيون .

ابن حيون : لبيك يا سيدى .

حسون : أنا فى حاجة إليك تعال وحدك أسرع .

[يجهر ابن حيون]

حسون : ابن حيون أنظر ما ذا ترى لقد أغمى على ابن غصين
فاذا الظبي مهأه واذا البدر يابن حيون شمس .

ابن حيون [بعد تأمل عميق] : يا لغرائب القدر هذا الوجه عرفته وعشيقته

قبل عشرين عاما من هذه الأيام وقد لقيت بعشيقه الدواهى .

حسون [مندهشا] : قبل عشرين عاما من هذه الأيام! أهازل أنت يا عم؟

ابن حيون : بل جاد كل الجسد يابن أنى . اسمع حسون هذه بنت

الرميكية . هذه أخت الطافر . هذه بنت ابن عباد .

ستار

الفصل الرابع

« بأحدى مقامير قصر الزاهي »

« العبادية والدة الملك ابن عباد مع بثينة »

العبادية : لقد علمتُ يا بثينةُ ما كان من زيارتك لدار التاجر
أبي الحسن وجلوسك ساعة مع ولده حسون، وأني كنت
في زى الغلام وكان معك لؤلؤ وجوهر .

بثينة : ومن خبرك الخبر يا جدّة ؟

العبادية : عيّن من الحب وكلتها بك ترى خطاك وتحرس حركاتك
وسكاتك وإن كنت عظيمّة الثقة بنفسك الأبيّة العالية
وخلقتك الفاضل الشريف .

بثينة : أنيت إذن يا جدّة كالمصور بن أبي عامر لك في كل نادٍ
عين، وفي كل سامر أذن .

العبادية : لا بل أنا عجوزٌ يا بثينةُ والعجائزُ يتلمسن الأخبار ، وأنا
أرملُ ملكٍ وأمُّ ملكٍ يتجسس لي من لم أندبه للتجسس
ويحييئني بالأخبار من لم أزود . ومهما يكن من الأمر

يا بثينة فلا تنسى أننا ما أرخينا لك الجبل إلا ونحن نعلم
أنك الفرس النجيبة التي إذا أرغى لها الرسن لم يتحش لها
جراح ولا شرود .

بثينة : جعلني الله عند ظنكم يا جدّة . وببغائك "نادر" يا جدّة
أنسينه ؟

العبادية : كيف أنساه يا بثينة وقد كان لدى كريمة وكان سيد الطير
وكان أخفها ظلا وأبينها حكاية وثقلا .

بثينة : أتذكرين يا جدّة كيف أشفقت عليه فلم ترضى أن يُترع
من ريش جناحيه كما يصنع الناس بالطير الكريم فيأمنون
طيرانه وفراره ، وإنما اكتفيت بوضع حلقة صغيرة من
الذهب في رجله اليمنى تمنعه من النهوض وتقيده وإن كان
في الظاهر حرا ينتقل في نواحي القصر .

العبادية [مندهشة] : وماذا أخطر ببغائي نادر على بالك يا بثينة وماذا
تريدين بذكر الحلقة .

بثينة : أريد أن أقول لك يا جدّة إن حالي كحال المرحوم نادر .
قيدموني ببجوهر ولؤلؤ ومقلاص وبالعيون والأرصاد
ثم زعمتم أني حرة طليقة أفعل ما أشاء .

العبادية [مبتسمة] : ولكن لا أظن حلقة الذهب تثقل رجلك يا بثينة
فاني أرى خدم أبيك الملك لا يقصرون في صحتك عن

خُدْمَةٌ وَلَا طَاعَةٌ . عَلَى أَنْ كُلُّ هَذَا لَا يَهْمُنِي إِنَّمَا يَهْمُنِي
أَنْ أَعْلَمَ رَأْيِكَ فِي الشَّابِّ وَكَيْفَ وَجَدْتَهُ . وَهَلْ هُوَ عَلَى
جَانِبٍ مِنَ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ اللَّذَاتِ وَيَسْمُو بِهِ
عَلَى الْأَتْرَابِ ؟

بشينة : أما هذا يا جدّة فنعم ، حسون فتى جُمَّ العلم غزيرُ الأدبِ
عظيمُ الحظ من الفنون جميعاً إلى ما وهب له الله من
الشجاعة التي لا يضارعه فيها اليوم إلا أبي الملك وإلا شابُّ
كان زينَ الشباب ، طاح بالأُمس شهيد الكرامة والواجب .

العبادية : أو أبداً تذكرين الظافر يا بشينة ، دعيه يا ابنتي في أعراسِ
نعيه بين شبابِ الجنة ، خبّريني هل في شبانٍ أمراءِ الديارِ
اليوم من هو الكفء لأميرة الأندلس وعروسه ؟

بشينة [في حياء] : هي الكفء موجوداً حاضراً يا جدّة . أهذا وقتُ
الفكرِ في زواجي والاهتمامِ به وأنتِ ترينَ الحوادثَ يجتدِ
جدّها والأمورَ تسوء مصايروها . مسكينُ أبي الملك أصبح
لا يدري من أين يتلقى البلاء : المغاربة وسلطانهم
ابن تاشفين يطلعون من البحر ، والأسبان وعاهلهم ألفونس
يزحفون من البر ، والملك بينهما كالصيد المطارد من جانبيه ،
إن تلقّت عن يمينه قُتِل ، وإن تلقّت عن شماله أُكِل ،
والإندلس في هذه الأثناء كالأسد الواقع في الحفرة إن سكن

لم ينفعه، وإن تحرك لم يرفعه، وحدة ممزقة، وكلمة متفرقة،
وآمال بالعدو معلقة .

العبادية : إن بنات الملوك إذا بلغن إلى مثل سنك يا بئينة كان الزواج
أزكى بسترهن وأليق بجلالهن ، وأما ما ذكرت من إظلام
الجو وجهامة الحوادث ، فتلك حال اختلفت علينا بها
السنون حتى ألفناها وقد تصير إلى الأردأ الأسوأ . وقد
يبعث الله برياح اللطيف فتعصم السفينة من الصخرة وتقيها
كارثة الاصطدام . بئينة ! بنتي أنا الجدة ولدتك مرتين
إستريحى إلى برك وبوحى إلى بمكنونه فلن تجيدين
أرحب برك ولا أرحم لك من هذا الصدر . خبرينى
يا بئينة أتعرفين بين أبناء سروات أشيلية اليوم فتى يتوسم
فيه الخير ويرجى فى أمره الصلاح ، ويقول الناس عنه :
فلان كفء لبنات الملوك ؟ بئينة . لقد مررت باسم
حسون مرا ولم تصيفيه لى . فما شكله ... وما أوصافه ؟
بئينة : هو يا جدّة شاب فى أواخر العقد الثالث من عمره ،
رشيقي القامة فى طول ، أسمر اللون فاحم الشعر جعده ،
ساحر النظرة ، اذا تبسم جذب ، واذا تكلم خلّب .

العبادية [مبتسة] : هو إذن فتى جميل يا بئينة ؟

بئينة : جدا وخفيف الظل فوق ذلك .

العبادية [بعد اطراق] : ولكن ...

[فأجفلت الفتاة ولاحظت الجدة ذلك] .

العبادية : لا تفضيبي يا بئينة فليس وراء « ولكن » شيء أقوله يحط
من شأن حسن ويزل به عن مرتبة الفتیان الأجماد .
بل كل ما هناك أن الناس يتحدثون اليوم في همسهم عن
نكبة نزلت بالتاجر أبي الحسن فذهبت بمعظم ماله .

بئينة : وما يعيبه من هذا يا جدّة ؟ أليس أبو الحسن تاجرا ،
والتجارة جزر ومدة ، وحرمان وجدة ، ونحس وسعد ، فكمن
تاجر بمنزلة أبي الحسن قد نكب فذهب عنه كل شيء
الا الخلق ، ثم لم تمض مدة من الشهور أو الأعوام حتى
سميع الناس وتحدثوا أن التاجر فلانا المنكوب تغلب بالخلق
على نكبته فعاد دولاب تجارته كأمس عظيم الحركة عيم
البركة ، ومثل أبي الحسن في خلقه وأمانته وشرف اسمه
في الأسواق لا يبعد أن يقوم من هذه السقطة ورجلاه
في حافية .

بئينة [صاغية ثم فائلة] : ... أسمعيت يا جدّة .

العبادية : أجل ! سمعت تنفّساً .

بئينة : ترى من الطارق ؟

[يدخل عليهما الملك]

الملك : صفحا يا أتم وعذرا يا بئينة اذا كدرت عليكما الحلوة وقطعت

عليكما الحديث فوالله ما دفعنى اليكما الساعة إلا هم سار
وشاغل جليل .

العبادية : لا بأس عليك يا بنى ، وعافاك الله أيها الملك ، تفضل ،
اجلس .

بثينة : خذ مكانك بيئنا يا أبت واسترح إلينا من همومك ، فهنا
الرحمة قد بسطت جناحيها : هاهنا الأم والبنت .

[الملك يضع جبينه على كتف بثينة باكية] .

بثينة [باكية] : ... هون عليك يا أبت وتجهل أيها الملك فقبلك لم تبك
الآساد ، ولا اشتكت الأطواد ، ولا ضاقت البحار عن
الأعاصير الشداد . تحدث إلينا يا أبت ولا تياس من
روح الله . عليك بهذه الحدة الشنيقة والأم البرة فائتمنها
على شرك .

الملك : الملك ألفونس منذ سقطت طليعته وقضاها الله له أصبح
لا يعرف لى منزلة ولا يالوى تحقيرا وإهانة و يطلب المال
باستكلاي و شره والبلاد باستعالة ولؤيم ؛ ومن عجيب
أمره أنه يغضب من جهة فيصخب ويتهدد ، ويلين من
أخرى فيلومنى على الاستغاثة بيوسف بن تاشفين
واستنجاد جنوده ، ويدعى الطاغية أنه أوفى لى منه عهدا
وزمة وأصفى صداقة ومودة ، وأننى إن حالفت سلطان

المغرب كانت مخالفة الذئب للحمل، وأن بربر المغرب اذا
دخلوا الأندلس طغوا في البلاد وهدموا بنيان الحضارة
فيها، ومن نكد الدنيا أن تصدق فينا نبوءة هذا الناصح
الغاش فقد طيع ضيقنا ابن تاشفين في ملكنا وسلطاننا
وتطلعت نفسه الى خيراتها وأرزاقنا، واستنصرناه على
ألفونس فاذا نحن الآن نخشى منه بطش النصير، واذا
أشبيلية قد تضمّنت منى ومنه العجب، الثمر في قصر
هناك وراء الضفة يجتمع به أعدائي وأعداء الأندلس
من أبنائه الأندلسيين وصغار العقول من الفقهاء ومن يلف
عليهم، وهؤلاء يحسنون له البقاء في الأندلس واغتنام
الفرصة لضمه الى سلطته، وقيمون عنده الحجاج على
فساد ملوك الطوائف ويجعلونني الهدف الأول، وهنا
في هذا القصر أسد مقلم الأظفار مغلوب على العرين وحيد
من الأنصار والأعوان.

الحاجب : شيخ يدعى ابن حيون بالباب يا مولاي .
بنيسة : أدخله يا أبي وبالغ في إكرامه فقد سلف للرجل إحسان
إلينا لا ينبغي لنا أن ننساه أبدا الدهر .

الملك : أدخله أيها الحاجب ... [يخرج الحاجب من الباب] خبريني
يا بنينة ما إحسان ابن حيون إلينا ؟

بثينة : لقد حدثني من لا أشك في صدق روايته أن هذا الرجل
صلى على أخى الظافر وبكاه وألقى عليه رداءه .

[يدخل ابن حيون فتسدل العبادية. وبثينة كلتاها على وجهها القناع] .

ابن حيون : السلام على الملك ورحمة الله .

الملك : وعليكم السلام أيها الولي الشفيق الحميم .

ابن حيون : لو أذن لي الملك في خلوة [وقد رأى السيدتين] .

الملك : لا تخش شيئا يا ابن حيون، فهذه العبادية، أمى وهذه بثينة
بنتي، فحديثك لن يساق إلا إلى، وسرك لن يجاوز أذني.

ابن حيون : أيها الملك . نحن اليوم أخوف ما كنا على هذه الأوطان،

وفي مثل ما نحن فيه تهب على الأمة النصيحة للملك ،

وقد انتهى إلى أذني من بعض الفقهاء والمختلفين إلى

ضيئك هذا يوسف بن تاشفين أنه أصبح يرى نفسه أحق

بهذا الملك منك وقد رأيت رأياً فإن أذن الملك رفعته إليه .

الملك : وماذا رأيت يا أديب الأندلس ؟

ابن حيون : أعلم أيها الملك أن هذا الضيف الذي نصرته ونصرك

وحالفته وحالفك وقاتلت معه قتالاً يبق حديث الدهر

هو أهل لأن يغدرك وفي غدرك ضياغ الأندلس جميعا

ووقعه في قبضته البربرية الفاشمة ، وقدما كان هذا

سلوكه مع غير واحد من أمراء المغرب فترع منهم ملكهم

وسلطانهم وشردهم في الصحارى والقفار، فلا تفوتك
يا مولاي خطة الحزم والعزم في أمر هذا النمرذى الهامة
والمسبحة .

الملك : وماذا تنصح لي أن أصنع ؟

ابن حيون : ألا توطئ الأرقم سريرك ، وأن تقطع السيف قبل أن
يقطعك ، وأن تقبض من فورك على ضيفك هذا فتسجته
ولا تطلقه حتى يأمر جنوده بمغادرة الأندلس بره وبحره ،
ثم يحرس أسطولك البحر من كل سفينة مغربية تجرى
فيه ، فاذا تم لك ذلك أخذت على ابن تاشفين الأقسام
ألا يعود إلى الأندلس بعدها أبدا . وخذ منه الرهائن
فإن نفس الرجل أعز عليه من ملك الأندلس والمغرب
مجتمعين ؛ وله أعداء ببلادهم يخشى تحركهم وانتقاضهم
ويخاف أن ينتهزوا الفرصة للاستيلاء على ملكه ...

العبادية : أيها المتكلم المحسن والناصح الصادق لم يخف على مكان
مشورتك ولكنها خطة أولها لؤم وآخرها شؤم ؛ فإن
الملك أكرم وأعظم من أن يفسد ضيفه أو يخون جاره
أو أن يحفر الحفرة لمن أقال عثرته .

الملك [لابن حيون وقد رآه يضرب] : لا تُرع أيها الرجل الصادق فقد سنا
حين نبئنا بوصولك نخوض في هذا الحديث وكان رأيي

كرأيك وأما ابنتي بثينة فلم تكن أبدت رأيها بعد .
 بثينة : مولاي . كلا الصوتين نبرة حق . ونصيحة صدق ،
 إلا أنني أميل إلى الأخذ برأى الأديب ابن حيون .
 الملك : بورك فيك يا عقيلة الأندلس . مثل هذا السموّ في الرأي
 وهذا الحرص على حقيقة الملك لا يستغربان من بنات
 الملوك المنشآت بين أعباء الدولة ومهام السلطان .
 العبادية [مترضة] : ونحن بنات الشعب ألا يقام لرأينا وزن يا مولاي ؟
 الملك [مبتسما] : أنتن تلدن الأجسام الصحيحة والقلوب الحريئة
 وتحسن تدبير البيوت ولكن لا تصلحن لسياسة الممالك .
 الملك [لابن حيون] : لو تيقنت يا بن حيون أن جمهور شباب الأندلس
 يشاطرونك أنت وبثينة الرأي لما تأخرت ساعة عن العمل
 بما تُشيرين به عليّ .
 [يدخل مقلص] .

الملك : كيف قضيت ليلتك عند ضيفنا أمير المسلمين يوسف
 ابن تاشفين ؟

مقلص : كانت ليلي يا مولاي ونحن ، كما تعلم ، في آذار وفي إبان
 القمطر طويلة مظلمة باردة لم أضحك فيها السلطان مرة
 ولكن بكيت مراراً ولم أجلب له السرور ولكن جلبت
 لنفسى الفم .

الملك [متعجباً] : ما هذا الخبر يا مقلّاص ؟

مقلّاص : وُجِدْتُ يا مولاي بِحَضْرَةِ أميرِ السّاميين لا يفهمُ كلامَ العربِ وعند رأيه ترجمان من كتابه يفسره كل ما نقوله معشر العرب في مجلسه ويشرح لكلّ منا ما يشرفه به السلطان من الخطاب .

الملك : ثم ما ذا ؟

مقلّاص : رأيتُ هناك يا مولاي مملوك الأندلس وقوفاً بباب السلطان متنافسين في إذنه .

الملك [ملتفتاً إلى زائره قائلاً] : أسمعْتَ يا بن حيون ... ؟ أعرفتَ ... ثم ما ذا يا مقلّاص ؟

مقلّاص : ورأيتُ ثمّ فقهاء الأندلس بعمائم المكبرة وجُبهيم الموسعة يتمسحون بالأعتاب .

الملك : أسمعْتَ يا بن حيون ! أعرفتَ ؟

الملك : ثم ما ذا يا مقلّاص ؟ قل لنا كيف وجدت السلطان .

مقلّاص : بُو عليه طيلسان وبُومَةٌ في يدها صولجان .

الملك : وما ذا قال لك حين وقعت عينه عليك ؟

مقلّاص : أدخلتُ اليه يا مولاي فحقّقني من رأسي لقدّمى ثم قال لي :
أأنت الرجل الذي عمّله إصْحاكُ الملك بن عباد وتلهيته
أسرته ؟

الملك : فما كان جوابك ؟

مقلاص : قلتُ له أجل أيها السلطان أنا نديمُ الملكِ وسميَّه .

الملك : فماذا قال لك ؟

مقلاص : قال لي إذاً فأضحكنا نحن أيضاً . عجل أضحكنا .

الملك : فماذا صنعت ؟

مقلاص : دخلتُ نجلٌ شديد ووقفتُ ساعةً أنظرُ في ثيابي ولم يفتحِ الله عليَّ بشيٍ يضحك منه ضيفك الكريم . فهممتُ بأن أقبض على السلطان بكلتا يدي وأقذف به من النافذة .

الملك : وماذا منعك يا مقلاص ؟

مقلاص : سيفه المعروض على حجره والزبانية القائمون عند رأسه وبجانيه كأنهم العفاريث ، إلا أن السلطان لحظ حرج موقفي فأشار بأخراجه فحضر من رجاله من صرفني في وقاحة وإذلال فخرجتُ وأنا لا أدري فيم طلبني الرجل . وأحمد الله على أن لم يجعلني في خدمة سلطانٍ مثله له وجه كوجه الأسد لا يعرف التسم ولا البشاشة .
[مقلاص يريد أن ينقذ الملك من تأثره] .

مقلاص : لقد وجدتُ ضالتي يا مولاي .

الملك : وما ضالتك التي وجدت ؟ وهل عدت تهذي يا مقلاص ؟

مقلاص : لا يا مولاي ... ألا تذكر أنني كنتُ من الإعجاب بجمال

الأميرة بثينة وكما لها وسمو منزلها بين عقائل الشرق والغرب
بحيث لا أعتقد أن بين فتیان الدنيا من هو أهل لأن
يخطبها إليك .

الملك [مبتسما] : والآن هل وجدته يا مقلّص ... ومن ترى يكون ؟
مقلّص : فتي جرى جميل رأيتُه يوم الزّلاقة يحى ظهورك هو وحرير
وابن لاطون فظل سحابة نهاره معلنا بالسيف دونك
حاميا لحوزتك حتى لقي البطلات حريز وابن لاطون
حتفينا وحمل هو إلى داره مُخفنا بالجراح .

الملك : ومن الفتى يا مقلّص ؟

مقلّص : هو يا مولاي أجمل فتیان الأندلس وأشجعهم وهو الآن
طريح الفراش ما يزال يشكو من جراحه .

الملك : ومن يكون ... ؟ وما اسمه ؟

مقلّص : هو حسون ابن التاجر أبي الحسن .

ابن حيون : لقد صدق فتاك يا مولاي فإني كنتُ عند حسون الليلة
البارحة أعوده وقد أفاق من جراحه وقصّ علىّ حديث
بلائه يوم الزّلاقة حين اشتد القتال بينك وبين الإفريج
فأخبرني أنه رأى يومئذ جوادك وقد ضعف وخار من
شدة الجراح فقدم لك الصّاعقة : أمير الجياد، فركبته
وكان تحت البازن الأشهب لصّ الأندلس فخره قتيلا .

الملك [مندهشا] : أوكان البار بن الأشهب يجاني يقاتل معى أعداء
البلاد ؟

ابن حيون : نعم يا مولاي ، ويقول حسون إنه أبلى يومئذ بلاءً عظيما .
الملك : يا لله ، أ يكون اللصوص أوفى للأندلس من أمرائه
وفقائه ، وأبذل منهم للأرواح دون لوائه ... وأين حسون
الآن ؟

ابن حيون : هو كما ذكرت لمولاي ما يزال طريق الفراش ولكن لا خطر
على حياته .

الملك : الآن تذهب أنت ومقلاص فتنوبان عني في عيادته والسؤال
عن أمره وإبلاغه تحيتي وشكري وما أهد له من جليل
المكافأة .

بئينة : وأنا أيضا أبلغ حسونا تحيتي وشكري يا سيدى ابن حيون
وأرجو أن يعلم أن أخت الظافر لم تنسه ساعة وأنها قد
جمعت له هذه الأزهار بيدها فاحملها اليه وقل له لو كنت
الملك لبعثت له بالغار في الأزهار والصوب لجان مع الريحان .

[وفى هذه الأثناء يدخل جومر]

جومر : مولاي . لقد وقع ما كنا نحاذر وحل بأشبهلية البلاء .

المتصد : البلاء ! تريد أن الصديق قد انقلب وأن الحليف قد عاد
حربا . هذا ما خفت أن يكون وقد كان .
[يدخل لؤلؤ]

لؤلؤ : أَغَثَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَدِينَةَ أَدْرَكُهَا فَقَدْ خَلَفْتُهَا وَجُنُودُ
السلطان يتدفقون فيها كالسيل بعد ما اشتدَّ ضغطهم على
باب الفرج وأقاموا ساعةً يدفعونه حتى ناءت به الكثرة
فانفتح فنفذوا منه إلى كل مكان فأخرج يا مولاي فقاتل
حتى تستنقذ الوطن أو تموت دونه وإلا فالنجاه النجاه !

الملك [منضبا] : تدعوني يا شاب للفرار . هيهات هيهات . الأسد
لا يهرب ولا يخاف الموت . [ملفتا إلى جوهر] خبرني
يا جوهر أين كان فتیان أشبيلية وأين هم الآن .

جوهـر : قَبِعَ الْفَتَيَانُ فِي الْبُيُوتِ يَا مُوَلَايَ إِلَّا مِائَةً أَوْ مَادُونَ الْمِائَةِ
شهدوا معك يوم الزلافة وتعلموا منك الكر والإقدام واليوم
قد لبسوا السلاح وخرجوا يلاقون الموت وهم بانتظارك
ليجعلوك اللواء الذي تسيل نفوسهم عليه .

المسلـك : يَا بَشْرَايَ مِائَةُ شَابٍ وَطَنُوا النَّفْسَ عَلَى الْمَوْتِ ؛ أَمَا وَاللَّهِ
لو صدقت يا جوهر لكان لي من مائة قلب مجتمعة
مؤلفة متواصية بالحق وبالموت قوة أرمى بها في العباب
فيمحي وأقذف بها على الجبال فتزول . البدار البدار
يا جوهر امض لوقتك فضع بيدك السرج على الصاعقة
والقني به على الباب .

جورم [بصوت عال] : أبشرى أشبيلية هذا الليث قد تحرك لنصرة
العرين .

الملك : فى ذمة الله وفى حفظه يابنات المعتمد .
بينى : فى درىج من وقاية الله يا أبى فلانى أراك أخذت سيفك
ونسيت درعك .

[المعتمد وهو منطلق والسيف مسلوك فى يده ولا درع عليه]

الملك : إن يسلب القوم العدا ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم ألا تحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شىء دفوع
ما سرت قط الى القتلى لى وكان من أمل الرجوع
شيم الألى أنا منهم والأصل نثمة الفروع

ستار

الفصل الخامس

المنظر الأول

« في دار أبي الحسن ، في غرفة حسون ، حسون »

« راقدة على سرير مريض وأبوه أبو الحسن داخل عليه »

أبو الحسن : قم يا حسون ، إنهض . إن العناية بلغتك مُتَاكَ . وشفتُ
بعودك للحياة أباك .

[يَنفُضُ حسون من رقدته جالسا]

أُوشِكُ يا بني أن أهتدي لموضع بشينة فهل تساعدني وهل
تَتَخَفُ معي لعلنا نجد الكثر الضائع . ونظفر بالأمنية
المنشودة .

حسون : ماذا حدث يا أبي ؟ ماذا رأيت أو سمعت حتى امتلأت
تفاؤلا واستبشارا ؟

أبو الحسن : أتذكر يا بني خاتم الزمرد الذي كانت تطوف علينا به
في سوق الجوهر سيدة كهلة من وصائف القصر وهي

تبحث عن توأيم للفص وتلمسه فلا تجده ؟

حسن : نعم يا أبى ! وأذكر أنها كانت تنسب الخاتم للأميرة بشينة
وتصفى رغبة الأميرة فى الحصول على قص يكون فى حجمه
وصفاء لونه وسلامته من العيب ليكون لها من الجوهريتين
قرط عزيز المثل .

أبو الحسن : فاعلم إذن يا بنى أننى كنت منذ حين فى سوق الجواهر
فما راغى إلا رجلاً قوياً من قواد المغاربة قد جعل
يطوف على التجار يعرض عليهم حلية فأخذتها عني فإذا
هى خاتم الأميرة بفصه . فتريت إلى أن كف المسامون
وكان آخر ثمن يُدلى فى الخاتم ثلاث مائة دينار وكان
التجار يقولون للرجل : لو جئتنا يصنوهذا الجهر لنقدناك
فيهما الألف أوزدنا . وهناك أومات إلى الرجل أن
يتبعني فتبعني . فانتبذت به ناحية وقلت له : أنا آخذ
الخاتم بالثلاث مئة وأزيدك عليها مئة إن أنت صدقتني
الخبر عن مصدره وكيف وصل إليك ومن أى المعادين
التقطته ؟ فانبسط الرجل وتهلل وقال : هذه الحلية
ياسيدى بخارية من قصر ابن عماد وقعت لى سبية يوم
هجومنا على أشبيلية ، فنقلتها إلى دارى فلم أجد عليها غير
هذه الحلية وكانت فى يدها فأخذتها ، وأما البخارية فلم
أجدها مغنا بل مغرماً . فإنها سقيمة مستساية للأحرار

طعامها قليل ، ونومها غرار ، ودمعها لا يرقأ حزنا على سادتها . ونحن لا نحب من النساء إلا القويات الصغيرات الأبدان . ولا أكتمك ياسيدى أنى بأمر الجارية تعب ويؤدى لو تخلصت منها . فقلت له : خذ الآن الأربع مئة دينار مباركا لك فيها . وأعلم أنى طبيب مولع بالمشاهدة والتجريب ، كثير الاعتناء بالمرضى البائس فلو مضيت بى الى بيتك لعلنى أنظر الجارية ، فأعرف علتها وأصف لها دواءها أو أخفف آلامها . فقمنا فمضينا حتى انتهينا الى داره . وهناك أدخلنى على الجارية المريضة فدنوت منها . وقلت لها : عوفيت يا جارية ولا خوف عليك إن شاء الله تعالى .

حسون : والنونة يا أبت ؟

أبو الحسن : رأيته يا حسن فوجدتها فوق ما كنت تصف لى لطفاً وبهالا . والتفت الى القائد البربرى فقلت له : أو تعطينى هذه الصبية أيضا وأنا أتمها لك خمس مائة . فتهلل الرجل وارتاح وقال : خذها يا سيدى وأرخصى منها ودأوها أنت فعساها تصح على يدك فنقدته المائة الخامسة وحملت الصبية فوق ذراعى وخرجت بها فركبت جوادى وأركبها خلفى وانطلقت حتى بلغت الدار .

حسون [صانحاً] : وأين هي يا أبت ؟ أتراها هي بنوتتها . ربي أجعلها
هي ... وأين تركتها يا أبي ؟ وفي أى موضع من الدار ؟

[يفتح باب غرفة مجاورة فاذا بثينة من وراء

الباب . فيتلفع اليها حسون صانحاً ...] .

حسون : بثينة ! حبيبتي ! أميرتى .

بثينة : حسون ! أنى ! صديقي !

أبو الحسن [قاطعا عليهما لذة اللقاء والحديث] : الآن وقد جمعتك يا أميرة
بصديقتك وخادمك حسون ، أستاذن في الخروج الى
بعض شأني ساعة .

بثينة : لا يا عم ، بل ابقِ لبلث ، إن وجودك معنا يزيد الموقف
بهجة وطيباً .

أبو الحسن : إن أذنيت يا أميرة فإن احتجابي عنكما لن يطول .

حسون : بل ابقِ معنا يا أبي .

أبو الحسن : سأعود يا بني ، سأرجع [ويخرج أبو الحسن] .

حسون [الى بثينة] : ماذا أقول يا أميرتى ؟ وكيف القول في هذه
الساعة التي هي العمر ؟

بثينة : أنظر حسون كيف جعل الله هذا اللقاء الذي لم يكن
في الحسبان عوضاً لما فاتنا من نعيم الحياة ومتاعها ، حتى
كدت أنسى ذلك الملك المزروع والسلطان الذاهب ، وأسلو
القصور ونجحتها ، والدولة وأعراسها .

حسن : وأنا أيضا يا بئينة غفرتُ هفواتِ الدهر لهذه الساعة
المحسنة الطيبة وإن لم أخلُ ولن أخلو ما عشتُ من تفجع
للوطن العزيز وتوجع لرزئه الجليل .

بئينة [منتهده، مكتبة بعد انبساط] : آه من الدهر ماذا صنع . لطف الله
بك يا أشبيلية فيما حلَّ عليك من قضائه، وجعلَ وطاة
المغاربة خفيفة عليك وعلى جارئك من حواضر الأندلس .
حسن [مطرقة منهدا] : دهرٌ ببئنه يا بئينة قلب، ودنيا ترتجُل العجائب،
وملك في السماء يفعلُ بعباده على الأرض ما يشاء، ولكن ...
بئينة حبيبتى أميرتى : أحقُّ أننا التقينا في لحظة أم نحن
خيالات في رؤيا من الأحلام ؟ أتذكرين يا بئينة يوم
السوق ؟ أتذكرين قرطبة ؟ أتذكرين رسالة الضبي
لله ما كان أحلاك يومئذ وراء اللثام .

بئينة : وأنت يا حسن لله ما كان أجملك وأكملك وكأنك يومئذ
ملك . كنتَ تنتقل في السوق فتخرج من مكتبة وتدخل
غيرها وتدعُ كتابا وتأخذُ كتاباً والكتبُ حلية الشباب النابه
وجمال الفتوة النايغة .

حسن : أتذكرين كلَّ ذلك يا بئينة ؟

بئينة : أجل كلَّ ما كان من حركاتك وسكناتك يومئذ ومن عباراتك
وإشاراتك ما يزالُ مُرتسماً في ذهني لم تمحه الشهور ولا
أحسبُ الموت يحوه .

حسون [يمديه الى ذقتها ويقول] : بحياتي نوثه كالدرة المكنونه .
 بثينة [في شيء من الغضب] : نخ يدك يا بن أبي الحسن لاتمدّها الى ما لم
 تملك بعد .

حسون [في انكسار واستحياء] : اغفريها للحب وللشوق يا أميرة . سُلتُ
 يدى إن كنت أضمرت سوءاً أو هممت برية .

[يدخل أبو الحسن] .

حسون : أبى ! أبى لم تُبْطِ يا أبى .
 أبو الحسن : كنت مشغولاً يا بنى بتهيئة طعام الأميرة .
 بثينة : جزاك الله خيراً يا عم ومد لنا عمرك .

أبو الحسن [ياخذ مجلسه ويقول] : الحمد لله يا ولدى على هذا التلاقى الذى
 هو من توفيق الأقدار ، فالיום جمعنا هذا البيت على أثر
 الكارثة وفى أعقاب النكبة كما يجمع الشاطئ الغريقين
 سالمين بالرمق من انكسار الفلك ومن ثورة الريح وطغيان
 الماء ، لقد تعارفتما بالأمس فنشأت بينكما الألفة وأنست
 الروح بالروح ، وانمطف القلب على القلب وقديماً يا أميرة
 صاهرت الملوك الرعية وأبوك ، لطف الله به وبنا جميعاً
 فيما حل علينا من قضائه وقدره ، أسمع من سن هذه السنة ،
 فرفع على عرش أشبيلية امرأة من رعاياه ، هى الريمكة
 خيرة المليكات ، وأم العقائل من البنين والبنات .

بئس : أراك ياعم قد بالغت في مؤاساتي حتى أنكرت يد الدهر
وما نالت منا، وإلا فأين أبي مني اليوم؟ وأين من أبي
ملكه؟ وهل نحن اليوم إلا سوقة تننصف .

ابوالحسن : هوئي عليك يا أميرة إن أباك لم يخلعه قومه، ولكن
خلعه المغيرون، فهو في نفوسنا معشر الأشيبين حاضر
الجلالة مائل المهابة مرسم الكرامة؛ يومه كأبيه وغده
كيومه وإن اختلف به اليوم والغد وتصرفت به الأيام؛
وأنت أيتها الأميرة فما زلت بنت الملك المعتمد بن عباد،
فهل تترلين إلى القبول بأخي هذا حسون زوجا .

حسون : وخادما أمينا .

بئس : هذا كثير في المجاملة والمواساة ياعم، إن حسونا كف
ويشهد الله أني أحبه وأجله، وكأني بأبي في غيابة يحجني
ينظر إليه كما أنظره . ويشعر نحوه بمثل ما أشعر . ولكني،
كما علمت، مفعوعة : باب منكوب، ملك معزول،
أخذ فغل، ثم سربل الذل، وبأيم ثكلي وإخوة قتلي،
وأخوات أميرات يتعذبن من الخلع ويتكسبن من غزل
أيديهن .

حسون : قد قلت حقا يا أميرة وأنا لا أتخيل الجميع هناك إلا
مشغولين بك فوق منقاهم . يفتشون عن مكانك بعين

حيرها الدمعُ ، ويد قصرها المعجزُ ، وقديم أعجزها القيد .
 بثينة : إذا فانت ترى أنه ليس من الحق ولا من البر ، أن أوجد
 ولا يعلمون أنى وجدتُ ، وأن أتزوج ولا يعلمون كيف
 ومن تزوجتُ . وماذا يقولون اذا هم علموا أنى اتخذت
 من ماتهم عرسا ؟ !

ابن حيون [يدخل ويقول بعد أن رأى بثينة ، مندهشا] : سيدتي بثينة هنا ؟
 الأميرة بخير ؟ ما أعظم متك يارب .
 [ويحاول تقبيل يد الأميرة فتسببها منه] .

بثينة : لا تفعل ياعم . أهلا بك يا بن حيون . وما أعظم
 سرورى بيلقائك .

أبو الحسن : أنظر ابن حيون نعمة الله علينا بهذا الكثر الغالى الثمين .
 حسن : أنظر ابن حيون كيف رد الله على راحتي وروحي ، وأعاد لي
 الحياة والآمال .

ابن حيون : الحمد لله الذى جعلك فى حفظه وفى ذمته ، والذى ردك
 إلينا سالمة ياسيدتى ، والذى هو قادر على أن يجمعك بأهلك
 كأميس على جاه الأمور وفى ظل شاهقة القصور .

بثينة : لقد رأينا ياعم كيف تثقل الأمور ، وعرفنا كيف تبدل
 أهلها القصور ، وأصبحت لا أطمع من دهرى إلا بالعيش
 فى ظل الأمن والنجوى ، وبين قلب يحنو ، ونفيس تعطف .

ابن حيون : طيبي إذن ياسيدتي نفسا ، إن الذي تشتهين قد اجتمع لك ، فالأمن والسكون لا تعدينيهما في جناح من هذه الدار ، أوفي جنة بعيدة عن الناس من جنات هذا الإقليم وإني أشهد أن هذا الفتي يُحبك وأنك ملء قلبه وملء نفسه ، فاقرني ياسيدتي حياتك بحياته تجدي حقيقة السعادة في ظل الحب المشترك الصحيح .

حسن : كان هذا حديثنا ياعم قبل حضورك ولكن لم تكن فرغنا منه بعد . وقد رأيت الأميرة براً بالدينها وقضاء لحقهما أن يكون زواجنا بعين أبيها وسمعه ، وبقبول أمها ورضاها . وكل زواج رضى به الأبوان وارتاحا إليه سبقت فيه البركة وطافت به الرحمة .

ابن حيون : لقد رأيتم صوابا . وانفقتم على واجب كان لا بد من قضائه . ولا أظن هذا المقترح لقي منك اعتراضا يا أبا الحسن .

أبو الحسن : معاذ الله يا بن حيون ، ولكن ألا ترى معي أن حسونا والأميرة محتاجان الى الراحة واسترداد العافية .

ابن حيون : أما هذا فنعم ، ولم لا يقضى حسون والأميرة هذا الأسبوع في هذه الدار حتى تثوب اليهما القوة والعافية .

حسن [مقاطعا] : أتماذن لي يا أبي إن رأيت غير رأيك ورأي ابن حيون ؟

أبو الحسن : تكلم يا بنى فانت حر .

ابن حيون : الكلام حرقى الأندلس يا حسون فتكلم .

حسون : أرى يا أبى أن نُسافر من ليلتنا بل من ساعتنا الى أغمات
منفى الملك .

أبو الحسن : نُسافر ؟ نُسافر الساعة ؟ وأنت والأميرة على هذه الحال
من الضعيف والسقام ؟

حسون : أبى لى ذكرت الوالدين المنكوبين نفيل الى أنهما على
جمر لا يهدأ من اللوعة لاحتجاب الأميرة والشك المعذب
فى مصيرها ، وليس ما ذكرتما أنت وابن حيون من ضعفى
وضعيف الأميرة وأثر السقيم وألم فىنا إلا حالاً لا يلبث
الشباب أن يتغلب عليه ، فالمرءة تأمرنا جميعاً ألا نؤثر
الرحيل ساعة إذ لا معنى للإسعاف إذا هو لم يعجل ولم
يأت فى أوانه .

ابن حيون : هو ذاك .

أبو الحسن : نعم الراى .

الأميرة : ليكن كما أشار حسون .

حسون : إذا فهُلم أبى ، هلم ابن حيون ، هلمى يا أميرة . الساعة
نُسافر فنقضى الواجب .

الأميرة : ويقضى الله ما يشاء .

[يدخل الغلمان الخدم صائحين]

الغلمان : سيدي أبا الحسن ، سيدي حسون ، سيدي ابن حيون
خُذُوا حَذْرَكُمْ أَدْرِكُوا الدَّارَ .

حسون : مَا يُعْجَبُكُمْ أَيُّهَا الْغُلَامَانِ . وَمَاذَا حَوْلَ الدَّارِ . إِنِّي أَسْمَعُ
صَجَّةً . أَمَا تَسْمَعُ يَا بَنَ حَيَّوْنَ أَمَا تَسْمَعُ صَجَّةً يَا أَبِي ؟
بِئْسَ : حَوْلَ الدَّارِ صَجَّةً .

خادم من الغلمان : أُولَئِكَ جُنُودُ الْمَغَارِبَةِ يَا سَيِّدِي .

الثلاثة [بصوت واحد] : جُنُودُ الْمَغَارِبَةِ حَوْلَ الدَّارِ ! ؟

الخادم : أَجَلْ أَتَوْا يُسَالُونَنَا عَنْ بِنْتِ الْمَلِكِ هَلْ رَأَيْنَاهَا وَهَلْ
أَوَيْنَاهَا وَهَمْ يَقُولُونَ إِنَّهَا دَخَلَتِ الدَّارَ مِنْذُ سَاعَةٍ وَإِنَّهَا
طَرِيدَةُ الْأَمِيرِ سِيرَى بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَائِدِ جَيْشِ الْفَتْحِ .

حسون مفضبا : بَلْ قُلْ جَيْشِ الْفَضْحِ يَا غُلَامَ ، فَقَدْ بَاءَ الْغَادِرُونَ
بِفَضِيحَةِ الْأَبَدِ .

بِئْسَ : الْآنَ فَهَمْتُ يَا حُسُونُ ، الْآنَ أَدْرَكْتُ بِاعْمُ أَنَّ سِيرَى
ابْنَ أَبِي بَكْرٍ كَانَ قَدْ خَطَبَنِي إِلَى أَبِي ، وَكَانَ رَسُولُهُ يَوْمَئِذٍ
الْقَاضِي ابْنَ أَدَهْمَ ، فَلَا أَبِي أَجَابَ ، وَلَا أَنَا قَبِلْتُ ، وَلَعَلَّهُ
تَذَكَّرَنِي الْيَوْمَ فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَنِي عَنُوتَةً .

حسون : لَا وَاللَّهِ يَا بِنْتَ الْمَلِكِ لَا تَسْقُطُ مِنْ رَأْسِكَ شَعْرَةٌ وَأَنَا
حَتَّى سَاعِدِي مَعِي وَسَيُنْفِي بَيْدِي مَسْلُولٌ .

[وَبَعْدَ إِطْرَاقِ يَسْتَأْنَفُ وَيَقُولُ]

لا بأس عليك يا أميرة، ولا علينا يا أبي من طلعة البربر
ولا من اجتماعهم بنا في هذه الجحرة أو غيرها من الدار
ولا خوف علينا من قتلهم ونهبهم .

التاجر : وكيف يا حسون ؟ وماذا اصترمت أن تصنع لتدفع عنا
هذا البلاء ؟

حسون [بعد فقرة قصيرة] : اسمع يا أبي ! في هذه الغرفة صندوق مملوء
من ثياب المغاربة وأسلحتهم فاتبعوني . أدخلوا من
فوركم فاخلعوا ثيابكم هذه وخذوا من الصندوق ما شئتم
من ثياب المغاربة وتزيوا بزي القوم ثم نخرج فنختلط
بهم أو ندعهم وسيلهم ونأخذ سبيلا غيره .
ابن حيون : هو لا شك سبيل الفرار .

حسون [مبتسما] : هو ذاك يابن حيون : السرمة، السرمة [ثم ملتفتا الى
الأميرة] أدخل يا أميرة، أسرع، أسرع لا يضيعن الوقت
فإن الجنود في طلبنا .

[يدخل الأربعة الجحرة ثم يخرجون في الزى

المغربى ويكرن الجنود قد دخلوا وهم يقولون]

الجنود [داخل المنزل لبعضهم] : قتشوا، أنبشوا .

الأربعة [خارجين قائلين] : قتشوا، أنبشوا [ويكررون ذلك ثم ينسلون من المكان]

المنظر الثاني

« تحت أسوار السجن في أغمات حيث ترى بثينة وحسون »
 « وأبو الحسن وابن حيون على مقربة من حارس السجن »
 ابن حيون : ها نحن أولاء شارقنا أغمات، وهذه أيها الرفاق هي القلعة
 التي شاءت الأقدار أن يسجن فيها الملك العظيم .
 حسون : يا لعجائب القدر ! قرية ظلت القرون الطوال مجهولة
 مغمورة أصبحت اليوم تسافر إليها الظنون من كل مكان
 وتستغل ممالك العرب بها وبزيلها العظيم وتشرف الأسماع
 لمطالع قوافيه وينظر الرواة ما يقول فيه الشعراء من كلمات
 التوجع ونفثات الحنين .
 بثينة [بعد إطراق واستعبار] : يا قسوة القدر ! أهذا قفص الأسد
 يابن حيون ؟ أهنا منى الملائك من عقائل بني عبّاد ؟
 تباً لك يابن تاشفين . ما كان أبخل جاهك على الكرام ،
 وما كان أكثرك في القيود على الأحرار .
 ابن حيون : صه أيتها الأميرة فهذا السجن ينظر إلينا وقد يدخل الرية

في نفسه أن يسمع منك مثل هذا الكلام .

حسن : كفكفي الدمع يا بثينة وأقلّ الجزع ولا تنسي أن وراء
هذه الجدران جروحا من الدهر لم يبق لها بلسم سواك .
فكوني المفاجأة الشافية وأطلي عليها بابتسامك الحلو
طلوع العافية .

السجان : من الرجال ؟ ما تبتغون ؟ متى كان حرم السجن موضع
وقوف وهمس ؟

حسن : نحن أيها السجان طائفة من آل الملك السجين وحاشيته ،
قد هزنا الشوق إلى زيارته والسؤال عن أمره ، فادخل
فاستأذن لنا عليه .

السجان : أنسيت أيها الفتى أن هذه القلعة هي من السجون التي
يُعيرها السلطان اهتمامه فلا يدخلها داخل إلا بإذنه ولا يخرج
منها خارج إلا بإذنه ، فهل بأيديكم جواز يبيع لكم زيارة
السجين ؟

ابن حيون : أنت تعلم يا أنسى أن مولانا السلطان يعطف على أسيره
الكريم .

السجان [متباكيا] : كل العطف ياسيدي .

ابن حيون : وأنت تعلم أن الملك الممتد قد رخص له من أوّل يوم
في استصحاب من يشاء من خواصه وذوى قرباه .

السجان : أعلم هذا أيها السيد .

ابن حيون : فكر إذن في الأمر قليلا . فليس يضرك أن تدخلنا إلى الملك وتتركنا عنده ساعة لعلنا نشفى برؤيته وحديثه الشوق والصباية [ويبقى للحارس صرة ويقول] ومع ذلك فأليك هذه الصرة خذها وبلغنا الأرب .

السجان [وهو يضع الصرة في كفه] : ما هذا أيها السيد ؟

ابن حيون : هذا . قد لمست بيدك ، هذا قد سمعت رنينه بأذنك ، هذا يا أنى هو الذهب مفتاح الأبواب كلها إلا باب الجنة . الحارس : هذا كثير يا سيدى .

ابن حيون : بل هو قليل يا أنى . ولك مثله عند خروجنا من حضرة الملك .

السجان : لقد سألتونى أمرا صعبا أيها السيد ... ومع ذلك ... فما فى دخولكم من بأس . تفضلوا يا سادة أدخلوا .

المنظر الثالث

« في سجن أغمات حيث يرى ابن عباد بين أمه وزوجه وسائر أولاده »
 « وحاشيته ، وقد شاعت آية الهوس والتماسة في وجوه الجميع ، اليوم »
 « يوم عيد وقد جلس ابن عباد يتلقى تحية العيد وكلهم صامت خاشع ... »

ابن عباد [مناجيا نفسه] :

فيا مضي كنت بالأعياد مسرورا
 فساء لك العيد في «أغمات» ما سورا
 ترى بناتك في الأطمار جائعة
 يَفْزِلْنَ للناس ، ما يملكن قِطْميرا
 برزت نحوك للتسليم خاشعة
 أبصارهن حسيات مكاسيرا
 يطأن في الطين والأقدام حافية
 كأنها لم تطأ يسكا وكافورا
 من عاش بعدك في ملك يُسرُّ به
 فإني عاش بالأحلام مفسورا

الرميكة [الملك] : الأميراتُ بين يديكِ أيها الملكُ أتَيْنَ يَهْنَأَنَّكِ بالعيد .

الملك : يا مَرَحَبًا بهن ، ولا مَرَحَبًا بالعيد ولا أهلاً به ...

عيد ! بأية حالٍ عدتَ يا عيد ؟ إذهبْ فَأَنْتَ على

السجين حرام .

الملك [لنفسه] : لكن لا يابنَ عباد! بعضُ هذا الجزع ، وتجلدُ رحمةً بهذه

الحائمِ الموثقة ورُفقا بهذه الملائكة المسجونة .

الملك [الى بناته] : العيد يا أخواتِ بثينة يوم يجمعنا بأخيتُكن .

إحدى الأميرات : والعيدُ أيضاً أيها الملك يوم يُرد الله عليك مُلكك

فتدخلُ أشبيليةَ عليك التاجُ مؤثلقاً .

أميرة أخرى : بل العيدُ يا أبى يوم تدخلُ الأندلسَ فتنتقلُ في ربوعه

وممالكه تنقلُ الشمس من دارٍ إلى دار .

الملك : تقبلُ الله منكُن يا عباديات وريحنِي .

إحدى الأميرات : هَوْنٌ عليك يا أبى فلم يدمْ في النعيم والبؤس قوم .

الملك : لقد هَوْنُ الصبرِ الحوادثِ عندى يا بنتاه إلا حادثُهُ أصبحَ

القلبُ جريحاً لا يقوى على حملها .

الأميرة : وما تلك يا أبتي .

الملك : أخيتُكِ بثينة واحتجابها الذى طال . وانقطاعُ الأخبارِ

عن مصيرها .

الرميكة : لا تياش من رحمة الله أيها الملكُ وانتظر فرجاً يأتى به من

فضله وكرمه فهذا قلبي يحدّثني، وقلّما كذبت قلوبُ
الأمّهات، أنّ بشيئة قد وُجدت وأنها بخير وأمان .

الملك [باجا منضرا] : اللهم اسمع من أمّتك الريميكية وتقبل منها
وأدخل علينا السرور ولو ساعة فإن عهدنا به عهدٌ طويل .
[الأميرات يصرعن]

الريميكية : ضجة ؟

أميرة : حركة !

أخرى : نقل أقدام !

الملك : أنظري يارميكية من الداخلون ؟ فإن عيني أصبحت
لا تتحقّق الأشباح .

الريميكية : سلم الله عينيك يا مولاي وأقرّهما بلقاء بشيئة .

[وفي هذه الأثناء يثب مفلاص الى الباب ويرجع مع]

[القادمين ينظرون الى الأميرة ثمارة قائلة ...]

مفلاص : سيدتي بشيئة ! أميراتي يا هاربا يا فرحا .

الملك : ربّ ما أرحمك ماذا أرى : ماذا أسمع ؟ ما هذا الطبيب
الذكي ؟ إني أجد ريح بشيئة .

الريميكية : بشرالك يا قلب هذه فأذنتك زُدت إليك [وتلفت الى الملك]
سيدي ملكي أنظر كيف استجاب الله لنا هذه بشيئة مبهلة .

الملك : أجل ! أيتها الملكة أقبلي الدنيا وعاد الزمان .

إحدى الأميرات : بثينة ! أختي ! ما أعظم إحسانك بارب .
الملك : بني ، بني . تعالى أملئي ذراعي كما كنت تختبئين فيهما
طفلة صغيرة .

[تطرح بثينة على صدر والدها وتقول] .

بثينة : أبي ، سيدي ، ملكي ، لا بأس عليك يا ملك العرب .

الملك : ولا عليك يا ابنتي ، ثقي بالله وأمل وجهه الكريم .

بثينة : الصبر منك تعلمناه يا ملك الصابرين .

الملك : والجلدة يا بثينة ألسيتيها ؟ أما بك إليها شوق ؟ أما لها منك
قُبلة ؟

بثينة [وتقوم لخدمتها] : جدتي ، سيدي ، ملكتي : شهد الله ما خلا القلب
منك ساعة وما وجدت في مضيق فذكرتك إلا انقلب فضماً .
ولا أظن الله سبحانه وتعالى أنقذني من البلاء وردني إلى
أسرتي ورد أسرتي إلى إلا ببركة رضاك أطل الله عمرك
يا جدّة .

[ثم ترمي بثينة في أحضان العبيدة جدتها وهي محاطة بأعوانها
الأميرات تغلبن ويقبلنها حتى استمرت اللوعة وأحدها أبراها
بينهما وانتظمت من الأسرة الملكية حلقة . وهناك أقبل الملك
على ابنته بالحديث فقال] .

الملك : أخبريني كيف استعطفت يا بثينة وما حديث اختمائك ؟
حمدك زيد ليطمئن قلبي فقد كان احتجاجك في غلبان الفتنة .

وعند احتدام الفتن يُذال المصون ويهون العزيز وتقع
الفجاءات .

بنينة : ولكن الله سلم يا أكرم الآباء .

الملك : حدثينا إذن حديثك يا بنينة .

بنينة : حديثي يا أبت عجيبٌ ، محزونٌ ، سارٌ ، مبيكٌ ، مضحكٌ ،
حافلٌ بعجائب القدر ومدهشات القضاء .

الأميرات : حدثينا إياه يا أخت أسرى .

الريكية : قُصّي علينا يا بنتاه قصبتك .

الملك : خبريني الخبر يا بنينة .

بنينة : نظرت إليك يا أباي يوم هجوم المغاربة على أشبيلية فرأيتك
تقاتل وحيداً قليل العون والمساعد وكان أشبيلية تحتك
العريئ وكانك الأسد يحمي عرينه شراً شبراً ، فقلت
في نفسي : علام تعلمت الضرب بالسيف وعلام كنت
أركض جياح الخيل في سهول الأندلس وحزونه إذا أنا
لم أفيض حق وطني ولم أحيم ظهراً في هذا اليوم
العصيب ، ثم جعلت على وجهي لثاماً وتقلدت سيفاً
وامتطيت جواداً ونرجت من القصر فليحت بك ، فلم
أزل أقاتل بجانبك وأحامي عنك حتى امتدت إلى يد من
حديد فاقتلعتني من سرجي فأغنى على ثم انتبهت فإذا أنا
في دار رجل من قواد المغرب .

الملك [مغضباً] : وماذا لقيت من المغربي الحُسن ؟

بشينة : لم ألقَ إلا خيراً يا أباي فقد كان الرجل ديناً وتقياً ، أخذَ ما عليّ من الحُلَى .

الملك : ياله من دينٍ تقى .

بشينة : ... وتركني فليثتُ في داره أياماً طريحاً الفراش لا أذوق طعاماً ولا أطمع رُقاداً ، إلا ما كان من سَكَراتِ الخمر ، الى أن سَخَّرت لي العناية هذا الشيخَ الجليل [وتشير الى أبي الحسن] فلم أدرك كيف نُقِلْتُ الى داره وهى لا تَقِلُّ رِفْعَةً عن قديم دُورنا ولا تقصر بَشاشة نعمةٍ عن زائل قصورنا .

الملك [فى قلقٍ وفضبٍ ، مشيراً الى حسون] : وهذا الشاب من يكون يا بشينة ؟

بشينة : هذا حسون ابنُ هذا الشيخ الجليل التاجر أبي الحسن ، وله عندنا أيادٍ يذكُرُها مثلك فى الكرام فقد قاتل الثوَارَ فى قُرطبة مع أخى الظافر رحمة الله عليه ، وأبلى فى وقعة الزلاقة بلاءً كان له خطره وأثره فى ذلك الفتح المبين .

ابن حيون [متدخلاً فى الحديث] : وقد جرحَ حسون يومئذٍ جرحاً بليغاً لحمل الى داره فما بلغها حتى بعث اليك أيتها الملك بالصاعقة ذلك الجواد الأشقر فركبته والوطيس حارم والحربُ مجنونة فكان ميمون الناصية ، من صوتيه نصرت ، وفى ركابه غلبت وظهرت .

الملك [مفكرًا مهتمًا] : الصاعقة؟ فرس الباز بن الأشهب ليص الأندلس؟

ابن حيون : أجل أيها الملك، وقد كان تحتك في وقعة الدهر بين الفرنجة
والمسلمين وكان رابع فرس قدم لك يومئذ وأنت كلما هلك
تحتك فرس ركبت غيره .

العبادية : أعرفت محدثك هذا يا مولاي ؟

الملك : كيف أجهله أو أنساه؟ هذا ابن حيون الذي زارنا
في أشبيلية ونصح لنا فلم نسمع منه ، فالحمد لله الذي جمعنا به
حتى نستأنف شكر إحسانه .

ابن حيون : أطال الله بقاءك يا مولاي وأعانك على هذه الشدة وردك
إلى ديارك ورد ديارك إليك .

الملك : وأنت يا حسون فقد ذكر لي بالأوك ووصفت عندي كثيرا
بمحاسن الصفات ومكارم الأخلاق .

حسون : مد الله حياتك يا مولاي وظللك برعايته وأمانه .

بثينة : ليدن لي يا أبي أن أترقب في مجلسك بأنني كنت في بعض
أيام تنكري أجمع بهذا الشاب النبيل فلا أجد إلا أدبا
حسنا ، وعلمها جمعا ، وخلقا فاضلا ، وشمالا قد لا توجد
في أبناء الملوك .

الملك : أتذكرين يا بثينة كيف كنت معك ضد القاضي ابن آدم
حين جاءني يخطبك للأمير، سيري بن أبي بكر .

بثينة : أذكر ذلك يا أبى ولا أنسى لك فضلك ما حييت .

المسك : لعلمى إذن يا بنية أن الأوان قد آن وأن الإسلام لا دير فيه ولا رهبانية، وأن السجن قد يحتمله الطفل وقد يطيقه الكهل ولكنه يرهق الشباب ويؤرقه فلن نرضى لك أن تشاطرينا هذا المنزل الخشن وهذه العيشة الجافية وإن قلبي ليحدثني بأن ألفة روحية قد انعقدت بينك وبين هذا الشاب النبيل .

حسن [متدخلا] : أياذن لى الملك إن عرضت أن قوله الكريم إنما يُعربُ عما أكن لسيدتى الأميرة من الحب والإجلال وإنى أجد أقصى التّشريف وغاية السعادة أن يأذن لى الملك فى أن أخطبَ سيدتى بثينة إليه .

الملك [ملفتنا الى بثينة] : وأنت ماذا تقولين يا بثينة ؟

« الأميرة تنفضى حياءً وتسكت »

المسك : من الصمتِ كلام .

الملك [الى أبو الحسن] : وأنت يا أبا الحسن ماذا ترى ؟

أبو الحسن : ما يرى الملك أفضل . فما شئتَ فرنا يا مولاي ؟

الملك [الى الرميكة] : والمملكة ما رأيها ؟

المملكة : قد أمرت يا مولاي بما فيه الخيرُ جعله الله زواجا مقرونا بالسعادة واليمن .

ابن حيون : أي أأذنُ الملك لي أنا الآخر بالكلام ؟

الملك : تكلم يا ابن حيون فقد عرفتُ مودَّتَكَ وإخلاصَكَ ،
وتبينتُ نُصْحَكَ واهتمامَكَ ، ولولم يكن من احسانِكَ إلىَّ
والى أسرقى إلا تجشَّمُ هذه الرحلة من أشييلة الى أغمات
لكفى فى باب المروءة والوفاء .

بن حيون : لا شكر على واجب يا مولاي . وقد طوّقتنى الساعة منَّة
لا يترعُها من عُنى الموت بما رسمت من بناء هذا القفى
الماسجد الباسيل بهذه الأميرة التى لم يلدِ الملوك أبجمل
ولا أكمل منها : والآن بقى لي متمسُّ أرجو أن يُجيبني
الملك اليه .

الملك : اقترح يا بن حيون تجد مَلِيًّا مجيباً فيما تبلغه قدرةُ ملكٍ مخلوع .

[يخرج ابن حيون جراباً كان قد شده على وسطه ثم يفتحه ويثره
عند قدمى الملك فتنتثر اللآلئ والياقوتات] .

الملكة : جواهر !

الأميرات : لآلئ ! يواقيت !

مقلام : يالك من كنزٍ ثمينٍ غال .

الملك [وهو يحنى على الكنز] : ومن أين لك يا بن حيون كل هذا
المال ؟ فمثل هذا الكنز لا يكون إلا ذخيرة ملكٍ وأبن
مُلوِك .

ابن حيون : هو كما تقول يا مولاي ، فهذا الكنز كان للملك ووارث

ملوك، فسأقته العناية إلى، واليوم قد هلك أصحابه وبأدوا
فأصبح لي وحدي أنصرف به كيف أشاء، وبالأمر
قومت هذه الجواهر بما يقرب من ألف دينار وأنا
مقسم هذا المال ثلاثة أقسام: ثلث تأخذه أنت يا مولاي
فتستعين به على ما أنت فيه من الشدة، وثلث يأخذه حسون
وزوجته فيعيشان به رغدا، والثلث الثالث يكون لي
ولأبي الحسن التاجر هذا [مشرا إلى أبي الحسن] تؤسس به
تجارة ونعقد بيننا شركة نتعدي بها تجارات الفرنجة
في الأندلس .

أبو الحسن: ... الله أكبر أنت والله هو المغربي الذي دخل على داري
وما كنت يومئذ إلا متكررا محسنا للتكر فأسوت جرحي
وحفظت على داري واستنقذتني من عوادي البؤس
والفاقة، والآن ترد على تجارتي وتشاطرني كرائم مالك،
فبأي لسان أؤدى شكر إحسانك .

ابن حيون: بل أشكر الله يا أنى فإنى لم أعنك بمالى ولكن أعنتك بماله
ولا أجدنى صنعت يومئذ إلا واجبا ولا قضيت إلا ديناً
على للصدقة القديمة وللود الصحيح .

الملك: لكن ما عساي أصنع يا بن حيون بهذه الثروة وأنا كما ترائى
صيد في قيد، وأسد في صفد، وحى في قبر، ودنيا في شبر
إنها لهبة مشكورة وإن كانت والحرامان سواء .

ابن حيون : لقد أراح الله بالك من هذه الناحية يا مولاي وأذهب
عنك الحزن ... أما يسرك يا مولاي أن تتقل من هذه
القلعة المظلمة الرطبة الى منزل بظاهر المدينة جديد البناء
حسين الأثاث تُحيط به الأشجار من كل جانب ، فتزله
وقد طرحت هذه القيود فتستقبل الراحة والحرية وتتمتع
بالعزلة التي هَامَ بها العقلاء في كل زمان .

الملك : ومن لي بهذا الذي تصف يا بن حيون ؟
ابن حيون : بل هو أمرٌ قد تمَّ يا مولاي فقد فرغ من شرائه وتأنيته
وتهيئته لتزورك به في أهلك وعيالك ، وأما النقلة فغداً
أو بعده إن شاء الله .

الملك : وابن تاشفين ... ؟

ابن حيون : هو الذي أمر أن يكون كل ذلك وقد تذكر كلمتك المشهورة
التي سارت مثلاً في قيع الأندلس : إذ سئلت أيّ المفزعين
أحب اليك : ملك الأسبان أم سلطان المغرب فأجبت
(رعى الجمال ولا رعى الخنازير) فأمر أن يحمل اليك في المنزل
الجديد بعيران من نجائب إبله ليراهما له في تحميلة الدار
الجديدة .

الملك [في إطراق] : الآن تذكرت . لقد سئلت مرة في مجلس الحكم
إن كان لابد لي أن أخضع لسلطان أو أدين للملك بالطاعة

فأى الملكين أفضل وأى السلطانين أختار : سلطان المغرب
أم ملك الأسبان ؟ فأجبتُ : (أرعى الجمال عند أمير المسامين
ولا أرعى الخنازير لملك الأسبان) وأظن أن عبارتي هذه
نُقلت يومذاك إلى ابن تاشفين فأعجبته ووجدتها شريفة .

بثينة : ولكن المكافأة كانت غير شريفة يا أبي .
الملك : تريدن يا بثينة أن تقولى إن مروءة السلطان لم ترد على
أن جعلنى راعياً لجماله بعد ما سلبَ نعمتى واغتصبَ مُلكى
ونفانى أنا وأسرتى فى أغمات .

الريكية : هذا جهْدُ الرُّجل فى المروءة يا مولاي وهذه غايةُ كَرَمِهِ
فلا تكلفه فوقَ قدرتهِ بآعه ولا تسأله ما ليس فى طباعه .
الملك [لابن حيون] : ولكن قل لى يابن حيون من أخذ لنا هذا التافه
القليل من ذلك السلطان الشحيح ؟ ومن ذا الذى اجتهد
لنا وصنع كل هذا حتى غير رأى السلطان وصرفه
عن العُنْف إلى اللُّطف ؟

بثينة : هو لاشك أبْنُ حيون يا مولاي .
ابن حيون : ما اجتهدتُ ولا صنعتُ شيئاً ولكن المسأل صنع .
[ويشير إلى الجواهر] .

الملك : سنذكر لك هذه المهمة الكبرى يابن حيون .
بثينة : وتلك المهمة الصغرى أتذكرها للسلطان يا مولاي ، فقد
تسمَّح فنقلك من هذه القلعة إلى دار غيرها فى أشمات .

المالك : [ويقيم انشامة تهمك] : أعيشُ فيها حراً طليقاً بين أربعة
جدران وأرعى له فيها الجمال .
بنينة : أنت الذي رعيتَ لله في أشبيليه قوما شيدوا حضارة الإسلام
وشعباً عزيزاً كريماً طالما ناضلَ دونَ عيرينه وصبرَ على
عداوة الفرنجة وتألبهم عليه القرون الطوال .

ستار الختام

لتميز

وقتہ سیز

تمهيد

زمن الرواية : القرن السادس قبل الميلاد

مكان الرواية : مصر] منفيس : عاصمة مصر .
صا الحجر : مقر البلاط .
فارس/سوس : عاصمة الفرس .

أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصر .
بسامتيك : ابن أمازيس وولى العهد .
نفريت : ابنة أمازيس .
نيتاس : ابنة فرعون أبرياس المقتول .
قبيز : ملك الله س .
تاسو : حارس فرعون .
تتى : وصيفة الملكة نيتاس .
فانيس : كان قائداً فى الجيش المصرى ثم التحق
بالجيش الفارسى .

رجال الوفد الفارسي .

رجال البلاط الفرعوني .

قواد - جند : من الفرس .

ساحر - راقصات - أقزام ،
نوب - حجاب - خدم

مصريون .

الفضل الأول

المنظر الأول

« بالقرب من غرفة فرعون أمازيث الخاصة — »

« تاسو حارس فرعون — الأميرة نفريت ابنة الملك »

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو ها هنا ؟

تاسو : وهل أرى إلا هنا ؟

أحومُ حول صنمي وحول هذي القَدَم

نفريت [وتنظر إلى رجلها] :

حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الشُّهيد والزُّبْد والنمير الصافي

ما بك يا نفريتُ ما هذا الأذى ؟

ما بال عينيك تريدان البكا ؟

نفريت : تسألني ما بى ألم تعلم بما

جرى ويمجرى من بغايع القضا

تاسو : ماذا جرى ؟ ماذا لقيت ملكتي
من القضاء ؟ مُهَجَّتِي لَكَ الْفِدا
نقرت : كيف لقد كان حسابي أنا بِخُطْبَةِ الْفُرْسِ تَحْطَمْنَا مَعَا
تاسو : إذن فهذا الغم من جرّائها
وأنتِ تخشَيْنَ الرّحيلَ والنوى
نقرت : وأنتِ يا تاسو أَلَمْ تَحْزَنْ ؟
تاسو : أنا ! أحرُنْ يا سُلْطَانَةَ الْفُرْسِ أنا ؟
لقد وِدِدْتُ لو مَلَكْتُ كُلَّ مَا
دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ وَطَارَ فِي السَّمَاءِ
نقرت : وفُوقِي تاسو أَلَمْ تَحْزَنْ لَهَا ؟
تاسو : وَلِمَ وَفِي الْفُرْسِ يَكُونُ الْمَلْتَقَى
نقرت : في فارس ! في قصر زوجي نلتقي !
يا عَجِبا ماذا تَقُولُ يَا فَتَى ؟
تاسو : لِمَ لَا أَلِيسُ فِي الْقَصْرِ سَعَةً ؟ نَحْنُ هُنَاكَ مِثْلُ مَا نَحْنُ هُنَا
نقرت : هَذَا الْغَبَاءُ مِنْكَ تاسو عَجَبٌ لَيْسَ الْمَكَانَانِ عَلَى حَدٍّ سَوَا
هنا أبى إذا بَكَيْتُ رَقَى لِي وَإِنْ شَفَعْتُ لَكَ عِنْدَهُ عَفَا
تاسو : وَتَمَّ ؟
نقرت : وَحَشٌ فِي إِهَابِ بَشِيرٍ يَقْتُلُ مَنْ يَلْقَى
تاسو : أُمُونُ نَجْنَا !
وماذا اعترمت ؟
نقرت : اعترمت البقاء بمصرَ وفي ظِلِّ هَذِي الْحُجْرَةِ

وَبِالْقُرْبِ مِنْكَ وَمِنْ وَالِدِيَّ وَمِنْ إِخْوَتِي وَذَوِيَّ الْأَخْرِ
 وَبَيْنَ وَصِيفَاتِي الْمُسْتَفَاتِ وَمِنْ لَذِيذِي مِنْ بَنَاتِ الْأَسْرِ
 تَاسُو : وَلَكِنْ تُرَى كَيْفَ تَجْرِي الْأُمُورُ إِذَا عَلِمْتُ فَارِسُ بِالْخَبْرِ
 وَقِيلَ لِقَمْبِيزَ فِرْعَوْنُ خَالِفَ وَابْنَةُ فِرْعَوْنَ لَمْ تَأْتِ
 فَرِيَتْ : لِيَجْرَ بِمَا شَاءَ تَاسُو الْقَضَاءِ لِيَجْرَ بِمَا شَاءَ تَاسُو الْقَدَرِ
 لَتُخَسَّفَ بِقَوْمِ عَلَيْهَا الْبِلَادُ لِيَسْتَأْخِرَ النَّيْلُ أَوْ يَنْفَجِرُ !
 فَأَمَّا أَنَا فَسَأَبْقِي هُنَا وَإِنْ غَضِبْتَ فَارِسُ وَالنَّمْرُ
 فَمَا الْفَرَسُ لِي بِالصَّحَابِ الْكَرَامِ
 وَلَا لِي فِي مُلْكِهِمْ مِنْ وَطَرٍ

[تدخل الأميرة نيتاس]

فَرِيَتْ : مَنْ الْمَفْاجِئُ (نَيْتَا) ؟
 نَيْتَاس : فَرِيَتْ، تَاسُو سَلَامُ
 فَرِيَتْ أَصْنَى لِقَوْلِي فَلَإِيكَ كَلَامُ
 فَرِيَتْ : تَكَلَّمِي وَاقْتَصِدِي
 نَيْتَاس : وَلَمْ أَزَلْ مُقْتَصِدَةً
 فَرِيَتْ : أَتَيْتَنِي شَامَةً
 نَيْتَاس : لَا بَلْ أَتَيْتُ مُسْعِدَةً
 آمُونَ قَدِمْدَ إِلَيْكَ وَالِي الْوَادِي يَدُهُ
 وَقَدْ كَفَى مَصْرَ الْبِلَادِ وَالْخَطُوبَ الْمُرْعَدَةَ
 وَكَفَّ عَنْ رُبُوعِنَا نَارَ الْمَجُوسِ الْمَوْقَدَةَ

نفریت : وكيف يتيئس ماذا ما الخبير؟

كيف جرى غير مجاريه القدر؟

ناسو : مالا امر يا سيدتي !

نتيئاس : وأي شأن فيه لك

إن الذي عدن لا يقال إلا للـك

نفریت : عجلى اذن . قابلي أبى . أسرعى الخطى . اذهبي اذهبي

واسأليه ما . شئت واطبى

نتيئاس : ما ذاك ما ذا تقولين فـكـرى يا نفرت

ما جئت أطلب مالا ولا لهذا حضرت

ولا بشأنك يا بنت آمزيس افكرت

نفریت : ففيم اذن جئت يا نتيئاس وفي أى شأن نقلت القدم؟

نتيئاس : أتيت لمصلحة الآخرين وجئت لشأن جليل العظم

أتيت لأفدى بنفسى البلاد وأدفع عن مصر شر المعجم

فإنك إن ترفضى يزحفوا كـرـحـيف الذئاب ونحن النعم

فأين أبوك؟

نفریت : تلاقينه هنالك فى حجرات الصنم

نتيئاس : سامضى إليه

نفریت [بتكم] اذهبي أفدى البلاد

نتيئاس : نعم أنا أفدى بلادى نعم

[تخرج]

نفریت : یا و یحہا قد ذہبت دعنی تاسو واذہب
[یخرج تاسو] :

« یدخل فرعون الی غرفته الخاصة وہی جبرۃ صغیرۃ أرضیہا من الخشب »
« الملون وفيہا بضعة کرامی خفیفۃ الوزن لطیفۃ الصنع وفي زواياها الأربع »
« تماہیل للآلہۃ المصریۃ » فرعون أمازیس وابنه نفریت مقلدۃ علیہ »

نفریت : سلامٌ یا صُحی الشمس ویا غُمرۃ آہیس
و یا حامی سائیس و یا حارس منفیس
فرعون : سلامٌ شبہ ہاتور سلامٌ شبہ إیزیس
نفریت : أبی بل نادنی یا بنت فرعون أمازیس
فرعون : تعالیٰ أقبل یا بنت فرعون أمازیس
وفي أی جلیل أو صغیر یا تُری جئت
تعالیٰ یا ابنتی قولى سلی فرعون ماشئت
نفریت : أبی کُن لی فقد أظلمت الدنیا بعینیا
فرعون : ساجلُو ظلمۃ الدنیا وأمحوها بکفیا
[نمرورق عیناها بالدموع]

یُنْتَاه

نفریت : ربّاهُ أبی

فرعون : ما للأمیرۃ باکیۃ ؟

هَلَّا أَذْخَرْتُ لمصرِعی هذی الدموع الغالیۃ

نفریت : لا بل تمیش أبی وتبکی فی ظلال العافیۃ
أبجی تمہیاً کُلّ شیءٍ للنّوی المُرّامیۃ
فَعَدّا تَضْمِنِ القُصو رُ بل القبور الجافیۃ

في ألف جارية لقمـبيـزٍ هناك وجاريه
من كل مُرسلة هنا لك كالبهيمـة ساليه
فبأى قلب يا مليك ترفنى للطاغية
أدرك فتاتك قد ضعفت عن احتمال الداهية
[تدخل نبتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت]

فرعون : مَنْ أرى؟ إنه لحظٌ عظيمٌ
نبتاس : التّحايا لعرش مصر المفتدى
فرعون : وسلام الذى على عرش مصر
نبتاس : وكيف أؤدى؟
ليس بين ابنة وساق أبيها
إن حقدى عليك دينٌ وير
فرعون : احملى الحقد لى أو أطرحيه
اسألى تسألى أباك
نبتاس : معاذ السد يم فرعون ليس دنياك قصدى
فرعون : فيمّ قد جئتني إذن؟
نبتاس : في حقوق ليدارى وواجب نحو مهدي
كلّ مايم صبية من بنات الشـعـب
تختار للفداء فتفدى
تنزل النيل غير عائفية ما فيه للوت من حياض ويرد

سمحت بالحياة في غير سأم

وتفت بالشباب في غير زهد

تبتغي الخصب والرخاء وتحتا ل لعيش بنعمة النيل رغد

سقت الناس بعدها لم تقل قو ل الأثاني : يهلك الناس بعدى

فرعون : قد عرفنا فهل تريد منا أن تكونى التى نؤف ونهدى

نتياس : تلك مدفوعة يقدمها الكهائن

لكنى تقدمت وخدى

[مستر :] جئت أفدى وطنى من سيف قبيز وناره

جئت أفدى وطنى من دس الفتح وعاره

فرعون : ما ذا تقولين فيم جئت ؟ قبيز ؟ الفتح ؟ مصر ؟ فارس ؟

نتياس : نفريت تأبى المسير هب لى مكانها منك يا أمازس

فرعون : أنت التى تذهبين ؟

نتياس : لم لا "

فرعون : هذا هو النبى يا نتاس

نح فيح بنت أخى

نتياس [فى استنكار] : أنت يا قابيل ، عمى ؟ ؟

لا ... أبى يابى وأمى

فرعون : لا تدفعى نيت بى ولا تهبجى غصبى

نتياس [كالستهزة] : تقتلنى مثل أبى !

[تظهر نفريت بالباب]

فرعون : مر دأ أن ؟ نفريت ، هيا ادخل
نفريت : تحية الشمس لسارع أبي تحية المعبود آمون
لا تقف الأقدار بالباب

فرعون : أتيت لإتق الأمر نفريت أقبل
نمالي أنشك الجليل تعالى

نفريت : أبي لا جليل اليوم إلا مصيبي
فرعون : ولاكنها قد آذنت بزوال
نفريت : وكيف وأنى ؟

فرعون : أنظري من يجلسي وأى رسول السماء جياي
إله لعمري في قميص أميرة سى لك يحبو عونته وسعى
نفريت : نيتناس أخقى ؟

نيتناس [لنفسها] أختها ما أصلها متى كان بلى مجرمين وآلى

نفريت [لأنها بعد أن سمعت جوامها]
أبى ألهذا تجمع اليوم بيننا وما لابنة الملك القديم وماي

فرعون : لقد بعثتها الشمس من عرش مجدها
شماغ هدى من حيرة وضلال
ترق إلى قبيز في موضع ابنتي
وفى موكب من وفية ورجالي

نفریت : نتیناس
فرعون : قولى بنت فرعون
نتیناس : أعفها
نفریت : ولم
نتیناس : ذاك عهد يا أميرة خالى
فلا يستوى الملك القشيب جلالة
وآخر غلوع الجلالة بالی
نفریت : أحق نتینا ما روى الملك
نتیناس : ما روى أبوك مدى صوت رجوع مثالى
نفریت : رويدا نتینا راجعى الرشدا إنما
تضحین يا أختى بأنفیس غالى
تضحین بالدنيا الجميلة والصبا وهذا الفضاء السافر المتالى
أحق عقدت العزم ؟
نتیناس : بعد روية وأقمت نعى بعد طول نضال
وما لى لا أعطى الحياة إذا دعت بلادى . حيا لى للبلاد وما لى

المنظر الثاني

«جيرة عظيمة في قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر رسول»
 «الملك أمازيغ، هنا وهناك في الجيرة نفر من حاشية فرعون»
 رئيس الوفد: لقد جئتم في بلدة العجل جولة
 وما برحت بالزائرين تُجَابُ
 فكيف وجدتم قوم فرعون؟
 قباد: أمة
 إذا هي قيسست بالشعوب تُجَابُ
 لهم مثل ما للأسيدي بالجنيس عزة
 ضواري الفلا عند الأسود كلاب
 هم الشهب والناس الجنادل والخصي
 ويبر السرى والمائمون تُرَابُ
 وكل الذي صاغوا من الفن آية
 وكل الذي قالوا هدى وصواب

الريس : خطبتنا اليهم أميس بنت ملكهم
 فما كان إلا الاحتقار جوابُ
 وأشفق أهلها وقالوا حمامة
 دعاها الى الوكري السحيق عُقابُ
 [ثم يمرض ببصره رجال القصر من المصريين.]
 تأمل (قباذ) القوم وانظرو وجوههم
 وجوه عليها للهموم سحابُ
 ألت تراهم كلما نقلوا الخطى
 لهم جيئة من رية وذهابُ
 قباذ : ولكنهم ما قصرُوا عن ضيافة
 طعامٌ ونزلٌ طيبٌ وشرابُ
 ونمرٌ فينيقٌ بأيدي سقاتها لها نفعة مسكية وحبابُ
 وماذا علينا أن تضيق وجوههم
 إذا لم تضيق ساح لهم ورحابُ

«وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقه له»
 «في ناحية أخرى من الجفرة وكان قائدا هو أيضا من المدينة»

الرجل : زفيروس ؛ من أين ؟
 زفيروس : من جولة بمنفيس
 الأزل : كيف وجدت البلد ؟

وكيف آحتقارهم للغريب
وكيف عيونهم حوله
زفيروس : وجدت وجوها عليها النعيم
وسوقا نفض وسوقا تقام
وشعبا على خُطة في الحياة
ولم أر مثل صناعاتهم
ولا مثل أخلاقهم مبلغا
إذا مرّ يافعهم في الطريق
الأول : تباركت النار، كلّت المديح
زفيروس : أنى ما الذى أنت ناع على

إذا قام في شأنه أو قعد
إذا حملته احتمال الزمد
ودنيا على جانبها الرغد
وحلقا يروح وخلقا بقعد
ونظم به في الشعوب انفراد
سُموا وبعدا على المتقدم
من الفضل أو من خلال الرشد
بشيخ تنحى له أو سجد
لمصر جراقا ولم تقتصد
وما قلت إلا الذى أعتقد

الأول [منبأ] :

لقد سحرت مصر الفارسي
ويا طالما نفثت في العقد

ولكن زفيروس كيف الجنود

وهكيف الحديد وكيف الزرد

وهل كنت تلقاهم في الطريق

وتتظروا ظفارهم واللبد

زفيروس : أنى ما رأيت بمصر الجنود
سوى فتية من جنود القصور
ولم يأخذ العين منهم أحد
وضباطها في الثياب الجدد

يروحتون في الخلود الآلامات

وينفدون في الذهب المتقيد

الأزل : إذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسي ضعيف العمدة

خلا الوكر من صرخات العقاب

ونامت عن الناي عين الأسد

أولئك لا في حياة الديار ولا في العبد ولا في العبد

طواويس في عرصات القصور

تروق نياويلها من شهيد

ولا يعبئك سلم يرف وخير يفيض ومال لبس

وآثار فن تروغ المغول وأجساد موت تعيش الأبد

فما أنت راء سوى جنة هي الخلد أو طيفه في الخلد

يب عليها غدا عاصف من الفرس أنى تمتى حصد

ثالث مدخلا : صدقت أبا الفرس قلت الصواب

غدا يصف الفرس أو بعد غد

أحدهم لآخر : أعلم ما ذا يردد في القصير وما ذا يقال همسا ووحيا

الثاني : ما يقولون هات قل

آخر : كيف يصدت السر في القصر كيف يصدت النجيا

هات قل ما بارض مصر عجيب

مصر دنيا وسائر الأرض دنيا

الأول : هم يقولون إن بنت أماري
س عروس المليك تأتي المضيأ

الثاني : هازل أنت ؟

الأول : بل سمعت حديثاً إن يكن مقرى فإذا حلياً ؟
آخر : إنه يهذى دعوه كاذب لا تسمعوه
ما الذى زحرف

الثالث : السق كذبة الأجيال فوه

يزعم الملكة نفريست ابنة الملك أمارش
توفض السير مع الوفيد إلى أقطار فارس
آخر : ما خطبه ما يدعى لمض بنا لا تسمع
يقول فرعون مصرى لم يرض قبيز صهرا

الثاني : من أماريس ما الأميرة ما مص

رأى الأرض من بقمبيز يهزا

آخر : أهذا خبر يروى غبي أنت والله
أثحت القبة الزرقاء من يسخر بالشاه

الأول : اعزبوا ما لكم ولى قللوا الشتم والسخر
ما الذى قد أتيت به ؟ ناقل الكفر ما كفرا
خبر قبل قد يصح وقد يكذب الخبر

أحدهم : يا صَحبُ كيف تُرى تَقضون ليلَكُم
وكيف نَوْمَكُم في هذه الدار

آخر : أَمَا أَنَا فَإِذَا اسْتَلَقْتُ طَوْفَ بِي
شَتَّى الخِلاَلِيتِ مِنْ سَجَرٍ وَسَحَابٍ
وَأَنْتَ ؟

الأول : يَنْشَى الْكَرَى عَيْنِي فَيَصْرُفُهُ
عَنْهَا خَيْالٌ تَمَسِّحُ وَأَنْوَارٌ
مِنَ التَّوَابِيَتِ حَوْلِي كُلُّ مُتَقِيلٍ
بَغِيرِ رَجُلٍ وَلَا سَاقِيَةٍ دَوَارٍ
يُحِيلُ مِنْ خَلْفِهَا الْأَمْوَاتُ أَعْيُنَهُمْ
كَأَنَّهَا فِي الدُّجَى أَحْدَاقُ أَنْمَارٍ
وَلَا تَزَالُ بِي الْأَرْوَاحُ طَائِفَةً
مَنَاجِيَاتٍ بِالْفَازِ وَأَسْرَارٍ
آخر : أَمَا أَنَا فَإِذَا مَا جِئْتُ مُضْطَجِعِي
عَوِذْتُ نَفْسِي قَبْلَ النَّوْمِ بِالنَّارِ
فَلَا يَطُوفُ مِنَ الْأَرْوَاحِ بِي شَيْعٌ
مِنْ خَيْرٍ وَإِنْ جَلَّوْا وَأَشْرَارُ

آخر : هَيَّا اسْمَعُوا مَاذَا رَأَيْتُ أَمْسٍ

ما ذاك ؟

آخر :

صَهْ تَكَلَّمُوا بِهَيْسٍ

الأول :

رأيتُ عصفوراً برايس أنيس أقبلَ حتى صار عند رأيتي
فما ملكتُ عندَ ذاكُ حتى

آخر : ثم ؟

الأول : صحوْتُ فوجدتُ نفسي منطرُحا أغط فوق كرمي

آخر : وأنا

ثالث : أنتَ ما رأيتَ ؟

الأول : أعجبا مما رأى صاحبكم وأغربا

رأيتُ آيسَ أتى مضاجعي فهزَّها بقسره وقلبا
ثم رأيتُ

الثاني : ما رأيتَ ؟

الأول : حسدا تَقَلَّبْتُ في الليلِ تحيكي اللها

آخر : ثم ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارس ؟ قلتُ نعم فقال لي لامرحبا

أترقد منة : يا عجبا. المجلُّ قد كلمه يا عجبا

[يدخل ناسو مارس فرعون] :

ناسو : أيها الوفدُ سلامٌ لكم بنتُ فرعونَ ستأتي بعدَ حينٍ

نتلقاكم بما يركو بكم من تحايا وعجيب الخاطبين

رئيس الوفد : أيها السيد ناسو أدنُ منا مرحبا بك

غبتُ عنا زمنا حتى اغتممتنا لنيابك

لَمْ تَسْأَلْ عَنَّا وَلَمْ تَبْعَثْ رَسُولًا مِنْ صِحَابِكَ
 تأسو : يا كبير الوفد هذا السعطف قد أنثر فينا
 أنت لا تجهل من أنظمة الديوان شيئاً
 شرف الخدمة لا يعمل وقتي يدياً
 فارسي [لاثر بصوت منخفض] :
 تأسو؟ ! ومن تأسو؟

الأخسر : فتى في القصر مرهوق جميل
 نذمان فرعون وصا حبه وحارسه النبيل
 ويميل فرعون إليه وبنته أيضاً تميل

[حارسان يدخلان فيصبح أحدهما] :

الأول : الملك فرعون سارغ
 الثاني يردّد : الملك فرعون سارغ

« يدخل الملك والأميرة نيتناس وبقار الكهنة »
 « المصريين فيجلس الملك والأميرة ويقف تأسو »
 « وراء الملك ، فينهض رئيس الوفد ويقول »

رئيس الوفد [إلى فرعون] :

بركات السماء فرعون مصرأ
 وسلام من طاهيل الأرض كبرى
 رسل قبيز نحن لم نأل إحسا
 نك يوماً ولا اهتمامك شكراً

قد خطبنا إليك زنبقة الوا
 دى وأعلى عقائل النيل قدراً
 نجل الشام إن أردت صداقاً
 ونسوق العراق إن شئت مهراً
 ونزج الكنوز من قيم اليا
 قوت والدّر والزُمُرد تترى
 منها فارس وإننا لنرجو
 أن سترضى بها حليفاً ومِهراً
 فرعون أمازيس [إلى تاسو] :

قُمْ أَجِبْ عَنِ الدِّهَاقِينَ تَأْسُو
 سيدى من أكون! مولاي . عُدُوا
 تاسو :

ثيتاس : أَبَتِ أَغْفِيهِ

ثم إلى تاسو : مكانك تأسو أنا بالفصل في مصيرى أخرى
 ثيتاس [إلى الوفد الفارسى] :

مرجبا وفد فارس	رسل قبيل مرجبا
قد تأخرت عنكم	وأطلت التحجبا
ونہانى مطبى	فسمعت المطببا
خبأونى لوعكة	ومن البرد يخببا
لم ير الناس صاحباً	كالعوافى محببا

رئيس الوفد: اشكرى الله يا ابنتى
كم سالنا بغائنا
واذكرى فضل ماجبا
بالذى طمان النبأ

أمازيس [إلى تاسو بصوت منخفض] :
مالها تأس أطببت
ولذا الشيخ أطببا
تركا خطبة الزوا
ج وقاما ليخطبا
نتيئاس [بصوت منخفض وقد سمعت ما دار بينهما] :

ما الذى ساء والذى
ما لفرعون ساخطا
من كلامي وأغضبا
ولتأسو مقطبأ
فرعون [بصوت منخفض] :

أجعلى القصد يا ابنتى
إن فرعون كوكب
لك فى القول مذهبأ
أذكرؤا لى مقامكم
أيتها الوفد قلأا
مرحبأ وفد فارس
رفع البنت والأبأ
أترى كان طيبأ
صاهرت مصرأ أحبأ
الملك [بصوت منخفض] :

أنا إن عشت شدت للنار بيتأ مطبأ
فى عيون الوهاد من
شيع الوفد مرحبأ
كلما لاح ضوءه
رئيس الوفد : هلى باركى يا نار
أنا إن عشت شدت للنار بيتأ مطبأ
فى عيون الوهاد من
هزت الأرض منكبا
على بنت الفراعين

ويا فارسُ هاتوا النارَ وجيئوا بالرياحين
وجيئوا زوجةَ الجبارِ على كلِّ السلاطين

[ويثر القوس الريحين على الأميرة نيناس وهم يتغنون]

الكهنة المصريون يتغنون :

آمونُ قم شاركُ فرعونَ في العُرسِ
تعالْ طُفْ باركْ في ملكةِ القُرسِ

نَحْ الشياطينَ وانيفِ العفاريَتِ
واحرسْ بعينيك موكبَ نفريتَ

آمونُ هيَ اشتبكْ في عُرسِ بنتِ الملكِ
وقُسمِ اليها كَلَلِ براحتيكَ راسَها
واشهدْ بمصرَ واجتَلِ بفارسِ أعراسَها

سَـنـا

المنظر الثالث

« بهو عظيم من القصر زين بالمصاييح البديعة الألوان المصنوعة من ورق »
 « البردى وأغصان الزيتون، وصفقت الأزهار ... والرياحين هنا »
 « وهناك . وفي ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثارة، »
 « والعود، والناي، والدف . يهوج المكان بأعضاء الوفد الفارسي »
 « في ملابسهم الفارسية الفاترة ويرجال الحاشية وخدم القصر من »
 « الحرس والكهنة كبارهم وصغارهم وفتيان التوبيين، وقد وقف قهرمان »
 « القصر يصرف الوصفاء والنسدل ويستخرجهم في شؤون الوليمة . وقد »
 « عدت المؤاندة الفخمة وجعلت عليها ألوان الطعام المختلفة من خراف »
 « بشوية وباردة وبط صيد، ومن سمك النيل، ومن الحلوى بأنواعها، »
 « وسلال الفاكهة . ووضعت هنا وهناك أباريق الذهب والفضة »
 « المملوءة من عتيق النمر . يجلس على المائدة فرعون أمازيس وبجانيه »
 « وأمامه كبار رجال الوفد الفارسي وعظما رجال الكهنوت والدولة . »
 « ويتشر الآخرون على جنبات المائدة يتحادثون جماعات جماعات »

فارسي [لصاحبه] :

فيروز . أنظر ترى الخرافاً سحرًا لطفًا على الخوان
 ذا سمك النيل في الأواني كأنه معصم الغواني
 وأعينٌ تلك في جُفونٍ أم ذلك البط في الجفان

فيروز: ذَكَرْتَ كَلًّا وَلَمْ تُرَحِّبْ بنجر ساموس في الدنان
ونحير فينيقيا المصنئ كأنه ريقه الحسان

فيروز: ونحير مصير في قصر فرعو ن
تلك مجهولة المكان ثالث :

الأول: فيروز، دَغْنِي خَلِّي الخمر ليست دِينِي
من نحير آتينا وسا موسى ومصر أعْغِي
الأكل يا فيروز شغلي وبه تَغْنِي
تسربُ والبطن خلي! يالْك من مُغْنِي!
كُلْ مَيَّ فيروز كُلِ

هذا الخوان قد كَمَل من كل جانب حَمَل
هذا شوى هذا قَلِي

والبَط في الأطباق بطبط في الرقاق
من رأسه للأرجل

ثالث: وهذه الإوزُ رجراجة تهْدُ
قد طَبَّتْ بالتأيل

فيروز [الأول]:

أني كلانا قد صدق فالنالا نتفق

أكل ما نأكل من طعام وتحتسي معا من المدام

هذا لعمري مُحْكَم الكلام الثالث :

فرعون [الى رئيس الوفد] :

سیدی لو تقول لی
الرئيس : إن-قبیز سیدی
کیف قبیز والقذخ
ملک کله مَرخ
لیس تخلو قصوره
من سرور و من فرخ
فارساخر : لکن له شغل عن السخیر بطول غزوته
فرعون : این تری یشر بها

الفارسی : یشر بها فی خوذه

کعبده این آمته

« و یخلع الفارسی خوذه و یصب فیها نعرا و یشر ب »

« بعض صفار رجال الوفد الفارسی یلحدون فیها بینهم »

أحدہم :

لیت شعری فلست أدری الی ا ی . بلاء قبیز یدقع فارس

قد فتحنا الفضاء شرقاً وغرباً
اتسعنا من الفتوح

آخر : یقیناً
خَلَّ « مانی » عنک السیاسة دَعَهَا
غیر أنا لم نفتکر بالحارس

خَلَّ عنک الفضول خَلَّ الوسوس
إن شرق البلاد ضیعة قییم
سائس العالمین أسعد منه
رجلٌ للهار والبغل سائس

ثالث : انظر الحفل « بهار »
استحقته الکؤوس

رابع : وفدُ قبيزَ وهذا
ملكُ مصرِ آمزيسُ
ذهبُ الأرضِ عليهم
غَرِقَتْ فيه الطقوشُ
ساسةُ الدنيا وكلُّ
غيرهم فيها مسوسُ
الثاني : خلّنا بالله من ما
س ودعنا من يسوس
لم نطلُ الدهرَ مزو
سين والفير الرئيس
ليم « ماني » لا أنا ردُّ
ل ولا أنت خسيس
الأول : كلُّ ما أعجب كسرى
فهو في القُرسِ نفيسُ

كلّ حينٍ حاكمٌ يمشي علينا ويدوس
هكذا يختلّف الحظُّ سمودٌ ونحوس
إنّ بعضَ الناسِ أذنا بلبعض هم رؤوس
منزلُ الأسدِ الصحارى وعلى المرتقى التيوس

الأول : لِمَ يا « ماني » يسودُ
ونقادُ الدهرِ والآخريّ يا « ماني » يقود

آخر : يا أنى نحنُ كلانا
عاجزُ الرأيِ بليد
هذه الدنيا لِمَن
يقدمُ فيها أو يريد
سنّةُ الكونِ وما
عن سنّةِ الكونِ يحيد

آخر : أنا يا « ماني » طموحٌ
أنا لا أكنمُ عنكا
أنا في الدنيا وفي زيتها أرغبُ منكَا
أنا أهوى سعةَ العيشِ ولا أرضاهُ ضنكا

الأول : لِرَضِّ بِمَا كَانَتْ وَمَا يَكُونُ أَوْ فَانْقِلِقْ
 وَهِيَ نَشْرَبُ قَدَحَيْنِ أَوْ فَهِيَ انْطَلِقْ
 أحدهم : أَلْقَدَحًا . أَلْقَدَحًا انْجَمُرُ تَنْفَى التَّرَحَا
 قصيرًا أرى أم قلَّكًا وشجرًا أم قُرَحًا^(١)
 وغادة تسقى أم الظليَّة أم شمس الضحى
 وخسودا على رؤو س فاريس أم الرِّحَى
 أَلْقَدَحًا . أَلْقَدَحًا هَاتُوا الشَّعَاعَ الْمُفْرَحَا
 هَاتِ السَّنَا هَاتِ الْقَبَسَ هَاتِ الشَّذَاهَاتِ النَّفَسَ
 هَاتِ سَرَاجَ الْمَهْرَجَا ن هَاتِ شَمْعَةَ الْعُرْسِ
 هَاتِ ابْنَةَ الشَّعَاعِ وَالْفُطْلَ ابْنَةَ الْعَذْبِ السَّيْسِ

أحدهم [لرئيس الوفد] :

مولاي ألقى السمَّعَ وابْعِثِ النَّظَرَ
 ما ذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهارًا » قد سَكِرَ
 الأول : فَتَاكَ غَنَى وَفَتَايَ قَدْ شَعَرَ

الرئيس : وما الذى ضَرَّ ؟
 الأول : صَدَقْتَ لَا ضَرَرَ

الرئيس : ونحن ما نصنع ؟

الأول : شرب وسم

الرئيس : ونحن أيضا بشر وهم بشر

فليشربوا من هاهنا إلى السحر

أحد الشبان : رئيس الوفا لا زلت لما يرفع تختار

ولا ساوالك دهقان ولا دانالك أسوار

وغالى بك قبيل وحلت جسمك النار

« يدخل وصيف من وصفاء القصر ويده مومياء من الذهب »

« يعرضها على الضيفان . ووراءه رجل يقول ويكرر ... »

المومياء طوفوا بها واتعظوا بخطيئها

لا تسألوا ما هي من ؟ نكرها طول الزمن

هيا كلوا هيا اشربوا هيا اسمعوا هيا اطربوا

تمتعوا بالفانية قبل الحياة الثانية

خذوا المدام الصافية قبل انكسار الآنية

فارسي لآخر : خورشيد هذا هو البلاء كل أحاديثهم فناء

خورشيد : رواية الموت حيث راحوا وقصة الموت حيث جاءوا

[يقترب ناسو من نيتاس في ناحية أخرى من البهو ويقول]

ناسو : نيتاس ألا كاس

أيتسى فى سويحات

نيتاس : دع الحب فلم يخلق له من لا له قلب

ألا شكوى ألا عتب

ويطوى ذلك الحب

له من لا له قلب

تاسو : وما ذنبى ؟

نتباس : لقد أحسنْتَ لكن لى أنا الذنبُ

أنا أحببتُ عابِثاً سادِرَ القلبِ جافِياً
يعشَقُ الجاهَ والغنى لا يحبُّ الفوائِيا
[مسترزة] :

أنت كالتعمة من قصيرٍ لقصيرٍ
أنت كالتحلة من زهيرٍ لزهيرٍ
[مسترزة] :

باعدتُ الأخلاقُ ما بيننا أين أخو العهد من الناكثِ
لعبتُ بى فيما مضى عابِثاً

فالعَبُّ بغيرى اليومَ كالعابِثِ
أقسمتُ لى فاذهب فأقسم لها

فانتِ أهلُ القسمِ الحانثِ
أحببتُ بنتَ الحى حتى قضى واليومَ أحببتُ ابنة الوارثِ
كم مجلسٍ كان لنا ثالثٌ فيه وقد تعمى عن الثالثِ

تاسو : ما هو من ؟

نتباس : الحبُّ يا مدعى والحبُّ حربُ الظالمِ العائِثِ

[يمرض عنها تاسو ويبتعد]

نتباس [لنفسها] :

مضى القادرُ لم يشمرُ بما حملنى الفدرُ
ولا رَقَ له نابٌ على جرحى ولا ظفرُ
تكلمتُ فلم يسمع وأنى يسمعُ الصخرُ

لقد غامرتُ في تأسو وتأسو في الهوى غمرُ
كم استشفيت بالسحر فما عافاني السحرُ
وكم ناديتُ آبائي فما لباني النصرُ
وكم جئتُ إلى الصبر فما آواني الصبرُ
جزاء المخرىض التيا ه منك الصد والكبرُ
هيه نبات الندار به أو نزح القبرُ

هي معرفة الغاد ر لم يأت بها الدهرُ
أقلُّ شغل الفكر فقد أتعبك الفكرُ
هيه منرت السن عليه ومشي العمرُ
فلم يبق له نهي على الغيد ولا أمرُ
ولم يسق له في البا ل تمثال ولا ذكرُ

« مدعو من المصريين يشير إلى نفريت وهي متكررة في زى »

« يوناني ويقول الرجل بجانبه »

المدعو : من المرأة ؟

الآخر : من ؟

الأول : تلك تراها مثل طاووس

الثاني : تراها مع كالياس

ومن ؟

الأول : واريث فانيس

أمير الجيش في منف وأسوان وسايس

الثنائي : أجل تلك التي تظهر في أغرب ملبوس

فهذا الوجه مصرى وهذا الرزى ساموسى

[رجل فارسى لآثر يدعى قباذ] :

الرجل : انظر قباذ ما ترى ؟

قباذ : أحسن شيء منظرًا

حمامة تطارح الشجوة حماماً ذكراً

يا ليت أذن سمعت من الحديث ما جرى

الأول : دعنى من ذكر الهوى إتني مذكنت لم أعشق ولم أعشق

قباذ [في تهم] :

وأنت كالناس امرؤ عائش تلك لعمري عيشة الأحق

الأول : قباذ قد عرفته ذلك تاسو الحارس

قباذ : الحمد لله على أن لم تحزه فارس

إذن لهامت كاعب بحبه وعانس

[تاسو يقترب من نفريت] :

نفريت : تاسو هنا ؟ هات اسقنا

تاسو : ليك يا ذات البهاء ليك يا بنت السماء

يا ليتني كنت الرحيق وليتني كنت الإناء

[ويناولها قدحا] :

نقرت : تأس ، مِنْ أَيْنَ وَمَنْ
تأسو : كنتُ أجاملُ الضيو
كنتَ من الغيد تُحدثُ؟
فَ وَأَلْسِي المِلِكَا
فعارضتني نيتا
سُ في خِلالِ ذَلِكَ
تأس وما قالت لكا
نقرت : وما الذى قلتَ لها
تأسو : عادتَ لذكر حبنا القديم
وعطقتُ على الهوى الذميم
وطالَ العتابُ

نقرت : وطالَ السَّبابُ

تأسو : بحق الحبِّ نقرتُ
أَقِلَّ الشَّغْلَ بِالْأُخْرَى
ولا تُلقِ لنا تيتا
س لا بالاً ولا فِكرا
غداً تَخْلُونَا مِصْرُ
غداً يَصْفُونَا القَصْرُ
غداً ترحلُ لا أرجعُها البرَّ ولا البحرُ
نقرت : مالكِ تأسو ولها
خَلَّ الفتاةَ خَلَّها
لله ما أعظمها
عِنْدِي وما أجَلَّها

قد أظهرتْ أميسَ أمامى فضلها ونبلها

تأسو : ما فعلتْ ؟

نقرت : ما أنتَ مَنْ؟
يَقْدُرُ تأسُ فعلها
ألم تصبرِ عن الوطنِ المُفدَّى
وتسمعُ بالديارِ وبالشبابِ
وترضى بأن تُرفَّ غداً مكاني
إلى النمرِ الأميرِ على الذئابِ
تأسو : صه نقرتُ صه لا يسمعونا
فتلقى مِصرُ أنواعَ العذابِ

« في ضجة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويخادنان »
« صدقهما خوفاً يقبل عليهما ثم القائد كالياس »

منا : أنظر أحامس

أحامس : ماذا؟

منا : فرعون بين صحابه

أحامس : وما ترى من عجب؟ ماذا بفرعون ما به

منا : أنظر تجده إلهاً في عبقرى ثيابه

أحامس : لا تلقى بالآ إليه ولا إلى أذنايه

غداً يصب عليهم قبير سوط عذابه

منا : أحامس، استغفر لقلته قال الشياطين ولا فالك

أحامس : قد كنت مثلي يا منا ساخطاً تلعن فرعون فبالك

[ثم مستمراً] :

تأمل القصر منا وانظره أرضاً وسماء

أنظر ترى الإغريق فيه هم لفيف العظما

أنظر تجدهم كلهم يلقون المعجما

منا : ماذا على فرعون إن راعهم وقدما

أليس للضيف على ضائفه أن يكرما

أحامس : وصاحب الدار إذن يموت جوعاً وظمأ

وصاحب الدار إذن لا يتعدى السلما

خوفه : ماذا أثار الصاحبين لِمَ وفيم اختصما

أحاس : كُنْ مُنْصَفًا إِنْ رُمْتَ يَا خُوفُو تَكُونُ الْحَكَمًا
تَأْمَلُ الْقَصْرَ خُوفُو أَفِيهِ مِنْ مَصْرَ شَيْءٍ
أَلَيْسَ فِرْعَوْنُ فِيهِ كَأَنَّهُ أَجْنَبِيٌّ
فَأَيْنَ حَفَارُ مَصْرِ وَفَنَّهُ الْعَبْقَرِيُّ
وَالْجَيْشُ خُوفُو

خُوفُو : خُذِ الْخُذْ رَ يَا مَيْتًا يَا أَحَامِسُ
كَالْيَاسِ آتِ إِلَيْنَا
مَنْ : وَمَنْ ؟

خُوفُو : خَلِيفَةُ فَاوْنِسُ
أَحَامِسُ : الْيَوْمَ كَالْيَاسِ وَأَمِيسُ فَاوْنِسُ
اِحْتَكَرَ الْقِيَادَةَ الْأَبَالِسُ
[وَ يَقْبَلُ عَلَيْهِمْ كَالْيَاسُ]

فِرْعَوْنُ أَمَارِيسَ [لَتَاو] :

أَيْنَ أَقْرَامِي ؟ إِمِضْ جِيءْ بِأَقْرَامِي تَأْسُ

[يَدْخُلُ الْأَقْرَامُ فِي أَزْيَاءِ الْمَهْرَجِينَ ، فَيَقُولُونَ] :

تَحِيَّاتٌ لِفِرْعَوْنَ سَلَامُ الشَّمْسِ لِلْمَلِكِ
سَلَامُ قَائِدِ الْجَيْلِ سَلَامُ حَامِيِ الْفُلْكِ

فَهَرْمَانُ الْقَصْرِ [لِأَقْرَامِ] :

هَلُمُّوا رَقِصَةَ الْحَوْرِ إِذَا طُفِنَ بِهَاتُورِ
سَمَاءُ الْعَزِّ وَالنُّورِ

أحد الأفرام : نحنُ القُزمُ أنصافُ ناسٍ
ناسٌ وبالشَّيْرِ قُفَّاسُ

ثان : نحنُ الدمي واللُّعبُ بنا يتمُّ الطَّربُ
ثالث : هلمُّوا رقصَةَ الموقى من الكهفِ إلى الكهفِ
ودُّورُوا كالتماثيل من الرِّفِّ إلى الرِّفِّ

آخر : نبيُّ جُثث على الجَدثِ نبيُّ نبي
حبُّو الصَّغارَ على اليدِ والركبِ
هيا قنِّي هيا ازحفي هيا العبي
هنا الطعامُ هيا كُلِّي هنا الشَّرابُ هيا اشربي

آخر : تعالَ يا دهقانَ أرقضَ مَعِي
وأنتَ يا «أسوار» قُمْ اطلع
واقبَّسِ الأَنوارَ من سارع

الجميع : عِشْ يا ملكَ مع الزَّمنِ
مُطَوِّقًا مِصرَ المِثْنِ
وذائداً عن الوطنِ
[ثم يكررون عِشْ يا ملكَ وينصرفون]

فرعون أمازيي [إلى وجهاء الفرس]:

يا وجهاءَ الفرسِ قالوا لكم
فربُّنا سرُّكمُ أنِّي
مصرُ بلادُ السَّحَرِ والسَّاحِرِ
أجيئكمُ بالسَّاحِرِ القادرِ

وبنادى : حوتيب
 حوتيب : لَيْتَكَ سَارِعُ
 فرعون : تَعَالَ لَه الضُّيُوفَا
 حوتيب : سَادِقِي إِنِّي فِي الْكَفِّ وَفِي الْجَنَّةِ أَقْرَا
 أَنَا أَقْرَا لَكَ حَفْطَا أَنَا أَقْرَا لَكَ عُمْرَا
 أَنَا الَّذِي بِسِحْرِي الْمَبِينِ اسْتَطْلَعُ الْمَكْتُوبَ فِي الْجَبِينِ
 فرعون [إلى تاسو] : تَأَسُّو أَقْتَرِبْ
 تاسو : لَيْتَكَ يَا سَارِيعَ
 فرعون : لِمَ أَجْلَبُوا مَا خَطَبْتُهُمْ مَا الدَّاعِي
 [ضجة وفزع]
 فرعون [مستعزاً] : وَفِيمَ هَذَا الْهَمْسُ وَالْتِرَاعِي
 تاسو : مَوْلَايَ إِنْ الْوَفْدَ فِي ارْتِبَاعِ
 تاسو [في أذن الملك] : انْقَلَبْتُ عَصِيَّتُهُمْ أَفَاعِي
 فرعون : يَا الْحَسِيبَ مِنْ قَتَّى صِنَاعِ
 رئيس الوفد : هَذَا مِنَ الْعَبَاقِيرِ
 حوتيب : أَنَاةٌ وَفَدَّ فَارِسَ لَا تُرَاعُوا
 خُذُوا قَضْبَانَكُمْ وَتَأْمَلُوهَا
 فرعون : حَوْتِيبُ قَدْ سَرَّضِيو
 هَذَا مِنْ الْعَبَاقِيرِ
 وَلَا تُحْصُوا دُعَابَاتِي عَلَيَْا
 لَقَدْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ عَصِيَا
 فِي أَنْ يَرَوْا وَيَسْمَعُوا

فَزَدَهُمْ فَعِنْدَكَ السَّحَرُ الْغَرِيبُ الْمَتْعُ
 حوتيب : فرعون هذا شَرَفٌ يَطِيرُ بِي وَيَرْفَعُ
 أَصْنَعُ مَا كَانَ دَدَا السَّاحِرُ قَبْلِي يَصْنَعُ
 فرعون : وما الذى تصنعُ ؟

حوتيب : جِئْتُونِي بِرَأْسٍ يَقْطَعُ
 فَلَمَّا نَنِي أَرَدْتَهُ بِلِجْسِمِهِ وَأَرْجَعُ
 فَمَنْ مِنَ الْوَفْدِ بِرَأْسِهِ إِلَى يَدْفَعُ

رئيس الوفد [لرجاله] :

هَلْ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْفَرَسِ بَاطِلُ
 عَنْ رَأْسِهِ لِسَاحِرِ النَّيْلِ نَزَلُ
 حوتيب : هَاتُوا الرُّءُوسَ لَا يَخَافُ أَحَدُ
 فَكُلُّ رَأْسٍ سَيُرَدُّ لِلْجَسَدِ
 أخدمهم : رَأْسِي غَيْرُ هَيْئٍ

ثاني : رَأْسِي عَمُودٌ بَدَنِي
 ثالث : رَأْسِي لَدَيَّ غَالِي رَأْسِي كُلُّ مَالِي
 فرعون : حوتيبُ مَا مِنْ أَحَدٍ هَانَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ
 أَنْظِرْ إِلَيْهِمْ . كُلُّهُمْ عَزَّتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ .
 خَلَّ حُتَيْبُ النَّاسَ وَاخْتَرَّ غَيْرَهُمْ لِلتَّجَرُّبَةِ
 حوتيب : مَرَّهْمُ إِذْنُ أَنْ يُحْضَرُوا إِمَّاؤَةً أَوْ أَرْنَبَةً

فرعون [تاسو] :

امض تاسو جى، حَتِيْبًا بِأَوْزٍ وَأَرَانِبِ

« يخرج تاسو ثم يعود يضع من الأوز والأرانب . فيقطع حوتيب رأس إوزة »
« ويقول : شال هبد شال هبد لا يهجز السحر أحد يا رأس عد الى الجسد »

الفرس : تعالت قدرة النار
المصريون : تعال الرب آمون

فرعون : هى حَتِيْبُ إِمَشْ مَايِنَ الصُّفُوفِ
وطالع الجبهات واقرا الكُفُوفِ
حوتيب : برأس من أبدأ مُرْنِيْ يا سارَعِ

فرعون [مبتها وملفتنا تاسو] :

برأس تاسو إقرا فى جبينه
وبين المحجوب من شؤنيه

حوتيب [وهو يتأمل بجين تاسو] :

هذا قى باطنه جماد
ليس وراء رأسه فؤاد
رأس عليه وقف الجملاد

تاسو : إخسأ كذبت وضل معرك

فرعون : ورأسى يا حَتِيْبُ ألا تراه؟

حوتيب : جبينك أعفنى مولاى منه

فرعون: تعالْ حُتِيبُ

حوتيب: لا، هذا شديدٌ جبينُ الشمس تنبؤ العين عنه

يا عجبا ماذا أرى؟

فرعون: ماذا ترى

حوتيب: دمٌ جرى

فرعون: دمي أنا؟

حوتيب: لا سيدي عوفيت بل دم الوري

ناسر: إذن ليجر كالمطر ما همنا دم البشر

إذا سليت يا ملك فليهلكن من هلك

كاهن لآثر [بصوت منخفض] :

إن هذا الغلام فيه قساوه

الآخر: قلت حقا وفيه أيضا غباوه

فرعون: وبعد ماذا؟

حوتيب: حربٌ عوانٌ يشيبُ من هولها الزمانُ

فرعون: وهل أكونُ يا حُتِيبُ فيها

حوتيب: سواك يا مولاي يصطليها

فرعون: وإني بساما يا حُتِيبُ ما ترى؟

هل يشهدُ الحربَ وهل يراها

حزيب : سيدى ليت الأمير حاضر أنا لا أقرأ إلا فى الجبين

[قهرمانه القصر تطيف بالمازفات والحسان وتقول] :

القهرمانه : قُنْ إِلَى اللَّهِو يَا عَذَارَى وَخُذْنَ صَنْجًا وَخُذْنَ دُفًا
واهتِفْنَ بِالشَّعْرِ وَالْأَغَانِي واقطعن ليل الشباب قصفا

* * *

وَأَنشَدْنَ مَعَ الْقَوْمِ نَشِيدَ الْمَلِكِ الْعَالِي

[ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب]

النشيد : فرعونُ أَنْتَ الرَّفِيعُ أَنْتَ الْعَظِيمُ الشَّانِ
وَأَنْتَ سَدُّ مَنِيعٍ مِنْ جَارِفِ الْفَيْضَانِ

* * *

وَأَنْتَ كَالصَّخْرِ تَحْمِي مِنْ نَكَبَاتِ الْعَوَاصِفِ
مِنْ قَاطِعِ الطَّرْقِ يَاوِي إِلَى حِمَاكَ الْخَائِفِ

* * *

وَأَنْتَ مِنْ صَخْرِ طَيْبِهِ حِصْنٌ مَشِيدُ الْجِدَارِ
يُؤْوِي إِلَيْكَ وَيُلْجَا إِلَى طُلُوعِ النَّهَارِ

* * *

أَنْتَ اخْضُرُّرُ الرِّيفِ وَأَنْتَ حُسْنُ الرِّيفِ
تَرُدُّ بَطْشَ الْقَوَى وَفَتْكَهُ بِالضَّعِيفِ

« فرعون يفادر مكان الوليمة فينطلق »

« المدعوون على إثره ولا يبق إلا نيتاس »

نيتاس [لنفسها] :

أَفِيقِي بِنْتَ فِرْعَوْنَ فَارْزُكِي بِكَ السُّكْرُ

غداً تَذُرُّو رِيَّاحُ الْفَرِّ	مِنْ مِنْ مَوْتَاكَ مَا تَذُرُّو
غداً يُصْبِغُ مِنْ شَطِّ	لَشَطِّ بِالْدَمِ النَّهْرِ
غداً يُهْتَكُ عَنْ أَرْبَا	يَكِ الْمَحْرَابُ وَالسُّرِّ
فَمَا تَأْسُو وَفَتِيَانُ	تَكْأُسُو فِي الْحِمَى كَثُرُ
هَمُّ النَّحْلِ وَإِنْ هَابُوا	لِقَائِي وَأَنَا الزَّهْرُ
يَمُوجُونَ بِسَاحَاتِي	وَيَزْهُو بِهِمُ الْقَصْرُ
وَلَكِنْ بَيْنَ جَنْبِيَّ	هَوَى أَوْلَى بِهِ مِصْرُ

سنتار

الفضل الثاني

في مدينة سوس الفارسية

« في حجرة فارسية نغمة مفروشة بيمين الطنافس وملوءة بالوسائد »
« من الحرير المختلف الألوان » وقد زينت زواياها بالرياحين »
« الكريمة ، الملكة ووصفتها حتى في الحجرة المذكورة ... »
الوصيفة حتى [وهي تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تبارك الذي خلق أقولها ولا ملق
ذوائب أم الدجى ومفريق أم الفلق ؟
غدائر في الكتيفين أميدلت وفي العنق
كانها من الحريـر الأسود الخيط شقق
لم يخل جوق فارس مذكمتها من العبق

الملكة : ما تصنعين ياتني

تنى : أصلح مولاتي

الملكة : لمن ؟

تنى : للزوج يا سيدتي

الملكة : لئيم الفُرمين الخيشن
تسى : هيبه ذنباً ملكتي أو نيمراً أو كركدن
أليس للأزواج تلبس النساء ما حسن
الملكة [ملفتة إلى وصفتها تسي] :

قلتِ حقا تسي فإن على المرأة للزوج أن تكون أمانة
وعليها ألا تُقصر بشراً حيث تلقاه أو تُقصر زينه
تق الوصيفة : بل تحلى مليكتي والبيبي حلة البهاء
وافتنى من بفارس من رجال ومن نساء
إن كسرى وقومه كلهم في الهوى سواء
أنت كالشمس في الضحى فانشري الحسن والضياء
لا على القصير وحده بل على الأرض والسماء

الملكة : يا لك من وصيفة مملّقة
عارفة بالجميل المنمّقة

الوصيفة : لقد وضعتُ ذهباً في البوتقة
ولم أصف بالطيب إلا زنبقه
وقلتُ عن شمس النهار

الملكة : مُشرقه

« ويظهر على الملكة التفكير واشتغال البال بخاة »
« ثم تنغنى في نفسها وهي مقبلة على المرأة تنظر فيها »

الملكة [في نفسها] :

يا ظالماً أجبهُ جهد الهوى وإن غدرُ
ومن هجرتُ وطني لأجله حينَ هجرُ
قلبك لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حجرُ
لم يتصل مرةً مما جنى ولا اعتذرُ
جسمٌ كسلسال الصفا على فؤادٍ كالصخرُ
وزهرٌ أنتِ وتلك النفسُ أفي في الزهرُ
لم تجن يا ناسو عسى إنما جنى القدرُ
ذنبك لا يُغفر إلا أن قلبي قد غفرُ
إن غبتَ عن عيني فأنسى في سوانح الفكرُ
أراك كلما رأيست طائرٍ في الشجرُ
وكما بدت لي الشمسُ ولاح لي القمرُ
وكما جئت الريا ض ووقفت بالقدرُ
وكما نرتم الشادي وحزك الوترُ
وكما دبَّت ورا الليل نسمة السحرُ
يأليت شعري كيف أنست ما تبيء ما تذرُ
وكيف حبك الجديد هل خبا وهل كبرُ
وهل وقيت أم غدر ت بالعشيقات الأخرُ

الوصيفة : دَعِيَ النَّاسِيَّ مَوْلَانِي وَخَلَّيْكَ مِنَ السَّالِي
ولا يَخْطُرُ لَكَ النَّاكُثُ الْعَهْدُ عَلَى بَالٍ

نبتاس : هَبِيهِ يَاتِتَا خَانَ فَمَا لِي لَا أَفِي مَالِي
لَهُ خُلُقٌ وَلِي خُلُقٌ وَلَكِنْ خُلُقِي الْعَالِي

نبي : هَوَا يَا مُلْكِي مِثَا لَوْلَكِنْ مِنَ الْوَحَلِ
كَانَ يَكْفِي لُبُغْضِهِ بَعْضُ ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ

نبتاس : أَنَا أَفْدِيهِ يَاتِتَا بِحِيَاثِي وَإِنْ قَتَلَ

نبي : لَوْ كَانَ مَعشُوقِي أَنَا

نبتاس : مَا الَّذِي

كَانَ يُبْلِقِي ؟

نبي : آه لَا أُدْرِي

بِالصَّفْحِ أَجْزِيهِ وَبِالرُّكْلِ أَوْ

كَنتُ أُرِيهِ النَّجْمَ فِي الظُّهْرِ

نبتاس : الْحُبُّ فِي نَاحِيَةٍ وَأَنْتِ ذِي فِي نَاحِيَةٍ

مَا هَكَذَا الْحُبُّ تَبَتَّ مَا الْحُبُّ إِلَّا التَّضَحِّيَةُ

[تسمع ضجعة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة] :

يقول المستغيث :

الْعَفْوُ يَا كَسْرِي الصَّفْحُ يَا سُلْطَانُ

أَخْشَوْكَ وَالنَّارَ وَبَجْدِهَا مَا خَانَ

الملكة : اسمي ياتيا ألم يأتك الصو ت ؟
 نتي [وتعال من نافذة] : أجل ثم صجعة وعويل
 الملكة : تم خيل وشرطة وسلاح
 نتي : أقتيل يا بنت فرعون ؟
 الملكة : ليم لا ليس في أرض فارس مستحيل
 ياتيا نحن في بلد كل قلب به حمد
 الحى فيه رخيص والميت أرخص منه
 هنا الميت تنفض منه الأكف وتنهى الشرائع عن دفنه
 ويطرح ناجية في الفضاء على سهله أو على حزنه
 تروح الحدا على رأسه وتغدو الذئاب على بطنه
 نتي : ويمهم ويمهم
 ذلت وهانت أمة أمان الناس هم ؟
 الميتهم لا يكرم
 الملكة [رعى مطلة] : يتا هذا هو الحارس وهذا من تحييتا
 كذوقك ياتيا لم يعلى ذوق أتمثال حبيك أم إله
 نتي : ولو فوق الإله يحب شئ ويكرم لم يكن أحدا سواه

تَأْمَلِي كَتِفَيْهِ تَأْمَلِي مَنْكِيَهُ
الملكة : انتظري لأبد لي أن أسأله
كَأَن صَقِيرَيْنِ حَطَّافَظَلَّاشَارِبِيهِ

تَقِي : لا تفعل مَالِكِ مولاتي وَلَهُ
الملكة : يَا أَيُّهَا الْحَارِسُ

الْحَارِسُ : لَبَّيْكَ
الملكة : مَنْ يَقْتُلُونَ الْيَوْمَ فِي السَّاحَةِ؟

الْحَارِسُ : أُخْتُ الْمَلِكِ : أَتُوسِيَا
الملكة : أُخْتُ الْمَلِكِ ؟

الْحَارِسُ : أَجَلْ هِيَ
أَتَهْمُتُ بِرُديَا

تَقِي : مَنْ بِرُديَا؟
الملكة : أَخُو الْمَلِكِ ! يَقْطَعُ فِي السَّاحَةِ رَأْسَ رُديَا
يَا أَسْفَا عَاوَدَهُ جَنُونُهُ

تن الوصيفة [وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغننة] :

مَا بِيكَ مولاتي مَا . غَمَّكَ مَا هَذَا الْأَمْسَى؟
الملكة : لَا شَيْءَ بِي لَقَدْ وَهَمْتُ يَا أَيَّتَا لَا شَيْءَ لَا
الوصيفة : بَلْ أَنْتِ تَكْتُمِينَ غَمًّا طَافَ أَوْ هَمًّا سَرَى
هَلَا ذَكَرْتِ أُنَنَا غَرِيبَتَانِ مَا هُنَا

أَنْتِ لِي الْأَهْلُ وَلَسَكُنِي أَنَا لَكَ الْحَمَى
وَمَا عَلَى الْغَرِيبِ إِنْ جَاءَ الْغَرِيبَ فَاشْتَكِي

الملكة : صدقت ياتسا أنا وأنت في الكرب سوا
 قد اجتمعنا بعد قرى بدار في دار النوى
 نسي : أين اذنت تبسم كالصبح من فيك يرى
 الملكة : لقد رأيت الهول والزر ول وما هذ القوى
 نسي : أضغاث أحلام وزو ر من تهاويل الكرى
 الملكة : رأيت رؤيا ياتسا هل لك علم بالرؤى؟

الوصيفة [بعد تفكير] :

أجل تذكرت أجل عندى من ذاك شذا
 قد كنت في الصبا على أبى أقص ما أرى
 الملكة : رأيتنى كأنى في قصر آباءى بصا
 الوصيفة : في القصر من صالحجر قصر الجلال والها
 الملكة : ربيت عيني من القصر إلى أقصى مدى
 رأيت واديا كطو ل البيد أو عرض الفلا
 أصفر من شحابه بنفسجى المنحنى
 إحمرا مثل قزح هناك واخضر هنا
 رأيت ليشا أحمرا السجلدة خشنا كالصففا
 فاغرى فيه عن نيو ب مثل مشروع القنا
 انقض كالصخر على السوادى فاقى قسنا
 ونظر النيل وقد عب وماج وطنى

ونخرجت منه التما سيجُ فرادى وثني
وأعولت حتى لقد سدَّ عويلها الفضا
فمقرَّ الليثُ فلا رجلاً رى ولا يدا
وقرَّ في مكانه كأنه بعضُ الدمي

الوصيفة : ثم ؟

الملكة : رأيتُ حنْشا ليس له مصرُ ترى
لم ترَ منفُ مثله ولا الصبيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدّرتُ من السما
مشى إليه كلُّ ذى قوسٍ وكلُّ ذى عصا

ونخرج الكهانُ يتلون الصلاة والرقى

الوصيفة : وما الذى حلَّ به ؟

الملكة : لم يُصبُ الوحشُ أذى

الوصيفة : حقَّقته سِيدتى ؟

الملكة : حقَّقته على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة تُشيبُ أرؤسَ النِّشَا

كأنه فانيسُ عَيْنَيْنِ ووجهاً وقفَا

حتى تعوذتُ بإبيزيسَ وآبائى العلى

الوصيفة : فانيسُ مَنْ ؟

الملكة : كيف نسيته ؟ كيف نسيته يا تيسا

الخائنُ الذي إلى فارس من حين أتى

يشي بمصر وأخا ف أن يكون بي وشي

الوصيفة : ما صنع الثعبانُ مو لاني

الملكة : من النهر دنا

وفعَّ ثم دس في النهر لسانا كاللظى

فاحتجب النيلُ وما ديتسا ما كان ما

واحترق مدائن بالصفتين وقرى

الوصيفة : والليث يا سيدتي ؟

الملكة : بعد التهيّب اجترأ

مشى على الوادي فهل رأيت عاصفا جرى ؟

يقتلح اليابس والسرّ طبّ ويفري ويظا

وكرحتي غادر السوادي قاعا صفصفا

هو ذا الحلمُ فما تفسيره نبئني ياتسا

الوصيفة [لنفسها مضطربة] : ماذا أقول ؟

الوصيفة [للملكة] :

ملكتي لا تفزعني

الملكة : كيف تيسا كيف لا أفرع والحلم مهول

يَنْفِدُ النَّيْلُ وَيَذْوِي شَطُّهُ

وَتَقُولُ الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ غُورُ

الوصيفة : رؤياك يا سيدتي من نفسها مسؤوله

نالتك من عشاء أمسين ثقلة ووبله

الملكة : ماذا أكلت مع قبيز وما قُتِمَ له؟

الوصيفة : كان العشاء ملكتي مائدة عجمه

أكلت يا سيدتي من أرنب متبله

ثم أكلت من حمل وحمل الفريس حمل

الملكة : ثم؟

الوصيفة : جاءوا بالطير في الأطباق

الملكة : طير من؟

الوصيفة : طير فارس والعراق

الملكة : ثم ماذا؟

الوصيفة : ثم جاءوا بالسمنك

فرايت الملك في الأكل انهمك

الملكة : ثم ماذا؟

الوصيفة : لا أعد ما حضر من لحوم وبقول وخضر

ثم بالخلوى أتوا والفاكهه

الملكة : كيف كانت؟

الوصيفة : تشبهها الالهه

الملكة : خلطت تخليط العجوز ياتنا
 الوصيفة : الأكل قبل النوم نقل وأذى
 الملكة [لنفسها] :

عرفت الآن رؤياي وما خلط أحلامي
 وقد يفريك بالأكل طهارة الفرس والشام

[ثم الى تانا] : تينا أين كنت ؟

الوصيفة : وراء الخدم

الملكة :

وكيف عددت على اللقم
 الوصيفة : لبدت هناك فما من يد
 تفوت على ولا من قدم
 ولم يخف عني كيد يطوف
 ولا وحى لحظ ولا همس فم
 أخاف القصور وأخشى السموم
 وما منزل السم إلا الدسم

الملكة : يا لك من رفيقه

مصرح تينا كذا تينا

الوصيفة : سيدتي أنجحتني

ما قت يا سيدتي

الملكة :

ولكن يا تينا ما أخطر السم على بالك

الوصيفة : أرى فبيز والفرس

فما فكرت في ذلك

بمولاتي قد جنوا

ولولا ذاك لم يُخلُ من السِّمِّ لما ذهُنُ
الملكة : ولمْ لا نَحْنُ السِّمِّ أما في فارسٍ نحنُ
هنا الجِلادُ والسيفُ هنا السَّجَانُ والسُّجُنُ

الوصيفة : وماذا ضَرَّ ما قلتِ إذا لم يَمُحِ الحَيْنُ
الملكة [بعد رعدة تفكير] :

أرى قبيزاً ذَلَّ ورَقَّ طبعاً ربَّك هل رأيتِ عليه حُبّاً
الوصيفة : أجل هو يقصرُ الخطوات مهلاً وكان يَمُدُّها خَطْفاً ووَشْياً

[ثم في تلعثم وتردد] :

سأسألُ فأحلبى عني فإني أُموتُ ولا أراك على غُصْبِي
سؤالُ ملكتي هل من جوابِ الملكة :
أدُونَك يا نَسْأَ شَيْءٍ يُحِبُّ الوصيفة : زَعَمْنَا أَنْ قَبِيْزاً حُبُّ
فهل تجزيَنه بالحُبِّ حُبّاً الملكة : أحبُّ أنا؟ ضَلَّ ما قَدْ ظَنَنْتِ
وإن خلت ظنُّك لم يكذبِ

الوصيفة : ولمْ لا ؟ وقبيزٌ لا بالقبيحِ ولا بالدميمِ ولا بالغبي
ولا هو بالملكِ البربريِّ ولا الوحشِ ذى النَّابِ والمخْلِيبِ
ولكن قَتَّى خَيْرٌ كالسحابِ وِضْيُ البِشاشَةِ كالكَوكِبِ
يزينُ السريرَ إذا احتلَّهُ وإن سار كان حُلَى الموكِبِ

الملكة : صدقت نأ هوزين الشباب
إِذَا غُلِبَتْ فِي الْقِتَالِ الْمُلُوكُ
إِلَهُ الْقَنَا قَمَرُ الْغَيْبِ
وَفِي السَّلَامِ عَزَّ فَلَمْ يُغْلَبِ
يُسَيِّطُ كَالشَّمْسِ سُلْطَانُهُ
عَلَى مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنْ مَتَى يَا تَتَا دَهَمَتْ
بَنَاتُ الْفَرَاعِينَ بِالْأَجْنِبِ

وما نلتقي في جلال الحدود
نَجْجُ تَتَا أَلْفَ مَرَحَى تَتَا
ولا في العقيدة والمنهج

الوصيفة :
لَقَدْ قُلْتُ حَقًّا وَمَاذَا عَلَى
حَنَانِيكَ عَفْوًا وَلَا تَغْضَبِي
إِذَا قَوْلَةُ الْحَقِّ لَمْ تُعْجِبِ

« تسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قبيز »

قبيز [يدخل وعليه أمارات الغضب] :

ما أرى من تَتَا؟ تَتَا أين مولا
تَتَا [لنفسها]: رَبِّ مَاذَا بِهِ وَمَا هَاجَ قَبِيِيز وَمَا بِالْنَفْسِ الْيَوْمَ ثَارَتْ
تَتَا [للقبيز]: هِيَ فِي حِجْرَةِ الْمَلَابِسِ
تُكْفِمُ أَحْتَجَابُهَا أَيْنَ سَارَتْ

قبيز : لا بل
خَبَّرْنِي مِنْ أَبَوَاهَا
أَيْرِيَّاسُ أُمُّ أُمَامَازُشْ
وَبَنْفَرِيَّتُ تُسَمَّى
أُمُ تُسَمَّى بَنْتَاسْ
إِحْذَرِي أَنْ تَكْذِبِي
إِحْذَرِي سُلْطَانَ فَارَسْ

تَتَا : سِيدِي مَا هَذِهِ الْأَخْبَارُ كَسَرِي مِنْ رَوَاهَا
سِيدِي كَيْفَ اتَهَمْتُمْ
مَلِكَةَ الْفَرَسِ النَّيْلَةَ

قبيز : سارها كيف تنقا دُ وناقى لى ضئيله
 فى غيد تدخلُ مصرأ بنتُ فرعون ذليله
 وترى السيفَ مُحَوفاً وترى النارَ مهوله
 وترى النيلَ دمأً والا أرضَ جرداءَ مُحولة
 لا أناسُ لا مواشٍ لا بناءً لا نعيمَله
 الوصفة : سيدى صبرأ تجدُ عا قبة الصبرِ جميله
 سيدى لا تُصغِ إلا لسجايك النيمَله

قبيز : أنا لم أخلق لبسط الكف أمتجدي بنيمَله
 أنا للسيف وللرمح وإخضاع القبيله
 لا تيا . لا . إن بالملكة كبرأ ونيمَله

[ثم بسخرية] :

أنا من تُربِ خسيس وهى من أرضِ جليله
 أنا للطيرِ سليل وهى للشمسِ سليله

الملكة [وهى راجعة] :

ما الصوتُ من تُكلمين ياتيا ؟

الوصفة : سيدتى . سيدى الملك أتى

الملكة [ملفتة] : الملكُ جاء حجرتى ؟ كيف متى ؟ ؟

[ثم تاهضة ومقبلة على الملك] :

الملكُ فى مقصورتى يا مرحبا يا مرحبا

الملك [ويقبل على الملكة] :

سلامٌ ملكة الفُرس
الملكة : سلامٌ سيد الأرض
ومن دانت له الدنيا
[ثم مسترة] : لم أتعوِّذُ أن أرى
قبيز : خالفتُ نظمَ عادتي
الملكة : مآلكِ كسرى عاسًا

الملك [ويصفق] :

أجل جدُّ غضبان
الملكة : مِمَّ الغضبُ ؟
الملك :

وبنت العيلة الصَّيد
سلامٌ حيدر اليد
وألقت بالمقاليد
مولاي عندي في الضحى
وجئتُ في شأنٍ دعا
مالي أراك مغضبا

رؤيدك نفريتُ تدري السببُ

الملكة [لنفسها] :

دعائي باسمي لم يدعني
تري لم يزل جاهلاً أنني
قبيز [ملفتا وراءه خارج الباب وينادي] :
فانيس . أقيل أدن جيء

كألوف عادته باللقب
أتيتُ لفارسٍ باسمٍ كذب

الملكة [لنفسها] :

فانيس لا أجهله
عدو قومي وبلا

فانيس ؟ لا . لا يدخل
ليس لمصر بالولي
دي كيف يصفي الودلي

[ثم إلى قبیز]: مولای إني ما فرغتُ بعدُ من تجلي
فكيف أستقبل في هذا اللباس المهمل
[لنفسها]: يا ويلتاه ما أرا دَ باصطحاب الرجل
إيزيسُ ما بالي أحسستُ بشرَّ مقبل
الملك: مالك يا ملكة لم تُرحّني وتُخفّلي؟
مالك أجفلت؟

الملكة [مضطربة]: أنا؟ لا سيدي لم أجفل

الملك: إذن هي الإذن لفا نيس دعيه يدخل
الملكة: لا بأس في أن أراه عندي
لكن أنسيت أن فانيسس خان بالأمس عهد مصرًا
وقرّ منها ولست أدري ماذا دعه لأن يفرًا
وكان في الجيش ذا مكان وقاد براء وقاد بحرًا
فبیز: لكنه اليوم في بلادى
الملكة: وسوف يجزيكم جحودا
فبیز: لقد أتاني بكل سر
حتى الذي تكتمين عني

[ثم ينادى]:

فانيس
ملكى لتيك عشرًا

فانيس:

[ثم هو يدخل]:

سلام الشمس من مصر
على الملكة نفريت
سلام النار من فارس
أو الملكة نيتايس

الملكة [لنفسها] :

رمانى النذل بالسهم

[ثم فانيس] :

سلام لك يا فانيس

ومصر القائد القارس

وسايس هو الحارس

وإن تأتي فيا بنت الأعادى

ويا من هو في الفريس

وفي القصرين من سويس

فانيس : وماذا ضرا يا بنت الموالي

أجل مولاتى الإغريق قومي

أجهم ويونان بلادى

لكسب معيشة وطلاب زاد

وجاوزه إلى المجد اصطيادى

وفرعون وقومك في رقادى

هجرتهما إلى مصر صبيًا

فصدت الرزق حتى صار عندي

سهرت على اللواء بمصر جهدي

الملكة : كذبت فلم تكن إلا مسودًا

فانيس :

فسودني ذكائي واجتهادي

الملكة : أجيًا كنت عند أبي وقومي

فانيس :

فولني نشاطي واقتصادى

وكنث الليث من وادى لوادى

أجرأك المليك على عنادى؟

فوائب رائحا وسطا بغادى

جعلت الأرض كالصحراء تحتى

الملكة : أراك على يا فانيس تجرو

ككلب خلف سيده تجرًا

وما أنا يا ابنة المقتول بادى

ولوغ بالسفار وبالرياد

فانيس : بدأت أميرة الوادى بشتمى

لقد عيرتني أنى غريب

الملكة : لقد هجمَ الوقاحُ على مكاني
[ثم للك] : مولاى قف فانيس عند حده
وأخشى أن يصير إلى التماذى
أو رده لا تلجنى لرده
تدعه يتفت فى سم حقه
علمت حقه على قومي فلا
الملك : علام أقصيه

الملكة : لأنه أنى
الملك : فانيس جاء ناقلاً مبلغاً
يشى بنا ويفترى كهده
وليس ما جاء به من عنده
[ثم مستترا] :

أراك نفريت غير منصفه
كوني مكاني! ما كنت فاعلة؟
رويد لاشيء بوجب الغضب
إذن قلبت الزمان فاقلبا
الملكة : لا سيدى إن للزمان يدا
قد ضربت كف كل من ضربا
الملك : نفريت ثريت على قنيس وما حيفيت ولاه
ونسيت خدمته بمصر وما ذكرت بلاءه
الملكة : لا سيدى لا . نخه
أنا لا أطيق لقاءه

[ثم مسترة] :

ما بك مولاى ما أثارك ما
نيز : أثارنى منك أن كذبت وذا
أذكاك إني أراك ملهبا
فانيس قد جاء يفضح الكذبا
[ثم مستترا] :

هلمى الآن نفريت
بأى اسميك أدعوك
هلمى يا نيتاس
بذا أو ذاك لا باس
الملكة :

فيا قبِيرُ لو دَانَتْ لَكَ الأَيَّامُ والنَّاسُ
فَلَنْ تَسْطِيعَ أَنْ تَقَهَّرَ نَفْسًا حَلَّهَا اليَاسُ
قبِيرُ : أَنْتِ مَمْلُوءَةٌ مِنَ اليَاسِ مِنِّي
الملكة :

فليكن
الملك : إِنِّي سَأَلْتُ سَوْأَلًا لَمْ إِذْنِ هُبْنِي وَهَبْتَ جَوَابِي
كَيْفَ أَدْعُوكِ يَا عَرُوسَ؟
الملكة : بِمَا شِئْتِ بَشَّرَ الأَسْمَاءُ والأَلْقَابُ
بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ بَدَاءٍ وَالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ سَبَابٍ

الملك : أَنْتِ لَمْ تُذْنِبِي بَلِ الذَّنْبُ ذَنْبِي
أَنَا قَدْ شِئْتُ أَنْ تَكُونِي رَكَابِي
الملكة : لَيْسَ مَا شِئْتُ أَوْ أَتَيْتَ غَرِيبًا
قَدْ تَكُونُ الْمَهَا رَكَابَ الذَّنَابِ

الملك : أَحَدَرِي أَيُّهَا الْفَتَاةُ انْفَجَارِي
الملكة : انْفَجَرُ مَايَ انْفَجَارَكَ مَايَ
الملك : جِئْتِ ذُنْبًا تُعَاقِبِينَ عَلَيْهِ كُلُّ ذَنْبٍ رَهِينَةٌ بِالعِقَابِ
الوصيفة [بصوت منخفض] :

اكَظْمِي الْفَيْظَ يَا أَمِيرَةَ
الملكة [وتشير إلى قبِير] :
بَلْ يَخْرُجُ مِنْ حُجْرَتِي وَمِنْ مَحَارِجِي

الملك [لفانيس والوصيفة] :

انظرا واسمعا نحاول أن أبسرح قصيري وأن أفارق بابي

الوصيفة [للكة بصوت منخفض] :

راجعي الحلم ملكتي سايريه لا طفيه ليبي له في الخطاب
لاتهيجي به الجنون فيعطى إنه آدم بظفر وناب

فانيس [مسا] :

أحسني الرد ملكتي واحفظينا

إننا ها هنا ثلاث رقاب

الملكة : خفت فانيس من عذاب نهار

كيف عرضت أفسا للعذاب

عجب من نراب عمرك تخشى

أنت من ساق أمة للخراب

الملك : بنت من أنت يا نيتاس

الملكة : بنت الشمس بنت العواهل الأراب

والدي في السماء فهو إله

الملك : فلماذا مرغته في التراب

قد نبذت اسمك الذي كان سما

[ثم سمرا] : نيتاس تمردي

وكلمتك في الذنب

وما أجراً ما كنت

فما أبقيت لي صبرا

فما أبديت لي عذرا

على شتي ما أجراً

فما غرَّكَ بالبَّاسِ وبالسلطانِ ما غرَّأ

الرميفة [بصوت منخفض] :

خُذِي فِي اللَّيْلِ مَوْلَاتِي

فانيس [هـا] :

خُذِي سَيِّدَتِي الْحَذْرَا

فقد تاخذه التَّوْبَةُ حَتَّى يَحْرِقَ الْقَصْرَا

قَبِيز : دَعِيَ الْعِزَّةَ بِالْجَنَسِ نَتَبَّاسُ دَعِيَ الْكِبْرَا

وَلَا تُلْقِ عَلَى إِحْسَا نِي النِّسْيَانَ وَالْكَفْرَا

أَمَا أَحْبَبْتُكَ الْحُبَّ الْمَذَى أَنْتِ بِهِ أَدْرِي

وَقَضَّيْتُكَ فِي الْقَصْرِ عَلَى الْيَفْضَاءِ وَالسَّمْرَا

وَقَدَّمْتُكَ فِي الْأَزْوَ جَ قَبْلَ الْأَخِيَّتِ مِنْ كَسْرِي

الملكة : لَقَدْ كُنْتُ وَرَاءَ الْحُبِّ تُخْفِي النَّابَ وَالظُّفْرَا

وَمَا أَفْرَحَنِي أَنِي تَقَدَّمْتُ عَلَى الْأَسْرِي

وَلَا أَنْكَ تَسْرُعَانِي وَتَنْسَى النِّعْجَةَ الْأُخْرِي

الملك : مَلَكَ الْفَرَسِ أَمْسِ

الملكة : وَالْيَوْمَ

الملك : لَسْتُ أَهْلًا لِمَصْحَبَةِ الْمَالِكِيْنَا كَلَا

الملكة : أَنَا بِنْتُ الْمُلُوكِ أَصْلَحُ لِلْمُلُوكِ جَدُودِي تَمْلِكُوا الْعَالَمِيْنَا

الملك : قَدْ خُدَعْتُ الشُّهُورَ يَا بِنْتَ فِرْعَوَ

نَ وَلَوْ لَا فَتُسَّ خُدَعْتُ السَّنِيْنَا

فانيس [لنفسه] :

أَحَدُ اللَّهِ قَدْ نَجَّوْتُ بِرَأْسِي وَأَمْنْتُ الْمُهَوَّسَ الْمَجْنُونَا

الملكة: ليس فانيس للأمانة أهلاً
الملك: سترين العقاب

الملكة: إني تأهقتُ مهات العذاب هات العذوبة

الملك: لا. فما هاتنا المقاب ولكن

الملكة: أين ؟

الملك: في حيثُ شئتُ لم تسألنا
مصرُ أولى بأن أحاسبَ فيها وأحلَّ العقابَ بالحادِثِنا
في غد تدخلين مصرَ مع الجيـش

الملكة: أنا ؟ لا أرافقُ الفاصيينا

الملك: بل تسيرين تحت راية فانيس
وما تصحجين إلا أميناً

الملكة: سيدي

الوميفة: ملكتي دعي العنف

الملك: ماذا ؟

الملكة: كيف لقيت بالأمين الخؤوناً

فانيس [هها] :

صانعي أيها الأميرة

الملكة: دغني

فانيس: أهدئي حاسني عسى أن يلينا

لوصيفة : ملكتي قال سيدى الملك الحق
 الملكة : صه أنت يا تتاكذبينا
 فانيس : سترين النعم تحت لوائى
 الملكة : بل أرى البؤس تحته والمهونا
 الملك : وكان الوجهين باننا من الوا دى
 وزالا سهولة وحزونا
 أرسل السيل تارة وأجبل السيف أنا وأشعل النار حيننا
 الملكة : عد إلى الرشد ما جنت مصر يا قد
 بيز ما ذنب أهلها الآميننا
 [ثم مستمرة] :
 أمير الفرس قلنا كل شىء
 ولم تقل الحقيقة والصوابا
 الملك : أعندك منهما شىء ؟
 الملكة : ولم لا
 الملك : إذن قوليهما وزنى الخطابا
 ذكرت الحرب هل تخشين منها
 الملكة : ولم لا وهى أجدر أن تُهابا
 الملك : ولكنا ملوك الفرس نغشى
 مخاوفها ونجعلها لعبا
 أراك هدأت نائيتاس روعا
 فانيس : وكان الرشد فارقه فشابا

الملكة : ذكرتَ ملكَ فارسَ حربَ مصرِ وأنسيَتِ العوائقَ والصعابَا

سَيَطْوِي الجَيْشُ نَحْوَ حِيَاضِ مِصْرٍ

بِحَارِ المِلْحِ والجَحْجَحِ العَذَابَا

وَأَغْبَى النَّاسِ مَنَشِيرَ الحَرْبِ تَوَقَّعَ أَنْ يُصِيبَ وَلَا يُصَابَا
وَدُونَ النِّيلِ

الملك : ماذا دونَ مصرٍ؟

الملكة :

يُجِوبُ الجَيْشُ صَحْرَاءَ بَيَابَا

قَوَائِمَهَا وَتَنَسِجُ انْسِجَابَا

وَيُظْمِئُهُ وَيُورِدُهُ السَّرَابَا

وَتَحْسِبُهَا مِنَ اللَّهَيْتِ الكَلَابَا

تَرَى تِيهَا تَجُرُّ الخَيْلُ فِيهِ

يَضِلُّ الجَيْشُ هَدْيَتَهُ عَلَيْهِ

تَرَى جَلَدَ الجَمَالِ عَلَيْهِ يَفْنَى

كُلُّ شَيْءٍ عَلَى الحُدُودِ تَهْبَا

وَلَمْ نَعْدِمِ الرِّجَالَ السُّقْيَا

رَسَ والحَايِي الأَمِينَ القَوْيَا

الملك : لَا تُرَاعَى فَمَا عَلَى الجَيْشِ بَأْسُ

قَدْ وَجَدْنَا الجِرَارَ فِي مِصْرٍ وَالْمَا

فَانِيسَ : وَاشْتَرَيْنَا الخَفِيرَ بِالمَالِ والحَا

الملكة [فانيس] :

كُلُّ هَذَا فَعَلْتَهُ أَنْتَ يَا نَذُ . لُ

أَجَلُ مَا أَتَيْتُ أَمْرًا فَرِيَا

فانيس :

نَ أُمَازِيسَ لَمْ يَكُنْ بِي حَفِيَا

إِنْ قَبِيزِي حَفِيٌّ وَفَرَعُو

الملكة : وَابْنُهُ مَا جَنَى عَلَيْكَ وَمِصْرُ؟

جَنَى الطَّرْدَ والجُحُودَ عَلَيَا

فانيس :

أنا كالسيف لم يَصْنِيَّ كَيْيُ قد رمانى فاعتضتُ عنه كَيْيَا
الملكة : وجمدت الذى طعمت من النعمة

فانيس : لا . ما طعمت من ذاك شيا
كنت كالسيف كلما كان لوني جعلوا السم لى طعاما ورييا
الملكة [إلى قبيز] :

وهبك بلغت يا مولاي مصرًا الملك :
وماذا عند مصر الملكة :

تجىء غابًا ترى أسد القتال عليه شتى
تقلدت الصواريم والحرابا وتم ترى القيالى من رماة
تكاد قسيهم ترد السحابا إذا نظروا على زاد غرابا
أصابوا بين عينيه الغرابا الملك [يتهم مستهزئا] :
رماة ؟

[ثم انى فليس والوصيفة] :

حدثوها كيف أرمى وكيف أصيب فى السحب العقابا
الملكة : أنت يجمعهم نقاس كسرى
وأنت الموت حيث رمى أصابا
الملك : إذن ماذا ؟

الملكة : أخاف عليك جيشا
كمركوم الحمى يُخطى الحسابا

وأخشى أن يقولَ الناسُ زوجي
غداةَ ذهابه نسيَ الإيابا

الملك [لقائيس] :

فانيسُ صَفَقَ و ناد يامعشرَ القَوَاد

[يدخل الخراس والقواد]

فيز [لقائد ميجا صاحب الأخبار] :

ميجا تعال

ميجا : لَيْسَكَ رَبِّي لك التحيات والسجود

الملك [الملكة] :

يا ملكة الفرس ذاك ميجا يعلم ما يحشدُ الوجودُ
خريطةُ الأرض في يديه السفنُ والخيلُ والجنودُ

الملك [لميجا] : ميجا تكلم ما حالُ مصر ما الجيشُ في مصر ما الحدود

الملكة : هاتِ ميجا قل تكلم

ميجا [في اضطراب] : ملكتي

الملكة : ما الذي تدري عن الجيش المجيد

ميجا : جيشُ مولاتي كالمهيد به كاملُ العدة موفورُ العيدي

الملك [في غضب] :

هاتِ ما عندك من أخباره

وأخش أن تنقص واحذر أن تزيد

ميجا [مضطرباً] :

يا إله الفرس لا تبرح في
وأعني . كيف أيدى وأعيد

[ثم للكة] :

إن ورد السلم من كثرته
نسيت أظفارها فيه الأسود

واختلاف الجند فيما بينهم
أخذ البأس وإن أبق الحديد

أصبح الجيش

[ويست قليلاً]

الملك [لجاً] : تكلم

الملكة : قل أين

ميجا :

كالقطع اختلقت فيه الجلود

وتراعى الزنج واندس العبيد

سبب الرزق أتى الجيش بصيد

حشر اليونان في رايته

وغدا كل طريد لم يجد

الملكة [لنفسها] : والليل ياميجا هناك ؟

ميجا : قليلة

في جيش مصر قليلة الفرس

قل النعيم حية الفتيان

الملكة : أسفا على الفتيان أين حماسهم

الملك [ملفتاً الى ميجا] :

قد اكتفت ببيانك

س وأمض ميجا لشانك

إني أراك مصراً

ويحفظ الله مصراً

مليكة الفرس ميجا

نخذ مرازبة الفر

تيتاس : قبيز ما شئت فاصنع

تغير أنت وتغزو

قبز : وفارسُ يا ابنة النسل ما لفارس ذكرُ

نتياس : لا أيها الملك مالي في غير مهدي فكرُ

قبز : نتياس اسمي أنتِ تُسيئين إلى مصرًا

غدا يهلك أهلؤها وتُسمى تحتهم قبرا

نتياس : وقها منك آمون ولا اسطمت لها ضرا

قبز : هذا التجني كثيرُ هذا لعمرى الغرورُ

لقد تمّل صدري ما لا تُطيق الصدورُ

[ثم مستمرا] : كفا عبتا بسلطاني وبأسي كفى ما كان نايتياس منك

غدا يتحدث الرُجاءُ عني ويروى الناس ما يروون عنك

كذبت على يا ابنة أبرياس حذار حذار من بطشي وفكي

أنا قبيز بن كسرى أنا جبار الوجود

وأنا النارُ أصولي وبنو النار جدودي

ويل فرعونَ ومصر من جنودي وبنودي

قبز [لنفسه] : رباهُ ويحي ويحي لي رباهُ مالي لا أعي

رباهُ ناره ما الذي أجدُ

كأنما النارُ في تقدُ

يا نارُ كوني لي أوراؤد كُن عوني

[ثم إلى نتياس] : انتظري البطش يا بنت فرعون

أنا قبيز بن كسرى أنا وحش أنا غول
لستُ بالعجل أبالي وعلى النار أبول
قبير [نفسه] : قد رجع الصفيُّ لي يا ليتَه لم يرجع
ما بال عيني أظلمت ما بال ساقى جَدَّتْ
أين الطيبُ أزدِشِرْ؟
[وينشاء الصرع]

الملكة [بعد أن يأتي الطيب] :

هذا الطيبُ قد حَضَرَ

[يدخل الطيب ويطلب نقله]

الملكة [تدور منه في حنوع عطف وتقول] :

يا ويح زوجي ويحَه هاج وعاده الصرع
يا تاركوني حوله أدركه يا آمون رع

[يخرجون به]

فانيس : ألان تيتاسُ تعالى إلى الهدى

تعالى إلى الرأى الصوابِ تعالى

تيتاسُ أنتِ اليومَ ملكةُ فارس

بلغتِ الدرَّ من سُؤددٍ وجلالٍ

الملكة : ولكنْ أيا فانيسُ لاتنسِ ما أبى

وجدى وأنى بنتُ أصيدِ عالى

- فانيس : ولكن ألم يخلع أباك أمازس
ويفتك به في ثورة وقبال
ويجلس على كرسى مصر مكانه
ويخلقه في جاه أفاد ومال
الملكة : أجل قد خلعتنا ملكنا ونصرفت
بنا سوقة من جندنا وموالي
فانيس : إذن فدعى قبيز يشار لوجهه
ويضرب بيمنى أو يصب بشمال
دعيه يعاقب سارق التاج مثلها
يعاقب في منفيس لص لآلي
الملكة : تأمل وحقق من تخاطب ياقتي
فانيس : أخاطب عقلا من وراء جمال
لقد قلت قولاً ليس ياباه عاقل
فلا تنظرينى واسمى لمقالي
الملكة : ولكن أماي صورة من خيانة
فانيس : وما لك يا بنت الملوك ومالي
الملكة : وأنت يتا ماذا ترين ؟
الوصيفة : خيانة وأطاع قواد ولؤم رجال

الملكة : فديتُك من مصريّة

الرُصيفة : بل أنا الفِدَى لسيدي من قدوة ومثال

الملكة [لما نيس] :

أُسمعُ كلبَ الصيد؟

فانيس : حمقاء غيرةً وما لي أُلقي للحمافةِ بالي

الملكة : عمي لك يا فانيس وامش بلا عصا

ودورن دليل في رهوس جبال

فانيس : لك الشكرُ مولاتي

الملكة : لك الويل من فتى فإنك من معني المروءة خالي

أوطئ خيل الفريس مهدى وملعبى

وتربة أبائي ومترل آلي

وأشعل نار الفريس في أيكّة الصبا

وما بوائتي من ربي وظلال

وأغمد سيف الفريس في صدر أمة

نمتني وتني أسرتي وعيالي

إذن لا أوى جدى السماء ولا أبى

ولا جل عمي أو تبارك خالي

وأفضل مني كل ذات مُلاءة

وراء حقول أو وراء تلال

تَمْشُ عَلَى شَاةٍ وَتَحْمِلُ جَرَّةً
وَتَمْشِي عَلَى الْوَادِي بِغَيْرِ نَعَالٍ

[يدخل فيز ثم الحاجب ويقول] :

إِلَهَ الْفُرْسِ

الملك : ماذا ؟

الحاجب : ثُمَّ رُسِلَ أَتَوَّامِينَ مِصْرَ الْبَنَاتِ الْعِظِيمِ

الملك : وما يقولون ؟

الحاجب : يَقُولُونَ أَمَّا زَيْشُ هَذِهِكَ

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب : يَقُولُونَ أَبْنَاهُ بِسَامِيَّتِكَ قَدْ مَلَكَ

الملكة [لنفسها] :

مِصْرُ ... رُسِلَ لِيَتَ شَعْرِي مَا الْخَبِيرُ

وَطَنِي يَا رَبَّ لَا مُسَّ بَشَرُ

فيز الملك [ملتفتا للملكة والوصيفة] :

يَا مَلِكَةَ الْفُرْسِ أَصْنِي وَيَا تَيْتَا هَلْ سَمِعْتِ

قَدْ مَاتَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ

الملكة والوصيفة [بصوت واحد] :

تَعِيشُ مِصْرُ وَتَبْقَى

الفضل الثالث

المنظر الأول

«الأميرة تقربت على ضفاف النيل تشكو إليه وتنتحر بأن تلقى بنفسها فيه»

ويحي لقد أودت بي الإثنيه
عشتُ فما أحببتُ إلا ذاتيه
ولا افكرتُ بسوى لذاتيه
حتى قذفتُ وطني في الهاويه
النيل . النيلُ يجني هاهيه
أواجه تهتفُ بي مناديه

يا نيلُ يا قوام كلِّ شيءٍ
ومانح الحياة كلَّ شيءٍ
هيّ اغسل الذنب العظيم هيّ
ثم تلقى نفسها

المنظر الثاني

في منفيس

« جماعة من المصريين والمصريات يجاذبون ويتذاكرون »

« بنى قبيز وجنوده وبعض ما أصاب الناس من المصائب »

« من جراء الفتح الفارسي — في ساحة من ساحات منفيس »

أحد الرجال [لزميل له] :

تعال يا (باطا)	قل لى بالله
كيف ترى الحكماء	كيف ترى الظلما
باطا : أصيخُ أصيخُ يا دادُ	اسمع وكن عوني
قبيز في الظلم	بألف فرعون
[ثم لهجاء] : وأنت يا هجار	ماذا تقولينا
هجار : آمونُ ذو المنّ	يُبقِ الفراعينا
الفرسُ في مصرَ	طغيانُهم قد زاد
هم صلبوا التماسخ	على ضفاف الواذ
وكلفوا العصفور	يمشى مع الصياد

[تقبل امرأة مصرية عجوز]

فبقول أحدم: وهذه دوبراره

آخر : الشيخة الثرثارة

الأول : هلمسى يا دوبرارا هاتى اذكرى الأخبارا

دوبراره : لا تسألونى ما الخبر بمصر ترى اليوم العبر

لكن صبه حذار لا يدرين دارى

عارضنى الساعة فى طريق

فتى مليح الحسنى والبريق

يسألها سائل: من الجنود؟

المجوز : لا ! من القواد

على المكان ظاهر الميلاد

آخر : وما أتى ما فعلا؟

المجوز : عاتقنى وقبل

الأول : وأين؟ فوق فيك الدرر

آخر : أو من على جبينك البدرى

آخر : أو فوق خد مثيل روث البغل

الأول : أو فوق ذقن مثيل كعب النعل

المجوز : أهذه نجدتكم يا فتية

أهكذا تسمى بمصر النسوة

يا أسفا على القرون الحالية

يا أسفا على النفوس العاليه

[وتصرف منضبة مهرولة]

أحدهم [ويرى شخصا مقبلا]:

هذا أها، من أين جئت؟

كيف أنت يا أها؟

ثاني:

أها: من ضيعتي

وكيف هي؟

الأول:

أها:

قد لقيت ماساءها

وبطى كله طارا

وزوجى جملت عارا

إوزى كله طاح

وأختي خطفت منى

نطرد قبيز والجنودا

فا الذى يمك الأسودا

الجماعة: إذن لقد آن أن نشور

الغاب فى شقوة وبؤس

مع الوزراء وفى الحاشية

يسل على الأروس العاليه

أحد الجماعة: خذوا حذرکم أقبل الطاغية

وذا السيف فى يد جلاده

صبت على هذا البلد

لا يسمعتنا أحد

آخر: تلك مصائب وقد

امضوا بنا امضوا بنا

« ينصرف المصريون ويدخل قبيز فى وزرائه وقواده »

« ثم يقبل جنود يسوقون أسرى من النوب ... »

من الوجوه السود؟

قبيز: ماذا يسوق الجنود

هذه عفاريتُ

وزير : لا . بل مولاي هذه قروء
قبز : لكتهم حيث دارت رعى القتال أسود
بلوئهم في القتال لما حوتنا الحدود
قائد : النوب جند يساما
قائد آخر : بل هم أشد جنوده

وأثبت الجيش يوم القتال تحت بنوده

قبز : يا جند حلوا عن الأسرى وثاقهم
خلوا عن السود قد اعتقت أقراني
ويا بني النوب ملكي لن يضيق بكم
من شاء فليبق في ملكي وسلطاني
والجيش داركم إن كان يُعجبكم
أن تلتحقوا بمشاتي أو بفرساني

الأسرى النوب :

يا بني النوب هلم رقصة الحرب لكسرى
سيد الأرض عفا عنا فالحزن بأسرى

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب ويفشدون »

النوب جيل ، حُر أصيل ، يقضي الديون
نحن الأسود ، حمر الجلود ، حمر العيون

لَنَا لِبَدٌ، مِنَ الزَّرْدِ، هِيَ الْحَصُونُ
نَغْشَى الْقِتَالُ، وَلَا نُبَالُ، طَعْمَ الْمَنُونُ

نَحْنُ شُعُوبٌ وَيَشِيعُ وَرَاءَ أَسْوَانٍ نَقَعُ
عَرُوشُنَا مِنَ الْجَرِيدِ تِيحَانُنَا مِنَ الْوَدَعِ

نَحْنُ قَبِيلَ الشُّلُوكِ فِي الْعَنْجَرِيبِ نَتَّكِي
وَالصَيْدَ نَهْوِي وَالْقَنْصَ وَنَطْلِي بِالْوَدَكِ

لِلْغَرِيبِ نَمِشِي الْمَرْوَلَةَ نَبْعُثُ فِيهَا الْجُلُجَلَةَ
مَمْرُوجَةً بِالْوَلُولَةَ

[وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قبيز ويقول] :

قبيز : زِهْ يَا جُنُودُ زِهْ يَا أَسُودُ

[كبير التوب لحازن الملك] :

زِهْ زِهْ هَاتِ النَقُودُ

[يدفع الخازن اليهم مالا فيأخذونه وينصرفون]

[يتراءى فرسان ثلاثة] :

قبيز : مَنِ الْغُبَارِ ؟

وزير : رُسُلُ

قبيز : مَاذَا إِلَيْنَا حَمَلُوا

قائد : وَهَاهُمُ تَرَجَّلُوا

[يقف الفرسان بحضرة الملك]

قبيز : ماذا وراء الرُّسُل
أحدهم : الدعوات لللك
قبيز : ماذا لديكم ما الخبر ؟
أحدهم : حوادث ذات خطر
قبيز : حوادث ؟ قل أخا الهيجا تكلم
الرسول : بسامتيك يا مولاي خانا
الوزير الأكبر : بسامتيك خان ؟
الرسول : أجل أميري
قبيز : وكيف ؟ وما آتي ؟
الرسول : بقض الأمانا
قبيز : وما برهانكم
الرسول : كُتِبَ ورُسِلَ
قبيز : وهل وجدت دعايته سميعا
الرسول : أجابت دعوة المخلوع مدن
قبيز : وأين فرعون ابسمآ
الرسول : في منف ينفدو ويروح
حُرُّ كما شئت له بين القصور والصروح
من معبد لمعبد ومن ضريح لضريح
وحوله كهان من نفيس يحوون المسوح
وكلهم مشيره
الوزير الأكبر : بشس المشير والنصوح

آخر : من لم يكن كاهنًا في مِصرَ أو ملكًا
ولا تراه لهذا أو لِدَا تَبَعًا

فلا تَقْبِسَنَّ في هذى البلاد به

إِلَّا المِوَاتِيَّ والأَجَارَ والسَّلَامَ

قبير : وزرائي ودَهَائِقِي انظروا انظروا ذلك فرعون «إِسْمًا»
الوزير الأكبر :

يدفعُ القِوَادُ والجُنْدُ به وهو في القيدِ يَمُرُّ الأَدَمَا
قائد : كَادَ فرعونُ من استكباره أَنَّهُ يَدْفَعُ في أَنفِ السَمَا
[فرعون يقف بين يدي قبير في عظمة وإباء واستكبار]

قبير : بِسَامَتِيكَ

فرعون : قَبِير

قبير : أُنَدِعُو بِاسْمِهِ الْمَلِكَا

فرعون : غَدًا تَفْقِدُكَ الْفُرُسُ وَيُخْلَوُ عَرْشُهَا مِنْكَ
وَمُلْكُكَ قَدْ مَضَى عَنِّي سَمِضَى في غَدٍ عِنْدَكَ

[قبير يدخل في الغضب شيئًا فشيئًا] :

قبير : وهذا الفتح يا فرعون ؟

فرعون : عدوان وإجرام

أما عندك يا قَبِيرُ للنكبة إِكْرَامُ

قبير : عَفَوْتُ عَنْكَ أَمْسِ يَا ابْنَسَامَا فلم تَرَعْ الوفا

فرعون : يَا عَجَبًا يَا عَجَبًا عَبْدٌ عَنِ الرَّبِّ عَفَا

قبير [هائجًا] : خَذُوهُ بِالْخَنَاجِرِ سَلُّوا لِسَانَ الْفَاحِرِ

فرعون [في عظمة وصبر وثبات] :

هاتوا سيوف الفرس هاتوا القنا

هاتوا المدى هاتوا حبال الحديد

لا تحسبوني بشراً بالمدى فرعون حتى خالده لا يبدؤ

قبيز : إذن خذوه بعيداً صبروا عليه الحديداً

« يأخذه الجند ويخرجون به »

[يدنو وزير شيخ من قبيز ويقول له] :

القائد : مولاي تلك غضبة المقهور ونزوة الضغامة المأسور

مولاي بالنار بقدس النور اغفر لهذا الصارم المكسور

فإنه ضحية الأمور

قبيز [صانها بالجند وهم ذاهبون بفرعون بها] :

إذن ردوا الأسير إلى ردوا فإننا ما اتيننا منه بعد

« يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قبيز »

قبير : تعال فرعون ابسما تعال منى ناحيه

لقد عفوت مرة وقد تكون الثانية

فرعون : لا مرحباً أميس ولا اليوم بعضو الطاغية

قبير : تأمل هل لبست اليوم ذلاً وكنت تجزأ ميس الذيل تيتها

فرعون : كذا الدنيا تغير يا ابن كسرى نخفها إنها لا خير فيها

وهبك قهرتني أقهرت مصرًا

أجل ووضعت سيفي في بنيتها

قبير :

وبعد غدٍ أطوقها بنارٍ تطوفُ على البلادِ وما يليها
وتجعل من هياكلها رماداً وتُنزلُ في الأزقةِ مُترَفِها
وتسدِّعُك في ترابِ الذلِّ أنفاً
يطولُ على النجومِ ويزدريها

فرعون : رويدك يا بنَ كسرى قف تمهل
فعادةُ مصرَ تقهرُ قاهرِها
قبيز : رويدك أنت يا فرعونُ إني
إذا حطمتُ مصرَ فن يقيها

أليست فارسُ والأرضُ تحتي
وأمرى في الجنوبِ وفي الشمالِ
وقد غطتُ فضاءَ الأرضِ خيلِي
وهبتُ في السهولِ وفي الجبالِ

فرعون : شمختَ بخيلك يا فارسيُّ فماذا صنعتَ بخيلِ القدرِ
تأملُ مكاني وما حلَّ بي ألم تتعظَّ بي ألم تزدجرُ

قبيز : ما أنت يا مخلوع
فرعون : فرعونُ انبسا
قبيز : بل أنت ما سورُ عليك قيودُ

وَعَدَا يَنْوِبُ عَنِ الْقُصُورِ وَرَحِيهَا
سَجَنُ يَضِيقُ وَمَنْزَلُ مَسْدُودُ
وَتُدْشُّ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَ مُحِيطِ
يَلْهُو بِهَيْكَلِكِ الْبِلَى وَالْدُودُ
فرعون : قَبِيرِز
قَبِير : فرعون اِسْمًا صِلَّ ابْتَهَلِ
واَهْتَفِ لَعَلَّ الْعَجَلَ عَمَكَ يَنْدُودُ
أَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ انْحَطَطْتَ
فرعون : كَذِبْتَ لَمْ
يَنْحَطُّ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ عَمُودُ
إِنْ الْجَوَاهِرَ فِي التَّرَابِ جَوَاهِرُ
وَالْأَسَدُ فِي قَفْصِ الْحَدِيدِ أَسْوَدُ
قَبِير : سَنَرِي هَلُمُوا يَا جُنُودُ أَسِيرَكُمْ
عُودُوا بِهِ مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ عُودُوا
قَبِير [مُسْتَمِرًا] :
وَأَيْنَ نَفَرِيْتُ ابْنَةُ الْكَذَّابِ قَدْ آتَى أَنْ يَنْأَلَهَا عِقَابِي
الْوَزِيرُ الْأَكْبَرُ :
نَفَرِيْتُ مِنْ خُفَافَةِ الْحَسَابِ أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَى الْعُبَابِ
وَذَهَبَتْ
قَبِير [وَيَضَعُكَ ضَحْكَةً جَوْنِيَّةً] :
لَكِنْ بَلَا إِيَابِ

[تحضر نيتاس وتقول] :

نيتاس : قبيزُ؟

قبيز : نيتتاسُ؟

أجل

نيتاس :

وماذا أف بك؟

قبيز :

وموطنى من عذابك

نيتاس : أتيتُ ألقُد قومي

قبيز : والزوجُ يا نيتاسُ؟

وألقُد الزوجَ أيضا

نيتاس :

قبيز[سانخا] : وميم؟

وغضب الأرض والسماء

نيتاس : من شدة البلاء

قبيز[فى غضب] :

إذهبي يا بنت فرعون اذهبي

اعزبي يا حبة النيل اعزبي

لا تعرضي لغضبه

فانيس : تأخرى سيدتى

قبيز : فانيس أنت ها هنا

مولاي لي لم ينتبه

فانيس :

نيتاس [متكة] : مولاك كم تخدعه

مولاك كم تسخر به

قُبِيزَ [الى قزاده] : أَحَقُّ هَوًى بِيَهْزَا
 [ثم الى فانيس] : أَحَقُّ أَنْتَ بِي تَسَخَّرُ
 وفى الأحلام تبدو لى وهذا الوجه لى يظهر
 وقد يصفرُّ كالليمون أو يحمرُّ كالبنجر
 [ويهم عليه بالخنجر]

فانيس : أَمِيرِ سَيِّدِ مُلْكِي
 قُبِيزَ [ويطعمه بالخنجر] : أَغْشُهُ أَيُّهَا الْخَنْجَرُ
 [ضجة فى صفوف المصريين]

أحدهم : قَدْ هَلَكَ الْوَاشِي
 آخر : قَدْ هَلَكَ الْخَائِنُ
 كافاه قُبِيزَ شَرُّ الْمَكَافَاةِ
 فانيس [بعد أن يضربه قُبِيزَ بالخنجر] :

آه من الخنجر ما أحرُّ آه من الحمام ما أمرُّ
 [لقمىز] : قُبِيزُ شَلَّتْ يَمِينُكَ وَلَا أَفَاقَ جُنُودُكَ
 [لنفسه] : وَيَجِى أَرَى عَيْنِي تَغِيْمُ وَسَاعَتِي
 تدنو وأشعرُ بانقطاع فؤادى
 الذنب لى أنا قد خرجتُ لفارس
 ومنحتُ بمنوناً هناك وِدادى

فانيسُ أنتِ نشأتِ جُندياً مُتُّ
 كالجندِ والقي مصارعَ القَوادِ
 سِيانٍ حينَ تُحطُّ في جوفِ الثرى
 موتُ الفراشِ وموتُ الجِلادِ
 يا نفسُ لمِ أحملُ عليكِ دَنِيَّةً
 لاقِي المنيَّةَ بالضميرِ المَهادِ
 يونانُ تغفرُ لي وآلهتي بها
 سَهَرَتِ عيونُهُم على أولادِي
 قد حُخِنْتُ مِصرَ وخُنْتُ ساداتي بها
 لكنني ما خنْتُ قط بلادِي

أصوات [من جانب المعريين] :

فانيسُ لا علمَ لَهُ بما جَرَى
 قد قتلوا أولاده وما درى
 [تظهر الجند يدفعون قتي فيقول قبيز]

قبيز : وهذا الفتى من ولم سقتموه إلى
 جندى : قتي في التواحي يرود
 قبيز : وما كان يأتى ؟

الجندى : يُشيرُ البلاد
 ويُغري القرى باغتيال الجنود
 قبيز : تتحوا به فاقطعوا رأسه عساه لأمثالها لا يعمود

نيتاس [تسمع وهي متراجعة خيمة فتظفر فيستوقفها المظفر فتقول] :

ماذا رأيت وماذا سمعت ؟ مَنْ يدفعونا
مَنْ ذا إلى النار ساقوا مَنْ أوردوه الأتونا
تأسو؟ أجل هو تأسو أتوا به المجنونا
قسا الجنود عليه والجند لا يرحمونا

ما بالله عرف الوفاء وكيف ثاب إلى الرشاد
ربي . أشفع فيه؟ لا كيف أمتعه الجهاد
لا . لن تحول شفاعتي بين الضحية والبلاد

هذه ميتة عز إمض تأسو بسلام
قد صفحننا لك عن ذا لك التجنى والأثم
لا تمت بالكاس والطا يس ولكن بالحسام
سروني أنك تقضى ليحسى حق الدمام

وشفاني أنك الدا ثد عن مصر المحامي
زل لتبقى كودادي مت لتحيّا كغرامي

[ثم تراجع وتقول] :

والان إلى طيبة والصعيد لحشر الدعاة وحشد الجنود
وقهر العدو وإرغامه وقذف المغير وراء الحدود

[وتخرج]

[يستجمع تأسو و يقول ، وكأنما سمع ما قالت نيتاس] :

عفت نتناس فيا مرحبا بك اليوم يا موت من زائر

قبيز [إلى وزرائه] :

ما السراى يا وزرائى
 ماذا بأبناء مصر
 قائد : نحن بنو الشيطان
 ثاب : والناس من طين السكك
 قبيز : أبى لعمري فرعون مصر
 سادعك في الترب آنا فهم
 قائد : سيدى لا تُبد رفا
 ثاب : واهدم الأبراج هدمًا
 ثالث : ودع الوادى قاعًا
 قائد رابع [على السن] :

سيدي بل ترفق
 قبيز [يضحك ضحكة جنونية] :
 خذوا يا قادة الفرس
 قائد : أميرى خرف الشيخ
 قبيز [يفمد خنجره في القائد الشيخ ويقول] :
 خذ طعنة فيها الشفا
 القائد [وهو يلقى الطعنة] :

يا ويحه قد عادَه الجنون
 قبيز : وآيلس معبودهم أين هو؟
 قائد :
 ثالث :
 هو العجل
 وهو الذى ألهموا

وزير : تَوَى العَجَلُ فِي حُجَرَاتِ الجَلالِ
 فائد : وَقَدْ نَعَمُّوهُ وَقَدْ رَفَّهُوا
 الثاني : وَلَيْسَ إِلَهًا وَلَكِنَّا عَلَى الشَّعْبِ كَهَانُهُ مَوْهُوا
 أحد القائدين [لزميل له] :

هُمْ يَعْبُدُونَ العَجَلَ يَا أزدِشِر
 أزدشِر : يالك من أحمق ثَرثارٍ
 ونحن ؟

الأول : أَنَّنَا إِلَهُ لَنَا
 أزدشِر : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ العَجَلِ وَالنَّارِ
 الأول : أَفَلَسَوْفَ أَنْتَ ؟
 أزدشِر : بَلْ مَلْحَدٌ
 الأول : أَنْتَ ؟ إِذْنِ عِشْ وَامِضْ بِالْعَارِ

مَا كَانَتْ النَّارُ بِحَاجَةٍ إِلَى قَلِيلِ الدِّينِ كَفَّارِ
 فبِيز : وَأَيْنَ هُوَ العَجَلُ ؟
 فائد : فِي قُبَّةٍ تَلِيقُ لِكَسْرِي وَأَبَائِهِ
 فبِيز [منضبا مشرا] :

أَمْسِكُوا الْكَلْبَ خُدُّوهُ ، أَدَّبُوهُ
 مَا أَبِي العَجَلُ ، بَلِ العَجَلُ أَبُوهُ

القائه : السويل لي جن

صديق له في أذنه : ما جن إلا كذا

فانت ساويت بالعجل مولاك
آثره : أهكذا يا أحق السلوك أهكذا يحاطب الملك

[يؤق بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قبيز]

قبيز : والآن ماذا رأيتم وما الذي نقضونا

وما الذي نحن بالعجل يا تترى صانعونا

قائد : يصب كسرى عليه من البلاء فنونا

آخر : علقه بين الأرض والسماء وأتركه للغربان والحداء

آخر : إدفنه في الأرض حياً وهل عليه التراب

الأول : إذبحه ذبح الخروف

الثاني : أخنقه خنق الدجاجة

آثر [بهم] : إصليه فوق عمود من هكل المعبود

وزير : إحرقه يا مولاي بالنار

قبيز : إخمأ فهذا أعظم العار

ماذا يقول الناس عنا غداً ألقوا إلى التيران بالفار

قد دسوها وهي معبودهم من جنة العجل بأقدار

[ويظهر الغضب على قبيز فيقول له قائل منهم] :

قائد : مولاي ما ذاك فار بل ألف فار وفار

آخر : يا سيّد الأرضِ أبشِرْ
غداً يقولونَ بمَنفيسِ
رأى الوزيرِ أصاباً
تعدت النارُ بآيسِ
قبيز [مقتنعا ومقهقها] :

أجل غداً يُقالُ في الأخبارِ
[ثم يقبل على آيس ويخاطبه] :

إله الليلِ لِمَ تَغْضَبُ
تأمل شبح الموتِ
لِمَ تَكْسِرُ جَفَنِيكَ
ألم يبدُ لعينِكَ
وهذا خنجرى الماضى
نقذه بينَ قرنيكَ

[ويطلع ثم يراجع خطوة ويقول] :

إلهى ما تَرى عيني
وقتلَى قد غدوا حولي
وخرى غيرهم راحوا
وجرحى غيرهم صاحوا
خيالاتٌ وأشباحُ
وقتلَى غيرهم راحوا
وجرحى غيرهم صاحوا

هذى عواقبُ بنى
لا بدّ من عدلِ يوم
هذا القصاصُ المتاح
يرتدّ فيه السلاحُ
قائد : ويح لقمبيزِ

آخر :

الأول : من يُقتلُ اليومَ
قبيز [مستترا] :

هذا أخى يصيحُ بى
وتلك أختى تتعجبُ

وآخر يسألني أين دمي؟ أين؟ أجب
فائد آخر: هذا ضميره صخا هذا ضميره انتبه
حتى رأى آثامه ولم يكن لها آبه
آثر نفسه: ثار به ضميره
[ثم لميل له همسا]:

وما الضمير حيدر؟

حيدر [للميل]:

سريرة تدم أحيانا وحيناً نزعج
ويرجع الناس لها إلا أمرؤ لا يشعر

الأول [رسم حيدر]:

وأين منزل الضمير؟

حيدر: موضع من الجسد

أنظر. هنا يا رسم القلب وها هنا الكبد

[ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله وإلى ما بينهما (المعدة)]

[ثم مستترا]:

وها هنا الضمير بين القلب والكبد فقد

رسم: هنا الدجاج والحمائم ها هنا بلا عدد

حيدر: والبطة أيضاً والإوز والجمار والوتد

وكل ما تسرق أو تخطف من هذا البلد

رسم: حيدر هل يجترع الضمير أو هل يزدرد

وهل له حوصلة وهل له رجل ويد

حيدر : يا أخى إن الضمير النفس أو بيت الشعور
وهو فيل في صدور وهو فأر في صدور
وجبال من حديد أو جبال من حريز
وسعد الناس من لم يشك من وخز الضمير

قبيز [يقوم هائجا وكأنما يفتر من شبح شقيقه الذى قتله] :

ماذا بيا ؟ ماذا بيا هذا شقيق برديا
هذا شقيق برديا وخنجرى فى صدره
جئت أخى تجزى أختا لك عن قبيح غدره

[ثم يزداد هياجا ويفتر من شبح أخته التى قتلها] :

أتوسه أختى ألا تصفحين أتوسه زوجى ألا تغفرين
[ثم ينظر يمينا ويسارا وهو كالمجنون ويقول] :

آه ليه آه ليه ما هذه الزبانيه
كتيبة بموضع وعسكر فى ناحيه
وأرؤس بوهده وأرجل برايه
كل يصيح رد رو حى رد لى دمايه

قبيز [مع الأشباح] :

وبلى من الماضى ومن أشباحه

هذى خيالات الزمان الخالى
عجب العجائب ويحلى ماذا أرى
شبح. أجل شبح وطيف خيال

شَبَّحَ كَأَنَّكَ الدَّوَا فِي لِعَيْنِي يَلُوحُ
شَبَّحَ كَأَنَّ بَقِي النَّاسِ عِيسَى يَغْدُو وَيُروِّحُ
ظَهَرَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ وَسَرَى الطَّيْبُ يَفُوحُ

تَمَثَّلُ نَيْتِنَاسَ حَوْلَ مَذَاهِبِي أَحِبُّ بَيْنَتَيْنِاسَ وَالتَّمَثَّلِ
مَا بِاللَّهِ أَلْقَى عَلَى سَكِينَةٍ وَأَرَا حَاجَ وَجْدَانِي وَأَنْعَمَ بَالِي
زَوْجَاهُ نَيْتِنَاسُ مَلِكَةُ فَارِسِ
مَا لِي حُرْمَتُ حَنَانِ قَلْبِكَ مَا لِي

يَا لَيْتَنِي لَمْ أَسْمَعْ الْوَأَشَى وَلَمْ
أُخْرِجْ حَيَالَكَ مِنْ قَدِيمِ ضَلَالِي
قَدْ سَاءَ حَالِي فِي غِيَابِكَ فَارْجِعِي
هِيَاتَ بَعْدَكَ مِنْ يَرْقُ لِحَالِي

أَأْرَاكَ عِنْدِي وَالْأُمُورُ رُخِيَّةٌ
وَأَأْرَاكَ عِنْدَ شِدَائِدِ الْأَهْوَالِ
بِاللَّهِ يَا طَيْفَ الْحَبِيبَةِ قُلْ لَهَا خَلَقْتُ قَبِيْزاً بِأَسْوَأِ حَالِ

صِفْنِي لَهَا تَعَسّاً كَمَا شَاهَدْتَنِي
قَدْ عَادَنِي صَرَعِي وَجَدَّ خَبَالِي
يَا بِنْتَ مِصْرَ وَيَا يَتِيمَةَ تَاجِهَا
عُودِي فِدَاؤُكَ دَوْلَتِي وَرَجَالِي

[ثم مستمرا] : طَابَ وَرْدُ الْجَمَامِ يَا نَفْسُ هَيَّا
خنجرى خنجرى إلى إلّا

[ويعلن نفسه بالخنجر ويقتل]

جماعة من الفرس :

يَا فُؤُسُ يَا قَوْمَ كَسْرَى النَّازِلِينَ السَّحَابَا
كَسْرَى مَضَى لِلنَّارِ شُقُّوا عَلَيْهِ الثِّيَابَا
وَحَطُّمُوا فِي ثَرَاهُ سَيُفَكُّمُ وَالْجَرَابَا

[كبراء الفرس يشاققون الثياب]

أحدهم لآثر :

هَاتِ ثِيَابَكَ خُذْ ثِيَابِي
تَعَالَ خُذْ قَمِيصِي وَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ

[يمزق كلاهما قميص الآخر]

مصرى من الحاضرين [لآثر مسا] :

أَنْظِرْ أُنْحَى الْفُرْسَ وَمَا نَابَهُمْ شَقُّوا عَلَى الْمَجْنُونِ أَثْوَابَهُمْ

الكهان [بجماعة المصريين] :

يَا أَيُّهَا الْمَرْضَى اسْجُدُوا عَلَى دِمَاءِ «آبِس»
وَيَا أَصْحَاءَ انْهَلُوا مِنْ دِمِهِ الْمَقْدِسِ
يَا شَقَاءَ جَسَدٍ فِي دِمِهِ لَمْ يَغْمَسْ

المصريون يشاقون الثياب :

فارسي إلى آخر :

أَنْظُرْ إِلَى أَبْنَاءِ مِصْرَ فَإِنَّ أَمْرَهُمْ مُجَابٌ
أَنْظُرْ أَلَسْتَ تَرَاهُمْ شَقُوا عَلَى الْعِجْلِ الثِيَابُ

وزير فارسي [يخطب المصريين] :

أَيُّهَا الْكُهَّانُ مِنْ شَيْءِ الرَّبِّ
عَظُمَ الْخَطْبُ فَمَا تُفْنِي الْخَطْبَ
إِنْ كَسَرَى تَغْفِرُ النَّارُ لَهُ
كَانَ فِي مِصْرَ عَ آيِسَ السَّبَبُ

أَيُّهَا الشَّعْبُ

أَمِيلُوا لِاسْمَعُوا

مصري لرفاقه :

كَيْفَ يُنْشِئُ الْمُسْتَبَدُّونَ الْخَطْبُ

الوزير [مسترا] :

قَدْ أَتَى قَبِيرُ كَسَرَى مَا أَتَى
وَهُوَ مَدْفُوعٌ بِسُلْطَانِ الْغَضَبِ

مصري [لأخيه بصوت منخفض] :

لَيْتَهُ بَالَ عَلَى نِيرَانِكُمْ بَوْلَةً تُطْفِئُ لظَاهَا وَاللَّهَبَ

الخطيب الوزير :

نَحْنُ لَا نُسْأَلُ عَنْ فَعْلَتِهِ
قَدْ جَنَى الرَّأْسُ فَادَّبُ الدَّبُّ

أَيُّهَا الْكُهَّانُ قَدْ حَلَّ عَلَى رَبِّكُمْ آيِسَ مَقْدُورُ غَلَبِ

[ثم ملفتنا للشعب قائلاً] :

مالي أرى من جانب الشَّعْبِ
بِوَادِرِ الْفِتْنَةِ وَالشَّعْبِ
قائد فارسي : ما أَغْضَبَ الشَّاةَ مِنَ الْجَزَارِ
حَذَارِ حَلَمَ فَارِسٍ حَذَارِ
لَا تَقْفُوا لِسِيْفَهَا وَالنَّارِ

[تفتزق الجماعة هنا وهناك ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم]

أحدهم [زبيل له] :

ماذا جَرَى ؟

زبيله : أما تَرَى ؟ على الثَّرَى هذا الدَّمَ
آخر : أَيْسُ عُقْرِ أَيْسُ يُحْرُ سَاءَ الْخَبَرُ مَا أَشَامَا
الثاني : حَامِي الْحَمَى مَا أَسْتَسَلَمَا لَكِنْ سَمَا إِلَى السَّمََا
آخر : لقد وَهَمْتَ يَا أَخِي أَفِئُقُ وَرَاجِعِ التَّرْشُدُ
أَيْسُ فَارِقِ الْوَتْدُ وَسَارَ رَحِلَةَ الْأَبْدُ
الأول : أَلْعَمَى يَا أَخِي الْعَمَى اتْرِكِ الْأَرْضَ وَالِدَمَا
وَتَأْمَلْ مَعِيَ السَّمََا انْخُذِ الْجَوْ سَلَمَا
هو هذا تَبَسَّمَا وَعَلَى الْجَمْعِ سَلَمَا
وإلى الخُلْدِ قَدْ سَمَا

الثاني : عَجِيبٌ شَأْنُ آيِسُ لَا يَيْسُ جَنَاحِي
وهذا الرَّيْشُ مِنْ دُرٍّ وَيَأْقُوتٍ وَمَرْجَانِ

وهذا هو يرعاك بعينه ويرعاني
آخر [لزميلين له] :

أنظر «أني» إسمع «فتنا»
جَنَفَ قَبِيرَ وَلَمْ
أَبِيسُ بِالْفُرسِ سَحَر
يَزَلْ بِهِ حَتَّى اتَّحَرَّ
شيوخ الكهان :

بُورِ كَتَّ يَا أَبِيسُ
يَا مَوْضِعَ التَّقْدِيسِ
يَا صَاحِبَ الْمَجْدِ
وَمَنْزِلَ الْحَمْدِ
وَأَنْتَ فِي الْخُلْدِ
سِرُّكَ فِي مَنْفِيسِ
شبان الكهان :

أَبِيسُ سِرُّ السَّمَاءِ
وَحَلَّ تِلْكَ الدَّمَاءِ
أَنْتَ سَمَاءُ الْجَلالِ
الْقَرُونِ كَالشَّمْسِ طالِ
يَا صَوْرَةَ مَنْ فُتَّاحِ
هَذَا شَعاعُ الصَّبَاحِ
وَأَنْزَلَ مَعَ الْخَالِدِينَ
تُحَاسِبُ الْمُعْتَدِينَ
حَمَى الدِّيَارِ الْأَمِينِ
وَعَزَّ فِي الْعَالَمِينَ
وَمَنْ سَنَاهُ الْمُبِينِ
أَمْ غُرَّةً فِي الْجَبِينِ



مصرع کل یو پاترا

تمهيد

زمن الرواية : الأيام الأخيرة في حياة كليوباترا حوالى
سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة « أكتيوم » البحرية وانتحار
كليوباترا .

مكانها : فى الإسكندرية وأرباضها .

أشخاصها :

(أ) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .

مارك أنطونيوس .

أكتافىوس قيصر .

قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعه :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .

زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

حاجى ..
ديون ..
ليسياس

مساعدو زينون .

هيلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حاني غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : روماني في معية أنطونيوس وهو عبده

وتابعه وصفيه .

أولبوس : طبيب روماني في بلاط كليوباترا .

أنشو : مضحك الملكة .

غانمير : ساقها .

حبرا : عرافها .

أياس : شاديها .

أخيل : قائد الأسطول المصري وربان أنطونياد

سفينة كليوباترا .

بولو : شاعر .

أغا القصر

(ج) النكرات المسرحية : جنود وقواد مصريون

ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

« في مكتبة قصر كليوباترا - حابي وديون وليسياس جلوس إلى »
« عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يَوْمَنَا فِي أَكْتُيُومَا ذَكَرُهُ فِي الْأَرْضِ سَارُ
إِسْأَلُوا أَسْطُولَ رُومَا هَلْ أَذَقْنَاهُ الدَّمَارَ

أَحْرَزَ الْأَسْطُولُ نَصْرَا هَزَّ أَعْطَافَ الدِّيَارِ
شَرَفًا أَسْطُولَ مِصْرَا حُرَّتْ غَايَاتُ الْفَخَارِ

صَارَتْ الْإِسْكَندَرِيَّةُ هِيَ فِي الْبَحْرِ الْمَنَارِ
وَلَهَا تَاجُ الْبَرِيَّةِ وَلَهَا عَرْشُ الْبَحَارِ

حَابِي : إِسْمِعِ الشَّعْبَ (دِيُونُ) كَيْفَ يُوحِنُ إِلَيْهِ
مَلَأَ الْجَوَّ هُتَافًا بِحِيَاتِي قَاتِلِيهِ

أثر البهتانُ فيه وانظلي الزور عليه
يا له من بَيِّغَاء عقله في أذنيه

ديون :

سأني، سمعتُ كما سمعتَ وراعني أن الرميّة تحتني بالرامي
هتفوا بمن شرب الطّلاف تاجهم وأصار عرشهمُ فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حابي :

أتذكر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتبس الهواء
وكان البحرُ كالليت المسجى وكان الليلُ للبيت الرداء

ديون :

نعم وهناك آتسنا سحبابا وراء الليل جللت السماء
فقلت انظر ديون ترّ الجوارى يطآن الماء همساً والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين سوائب لا دليل ولا حذاء
رجعن رجوعُ قرصان أصابوا من الغزو الهزيمة والبلاء
فلم نسمع لملّاح هتافاً يبشرُ بالقدوم ولا نداء
ولم ترّ فوق سارية سراجا ولا من ثقب نافذة ضياء

حابي : فماذا قلت ؟

ديوت :

قلت . ديوتُ إلى أرى الأسطولَ بالويلات جاء
دخولُ الظافرين يكونُ صباحاً ولا تُزجى مواكبهم مساءً
فلما أصبح الصبحُ انتبها نرى الأسطولَ أزين ما تراه
تبرجت البوارجُ بعد عطل وهزت في ذوائها اللواء
ورددَ في المدينة أن روما عفا أسطولها ومضى هباء
فضج الناسُ بالبشرى وكدوا حناجرهم هتافاً أو دعاء
هداك الله من شعب يرى يصرفه المضلل كيف شاء

ليسياس [هامساً لحابي] : [تدخل هيلانة]

حابي ، صبي قد ظهرت هيلانة وأقبلت بالطلعة الفتانة
تنفخ كالزنبقة الغيسانة

حابي :

ليسياس ، أنهاك عن المجانة هيلانة في القصر قهرمانه
لها وقارٌ ولها مكانه
هيلانة : سلام لك يا حابي

حابي : سلام لك هيلانة

هيلانة : أمرت أن أقول للأمين ستحضر الملكة بعد حين
فبلغ الأمر إلى زينون

حابي : سيدتي سأفعلُ أمرُكما ممثِّلُ
 هيلانه : تفرني بربتي ! ذلك ما لا أقبل
 حابي : هيلان، أنت ملكتي وأنت وحدك الملك
 هيلانه : بل كيلترا وحدها لم يحو شمين الفلك
 إن أنت لم تؤمن بها فلست لي ولست لك

[تخرج هيلانه ويدخل زينون من باب آخر في هيئة تفكير واضطراب]

حابي : ذاتُ الجلالة سيدي قد آذنتنا بالزياره
 زينون : هذه حجرها لا عدست طيب رياها ولا ضوء حلاها
 كل يوم تتجلى ساعة ها هنا كالشمس في عز ضحاها
 تدخل الدار فتنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها
 [محدثاً نفسه في ركن قصي من أركان المكتبة] :

أما الشبابُ فقد بعد ذهب الشباب فلم يعد
 ويحي أمن بعد السنين ن وقد مررن بلا عدد
 أو بعد طول تجاربي ومكان علي في البلد
 تجني الحسان على ما لم تجن قبل على أحد ؟

ديون [هامساً إلى زميله] :

حاب ، لسياس ، أقسم أن زينون مغرم

فضح الشيخ جُبه والهوى ليس يُكتم
 ليساس: بمن الشيخ موكع ليت شعري متىم ؟
 ديون : وبمن جُنَّ يا تُرى ؟
 حابي [ضاحكا] : كلُّ خاف سيُعلم

زينون [مستمراً في حديث نفسه] :

مالى جننتُ فصرْتُ أَنَّهُم الشبابُ وأضطهدُ
 لم ألقَ رأساً فاحماً إلا حملتُ له الحسد
 ووجدتُ لاعجَ غيرة بين الجوانح يتقد
 فكان ظلمة شعره فى مُقلتي هى الرمد
 وكأَنما سرقت ذوا بُه شبابى المفتقد
 ولو ان لى ولدأ فإ لما بكيت على الولد
 حذراً وخوفاً أن يكو نَ بها تعلق أو وجد
 شكُّ يمدب مهجتي إن المشكك فى كبد

[يلتفت إلى حابي ويهبط إليه النظر ثم يناديه] :

حابي ، بنى

[يأتى إليه حابي]

قل ولا تخف على ، هل تُحب ؟

حاجي : أحب ا من قال ؟

زينون : سمعتُ

حاجي : من روى لك الكذب ؟

زينون : بُنيّ ، ليس بالفقير إذا أحبّ من عجب

مَنْ لم يُحِبَّ لم يُؤدِّ للشباب ما وجب

حاجي [متبهما] :

لكن أَدعى الهوى وليس لي منه سبب ؟

زينون : حاجي ، بُنيّ لا ترغُ من السؤال بل أجب

لولا الهوى لم تَكُ في ظل الشباب تكتئب

ما بال بشرك اتّحى ولونك الغضّ شحب ؟

والدموع من مآ قيك تكاد تنسكب ؟

حاجي [ساخراً] :

أفقر زينون وأصح من الغواني أبعد الشيب تضدّحك النساء ؟

زينون [غاضباً] :

أتعلم يا غلام علىّ عشقاً ؟

حاجي : دع الإنكار قد برح الخفاء

زينون : ومن أنباك ؟

حاي : أنت !

زينون وكيف ؟

حاي : تهني فتفضحك الوسوس والهداء

كحوم يوح وليس يدري تكشف عن سرائره الغطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى بصحبك الشباب الأبرياء ؟

فكل فتى رأيت زعمت صباً يخامر من الرقطاء داء ؟

وما كعمى الشيوخ إذا أحيوا وليس وراء غيرتهم بلاء

زينون [لنفسه] :

إلهي قد فضحت وضلل شبي وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

[لحاي] :

صدقت بنى بي دائم دخیل وليس إلى الدواء لي اهتداء

على تلوت الأفعى ، فهل لي من الأفعى ونكرتها نجاء ؟

أرى ولها وأحسب جنونا كسانيه على الكبر القضاء

حاي : وتعطى حين تلقاها ابتساماً وأنظيوس يعطى ما يشاء

صباحهما مغاللة وصيد وللأفداح والقبيل المساء

أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟

أهدم أمة لتشيّد فرداً على أنقاضها ؟ بئس البناء !

أبى ، شيخى ، اجترأت عليك فاصفح
 فلم أك أجترى لولا الوفاء
 لقد آن التكاشف والتواصى بما توحى الكرامة والإباء
 تعال إلى جماعتنا ، فإننا جنود الحق يجمعنا لواء
 شباب نحن يُعوزنا شيوخ بهم فى المدلهمات يستضاء
 زينون: كفى ، إلى نفضت يدي منها ومزق عن بصيرتى الغشاء
 حابى : أبى زينون قد بحث من السر بمكنونى
 وما غيرك زينون على السر بمأمون
 [يشير إلى ديون ولباس] :

أخى ، هذا أثلىنى وخلى ذاك مقدونى
 كلا الخليلين للحق كما أدعوه يدعونى
 كلا الخليلين ذو جد بأرض النيل مدفون
 فليسا فى هوى مصر وفى طاعتها دونى
 فديننا الوطن الغالى بالجنس وبالدين
 ولم نصير على حكم لرومية ملعون
 ولسنا حزب أكتاف ولسنا حزب أنظون
 ولا نخضع للبأس ولا نخضع بالين

ولم يبقَ على الودِّ لروما غيرُ زينون
 زينون: معاذ الله ، عُدُونِي من العصبية عُدُونِي
 كساكَ اللهُ يا روما لباسَ الذلِّ والهُونِ
 حابي : أبى، أنت الطيبُ وكلُّ داءٍ له في صيدليتك الدواء
 فهَيِّ لها ابنَ ساعته وتَجَلَّ يَعْلَلْ في السماء لك الجزاء
 لعل سمومك الرُّعَفَ المواضِي من الأنفى وقتنتها شفاء
 [يدخل جندي من حرس الملكة معلنا قدومها]
 الحارس : الملكة !

زينون [كأنما يفيق من حلم] :

الملكة ! لَا بَرَحَتْ مُلْكُكِ !
 ودام مجدُ المملكة !

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصر وبن وصيفتها
 شرميون وهيلانة ومن ورائهن أنثى مضحك الملكة وأغا القصر]
 الملكة: تحيَّتى لأمناء المكتبة وشيوخهم أعلى الشيوخ مرتبه
 زينون : سلام السَّمَوَاتِ في مجدها على رَبَّةِ التاج ذات الجلال
 تمنيتُ رأسين لا واحداً إِذَا مَسَّتْ الأرضُ هامُ الرجالِ
 أطاطىءُ رأساً لمجد النبوغِ وأخفضُ رأساً لمجد الجمالِ
 حابي . ديون . لسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :
 أنشوا [للوصيفتين وقيصرون] :
 أما يُغْنِيهِ عن رأسٍ من رأسٍ فيه وجهان ؟

فَينَا هو مصرىً وحِينَا هو يونَانِي
وفِي مجلس يوليوسَ وأنطونيوس رُومَانِي
وإن لاقى أغا القصر فسُوِيَّ وسودَانِي
[يدخل الكاهن أنويس من باب مقابل]

الملكة: كَاهِنَ الْمُلْكِ سَلَامٌ لَا عَدِمْنَا بَرَكَاتِكَ
صَلِّ مِنْ أَجْلِ وَلَا تَدِ سِ صَغَارِي فِي صَلَاتِكَ
أنويس: رَبَّةَ النِّيلِ التَّحِيَا تُ الزَّكَاةَ لَدَاتِكَ
حَرَسْتُ تَاجَكَ لِيزِيدِ سِ وَمَدَّتْ فِي حَيَاتِكَ
الملكة: هُوَ ذَا ابْنِي قَيْصَرُونَ يَتَلَقَّى نَفْسَاتِكَ
الكاهن [لنفسه] :

لِيزِيسُ كَيْفَ أُصْلَى عَلَى ابْنِ يُولْيُوسَ قَيْصَرٍ ؟
أَبُوهُ عَالٌ وَلَكِنْ فِرْعَوْنُ أَعْلَى وَأَكْبَرُ

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف في أكتيوم]
الملكة [عابئة] :

كَاهِنَ الْمُلْكِ ، سَادِقِي ، هَلْ سَمِعْتِ رَنَّةَ الصَّوْتِ فِي جَوَانِبِ قَصْرِي ؟
أنويس : هَمْ رَعَايَا مَلِيكَتِي
الملكة : لَيْتَ شَعْرِي

الْخَيْرِ تَجْمَعُوا أَمْ لَشَرٍّ ؟

شرميون:

الجاهل يا مليك بالشطيموجون في جبر وبشر
سرم ما لقيت في أكتيوم من ظهور على العدو ونصر
لا يقولون أو يعيدون إلا نبأ بات في المدينة يسري
الملكة:

بالإفك الرجال ماذا أذاعوا كذب مارووا صراح لعمري
أى نصر لقيت حتى أقاموا ألسن الناس في مديحي وشكري؟
ففسر في قم الأمان حلو ليت منه لنا قلامة ظفر
وغدا يعلم الحقيقة قوى ليس شيء على الشعوب بسر
شرميون:

ربة التاج ذلك الصنع صنعى أنا وحدي وذلك المكر مكرى
كثرت أمس في الإياب الأفاوي لوظن الظنون من ليس يدري
فأذعت الذى أذعت عن النص ر وأسمعت كل كوخ وقصر
خفت في خاطري عليك الجاهيل ر وأشفقت من عدى لك كثر
فاغفرى جرائى، فيارب ذنب يتعب العذر فيه مهنت عذرى
الملكة:

شرميون، اهدنى فما أنت إلا ملك صيغ من خنان وبر
أنت لى خادم ولكن كآنا فى الملآت أهل قربى وصهر
إنما الخادم الوفى من الأهل ل وأدنى فى حال عرويس

وأنظري كيف في الشدائد تصبري	إسمعي الآن كيف كلَّ بلائي
ب وأمر القتال فيها وأمرى	أيها السادة اسمعوا خبرَ الحرب
والجوارى به على الدَّم تجري	واتقحمي العُلبَ والبحرُ يعلني
عبرى يسيرُ في كل عصر	بين أنطونيو وأكتاف يوم
أُهبَ الحرب واستعدتْ لشر	أخذتْ فيه كلُّ ذات شرّاع
مقبل مدبر مكر مفرّ	لاترى في المجال غير سُبوح
لك كنسر أراد شرّاً بنسر	وترى الفُلك في مطاردة القُد
جوجنحاً من ظلمة الليل يسرى	وتخال الدُّخان في جنّبات الـ
هزج الرعد أو صياح الهزبر	ودوى الرياح في كل لُج
لغريق ، ومنه أحناء قبر	وترى الماء . منه عودُ سرير
ح ويأسو من الحياة ويُرى	يفسل الجرح شرّاً من غسل الجِر
أذنُ الحرب والأمور بفكري	كنت في مركبي وبين جنودي
رأ من القوم في عداوة شطر	قلت روما تصدّعت فترى شط
ش وشباً الوغى يبحر وبرّ	بطلأها تقاسماً الفُلك والجيد
علّوا هارب الذئاب التجري	وإذا فرق الرُّعاة اختلاف
وتدبرت أمر صحوى وسكري	فأملتُ حالتي مليّاً
لت عن البحر لم يسد فيه غيري	وتبيّنت أن روما إذا زا

كنت في عاصف، سللتُ شراعي منه فانسَلَّت البوارجُ إثرى
 خلصت من رَحَى القتالِ ومما يلحق السُّفن من دمارٍ وأثر
 ففسيتُ الهوى ونُصرة أنطقَ يوسَ حتى غدرته شرَّ غدر
 علمَ الله قد خذلتُ حبيبي وأبا صيبي وعوني وذخري
 والذي ضيَّع العروشَ وضجى في سبيلِ ألفِ قُطرٍ وقطر
 موقفٌ يُعجبُ العلا كُنتُ فيه بنتُ مصرٍ وكنتُ ملكةَ مصر
 [ملتفتة إلى زينون] :

زينون . قُصِلْتُ الخبرُ عن القتالِ والسفرِ
 وقلتُ عن إيابي وخُطبةِ انسحابي
 ما ليس يعلمُ البلدُ ولا درى به أحدُ
 فهل لديك الآنا ما يجلبُ السلوانا
 من الأمالى المُسلية والصُف المُلِيَّة

زينون: عندى يا مولائى روائعُ الآياتِ
 تسعون ألفَ سفرٍ قد كُتبتُ بالتبر
 من كل رَقٍّ عجبٍ فى العلمِ أو فى الأدبِ
 قيصراً أنطونيوسَ وهب لنا مناجمَ الذهبِ
 وكلَّ غالٍ مدخِرٍ من الجواهر الأخرِ

أسلابه من حربه وطعنه وضربه
هدية من قيصر لبسلة الإسكندر
أنشؤ : إذا كانت الكتب في شرعكم
فإن النقي بدر القواق
وما الكتب قوتي ولا منزلي
فما أنا سوس ولا أنا فار
الملكة : حكيم لعمرى على جهله
ظريف الحديث لطيف الحوار
زينون [منبلا] :

ولكنها حكمة السائمات
وكلتاها لا تعدى الشعور
فليس السباب سبيل الكبار
بل درس وأصبحت تفتي النهار
وأقبلت بالكتب تطوى الطوال
وزدت على الأرض علم السماء
إذا ما نفقت ومات الحمار
زينون [غاضباً] :

ماذا تقول السيده ؟

الملكة [ضاحكة] :
واحدة بواحدة

أبي أنوبيس ، أرجو

أنوبيس : بل تأمرين مطامع

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة إليه] :

هذا مقامُ صلاتي وهيكلُ التضراعة

ولي خطايا كثيرة لا تبرح البال ساعه

فادخلْ وصلِّ لأجلي فنك تُرجي الشفاعة

[يدخلان المحراب ويتنهم المحضرون ما عدا حابي وديون وليباس]

ديون [متهمكا] :

إسكندرية صرت رفرف معبد من كل ناحية عليه ستار

اختص آلهة الجلال بسرّه وتفرد الكهان والأخبار

ما خطبهم حابي ، وماذا بيتوا

ليباس : ما هذه الألفاظ والأسرار ؟

حابي :

أرايت وقعة أكتيوم وما جرى فيها وكيف تصرف المقدار !

ليساس ، إنك قد سمعت حديثها كالسحر في الآذان حين يُدار

تبدو الحيانة فيه وهي أمانة ويرى الثبات عليه وهو فرار

وعلى كيف نجت وكيف اقتض عن أنطونيوس أسطولها الضدار

ليباس :

واليوم حابي، أين أنطونيو وما
قلت بقل جيوشه الأقدار؟
قل لي : أحى في البلاد مشرد
هو أم له قبر بمصر يزار؟

حابي :

ليباس ، تسألني تجاهل عارف

ليباس :

بل جاهل لم تأت الأخبار

حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها
للحب أجنحةً بهن يطار
ويقال بل أخذته تحت شراعها
ونجا به فلك لها محصار
تجري الرياح بما تشاء قلوعه
ويسير في طاعاته التينار
ويقال بل حنق الفؤاد منار
وعلى سلام صاحبين غبار
آلى وأقسم لا يرى في قصرها
حتى يقوم مجده المنهار
إن البلاء أجل من ألا يرى

ديون :

عجب أنتخى في الهشيم النار؟

حابي :

أنطونيو منا بأقرب ثكنة
يدعو من الرومان من يختار
ويعد أهبته ليوم حاسم
في البر يفضل عنه فيه العار
ويكون ميدان الرعى ومدارها
تلك التلال وهذه الأسوار

فهنالك خاتمة الصِّراع وموقف إما التَّعَارُ بِهِ وإما الغار

[يسمع صوت أنوبيس من داخل المحراب مرثلاً هذا النشيد] :

إيزيسُ ذاتَ الحجابِ مالِكَةُ العالمينِ

شعبُك لاقَى العذابَ من عِبَتِ الظالمينِ

يا من خفَضنا الجباهَ لِعِزِّها ساجدينِ

صُنَّنا إِلَيْكَ الصَّلاةَ من أَدْمَعَ النادمينِ

ستار

المنظر الثاني

« في إحدى غرف القصر الملكي ورحى الحرب دائرتين اكتافوس وأطنبوس
على أسوار الإسكندرية — حابي في النرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة : أتدخل حابي مقاصيرها ؟ بلغت من الجُرأة المنتهى
ستعلم أمرك ذات الجلال ه
حابي : بل أمرت أن تراني هنا
هيلانة : عجبت لها ولتديرها كذلك قد أمرتني أنا
إذن هي تجمعنا يا ججود وتجزيك عن سخط الرضى
حابي : هيلانة خليك من ذكرها حديث الأفاعى طويل المدى
هيلانة : رويدك حابي لقد أحسنت فإلى أراك أسأت الجزأ ؟
حابي : هيلانة ، يا طيبها خلوة وإن قل في ظلها الملتقى
تعالى هيلانة نعط الغرام عنان الحديث ونشك الجوى
أنبى يدي يدك اللتين نعيم بينهما والشقا
هلم هيلانة

هبلانة: حابي أراك بِكُنْهِ الْأُمُور قَلِيلَ الْهُدَى
 من القصر لا تلتبسُ خلوةً وإن هو من كلِّ حصٍّ خلا
 سماء القصور لها أذنان وأرض القصور بعين ترى
 حابي : هبلانة لا تقطعي كشوق بربك أو حلي باللقا
 أمهما تخيلت صفو الحياة خلقت على جانبيه القذى؟
 هبلانة: حنانك حابي لا تهم ولا ترمني بعقوق الهوى
 ولذ بالأنانة فإن الأنانة صديق الصواب عدو الخطا
 فلو كنت وحدك شغل الفؤاد لسان البلاء وقل العنا
 ولكن حقوق كليوباترة
 حابي : وأي حقوق لها تدعى

[تدخل كليوباترة]

كليوباترة: حقوق الولاية ياذا الغلام
 وحقوق الرعاية ياذا الفتى
 وصبري عليك لأجل الفتاة

حابي [مأخوذاً] : إلهي لقد سمعت ما جرى
 الملكة : وسدى السامع حبا بها وأنت تعين على العدا
 وترسل في العرش هجر الكلام ونخفي الحفيظة لي والقي
 ولكن لننس الذي قدمضي فشلك تاب ومثلي عفا

دع النُّود عن مصرَ لي إنني أنا السُّيفُ والآخرون العصا
ولا تُطع الفتيّة العابثين أسود الكلام نَعَامَ الوَغَى
[إلى أنويس]
[إلى أنويس]
أبي : قد أتيت

أنويس : سلامٌ عليكِ شُعاعَ المدائن نورَ القرى
الملكة : أبي قد تَلَقَّى هنا العاشقان وكان بتديري المتقى
فبارك فتاتي وبارك فتاك وكفكف هواه إذا ماغلا
أنويس : حياتك حابي كنيسة يشاكل أوّلها المنتهى
مقيّدة باليقين القنوع وما أمر القلب أو ما نهى
الملكة : كزهر المقاصير لم ينتفع بطول الأديم وعرض الثرى
أنويس : وتحسب في الكتب علم الحياة وما منه في الكتب إلا شذا
حان : لعلّ كذى الشك في حرصه يقيس الطريق ويحصي الخطا
أرى راكب الشك ملء المجال طويل العنان بعيد المدى
ولوشككت في السراج الفرائس لكان سلاماً عليها السنا
أنويس : ولكن تمرّ على ما تراه تجاوزه نحو ما لا يرى
وهذا الملاك [مشيراً إلى ميلانة]

كنولاته طليق الإرادة حرّ الحجي

تَمْشَى عَلَى جَنَابَاتِ الْحَيَاةِ كَمَا يَتَمْشَى سُعَاعُ الضُّحَى
يَهْوِضُ الْوَسْوَاحُ وَيَغْشَى الْحُلَى وَيَأْوِي الْحُضْبُزُ وَيَلْوَ الذُّرَى
وَيَحْتَرِقُ الْعَرَصَاتُ الْفَسَاحَ وَيَنْفُذُ مِنْ ضَيِّقَاتِ الْكُؤَى
وَيَرْتَعُ بَيْنَ أَنْوْفِ الْأَسْوَدِ وَيَلْعَبُ بَيْنَ عَيُونِ الثُّبَا
وَلَكِنَّهُ طَاهِرٌ حَيْثُ طَافَ نَقَى الذُّيُولُ عَفِيفُ الْخَطَا
أَبَى قَدْ نَسِينَا حَدِيثَ الْقِتَالِ فَتَنْذِ الصَّبَاحُ تَدْوِيرَ الرَّحَى
وَجَيْشُ الْحَلِيفِ وَجَيْشُ الْعَدُوِّ بَظْهَرِ الْمَدِينَةِ رَهْنُ الْوَعَى
هَذَاكَ يُقْضَى مَصِيرُ الْبَلَادِ فَمَا الْبَقَاءُ وَإِذَا الْفَنَاءُ
وَمَنْ عَجِبَ كَادَ يَمْضِي النَّهَارُ وَمَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا مِنْ نَبَا

[يدخل جندي من جنود أنطونيوس منهوكا يملوه الفبار]

الجندي: سيدتي جئتُك بالأخبار لقد جرت بسعدك الجوارى
انتصرت جنودنا الضواري تحت لواء البطل المغوار

قيصر أنطونيوس على آثارى

الملكة: يا فرحاً ما أعظم البشارة ! حلت على أكتافيو الحسارة
«وأكتيوم» قد أخذنا ثارَه نَحْذِ يَا رَسُولُ هَذِهِ الْبُشَارَه

[تمنحه بدره من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرميون: سيدتي يا طربا سيدتي يا فرحاً !
دارت على أكتافيو وجيش أكتافيو الرحي

مبلاته : مَلَكْتِي هل تسمعين

[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة : [منمّنة] صوت بوق وهتاف

[تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنيها وعينها]

هو والله نشيدي والمغنّون جنودي
والخمازيق التي تَحْدُ فُوق من بُعْد بنودي
ولديها فارسٌ مُدْ تشم شاكي الحديد
يَترأى في عنان الـ سَجْو كالأرج المشيد
هو أنطونيوسٌ ذُخْرِي وطريقى وتليدي
[إلى شرميون ومبلاته]

أيها البتآن هذى ليلة العيد السعيد
صَلِّيا مثلَ صَلَّاتِي واسجداً مثلَ سَجُودِي

[يسجد الثلاثة لحظة ، ثم تنهض الملكة أولاً وتتجه نحو النافذة]

هو ذا أنطونيوس من جانب الميناء أَقْبَلُ
هيكَلٌ يحمله من صائفات الخيل هيكَلُ
الـرِّدَاءُ الأَرْجَوَانِيُّ على عطفه مُسْبِلُ
مَبْمٌ يضحك من تحتي جين يهليل
هو ذا يدنو

شرميون : أتى والسله

هيلانة :
الملكة [تبتدو الباب] مولاتي ترجل

أيها البتان هذي ليلة العيد السعيد
[أنويس هامساً لحاي] :

حاي، أحيط القصر بالذئاب وربي من السخط عليهم ماني
[للملكة] :

سيدتي تأذن في انسحابي؟ وتأذنين ملكتي لحاي
الملكة [ضاحكة] :

إلى الأفاعي؟

أنويس : لا إلى المحراب

الملكة : رأيكما في المكث والذهاب

[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه
أوروس، أنطونيو يقبل على الملكة ماداً يديه]

أنطونيو : إلهي !

الملكة : قيصرى !

أنطونيو : سلطاتي !

الملكة : ملكي !

أنطونيو : عندي لك اليوم يا دنياي أخبار

الملكة : عجّل فديتك

أنطونيو : لا ، لا بد من ثمن

الملكة : كرائمُ المال ؟

أُطْلُو بُو :

مالل مال مقدارُ

[يمد إليها جبينه في ضراعة]

رُدِّيْ عَلَى هَامَتِي الْغَارَ الَّذِي سُلِبْتُ فُقْبَلْتُ مِنْكَ تَعْلُوها هِيَ الْغُلُو

[بقبله]

كليوباترا:

اليومُ تَعْلُمُ رُوما أنْ ضَرَّتْهَا تُقَلِّدُ الْغَارَ مِنْ تَهْوَى وَتَحْتَارُ
واليومُ تَعْلُمُ رُوما أنْ فَارَسَهَا جيشٌ بِمُفْرَدِهِ فِي الرُّوْعِ جَرَّارُ
أُطْلُو نُوْسِيْدِي، هَلْ نَحْنُ فِي حُلْمٍ؟ أَسَأَلُ أَنْتِ؟ لَا أَسْرُ وَلَا عَارُ؟

أُطْلُو بُو :

أَسْرُ؟ وَهَمْتُ كَلِيبَاتِرَا أَتُظْفِرُ بِي أَيْدِي الْكُفَّةِ وَفِي كَفِّي أَظْفَارُ
لَوْ قُلْتُ قَتْلُ لَكَانَ الْقَوْلُ أَشْبَهَ بِي كَأَسُ الْمُنَايَا عَلَى الْإِبْطَالِ دَوَّارُ
الْحَرْبُ تَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي شَدِيدٌ عَلَى الْآقْرَانِ جَبَّارُ
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَتِي وَالْحَرْبُ جَارِقَةٌ وَالصَّفُّ تَحْتِي بَعْدَ الصَّفِّ يَنَارُ
قَدْ جُنَّ تَحْتِي جَوَادِي فَهُوَ عَاصِفَةٌ وَجُنَّ نَصْلِي بِكَفِّي فَهُوَ إِعْصَارُ
رَأَيْتُ حَمْلَةَ صَدَقٍ غَيْرَ كَاذِبَةٍ لَا السَّيْلُ يَحْمِلُهَا يَوْمًا وَلَا النَّارُ
لَمَّا صَدَمْتُ جَنَاحَهُمْ وَقَلْبُهُمْ عَنِ الْخِيَامِ وَمَنْ أَوْكَارِهِمْ طَارُوا
وَمَا وَجَدْتُ لَأَكْتَفِيُو وَقَادَتَهُ رِيحًا، وَلَمْ أَتَبَيَّنْ أَيْةَ سَارُوا

وما لك الشمس أو كادت فراجني شوقٌ إليك قديمُ الداءِ سوار
حتى رجعتُ ولو أني طردتهم لبات أكتأفُ عندي وانقضى الثار
كليوباترا :

تركهم لعدا هذي مجازفةً غدٌ غيوبٌ وأسراؤُ وأقدار
[مخاطبة أوريوس]

أوريوس، أنت بفنِّ الـ قتال أعلمُ مني
الحربُ فنُّك أورو سٌ والسياسةُ فني
إن كان مَرُكُ ، إلهي فأنت في الحرب جني
فكنْ بحقِّك عَونِي وقلْ لقيصرَ عني
إب المني لم تُقصرْ بل قَصَرَ التمني
فلو صَبَرْتُم قليلا وسرُّم في تاني
أرْحَمُونِي وروما من الخصام المعني
أوريوس: سيدتي لم تقصدي لما عذلت سيدي
تجَلَّتْ في الحُكم على ما لم تَرِي وتَشْهَدي
لقد حَمَلْنَا حَمَلَةً كمثلها لم يُمَهْد
استنفذتُ بَأْسَ القنا وقُوَّةَ المَهْنَد
فكان لا بد لنا نرجي القتال للعد

أنطونيوس: كلوباترا دعينا من
 أتبكين على الصبر
 وبن من صبرك الواهي
 وقد مَنَيْتُ أسطول
 لدى أسطولك النصر
 سأشتد به أزر
 حليف كنت أرجو أن
 فعبا تحت أعلام
 لك حتى زحما البحرا
 وقد كانا الجناحين
 وأجرى الفلك أكتافيو
 فأجريت كما أجرى
 صففناها وأرسلنا
 بها تقتحم البحرا
 كلانا مارس الحرب
 وعانى الكر والفر
 فلما آذنتنا الحر
 ب بالمركة الكبرى
 تسلك بأسطولك من غمرتها الحرى
 فقلت انسحبت ضعفا
 وقال الناس بل غدرا
 ولو كان لهم قلب
 كقلبي التمسوا العذرا

كلوباترا: أنطونيوس ملكي
 ليس العبوس سنة
 لوجهك الطلق الندى
 ولست من يغضب في
 أنطونيوس سيدي
 ليل الشراب والدد

ولست للكأس على	شاربها بالمفسد
قلبك كنز الحب وال	رحمة والتودد
وكم حقدت ثم أص	سجت كأن لم تحقد
ألت بالآمس وأم	س لفته لم تبعد
وهبت لي جريرتي	والصفح نصف السؤدد
فأطو معي حوادث ال	أمس ولا تُجدد
وامض معي في لذة ال	يوم ودع هم الغد
أنطوني: كلوباترا بحبيك	من التأنيب حلينا
لقد سقت وقوادي	إليك النصر فاجزينا
مرى بالكاس والطاس	وبالندمان يسقيننا
وبالقصف وبالعرف	وحذاق المغنيننا
وما طيب ألوانا	وما طاب رياحينا
وقولي الشعر علويا	كما كنت تقولينا
وأوحيه إلى شادي	ك يلقيه فيشجيننا
غدا نستأنف الحرب	ونطويها مياديننا
أنشو: ونغشاها بخامير	ونلقاها بمجائنا
كليوباترا: مر بما شئت قيصر	وأشر كيف تأمر

لَكَ قَصْرِي وَمَا حَوَى الدُّ	قَصْرٌ كُلُّ مَسْخَرٍ
لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا غَلَا	عَنْ حَيْبٍ يُؤَخَّرُ
لَتَكُونَنَّ لَيْلَةً	آخِرَ الدَّهْرِ تُذَكَّرُ
لَا بُنَى إِذَا صَفَتْ	بَعْدَهَا مَا يُكَدَّرُ
تَحْلُمُ الحُلُمَ لَسْتَ تَدُ	رَى بِمَاذَا يُفَسَّرُ

[لوصفاتها ووصيفاتها] :

البَدَارُ البَدَارُ يَا وَصْفَانِي	ووصيفاتي البَدَارُ البَدَارُ
فَيَصْرُ قَيْصَرُهُ هُوَ الْأَمْرُ النَّاسِ	هي على القصر فليكن ما أشارا
هُوَ يَبْنِي وَلِيْمَةً فَاصْنَعُوهَا	وانسقوها كما اشتهى واختارا
أَطْلَعُوا هَذِهِ الشَّمُوعَ شُمُوسًا	تَذَرُ اللَّيْلَ بِالْعَشِيِّ نَهَارًا
وَأَعِدُّوا الْخُيَّانَ قَدْ حُمِلَ الْأَلُ	وَأَنْ شَتَّى وَجُلَّ الْأَزْهَارُ
وَاجْعُوا بِالْمُدَامِ شَيْئًا نَدَامَى	وَأَدِيرُوا الْكُؤُوسَ وَالْأَوْتَارَا
وَاجْعَلُوهَا وَلِيْمَةً وَبَسَاطَةً	يَتَبَارَى خِلَاعَةً وَوَقَارَا
مَضْرُوبٌ إِنْ أُولِمَتْ سَمَتْ بِالْأَغَانِي	دَرْجَاتٍ وَأَسْمَتْ الْأَشْعَارَا
لَا تَسِيرُوا عَلَى وَلَا تَمُ رُومَا	سَرَفًا فِي الْفُسُوقِ وَاسْتَهَارَا
كَلِمَا أُولِمَتْ أَسَاءَتْ إِلَى الْعَقْدِ	لَمْ وَجَرَتْ عَلَى الْحِصَارَةِ عَارَا
وَلَقَدْ تَجْعَلُ النَّمَارَ نَدَامَا	هَا وَأَسْدَ الْعَرِينَةِ الشَّيَارَا

فائد روماني [لزميله غاضباً] :

أَتَسْمَعُ مَا تَقُولُ عَدُوَّ رُومَا قَدْ اجْتَرَأَتْ عَلَى رُومَا الْبَغْيُ
أَتَحْتُ لُؤَائِهَا وَبِجَانِبِهَا يَخُوضُ الْحَرْبَ مِنْ رُومَا كَمْيُ؟
الآخر :

غَدَاً تَلْقَى . وَإِنْ غَدَاً قَرِيبٌ عِقَاباً فِي الْبِلَادِ لَهُ دَوِيٌّ
الأول [لأنطونيوس في عتب وغضب] :

أَمِيرِي أَنْطُونِيوَأَفِي الْحَقِّ أَنَّنَا نَيْتُ سَكَارَى وَالْعَدُوَّ مَيِّتٌ ؟
[ينظر اليه أنطونيوس نظرة ملوية ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا فيهمس القائده] :
أَلَا إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَا وَرَاءَهُ غَرَامُكَ حَيٌّ فِيهِ وَالْمَجْدُ مَيِّتٌ

سـ

الفصل الثاني

«في حجرة الولا ثم بالقصر الملكي ، حيث ترى كليوباترا ووصيفتاها هيلانة»
«وشرميون، وأنطونيوس، وأوروس، وبضعة من القواد الرومان، وأولبوس»
«طبيب الملكة، وأنشو مضحكها، وغانميز ساقبها، وحاجب يعلن أسماء القادمين»

أنطونيو: قياماً نشرب الخمر على حُبِّ كليوباترا
كليوباترا: على حُبِّك أنطونيو على الجيش على مصر
قائد روماني : على روما

كليوباترا: دعوا روما ولا تجروا لها ذكراً
فما أنطونيو منها وإن كان ابنها البكر
ولكن تحت أعلامي يقود البر والبحرا
القائد : أحقُّ مارك أنطونيو س من رومية تبرا ؟

[تنظر اليه كليوباترا فيقرأ في عينها ما تريد]

أنطونيو: أجل أتبع مولاتي ولا أعصي لها أمراً
كليوباترا: على حُبِّك أنطونيو
أنطونيو: ثلاثاً أربعاً عشراً

أنسو : وإن شئت فمشرين إلى ما فوقها سُكُرا
وإن شئت من الدنيا وصلنا السُكْرَ للآخرى
قائد روماني [لزملائه همساً] :

دَعُوا أَنْطُونِيو إني أرى السُكْرَ به أزرى
لقد كان الفتي الفطن فصار الحَدَثَ الغِراءَ
قائد آخر [همساً] :

سنبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سَلَتْ عُقُولُهُمْ انسللنا
فما المُتَدَلِّهِ السَّكِيرُ أَهلاً لتنصره السيوفُ إذا استلنا
الحاجب :

أَيَّاسُ الْمُغْنَى وَجَوْقُهُ الْعُزَّافِ
وراقصاتُ القصرِ

[يدخلون]

كليوباترا: أهلاً بوفدِ الآلهةِ أهلِ الفنونِ النائيةِ
الحاجب :

رَبَّانُ أَنْطُونِياد [يدخلان]

أنطونيو: ماذا عن الأسطول من لك يا أخيلُ نَعْلَمُ؟
هل تَحَدَّثُ قَتْنَهُ أو لم تَزَلْ تَضْرُمُ؟

أخيل: مَولَايَ إِنْ الْبَحْرَ يُخِ فِي سِرِّهِ وَيَكْتُمُ
وما نواه في غدٍ مِثْلُ غَدٍ مُسْتَبْهَمُ
فلا أقولُ مُقَدِّمُ ولا أقولُ مُجْمَمُ
ولا أقولُ يَنْبَرِي للحربِ أو يَسْتَسَلِمُ
كليوباترا: أَخِيلُ، دَعْنَا مِنْ غَدٍ إِنْ غَدَا تَوَهَّمُ
أخِيلُ، مَا الْعَيْشُ سِوَى سَاعَةِ صَفْوٍ تُغْنِمُ
فلا تَكُنْ كَبْدَاخِلٍ عَلَى النَّدَايِ يَلْطَمُ
أَتَيْتَهُمْ مُنَادِمًا لَمْ تَأْتِهِمْ لِيَتَدِمُوا
اليومُ شُرْبُ

زينون: وَغَدَا حَرْبُ
غانغيز: كَلَامُ مُحْكَمٍ
الحاجب: بُولَا الشَّاعِرُ حَبْرًا السَّاحِرُ

كليوباترا [ضاحكة]:

حَبْرًا، أَعِنْدَكَ سِحْرُ يَشُلُّ طَاغُوتَ رُومَا؟
وَيَجْعَلُ النَّاسَ فِيهَا حِجَارَةً وَرُسُومًا؟

[القواد الرومانيون يدمدمون]

أَطْلُونِي: سِيدَتِي لَا تَجْرَحِي قُودَايَ وَلَا تَتَّالِي بِالْأَذَى أَجْنَادِي
وَقَلِّي السُّخْطَ عَلَى بِلَادِي

كليوباترا: أنطونيوم أنت رومانٌ ألم تقل إنك لي جندى؟
أنطونيو: بلى، وددت أننى مصرى وأننى تابُعك الوفى
ما فى سوى رضاك لي مُضى

أنشو: تلك والله قضيه أصبح الراعى رعيه
حكم الحب على قيصر والحب بليه
صار كالشعب وساوى همج الإسكندريه
أنطونيو: حبرا، تكلم ألا عجيبه؟ من سحر منف أو سحر طيبه
حبرا: إله الحرب ساعنى فإنى غلبت على أبا السى الغضاب
هم لا يجلسون على غناء ولا يتحدثون على شراب

كليوباترا: ولكن قيصر يدعوك حبرا وقيصر لا يرد بلا جواب
وأنت الكاهن العراف فانظر أغبر السحر شيء فى الجراب

حبرا: إذا ما شئت مولاتى فإنى أطلع فى الكفوف وفى الكتاب
كليوباترا: أدن من قيصر حبرا وانظر الكفين واقرا
أنطونيو: تعال حبرا وقلب يدى يمنى ليسرى
لعل أسرار كنى كواشف لك سرا
[يتقدم حبرا ويمعن فى كف أنطونيوس]
ألا ترى لي بقاء؟ ألا ترى لي عمرا؟

حبـرا : يا عَجَبَ الفـال ! مولا يَ عَجَبُ النـاس أـمرا
 حـيـاتُه بـيـدِه والنـاسُ يَحْيـونَ قـسـرا
 إـن شـلَّت عـشـتَ نـهـارا أو شـلَّت عُـمـرتَ دـهـرا
 [قـائـد رومـانـي إـلى زمـلائـه هـمـا] :
 لو كـنتُ مـنـه قـريـبـا لـقـلتُ في أذنِ حـبـرا
 حـيـاتُه في يـدِه أم في يـدِ كـيـلـوبـاتـرا !
 كـيـلـوبـاتـرا : تـعالِ الآنَ سـلِّ كـفـيَّ وبـيـنَ ما الـذي تُخـفـي

[يـتـقدـم حـبـرا إلـيـها ويمسك بـدـها بـعـنـايـة وشفـف]

حـبـرا : يا لك كـفـا كـنـتُ العـاج ناعـمـة كـخـلِ الدِّبـاجِ
 لا مُسـها من الجـحـيم نـاجـي !

[ضـحـك]

تـقدى الأـكـفُ كُلُّها يـمـينا بـيـضـاءَ حـمـراءَ تـرُفُّ لـينا
 كما أظـلَّ الشـفـقُ النَّـسـرينـا

أـنـطـونـيو [ضـاحـكا] :

سـمـعتِ حـبـرا مـلـكـتـي كـيـفَ ابـتـكـرُ كُفُّ أن يـصـنـعَ سـحـرا فـشـعـرُ
 بـولا الشـاعـر : السـحـرُ والشـعـرُ سـوـاءُ في الأثـرُ

كـيـلـوبـاتـرا : لـقد أعـجـبـكَ الشـعـرُ وراقـتـكَ مـعـانـيـه
 وما سـرَّكَ أنـطـونـيو سـرـورـي كـلُّه فيـه
 فـا تـأمر في حـبـرا بأى البـر أجـزـيـه ؟

حبـرا [لأنطونيـو] :

جائزتي يا سيدي تقييل هذه اليد !

أنطونيـو [ضاحكا] :

قبل ولا تتردد

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام] :

حبـرا :	عجب عيني لا تـهـ	وي على هذا الضياء
هذه	كف إليـ	جاء في زِيِّ النساء
كليوباترا :	خلني من زُخرف المد	ح ومن زور الثناء
ما وراء اليد يا عـ	أحضيض يومي الآ	اف من غيب القضاء ؟
خاتم الأيام أـ	خير - قلبي - أم سماء ؟	
حبـرا :	ملكتي يومك في الأيـ	باهتمام العظماء
نابـهـ الصبح كيوم الشمـ	ام منشور اللـواء	س علوي المساء
خطر العز عليه	ومشي فيه الإباء	
ثم يتلوه بقاء	لم يطاوله بقاء	

أنشو [زينون] :

رأيت الشعر قد أجدي	فاذا قلت يا فار ؟
زينون : إلهتي وملاكي	كفى المهرج عني

قد نال منى ولولا ناديك ما نال منى
 أنشو : سيدتى عبدك أنشو قد صدق
 الفسار فى مكتبة القصر نطق
 يقول إن أسرق فزيتون سرق !
 همى فى الجلد وهمه الورق
 يسطو على آثار كل من سبق !
 أنطونيو : إني أرى أنشو وأمشأله زادوا على زينون فى الجراء
 يا ويح للشيخ على فضله أصبح فى مجلسهم هزأه
 أنشو : هبوه فى الدرس بحراً هبوه فى العلم أمه
 لا يخلق العلم نفساً ولا ينبه همه
 كم عالم فى يد الجاهل هلين ملق الأزمه
 كلبواترا : أقل المزح يا أنشو وأرسله بمقدار
 فلول الجهل ما رحت تقيس الليك بالفار
 زينون : يا سماء احفظي ويا أرض صوني
 أظهرت عطفها على زينون !
 كلبواترا : يا غاميز هات التيد
 هات اسقني واسق الحبيب
 واسق الملا

يولا الشاعر : بنتُ الدِّنانِ أمُّ الزَّمانِ

خَبَّأَهَا فِي قَبْرِهِ

ساقِي «مِنَا»

لَوْ أَنَّ الْفَرْخَ حَنَّا الْقَدَحَ

سِرُّ السُّرُورِ صَفْوُ الْحَيَاةِ

قُتِلَ الْمُنَى

كليوباترا : قِصْرٌ ، ذِي سُلَالَةٍ الْيَوْمِ

تُنْتَهَى إِلَى عَقَائِلِ الْكُرُومِ

مُخْبِوَةٌ مِنْ عَهْدِ مِصْرَائِيمَ

قَدْ عُمِّرَتْ كَعُمُرِ النُّجُومِ

دِنَانُ مِصْرٍ لَا دِنَانُ الرُّومِ

القواد الروم [يدمدمون ويتهامسون] :

قائِد : قُولُوا يَا رُومَانِيُّونَا تَحْيَا رُومَا

آخر : تَحْيَا

ثالث : تَحْيَا

أُنْشِو [ضاحكا] . تَحْيَا الْخَمْرُ تَحْيَا السُّكْرُ

القواد : تَحْيَا رُومَا

جاعة من المصريين : تَحْيَا مِصْرُ

أنطونيو : أيها الشاذى أياس^١ بلغ السكر^٢ مداه^٣
 غننى شعر^٤ ملاكى غنى شعر^٥ الإله
 أنا لا أطرب^٦ حتى أسمع^٧ الحب^٨ الحياه^٩

أياس [مغنيا] :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحينا عن الحب غنى^{١٠}
 غننا فى الشوق أو غن^{١١} بنا نحن فى الحب حديث^{١٢} بعدنا

رجعت عن شجونا^{١٣} الریح^{١٤} الخنون^{١٥} وبعينينا بكى^{١٦} المزن^{١٧} الهتون^{١٨}
 وبعثنا من ثقات^{١٩} الشجون^{٢٠} فى حواشى الليل برقأ^{٢١} وسنى^{٢٢}

خبرى^{٢٣} يا كاس^{٢٤} واشهد^{٢٥} يا وتر^{٢٦} وارو^{٢٧} يا ليل^{٢٨} وحدث^{٢٩} ياسحر^{٣٠}
 هل جئنا من ربا^{٣١} الانس^{٣٢} السمر^{٣٣} ورشفنا من^{٣٤} دواليها^{٣٥} المنى^{٣٦}

الحياة^{٣٧} الحب^{٣٨} والحب^{٣٩} الحياه^{٤٠} هو من سرحتها^{٤١} سر^{٤٢} النواه^{٤٣}
 وعلى صخراتها^{٤٤} مرت^{٤٥} يداه^{٤٦} فحرت^{٤٧} ماء^{٤٨} وظللا^{٤٩} وجنى^{٥٠}

نحن شعر^{٥١} وأغانى^{٥٢} غدا بهوانا^{٥٣} راكب^{٥٤} اليد^{٥٥} حدا^{٥٦}

وبنا الملاح في اليم شدا وبكى الطير وغنى موهنا

من يكن في الحب ضحي بالكري أو بمسحوق من الدمع جرى
نحن قربنا له ملك الثرى ولقينا الموت فيه هينا

في الهوى لم نأل جهد المؤثر وذهبنا مثلاً في الأعصر
هو أعطى الحب تاجي قيصر لم لا أعطى الهوى تاجي منا

* * *

صوت : مرحى مرحى يحيا الفن

آخر : يحيا الشعر

ثالث : يحيا اللحن

[تقوم كليوباترا الى شرفة فيتبعها أنطونيوس]

قائد روماني [لزميل من زملائه هامساً] :

هلا نظرت إلى الأميرة ؟ إنها سكرى تغتر في خليع عذارها

آخر : وتأمل المفتون كيف جرى على آثارها وانجر في تيارها

آخر | لزملائه حيث يسمعه أوريوس وألبوس] :

وانظر إلى أوريوس في ترددده يأبى الحثاف معنا لمولده

ألبوس [ساخراً] :

أوريوس ملج يومه ملج غده فقي تضج الحرب من مهنده

ويشتهى الأبطال فضل سؤده قد راعني فناؤه في سيده

بنفسه وقومه ومولده يَغْلُو غُلُوَّ الكلب في تودده
يُقَيِّدُ الكلب وراء مرصده فيحرسُ الدارَ على مُقَيِّده
أوروس :
تلك الدُّعابةُ يا طيبُ ثَقِيلَةٌ لِحَذَارِ ثُمَّ حَذَارٍ مِنْ تَكَرَّارِهَا
لولا الوليَّةُ والشَّرابُ وَحُرْمَةُ لأميرة الوادي السعيد ودارها
لَنَزَعْتُ مِنْ أَقْصَى لَهَاتِكَ مُضْعَةً كَثُرَتْ عَلَى الْإِبْطَالِ فِي اسْتَهَارِهَا
أولبوس :
أوروس !

أوروس :
أولبوسُ صَهْ بَرِّحِ الْخَفَا ورأيتَ نَفْسَكَ فِي مَقَاضِعِ عَارِهَا
ماذا خَبَّاتَ مِنَ السُّمُومِ لِلْمَلِكَةِ غَفَلْتَ عَنِ الْأَفْعَى وَلَوْمْ جَوَّارِهَا ؟
إِلَّا تَكُنْ عَلِمْتَ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا جاسوسُ أَكْتافِيو على أسرارها
مازلتَ مِنْذُ وَفَدْتَ تُطْلَعُهُ عَلَى أخبارَ قيصِرٍ أو على أخبارِها
إنَّا رجالُ الحربِ ليس يفوتُنَا لحِطُّ الْعْيُونِ وَلَا خَفِيُّ حَوَّارِهَا

[أولبوس يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد روماني ويهيمس إليه] :

أَقْصِرْ أَخِي إِنْ الْجَمَاعَةَ عَرَبَدْتَ فَإِذَا لَجَجْتَ لَفَتَّ مِنْ أَنْظَارِهَا
إِسْلِمَ بِنَفْسِكَ فِي الظَّلامِ وَلَا تُثَرِّ رِيئاً أَخَافُ عَلَيْكَ غِيبَ مَثَارِهَا
إِنِّي لَاخِشَى الْكَأْسَ أَنْ تَجْرَى دَمًا فَتُصِيبَ شَيْئاً مِنْ رَشَاشِ عُقَارِهَا

أولبوس [لنفسه وهو ينسل إلى الخارج] :
أوروس! أنطونيوا حساً بكأغداً روما الأبيّة لم تتمّ عن ثارها
[يخرج]

أنطونيو [من أقصى البهو] :
أما للرقص هيلاً نةً في ليلتنا حصّة؟
ألا يجمع بين الكا س والنعمة والرقصه؟
فهذى فرصة الأنس وقد لا ترجع الفرصه
هيلانة : الراقصات يقمنا الراقصات يتبنا
ولا يدعن افتنانا ولا يقصّرن فنا
[تقوم الراقصات ، برقصة مصرية]

أنطونيو [قادماً] :
مرحى مرحى يحيا الفن
صوت : يحيا الرقص
آخر : يحيا الحسن
أنطونيو :

قد انتصف الليل أو فوق ذاك وأذننا بالمضى الدجى
ودون الخيام سرى ساعة وعند الصباح تدور الرحى
فهل تأذنين لنا يا ملاك فلا بد من سئة من كرى
ولست أقول ملاكى الوداع ولكن أقول إلى الملتقى
كليوباترا :
مكانك قيصراً لا تذهبن ولا تترج القصر أهلك أسي

أطلوبو :

ذريني أعيء للقتال كتائبى
ذريني أهيء للأحاديث فى غد
ذريني أزد تاجيك غار وقائى
ولست أخاف الدارين وإنما
وليس كين الحرب ما أنا هائب
ولكن كين الغدر فى ظلمة الصدر

[لأخيل] :

فيا قائد الأسطول هل من مكيدة
تدبرلى خلف الشراع وما أدرى؟
كلوباترا :

إمض إلى الهيحاء أن
إن الأسود فى البلد
طونيو كما يمشى الأسد
دونك فى هذا الزرد

إمض إلى المجد ولا
المجد لا يسأل عن
أنت لسروما فى غد
والشرق سلطانى الذى
باليث سر، يأنسر طر
يقعدك شغل فى البلد
صاحبة ولا ولد
وقيصرون بعد غد
إكليله لى انعقد
عذ ظافراً أو لا تعد

ستار

الفصل الثالث

« معبد في الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين »
« القسم الأصغر خارج المعبد ونهض فيه شجرة باسقة ، »
« والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر »
« أنوبيس وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حفاق »
« وقوارير؟ وهنا وهناك صرر وصناديق يشف بعضها عما »
« فيه من أفاع وحيات — باب خلفي يؤدي إلى المعبد »
« ونافذة جانبية تطل على الفضاء » .

[في حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجي نقيبته] :

يقولون أنوبيس	ولوع بأفاعيه
ومشغوف بشعبان	من الوادي يرييه
وفي ناديه حيات	من الجن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلم	كما ذقتُ فنوا فيه
ألا يا رب خداع	من الناس تُلاقيه

يَعِيبُ السَّمَّ فِي الْأَفْعَى وَكُلُّ السَّمِّ فِيهِ !
[يخرج من الباب الخلفي]

✧ ✧ ✧

[خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس]
أنطونيوس: أوروِسْ إِنِّي جَهِدْتُ مَشِيًّا وَمَسْنَى الضَّرِّ وَالْكَلالِ
فل بنا نَسْتَرَحُّ قَلِيلًا من قبل أن يَدَهُمَ الرِّجَالُ

[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى] :

أوروِسْ، ماذا دهاني؟	حتى نَسَيْتُ مَكَانِي
أَتَيْتُ مَا هَدَّ بِجَدِي	وَحَطَّ رَفْعَةَ شَانِي
جَلَّتْ نَفْسِي بَعَار	يَبْقَى بَقَاءَ الزَّمَانِ
لَمَّا كَمَلْتُ جَوَادِي	عَلَى الْفَرَارِ اِزْدِرَانِي
وَضَجَّ مَنَى سَيْفِي	وَضَجَّ مَنَى سِنَانِي
وَوَدَّتْ الْأَرْضُ تَحْتِي	لَوْ طَهَّرْتُ مِنْ عِيَانِي
أَنَا الَّذِي كَانَ أَمْضَى	مِنَ الْحَدِيدِ جَنْشَانِي
الْشَرْقُ يَدْرِي نَزَالِي	وَالْغَرْبُ يَدْرِي طَلْعَانِي
كَانَ الْمَلُوكُ عَيْيِدِي	فَصَرْتُ عَبْدَ الْحَسَانِ
وَلَسْتُ أَوَّلَ حُرٍّ	اِسْتَعْبَدْتَهُ الْغِسْوَانِي

[يسكت لحظة ثم يستمر] :

ولم أركألحرب استراح قتيلاً وأفضى إلى القيّد الأسير المُقيّد

ولكن شقّ الحرب والمُصطفى بها

إذا انقضّت الحرب الطريدُ المُشرّد

ولولا: اختلافُ الحرب بالناس لم يهن

عزيزٌ ولم ينزل على القيّد سيّد

أوروس :

وفارك قيصرٌ لا تجزعنّ وخلّ المقادير تجري المدي

تلّق الهزيمة ثبّت الجنان كما كنت تلقي الفتوح العُلا

فا أنت أوّل نجم أضاء ولا أنت آخر نجم خبا

وقد ينزل الشمس بعد الصعود وتَسقمُ بعد اعتدال الضحى

وياربّ غار عراه الجُفوف على هامةٍ قد علاها البلى

أمالك أنطونيوس أسوة بيوليوس قيصر أين انتهى؟

رأيتك والحرب تبلى الكُجاة فأشهدُ كنتَ إلهَ الوغى

وقد كان سيفك غولَ السيوف وكانت قناتك غولَ القنا

وكنتَ إذا الموتُ أفضى إليك تحدّيته فأنثى التّهمقري

وكان جنودك شرّ الجنود عليك وخيرهم للعدا

نحانت أساطيلُ أملتّها وجيشٌ عقدت عليه الرجا

وَحُطِّقَتْ فِي عَسْكَرٍ كَالنَّعَاجِ كَثِيرُ الثُّغَاءِ قَلِيلُ الْغَنَاءِ
مَنْ يَأْتِسُ مَاتَ قَبْلَ الْقِتَالِ وَمَنْ خَافَ فَرَّ قَبْلَ الْمَقَالِ
أَنْطُونِيو:

إِذْنٌ لَمْ أَكُنْ فِي الْوَعْيِ بِالْجَبَانِ وَلَا خُنْتُ أَوْرُوسَ عَهْدِ الْهَوَى؟
وَتَشْهَدُ أَنِّي أَنْطُونِيوسُ وَأَنْيَ ابْنُ رُومَا وَأَنْيَ الْفَتَى؟
فَإِنْ عَشْتُ عَشْتُ نَقَى الْجَبِينِ وَإِنْ مِتُّ مِتُّ كَرِيمِ الثَّنَا
[يَرَى أَنْطُونِيوُ شَبَحًا فَيَسْأَلُ أَوْرُوسَ مَبْهُوتًا]
أَنْطُونِيو: أَوْرُوسُ!

أَوْرُوس: مَوْلَايَ
أَنْطُونِيو: تَأْمَلُ مِنْ تَرَى؟
أَوْرُوس: هَذَا أَوْلَبُوسُ وَقَدْ حَثَّ الْخَطَا
أَنْطُونِيو: تَرَى إِلَى أَيْنَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَنِي؟
أَوْرُوس: هَا هُوَ سَارَ نَحُونَا هَا قَدْ دَنَا
[يَظْهَرُ أَوْلَبُوسُ]

أَوْلَبُوس: تَحِيَّةٌ قَبِصْرُ
أَنْطُونِيو: بَلْ أَنْطُونِيوُ لَا غَيْرَ بَلْ قُلُ الشَّرِيدِ الْمُقْتَنَى
لَا تَخْذَعُونِي قَادِرٌ أَوْ عَاجِزٌ كُنْ غُرُورًا بِالْوَلَايَاتِ كُنْ
أَوْلَبُوس: مَوْلَايَ
أَنْطُونِيو:

لَسْتُ الْيَوْمَ مَوْلَى أَحَدٍ أَكْثَافِيوُ السَّيِّدِ وَالْعَبْدُ أَنَا

مررت بالقصر فكيف نأسه؟ هل عن كليوباترا أولبوس نبا؟
 صرَّح ابن: قل غدرت، قل جدت قل جدت
 قد صنعت بي عند حاجة الوغى بقيصر الثالث دولة الهوى
 أسطولها إلى مراسيمه أوى ما لم يكن يصنعه بى العدا
 أولبوس: مولاي أعفنى وجيشها ألقى السلاح ونجا

أنطونيو: تكلم لا تخف إنى أرى عليك روعة الأسى
 أولبوس:

مولاي مهلا فى الظنون واتشد إن من الظن اتهاماً وأذى
 أنت على مالك من مروءة رميت بالغدر أحب من وفى
 أنطونيو: ماذا تقول؟

أولبوس: كيلوباترا انتحرت بطعنة الخنجر فى صدر الضحى
 أنطونيو:

يا للسماء! انتحرت! أين؟ أين؟ ولم؟ وكيف كان ذلك؟ ومتى؟
 أولبوس:

مررت بالقصر ضحى اليوم فلم أجد له نظماً ولا حسناً يرى
 بدا لعينى خلاء موحشا غير عويل ها هنا، وها هنا
 أنطونيو:

انتحرت! يا للخبر! ويا لقسوة القدر!

لَبِثَ الْأُمُورَ اتَّقَلْتُ مِنْ خَطَرٍ إِلَى خَطَرٍ
مَا غَدَرْتُ وَإِنَّمَا أَنَا الَّذِي بِهَا غَدَرُ
وَاخْتَجَلْتُ مِنْ قَوْلِهِمِ اتَّحَرْتُ وَمَا اتَّحَرْتُ
إِذْ هَبْتُ أَوْلَبُوسُ وَدَعْنِي وَالْهَمُومَ وَالْكَدَرُ
مَا بِجَرَاحَاتِ الْقُلُوبِ بِاللَّاطِبَاءِ بَعْسَرُ
[يذهب أولبوس]
[لروما] :

روما حنّانك واغفري لفتاك	أواه منك وآه ما أقساك !
روما سلامٌ من طريد شارد	في الأرض وطنَ نفسه لهلاك
اليوم يلقى الموتَ لم يهتَفْ به	ناع ولا ضجّت عليه بواكي
إن الذي أعطاك سلطانَ الثرى	لم تنعمي لرُفاته بثرأك
إن الذي بالأمس زينتَ جبينه	بالغار عَقَّكُ جُهدَه وعصاك
يأربُّ تاج في جبينك زاهر	عطلتُ منه مفارقَ الأملاك
الأمهاتُ قلوبهنَّ رقيقة	ما بالُ قلبك لم يكن لفتاك !
أعرضت غصبي في الحياة فرحة	لا تحرميني في الممات رضاك
إن كان موتى كلُّ ما تبغيه	فهنالك ! ها أنذا أموتُ ، هنالك !
يا أمُّ ، عذرك في اتهام بُسوتي	بادٍ وعذري في العقوق كذاك
لولا الجمالُ وقتنه من سحره	ما حلَّ في قلبي هوى لسواك

صفحاً كليوباترا فُرِبَتْ زَلَّةٌ قد كنت تغتفرين حين أراكِ
 لما لَقِيتُكَ في الجبال وعِزِّه قَهَرْتُ قُوَاي الظَّافِرَاتِ قُوكِ
 فنسيتُ في ناديك ذِكْرَ وَقَائِعِي وسَلَوْتُ أَيَّامِي بيوم لِفَاكِ
 سَجَدْتُ لِأَعْلَامِي الصَّوَارِمِ وَالْفَنَّا وَأَبَى مُهِنْدُ لِحَظِّكَ الْفَنَّا
 قَدْتُ الْجَحَافِلَ وَالْبَوَارِجَ قَادِرَاً مَالِي ضَعُفْتُ فَقَادِي جَفْنَاكِ ؟
 أَخْرَجْتُ أَمْرِي وَاخْتِيَارِي مِنْ يَدِي وَتَرَكْتَنِي نَفْساً بَغِيرَ مَلَاكِ
 خَلْتُ السَّلَامَةَ فِي نَوَاكِ فُذِّقْتُهَا فَإِذَا الْكُورَاتُ كُلُّهُنَّ نَوَاكِ
 عَادَيْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ وَأُضْرَمْتُ رُومَا عَلَى الْحَرْبِ مِنْ جَرَّاكِ
 وَشَرَدْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَجَدَّنِي طَلَبِي عِدَايَ بَغْرِهَا وَعِدَاكِ
 أَغْدُو عَلَى سَيْفِ الْعَدُوِّ وَنَارِهِ وَأَرْوِجُ بَيْنَ مَكَامِنَ وَشَبَاكِ
 وَتَلَسَّسْتُ نَفْسِي السِّيُوفُورَامِنِي فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ الْكَمِيُّ الشَّاكِي
 كَانَتْ حَيَاتِي لِلرِّجَالِ أَلْيَةً وَالْيَوْمَ هُنْتُ فَأَقْسَمُوا بِهَلَاكِ
 وَلَقَدْ ذَهَبْتُ مِنَ الظُّنُونِ مَذَاهِبَاً فَذَمَّمْتُ عَهْدَكَ وَأَتَّهَمْتُ وَفَاكِ
 حَتَّى إِذَا حُمِّ الْقَضَاءُ وَرَاعَنِي عَطَلُ الْمُقَاصِرِ مِنْ بَهَاءِ حُلَاكِ
 صَحَّيْتُ بِالْدُنْيَا وَقُلْتُ رَخِيصَةً وَبَذَلْتُ أَيَّامِي وَقُلْتُ فِدَاكِ

أماناً إله الحرب ما أنت صانعٌ
 بهذا الحطام المُستباح المُبعر؟
 لقد ذلَّ من بعد امتناع كأنه
 بقية نُصل أو رفاتُ غَضنفر
 صدعت أكاليلي وحطمت صارمي
 وجردتني من أرجواني المظفر
 ولم تألني هدماً وكنت بئيتني
 بناء الصنّاع القادر المُتجرّب
 ملأت سبيلي بالهوى وصروفه
 ومن يمش في أرض الهوى يتعرّ
 تنكرت حتى اخترت لي معول الهوى
 فليتك لم تغضب ولم تتخير
 أروس غلامي ، إن في النفس حاجة
 أروس:

وعندي أقصى طاعة العبد فأمر

أفلوني:

أروس أرى الدنيا بعيني أظلمت
 وكانت قديماً كالصباح المنور
 وضائق بي الأرض الفضاء فكلها
 سبيل طريد ضائع الدّم مهدر
 غويت وأوقى بي على الحفرة الهوى
 نفثت، ومن يركب شفا الجرف يذمر
 قشعريرة الخوف اعترتني ولم تكن
 إذا ما اقشعرت تحق الأرض تعترى
 ملئت من الأحداث رعباً فضمتني
 إليك وقرب من إذارك منزرى
 أرى الموت ممدود اليدين كمنقذ
 لمثل من غرق الحياة مسخر
 دعاني، ولو أني على النفس مشفق
 مددت إليه الكف لم أتأخر
 أروس، أرى الماضي يُطيفُ خياله
 وتعرض لي أحلامه في التذكر

ذَكَرْتُ بِرُومَا أَرْبُعِي وَمَلَايِي وَأَيْنَ ضِفَافُ النِّيلِ مِنْ شَطِّ تَيْبَرٍ؟
وَأَيَّامَ يَدْعُونِي الْهَوَى فَأُجِيبُهُ وَيَنْفِخُ فِي الْبُوقِ الْمُنَادَى فَأَنْبِرِي
فَقَتْتُ الْغَوَايَ بُرْهَةً وَفَتَنِي وَلَكِنِّي عَنْ سُودَدٍ لَمْ أَقْصِرْ
فَهَمَّةٌ قَلْبِي فِي شَرَابٍ وَصَبُوءٍ وَهَمَّةٌ نَفْسِي فِي عِلَاءٍ وَمَفْخَرِ
أَرُوسُ تَوَاقَفْنَا عَلَى كُلِّ غَمْرَةٍ وَكُلِّ مَجَالٍ ثَائِرِ النَّقْعِ أَكْثَرِ
وَفِي مِرْجَلِ الْفَاتِحِينَ وَعُرِّسَهُمْ وَتَحْتَ لَوَاءٍ أَوْ عَلَى عُودِ مَنْبَرِ
فَالَتْ بَنَا الدُّنْيَا فَصَرْنَا بِمَوْقِفِ شَدِيدٍ عَلَى الْإِبْطَالِ بِالذِّلِّ مُشْعَرِ
نَرَى الْأَرْضَ فِيهِ وَالسَّمَاءَ تَنَاهَتَا إِلَى فَلَكَ نَحْسِ الْجِهَاتِ مُسَمَّرِ
فَكَيْفَ مُقَامِي يَا أَرُوسُ عَلَى الْأَذَى وَصَبْرِي عَلَى الْعَيْشِ الذَّلِيلِ الْمَكْدَرِ

أروس :

أَجَلٌ قِصْرُ اعْتَصْنَا مِنَ الْعِزِّ ذَلَّةً وَمِنْ حَلْيَةِ الْأَعْلَامِ عَطَلُ التَّنَكُّرِ
فُهْنًا كَأَقَاضِ الْحَصُونِ عَلَى الثَّرَى وَضِعْنَا عَلَيْهِ كَالْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ
نَهْمٌ كَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَطَالَمَا أَنْخَفْنَا سَبِيلَ الْعَاھِلِ الْمُتَكَبِّرِ
وَمَا نَزَلُ الْإِبْطَالِ إِلَّا رَحَى الْوَغَى إِذَا هِيَ دَارَتْ أَوْ رَوَّاقُ الْمُعْسَكِرِ

أنطونيو : فإذا ترى أوريوس ؟

أروس : رَأَيْكَ أَوَّلَ وَعِنْدَكَ تُرْجَى نَظْرَةُ الصَّدَقِ فَانْظُرْ

لقد عشتُ ظلاً لا أرى غير ما ترى ولا خير في الرأي التَّبَّيعُ الْمَسِيرُ
أطوبيو:

أروس، أنا الأعمى وأنت هي العصا فخذْ بزمام العاجز المتَّحِيرُ
أروس:

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس مَحْتَمُ القضاء المُقَدَّرُ
أطوبيو:

وماذا يقول العاجزون إذا ابتلوا؟

أروس: يقولون حُكْمُ اللَّهِ يا نفسُ فاصبري
أطوبيو:

أروس، يقومُ العائرون وقلبا يُقالُ عِشارُ الكوكبِ المتَّغَوَّرُ
أروس، ألم تفهم؟ هو الذلُّ فاشفني بضربةِ سَيْفٍ أو بقطعَةِ خَنْجَرٍ
فإنك حرٌّ إن فعلتَ وفائز بسيفي وأثوابي ودرعي ومِغْفَرِي
أروس:

معاذِ خِلالِ البرِّ مولاي! أعفني فليس يدي تَقْوَى ولا السيفُ يَحْتَرِي
وأنت الذي لوبيعُ بالروحِ وُدُّه ومالي سوى رُوحِي تقدَّمتُ اشترِي
لآلهةِ الرومان أشكوكَ قيصري ظَلَمْتَ فلم تُنصِفْ ولائِي وتَقْدُرُ
أجعلُ في الميزانِ حُبِّي وطاعتي وشَتَّى عِروضٍ من ثيابٍ وجَوْهر؟

لقد جادل بالسيف والدرع قيصر

[يطلع نفسه بمنجيره]

وجدتُ بأيام الحياة لقيصر

أنطونيو :

أوروسُ عفواً قد ذهبت ضحيةٌ وجئني عليك ترددي المقوتُ
فعلبتُ مني كيف يجبنُ قيصرُ وعلبتُ منك العبدُ كيف يموتُ

[يطلع أنطونيو نفسه فيخر على الأرض جريحاً]

[ينتقل المشهد إلى داخل المبد حيث يدخل أنوبس إلى حجرته ويناجي أفاعيه]

أنوبس :

هلمَّ لكنَّ بنات التلال وجنَّ الخرائب من صالحجرُ
تبدَّل من حولكنَّ المسكانُ وأين القفارُ وأين الحجرُ
يدُ العلم وهي حديديةٌ حوتكن من جنبات الحفرُ
وجاءت بكنَّ إلى حُجرتي أسارى القوارير رهنَ الصرِّ
أرابني الناس في أمركنَّ وصرتُ حديثهم والسمرُ
وقيل أنوبس حاور تسيلُ إليه الأفاعي إذا ما صفرَ
وما فتني بجلودٍ لكنَّ مرقَّسةٍ كإهاب النمرِ
ولا يهاكل مثل العصي من اللحم لا من فروع الشجرِ
ولا برءوس كدقِّ الحصارِ ولا بعيون كوقد الشرِّ

ولكن أزاوُل علم السموم وعلم السموم جليلُ الخطر
لقد كان لى فى معاناته تجاريبُ أنفقتُ فيها العمرُ
إلى أن نجحتُ ، نعم قد نجحتُ وعاقبة الصابرين الظفرُ
فكم قد شفيتُ بطبي اللدبِـسُـغَ وأيقظتُ من نزعِهِ المحتَضِرُ
فقيلَ إلهُ أعاد الحياةَ إلى الميت أو خدُنُ جنٌّ سحرُ
صنعتُ من السم ترياقه وقد يَخْتَنِي النفعُ تحت الضرر
وأُننَّ والناسُ قد تلتقون فميكُنُّ شرُّه فى الناس شرُ
[يدخل حاجى خلصة]

أنويس [مستراً] :

وتقتلن عُمى عيونِ السلاح ويقتلُ قاتلهم عن بصر
لسانُ ابن آدم أو نابكُنْ كلا السائلين لعابُ القدر
حاجى : سلامُ أبت

أنويس: حاجى ؟ سلامٌ لك يا حاجى
حاجى : أمشغولُ أبى اليومَ بذات القرن والناب
وأفطونيوس مهزومٌ وأكتافيو على الباب ؟
أنويس [باستخفاف وهو يشير إلى أنفى] :

حاجى ، تقهقر ناحية تلك الخبيثة داهية
[يقهقر حاجى قليلا بينما يلهو الكاهن أنويس بالحفاق والقوارير]

تلك القوارير وذى الحقائق غوث إلى مستنجد يساق
لكل سم عندها ترياق

حاجي : أبتي ، من للرعيّة من لأوطاني الشقية ؟
خلّ حياتك في الأسفاط واشعر بالرزية
بعد حين تملاّ الوا دى الأفاعى البشرية
أبتي نحن من اليو م عيب القيصريه
أذن أذنك على قد سها من أذنيه
واسمع البوق تجد من أحرف الرق دويه
أنويس : حاجي ، تقبل هذه القنينة واقبض عليها بيد ضنينة
فإنها ذخيرة ثمينة !

حاجي [لنفسه] :

يا للسماء لأبي ! نراه يستبرئ بي ؟
ويج له ، عساه ج ن أو لعله نبي
أوحث له السماء عد سم غيها المحجّ ،
يعلّم من يلدغ من رقطاع أو من عقرب
لأحملن حقه مثل تيممة الصبي
يا لك شيخاً طيباً يأتي بكل طيب !

[مخاطباً أنويس الكاهن] :

ربيعَ الحمى أبى فكيه	ف للحمى لم تغضب ؟
دع الأفاعى واشتغل	بالأنعوان الأجنب
الوطن الملدوغ أو	لى اليوم بالمطبب
أنويس : وأين كنت يا فتى	وأين فتیان الحمى ؟
وأين فُرسانُ المَقَا	ل هل مضوا إلى الوغى ؟
أدرتم وجوهكم	ساعة دارت الرعى
تركتم أنطونيو	س وحده يلقى العدا
من أجلكم سلّ الحسا	م وإلى الحرب مشى
ما كان ضرركم لو الـ	تفقتم على اللوا ؟
أبعد أن حلّ على الـ	يل وواديه القضا
ولم يجد من شبيهه	ولا شبيهه فدا
أتيت تدعوني كما	تدعو العجائز السما
الرأى ليس نافعا	إذا أوانه مضى

[يدخل جند من حرس الملكة] :

الجندي : مولاي ، ذاتُ الجلالة

أنويس : الملكة الآن عندي ؟

[تدخل كليوباترا فى حاشيتها]

كليوباترا: تحية يا أبت

أنويس: سيدي في حجرتي
مري بما شئت يكن وإن تحدي قدرتي
كليوباترا:

أبي، أعلمت أن الجيش ولّ وأن بوارجي أبت المضيا
أنويس: علمت وكان ذلك في حسابي
وذا حاجي به أفضى إليا

كليوباترا:

وهل نبأك عن أنطونيوس وكيف جرت هزيمته عليا
وما أدرى أردوه قتيلا صباح اليوم أو أخذوه حيا؟
أبي ذهب الحليف فكن حليفي فقد أصبحت لأجد الوليا
أبي خفت الحوادث

أنويس: لا تراعي لباة النيل ليس تخاف شيئا

كليوباترا:

أبي لا العزل خفت ولا المنايا ولكن أن يسروا بي سينا
أيوطلا بالناسم تاج مصر وثمت شعرة في مفرقيا؟

أنويس [باستغفاف] :

لثأت المقاديرُ أو فلتَنَرُ تعالى كلوبترا ألقى النظرُ

كليوباترا :

أفأع؟ أبى، سَنَحْها، أخفها؟ أعودُ يازيسَ من كلِّ شرِّ
فماذا تريدُ يا حراهنَّ وهل يفتنى عاقلٌ ما يضُرُّ؟

أنويس :

أتيتُ بهنَّ لدرسِ السُّمومِ ولم أخلُ في عليها من نظر
أداوى بها أو بترياقها محب الحياة أو المنتحر

كليوباترا [كأنما تحدث نفسها] :

محب الحياة أو المنتحر !

كنى أيها الشيخُ ابلهاتِ زِدْ فما بى خوفٌ ولا بى خورُ
وإن تُكُ بى خشيةً فى النساءِ فلى جُرأةُ الملكاتِ الكُبر
تكلِّمُ فليست سمومُ الأراقِ ——— فى الخُبثِ دونِ سمومِ البشرِ
فيا ربِّ صَفِّوْ سَقِيْتُ الرجالَ فلما تَرَوُوا سَقَوْنى الكدر

أنويس :

قصَّارُ وهنَّ سهامُ المَنونِ وليس يعيب السهامَ القَصَرُ
بمَسُّ الفريسةِ مَسَّ السنانِ وتمضى مضاءَ الحسامِ الذَّرُ
وكلُّ الذى لمَسَتْ مَقَتْلُهُ ولو أنشبت نابهًا فى ظُفْرِ
إذا جَرَحَتْ لم تَقُمْ عن دم كذلك يجرُّحُ سَهْمُ القدر

وما تُثْهَى لَا يُحْسُ الْمُنُونُ كَمَنْ مَاتَ فِي النَّوْمِ لَا يُحْتَضَرُ
كليوباترا [مرددة قوله في صوت خافت] :

وما تُثْهَى لَا يُحْسُ الْمُنُونُ كَمَنْ مَاتَ فِي النَّوْمِ لَا يُحْتَضَرُ
ولكن أبنى هل يُصَانُ الْجَمَالُ ؟

أنوبيس : نعم لَا يَحُولُ وَلَا يَنْدُرُ
كليوباترا : وهل يَطْفَأُ اللَّوْنُ ؟

أنوبيس : لَا بَلْ يُضَيُّ
كليوباترا : كما رَفَّ بَعْدَ الْغُطَافِ الزَّهَرِ
وهل يُبْطِلُ الْمَوْتُ سِحْرَ الْجُفُونِ وَيُبْلِي الْفُتُورَ وَيُفْنِي الْحَوَرِ
أنوبيس :

كعهد العيون بَطِيفِ الْكَرَى إِذَا الْجَفْنُ نَامَ بِهِ فَانْكَسَرَ
كليوباترا : أبنى ، وَالشِّفَاهُ ؟

أنوبيس : لَوَاقِي الدُّبُولِ كَمَا احْتَضَرَ الْأَقْحُوَانُ النَّصْرَ
وما الموت أَقْسَى عَلَيْهَا فَمَا وَلَا قُبْلَةَ مَنْ عَوَادَى الْكِبَرِ
كليوباترا : وما عَصْنَةُ النَّابِ ؟

أنوبيس : وَخَزْهُ أَخْفُ وَأَهْوَنُ مِنْ وَخَزَاتِ الْإِبْرِ
كليوباترا : وما شَبَّحَ الْمَوْتَ ؟
أنوبيس : مَاذَا أَقُولُ ؟

كليوباترا: تُثَلِّهُ لِي كَأَن قَدْ حَضَرَ
أنويس: :

زَعَمْتَ ابْتَقِ الْمَوْتَ شَخْصاً يُحْسُ وَعَظَّمْتَ مِنْ خَطْبِهِ مَا صَغُرُ
وما هو إلا انطفاء الحياة وَعَصَفُ الرَّدَى بِسَرَّاجِ الْعُمُرِ
وليس له صورةٌ في العيون عَلَى قُبْحِ صُورَتِهِ فِي الْفِكْرِ
إذا جاء كان بَغِيضَ الْوُجُوهِ وَإِنْ جِئَ كَانَ حَيِيبَ الصُّوَرِ
كليوباترا: :

إِذَنْ هَذِهِ الرُّقْطُ فِي ذِمَّتِي فَصْنُهَا وَأَحْسَنُ عَلَيْهَا السَّهَرِ
وَأَقْسَمُ لَتَأْتِ إِلَيَّ هُنَّ وَلَوْ أَنَّ دُونِي الظُّلُمَاتُ وَالسُّمُورُ
أنويس: :

يَمِيناً يَا بَرِيصَ أَحْمَلْنِ إِلَيْكَ وَلَوْ فِي سَلَالِ الْخُضَرِ
إذا بات في خطر تاجٍ مَصْرَرٍ سَبَقَتْ إِلَيْكَ هُنَّ الْخَطَرُ
كليوباترا: :

أَتَجْعَلُ لِي يَا أَبِي آيَةً أَمِيرُ الرُّسُولِ بِهَا إِنْ حَضَرَ؟
أنويس: :

هُوَ التَّيْنُ أَبْعَثْ جَابِي بِهِ وَبِالرُّقْطِ: بَيْنَ غَضُونِ الثُّمَرِ

ابْنَتِي ذَلِكَ عَمْرَا * * *
وَاسْكُبِي الدَّمْعَ عَنِّي أَنْ بِي ادْخُلِيهِ لِلصَّلَاةِ
هُوَ ذُو الْمُلْكِ الَّذِي يَبِ يَقْبَلُ الدَّمْعَ إِلَاهِ
بَقِي وَيَفْنِي مَا سِوَاهِ

[خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية]

الجندي الأول : تحيا روما تحيا قيصر

الجندي الثاني : روما العظمى أبداً تنصر

الجندي الثالث : ما ذاك ؟ ما فوق الطريق ؟ ما أرى ؟

حيلاً رفيقاً معي لنظرنا

الأول : هناك مقتولان ضرجا الثرى

الثاني : نعم أرى ثم دما وخنجرنا

وهيكلين من حياة أقصرا

الثالث : جبتار يا مصرف الحروب بارك لنا في هذه الجيوب
وابعث لنا بالذهب المحبوب

الأول : يا عجبا الأقدار أنطونيوس ؟

الثاني : أنطونيوس ! أجل وذا أوريوس !

وأحسب السيد مات بيده ثم هذا العبد مثال سيده
لهني على أنطونيوس في مرقده

[يئن انطونيوس ثم يحرك رأسه ويبين الجنود]

أنطونيوس :

ويحي أحى أنا جريح ؟ ماذا يريد القضاء ماذا

جنود أكتاف أدركوني يا ليتني مت قبل هذا

جندى :

لا بل جنودك لكن خانوك حُبا لروما
آخر : وما نُسُوك عليهم تحت اللواء زعيا
ترى بهم مَطْلَعُ الشمس أو تَوُمُ النجوم
أنطونيو: يا جنودى رصمى ابى ليس ذا وقت العتاب
اتركونى وعذابى

[ينسى عله]

جندى : لَهَى عليه داه الإغماء وأوشكت تَزْفُهُ الدماء
وليس إسعاف وليس ماء

آخر : هَلُمَّا ائمالا هَلُمَّا احملا وجيئا بمولا كما الهيكلا
وأمضى فَأُبْلَغُ أَكْتافيو الحديث أعرْفُهُ المنزلا

[فى حجرة الكاهن - كليوباترا والكاهن والحاشية عائدتين من المحراب]

كليوباترا: أبى دخلت ونفسى حَيْرَى الزَّمام حزينه
وقد تركتُ المصلّى ومِلُّ قَلْبى سَكِينه
إن الصَّلَاةَ على شِدَّةِ الزَّمان مُعِينه

[يسمع صوت الجند من الخارج]

كليوباترا: ما تسمعون أصيخوا شرٌّ وهذا بَرِيدُه
كان الضجيجُ بعيداً والآن يدنو بعيدُه

حابي : أسمعتم! ضجةٌ صاخبةٌ وجريخٌ وجُنودٌ في الطريقِ
ها هم قد دخلوا الدار به

أنوبيس : دارنا الشاطئ لا يأبى الغريق
حابي : ها هم قد حضروا

أنوبيس : يا مرحباً أعدوا! كأن أم كان الصديق
[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :
وسخ عيني ماذا ترى؟ ومن المح مول كالسيف في الأكف خضيباً؟
أيها الجنود ما بأيديكم اليوم م ؟
جندي : جريخ على الطريق أصيبا
كليوباترا :
أقدرون من حملتم ؟

جندي : حملنا هيكلاً عزاً في الرجال ضريباً
قد عرفناه خيراً من هز رُمحاً ونضاً صارماً ولاقى الحروباً
[تأمل كليوباترا في وجه الجريح]
كليوباترا :

آه أنطونيوس حبيبي أدركوني بطبيب
ما ترون الأرض تروى من دم الليث الصيب
أبقى ، أين قوى طببك والسحر العجيب

هو في إغماء الجرح فنهبط بطيب
هو ذا يفتح عينيه ويصفي لنحيبي
أنويس [محاولاً لسعاف الجريح] :

تلك أنفاسه توالى وهذا جسمه لا يزال عضاً رطيباً
هو ذا قد تخلصت شفتاه وتبيها لسانه ليثوباً
أيها الملكة ارفقي بجريح بات نعت الرداء جرحاً صيباً
لا تناديه بالدموع مرارا ربما ضرّ جرحه أن يجيباً
أنطونيو :

كلبترا ! عجب ! أنت هنا لم تموتى .. هم إذن قد كذبون
كليوباترا :

سيدي روحى حياق قيصرى أنت حتى ؟
أنطونيو : بعد حين لا أكون

كليوباترا :

من نعانى كذباً ! من قالها لك !

أنطونيو : أولبوس النذل الخئون

مرّ فاستوقفته أسأله قال مانت فتجرّعت المئون

كليوباترا زودنى قبلة من ثناياك العذاب الشبات
وأضئى بسناها مقلة يسدل الموت عليها الظلمات

سيقولُ الناسُ عني في غدٍ من أولى الرحمة أو أهل الشَّاتِ:
بطلٌ لم تظفر الحربُ به في الهوى تحت لواء الحب مات

[يسم الروح]

كليوباترا :

قد تَدَّاعَى عِوَضُ الأَرْضِ ض وميزانُ الشعوبِ
مال كالشمس جمالاً وَجَلالاً في الغروبِ
أيها المجروحُ لو تد رى جُروحى وَندوبِ
أيها الذاهبُ قد آ ن عن الدنيا ذهبِ
أيها الخالصُ ودّاً ليس ودّي بالمشوبِ
أيها الصادق وعداً ليس وعدى بالكذبِ
عن قريب ينطوى القبر رُ علينا عن قريبِ
كَلِّوهُ بالرياحين وبالغار الرطيبِ
واهتفوا في أذنيه بأناشيد الحروبِ

* * *

واحبيباه، جاءه الموت فاستسلم لا يستطيع إلا ذهباً
كان ماخفتُ أن يكون وحلَّت نكبة لم تفاجئ المنكوباً
[أتوى فائمة]

أيها الجندُ مات قيصرُ فابكوا معي السيدَ الجسورَ الوهوباً
شَبَّكُوا ساعديهم فوق صدر كان في الرُّوعِ بالمتنايا رحباً

واعرضوا سيفه على راحتيه واركزوا الرمح من يديه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جندروما ودعوني وسيف رومما السليبا
أنا وحدي له ديارٌ وأهلٌ إن دعا داره ونادى النسيبا
[ينسحب الجنود]

ويح لي قد طلبت عند طباع الناس ما عزّ عندهم مطلوبوا
نخلق الناس للقوى المزايا وتجنّوا على الضعيف الذنوبا
واحتفوا في الحياة والموت بالغا لب فانظر هل عظموا مغلوبا
شيّعوا الشاة جيفة بدهم واتقوا وهو في الرمام الدنيا
أنويس: الوقار الوقار يا لباة النيل ولا تجعل الرئير النحيبا
وقفي للخطوب في عزّة الملك وفي كبره تذلل الخطوبوا
[يدخل جندي من جنود أكتافوس]

الجندي: قيصر أكتافوس آتٍ يعود أنطونيوس قيصر
كليوباترا: قيصر! فرّ الأسير منه من في حمى الموت ليس يؤسر
[يدخل أكتافوس ومعه جنود]

أكتافوس:

سلامٌ ملكة الوادي سلامٌ كاهن الملك
يقول الناس أنطونيوس هنا لم يبتعد عنك
كليوباترا: نعم لم تفترق بعد وإن أمن في تركي

وهذا الجسد الفاني جَلَاءُ الرِّيب والشك
أكتافيوس :

إذن قد قُضِيَ الأمرُ وصار الليثُ للهالكِ
كليوباترة لا تَخْشَى فلن آخِذَه مِنكَ !
كليوباترا : أبى تهزأُ أم باليئسْت أم بالموقف الضنك
إن اسطَعْتَ على مالك من بطش ومن فتك
وما حَوْلَكَ من خيل وما تَحْتِكَ من فُلك
نُحْذِه من يد الموت ومن عاجزةٍ تبكي !

[يدنو جندي من جنود اكتافيوس ليتحقق موت أنطونيوس]

كليوباترا :

مَكَانَكَ يا عبدٌ لا تَهْتِكَنَّ على سيد الهالكين القُبَاع
تُرِيدُ لتكشفَ عنه الغطاءَ عسى تحته حيلةٌ أو خداع
عَبَّثْتُ به وهو تحت الطَّيْلِ لَسْ مُلِقَ السلاح قَلِيلُ الدِّفاع
ولم تَحْتَشُمْ بَقْعاً من دمٍ عليهنَّ تُحْسِدُ مَصْرَ البَقَاع
رُؤْيَدَكَ ، ما الموتُ مُسْتَبَعْدٌ ولا هو مُسْتَعْرَبٌ من شجاع
وإن التماوتَ فمَلُ الثعالِبُ ليس التماوتُ فَعَلَ السباع

أكتافيو :

أَنَاكَ سيدتي إنه قى طاهرُ القلبِ حُرُّ الطباع

أراد ليحتاط لي بجهده ويخلص في خدمتي ما استطاع
 تسح أها الجند ما أنت والميـسـت الأيقرب الشمس للأشعاع
 أتأذن سيدتي أن أطيـف بـخـدن الصدام رفيق الصراع؟
 ومن كنت تحت القنا ظله ومن كان ظلّي تحت الشراع
 وكنا نشيـد لروما الفخار ونجني لها الغار من كل قاع
 ونأني القلاع فنحتلها وإن بعدت كالنجوم القلاع
 ونركـز في السهل أرمـاح روما ونطلع أعلامها في اليفاع؟
 يا ذنك؟

كليوباترا:

قيصر لا إذن لي أيني ويأمر من لا يطاع؟
 تصرف بجمانه كيف شئت فليس له اليوم منك امتناع
 وما جنة الليث إلا لقي إذا الثاب طاحت أو الظفر ضاع
 [يتقدم أكتافيوس ويرفع القناع عن وجه أنطونيوس]
 أكتافيوس:

لقد حسم الموت ما بيننا وغصّ اللجاج وفصّ النزاع
 فنحى اليوم بل واجب على أقدس أن يضاع
 أقبل ما قبل الغار منك وأهتف: أنطونيوس الوداع

ستار

الفصل الرابع

« في القصر الملكي ، في غرفة العرش ، غرفة مظلة على »
« البحر . كليوباترا متكئة على حافة الشرفة ، شرميون »
« وهيلانة في أقصى الحجرة تنهر من عينيها الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

نام دمركو ، ولم أتم	وتفردت بالألم
ليت جرحي كجرحه	ليق الموت فالتأم
قاتل الله ماضياً	قتل المفرد العلم
أنطوان أنقض الكرى	ساعة وانقل القدم
قم كأس اغثم الهوى	واشرب الراح بالنعم
وتخير على المنى	وتمتع من النعم
واغمر الأرض بالقنا	وتغلب على الأمم
وقد الخيل في الوها	د ووثباً إلى القمم
أيها العين أبصرى	إنما كنت في حلم

[ملفنة إلى شرميون] :

يا شرميون بلغنا موقفاً حرجاً لا الرأي ينفعنا فيه ولا البأس
لم يبقَ نَقَبُ رجاء كنت ألمحه إلا تعرض حتى ساء اليأس

[تلقى نظرة على الاسكندرية من العرفة]

نجمى يُحدثنى بوشك أفوله إسكندرية ، هل أقولُ ذاعا ؟
وشئتُ بركِ جدولاً ونخيلة وكسوتُ بحركِ عُدَّةَ وشراعا
وأنا اللَّبَاءُ وقد ملأتك غابة وأنا المِهْأَةُ وقد ملأتك قاعا
قد خفتُ من بعدى عليك مالمكا يُطلّقن فيك الفاتحين سباعا
يأتين زرعك بالرياح عواصفا ويجهنّ ضرعك بالذئاب جيعا
فإذا الحضارة بعد طول بنائها قد دكَّ ركنُ بنائها وتداعى
شرميون :

يا يزيسَ سيدتى بالولاء بطول التعاشُر والمصطحب
بمالى يبابك من خدمة ومن صحبة تُشبهان النسب
على أى وجهٍ أدركت المصير وقلّبت رأيك فى المنقلب ؟
فهذا السكون يُثيرُ الشكوك وهذا الهدوء يثيرُ الريب
وماذا اعترمت ؟ وماذا كتمت ؟ أبيتى فما بيننا من حُجب
ولى فى حياتك رأى يُساق وليس علىّ إذا لم يصب

كليوباترا :

إذن فاذا كرى أن خصمى العتيد يخاف انتحارى ويخشى الحرب
وليس الذى يشتهى لى الحياة ولكن له فى حياتى أرب
له فى غد موكب الفاتحين إذا أقبلوا فى جلال الغلب
يَجْرُونَ فى رومة الأرجوان وقد برزت فى الثياب، أُنْقِشَ
وتزدان بالغار هاماتهم إذا ارتفعت فى الخيس اللجب
يُحَاوِلُ قيصِرُ منى المحال وينهب فى غير وجه الطلب
يريدُ ليعرضنى فى غد على شعب روما كَأَنى سَلَب
ويفضح مصر وسلطانها وتاج العصور وعرش الحقب
لقد ساء تديرُ أكتافىوس ولم يَلَقَ من تُخدعتى ما أحب
[تسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسنُ قادم

أجلُ ديبُ حارس أو خادم

هيلانة :

كليوباترا :

بل حارسُ جلف من حرس القصر
مُعربدُ الخطو من نشوة النصر
لا تسعُ الأرض رجليه من كبر

شرميون :

ملكتي دعي هذه الفكر

جند رومة يعبد البد

في سبيلها يركب الغر

كليوباترا :

شرميون صة إنه حضر

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراء الجندي؟

الحارس : رسالة من عبد

هل تأذنين ؟

أد

الملكة :

الحارس : أيها الملكة قد جا إلى القصر غلام

في ثياب الحقل خلو الشكل بمشوق القوام

جادل الحراس في حذ في ورفق بالكلام

يدعي أن أباه كان عبدا للقام

ناله بستان تين من أياديك الجسام

فهو يهدي لك باكو رته في كل عام

الملكة [هامة] :

شرميون ذاك جاني وجناه في يمينه

جاء في الميقات يهْدِي لِي بِاكورةَ تينِه
[للحارس]

ألا تَقْبَلُ يا حار س مني هذه البَدْرَه ؟
الحارس : بشكران وهيات على الشكران لي قُدْرَه
الملسكه : والآن لو تُحْضِرُ لي الفلاحا لعله يُحَدِّث لي انشراحا
إني نسيْتُ البَسْطَ والمزاحا
الحارس :

على السمع والطاعة سأتيك به الساعه
[يخرج الحارس]

الملسكه :

يا شرميونُ تعلّمي الدنيا ويا هيلانةُ اختبري الزمانَ القاسي
إن التي حُرِسَتْ بأبطال الوغى باتت تُصانَعُ سَفَلَةُ الحراس
[يدخل حابي في ثياب فلاح ومعه الحارس]

هيلانة [همسا] :

حابي ، نعم حابي وتلك نظرته وهذه مشيئته وخطرته

يا ليت شعري ما تكون سَلْتُهُ ؟

حابي : نحيّةٌ للبالكة وبعّةٌ وبركةٌ
ونفسٌ عبيدها لها وكلُّ ما قد ملكه
سيدتي جئت إلى بحرك أهدى سمكه

أَحْلُ تَيْنَا وَلَوْ اسططعتُ حملتُ بملكه

حاجي : سيدتي

الملكة:

أُدرُ فَإِنَّهُ ابْتَعَدَ وَقُلْ فَمَا يَسْمَعُ غَيْرَنَا أَحَدُ

حاجي : سيدتي

الملكة:

حاجي ، أَنُويسُ اجْتَهَدَ لَنَا وَأَنْجَزَ الْغَدَاةَ مَا وَعَدَ

يُرِيدُ أَنْ يَشْفِيَنِي بِمَا أَجِدُ وَأَنْ يَبْقَى بملكتي عَارَ الْأَبَدِ

جئتُ كما يَأْتِي لَوَقْتُهُ الْمَدَدِ

وَقِيَّتْ لِي حَاجِي وَلَمْ تَكُنْ تَنِي ضَعِ السَّلَالَ وَأَنْصَرِفْ لَابِلْ قَفِ

حتى ترى كيف يَكُونُ مَوْقِفِي

[تلقى نظرة على السلال]

مَا لِي مُلِئْتُ مِنَ الْمَنِيَّةِ رَهْبَةً إِنَّ الْمَنِيَّةَ فِي رِقَابِ النَّاسِ

أَسَى الْجَرَاحِ جَزَعْتُ عَنْدَ لِقَائِهِ وَالنَّفْسُ تَجْزَعُ مِنْ لِقَاءِ الْآسَى

إِنِّي طَوَيْتُ بِسَاطِ كُلِّ مُدَامَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرْبُ هَذِي الْكَاسِ

يَا خَادِمِي بَلْ ابْنِي تَلَطَّفَا فِي الْبَحْثِ حَتَّى تَأْتِيَا بِأَيَّاسِ

فَعَسَى يُغْنِيَنِي نَشِيدَ الْمَوْتِ أَوْ نَعْمَا أَجُودُ عَلَيْهِ بِالْأَنْفَاسِ

شرميون :

مَلَكْتِي نَادِي أَيَّاسَا إِنَّهُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ
هُوَ فِي الْمَقْصُورَةِ الْآخَرَى مَعَ الْبَاكِينَ يَبْكِي
فَكُرْهُ فَيْكَ وَلَا يَجْمَسُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْكَ

الملسكة :

يَا وَبَيْحَ صَحْبِي بَعْدَ طَوْلِ سُرُورِهِمْ قَعَدُوا إِلَى أَحْزَانِهِمْ يَبْكُونَا
جِيئِي بِهِمْ يَا شَرْمِيونُ لِيَنْظُرُوا جَلَدِي فِيهِدْ أَوْ بَعْضُ مَا يَجِدُونَا
[تخرج شرميون]

كليوباترا [تتحنن على زنبقة في أصيص] :

زَنْبَقَةٌ فِي الْآيَةِ ضَمِيَّةٌ الْآنَانِيَّةُ
جَنَّتْ عَلَيْهَا غُرْبَةُ الْأَسْرِ الْأَكُفَّ الْجَانِيَّةُ
وَبَدَّلَتْ مِنْ سَعَةِ النَّوَى ضَيْقَ الْبَاطِيَّةِ
يَسْقُونَهَا مِنْ جَرَّةٍ بَعْدَ الْعَيْنِ الْجَارِيَّةِ
يَا جَارَتَا شَأْنُكَ لَا يُشْبِهُ إِلَّا شَأْنِيَّةُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي الْعَرِيضِ غَيْرُ دَارِ خَاوِيَّةِ
وَكُنَّا ذَابِلَةً عَمَّا حَقِيلِ ذَاوِيَّةِ
زَالَ النِّعَمُ وَفَرَّغْنَا مِنْ حَيَاةِ قَانِيَّةِ

[ترجع شرميون ومعهما أياس وأنشو وغيرهم]

الملكة [إلى أنشو] :

أنشو يعزُّ على أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ
أنشو ألا قولهُ يسرُّ وضحكةُ إن السعيد الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعتَ يسرنى أعلى سرورى اليوم أنت قديرُ؟

أنشو : سيدتى جرى بما فيه سرورك القدرُ
من لا تسره السها لا يسره البشرُ

الملكة: أياس، هل من صوت؟ غنَّ نشيدَ الموت

[أياس يبنى هذا النشيد]

يا طيب وادى العدم من منزلٍ من منزل
لم تمش فيه قدم للعدل وادٍ نخل
أنا فيه لحيبي وحيبي فيه لى

* * *

يا موت مل بالشرع واحمل جريح الحياة
سر بالقلوع السراع إلى سُطوط النجاء

* * *

شراعك الفضى فى لججه التبرى
كللهم فى الغمض يجرى ولا يجرى

* * *

في ظل ليل ساج أقسم لا يسرى
مغلل الديباج مطيب السر

* * *

في يقظة يظهر لي أم أرى حُلماً
فلك من الجوهر يخرق الظلما

* * *

على الدجى ملّاح تحسبه نجما
ليس به ملّاح يسلكه اليمّا

* * *

أضوى من الفجر في طلبة الأسفاف
من نفسه يجرى لم يجره مجداف

* * *

مدّ شراع النور يا حسن ما مدّا
كالؤلؤ المشور لو ينفح الندّا

* * *

يا لك من زورق ملاحه الأقدار
ينجسو به المفرق من لجة الأكدار
[يدخل الحارس]

الملكة: ما وراء الحارس ؟

الحارس: الطاعة يا ذات الجلالة

قائد يحمل من فيصراً كتافو رسالة
الملكة: أدخله ، أدخل رسول قيصر

[يخرج الحارس ويدخل القائد]

القائد : قيصرُ العالى إلى سيدتى يهْدى التحية

هو فى الثُّكنة بالقر ب من الدار السنيه
يُظهرُ العطفَ عليها وهى بالعطف حريه
ويقولُ الأمرُ ما تأ مُر فى الإسكندريه
ولها الوادى وما يحملُ مُلكاً ورعيه
وبنوها يرثون السُّمْلَ من روماء الوصيه
وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه
تلقاها كأعلى درة فى القيصريه
ما الذى تقترحُ الملكة ما تُملى عليه
لتقلُ سيدتى حاً جتاً تُقضُ العشيّه

كليوباترا [كأنما تناجى نفسها] :

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه
تلقاها كأعلى درة فى القيصريه

[اضحك فى تهكم وألم]

أيهما القائِدُ أديّةً ست فأحسنَت الأداة
بَلَّغْنِ قيصَرَ عني كلُّ شُكْرٍ ودُعاء
ثم زدْ أمنيّةً قد بَقِيَتْ لي ورجاء
أنا لا أكتُمُهُ ما سرٌّ من أُمري وساء
لي سرٌّ كاد عن نفد سيّ يزويه الخفاء
صُنّته عن صاحباتي وصحابي الأمانة
حبذا لو زارني قيد صرُّ في هذا المساء
وله الشُكْرُ إذا لم يأت أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتي لمولاي قيصِرٍ وأنقلُ ما أبديتِ من رَغَبَاتٍ
ولم لا يُلبّي دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى له مستعجلَ الخطوات؟
وقد كان يوليوسُ يقومُ بيا به ويمثُلُ أنطونيوسُ في العَبَّاتِ

كليوباترا [بمظلة] :

أسأت أنا الرومان فهم إشارتي

القائد :

إذن فهبى لي تلك من هَفَوَاتِ

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أراني لم يُحسنْ إليَّ مُعاصري
فكيف إذا ما غيب الموتُ ذادني
كأنِّي بعدى بالأحاديثِ سُلَّطت
وبالجيل بعد الجيل يروى ذخارفاً
يقولون أني أفنت العمرَ بالهوى
فدأ لغرامى بالرجال وحسنهم
فليس الغلامُ البارِعُ الحسنُ فتنتي
ولم يَسْتَرْوِجِدِي من الروم فتيةُ
ولا كلُّ غصن من بنى مصر مائل
يموتون بي عشقاً ويشقون بالهوى
ولكن عشقتُ العبقريَّةَ طفلةً
كلفْتُ بكلِّ أحرز الأرض سيفه
إذا هبَّ من غرب البلاد تَلَفَّتَتْ
تَعَثَّرَ حظي بعد طول سلامة
ومن يمش في ورد الأمور وشوكها

ولم أجد الإنصافَ عند لداني
وبَدَّدَ أنصاري وفَضَّ حُماني
على سيرتي أو وكَّلتُ بحياتي
فن زور أخبار وإفك رُواة
بهيميةُ اللذات والشهوات
غرامُ الغواني أو هوى الملكات
ولا الرائعُ الأجلاد والعصلات
جنونُ العذارى فتنةُ الحفريات
يَطِيرُ إليه قلبُ كل فتاة
فكم من حياة في يدي وممات
وفي الغافلات البُلَّة من سنواتي
وحيزتُ له الدنيا من الجنَّبات
بلادُ بأقصى الشرق منذعرات
وأقلع نَجْمِي بعد طول ثبات
يَعْدُ الخطأ أو يحسب العثرات

[تنظر إلى السلال]

يامرجباً بالسَّـلَّةِ والرُّقْبِ المَطْلَّةِ
الكافياتي الذَّلَّةِ

[ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحاجي]

كليوباترا :

أَدْخِلِي بِي يَا شَرْمِيونَ عَلَى طَفْـلِي أَوْدَعَهُمُ الْوَدَاعَ الرِّهْبَا
فَمَسَاهُم إِذَا تَحَجَّبَ صَدْرِي وَجَدُوا صَدْرِي الْخَفِيَّ الرَّحِيَا
[لحاجي وهيلانة]

وَلَدِيَّ أَهْجِرَا الْقُصُورَ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ النِّعَمَ فِيهَا غَرِيَا
وَلَهَا ضُجَّةٌ وَفِيهَا فُضُولٌ يُرْهَقُ الْحُبُّ وَاشِيَاءُ وَرَقِيَا
خَلِيَا عَنْكُمَا الْمَدَائِنَ يَا ابْنَتِي فَضُوضَاوْهَا تُبَيِّتُ الْقُلُوبَا
إِن لِي فِي سَهْوٍ طَيِّبَةٍ حَقْلًا طَيِّبَ الْمَاءِ وَالْهَوَا نَخْصِيَا
غَرَسْتَهُ يَدُ الشَّبَابِ فَأُضْحِي وَارْفَا كَالشَّبَابِ حُسْنًا وَطِيَا

أَلَفَّ الْحُبُّ مِنْ نَوَاحِيهِ أَيْكَا جَمَعَ الطَّيْرَ هَاتِفًا وَمُجِيَا
يُسْمَعُ الْبَلْبَلُ الْعَشِيقَةَ فِيهِ وَتُغْنِي الْأَلَيْفَةُ الْعَنْدَلِيَا
أَفْقٌ لَا يُظَلُّ إِلَّا مُجَبًّا وَثَرَى لَا يُقَلُّ إِلَّا حَيِيَا
إِشْرَابًا مِنْ كَرَمِهِ وَاسْقِيَاهَا صَافِيَّ الْحُبِّ وَالْهَوَى الْمُسْكُوبَا
وَالْعَمَا عِنْدَ كُلِّ مَاءٍ غَدِيرَ تَرِيَا الْمَاءَ لِلْحَبَابِ لَعِيَا

وسلا الورد هل تنفس في الور د وهل ناسم البعيد القريبا
أدركا لذة الشروق ولما تبلغ الشمس بالحياة الغروبا
[تخرج كليبواترا وشرميون]

حابي :

هيلان، هذا مقال النصح من ملك فما ترين وما تنوين هيلانا
هلم طيبة نزل في خماثلها ونبن مثل بناء الطير دنيانا
كطائر ين على بحر وعاصفة قد آتسا من وراء الشبطهستانا
تداركتنا أبر المالكات به وأشرف الناس إحساسا وجدانا

هيلانة :

حابي ، عرفت الحلال الطيبات لها وكنت أمس أقل الناس عرفانا

حابي :

خلّ الجفام حياتي إن ساعته مضت وهذا أوان السلم قد آنا
الله يشهد أني قد سدت على ما كان من نزعات الرأي نسيانا
وأنتي اليوم أبكيها وأندبها ولا أقيس بها في الطهر إنسانا
اليوم ضحت وزكاها الفداء كما زكى المقرب باسم الله قربانا

هيلانة :

إن القى شب في نعمائها صغرى ونبتت لي في سلطانها شانا
إن لم أمت دونها أو لم أمت معها فاجزيت عن الإحسان إحسانا

حابي :

والحب هيلان؟ ماذا تصنعين به

إن الصداقة فوق الحب أحيانا

هيلانة :

حابي أراها أزمعت وأرى الفجيعة واقعة

فأذهب لحيء بأنوبس فحسى يرد الفاجعه

حابي :

وسواء أردتها أم أبي ذلك القدر

في غد أيها الملاء لك إلى طيبة السفر

[يخرج حابي]

هيلانة :

ويح حابي اعتقاده أن ساحيا فلتلق

ليتنى نلت قبلة منه قبل التفرق

[تدخل كليوباترا وفي أثرها شرميون]

كليوباترا :

بروحى وإن لم تبقي منى بقيّة صغار ورائي ذوق اليتيم نوح

أذوب لبواهم وأعلم أنني سحكت عليهم ما يحل ويقدح

وقد أشتى عيش الذليل لأجلهم فلا المجدي يرضى ولا النبل يسمع

فصفحا صفارى إن شقيتم بمصرى وإني لأرجو أن تنفوا وتصفوا

وَدَاعَا صِفَارِي صَيَّرَ اللَّهُ يُتَمَكِّمَ إِلَى خَيْرِ مَا يَكُنِي الْيَتَامَى وَيُصْلِحُ
أَطْفَتُ بِكُمْ وَالنُّومُ تَسْرَى سَنَاتُهُ عَلَى صَفَحَاتِ كَالْأَهْلَةِ تَلْسَحُ
وَمَا مِنْكُمْ فِي الْحَزِّ إِلَّا حَمَامَةٌ عَلَيْهَا طَلِيلٌ نَاعِمُ الْفَرْعِ أَفْسَحُ
تَنَامُ وَمَا تَدْرِي الْكُرَى مَا وِرَاهُ وَلَا الصَّبْحُ فِي ظِلِّ الرَّبِّ كَيْفَ بُصْبَحُ
أَتَغْدُو عَلَى الدُّنْيَا كَأَمْسِ طَلِيْقَةٍ صُحِّي الْيَوْمَ أَمْ يُغْدَى عَلَيْهَا قَدْحُ؟

[ملتفتة إلى هيلانة وشرميون] :

فِيمَ هِيلَانَةُ تَبْكِيْنَ وَأَنْتَ شَرْمِيون
كَفَكِفَا الدَّمْعَ فَلَا شِدَّةَ إِلَّا وَتَهَوْنِ
وَاَعْلِمَا بِنْتِي أَنْ الـ بَوْسَ وَالنَّعْمَى دُيُونِ
[تَرَكِبُ أَمَامَ تَمثالِ إِيْزِيسَ]
الْيَوْمَ أَقْصَرَ بَاطِلِي وَضَلَالِي وَخَلْتُ كَأَحْلَامِ الْكُرَى آمَالِي
وَصَحْوَتُ مِنْ لَعِبِ الْحَيَاةِ وَطُحُوها فَوَجَدْتُ الدُّنْيَا تُخَمَّرَ زَوَالِ
وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَلَا بِمَوَاكِبِي بَصُرْتُ وَلَا بِكَتَائِبِي وَرَجَالِي
وَطَلْتُ بِسَاطِلِ الْمَادَنَاتِ وَأَهْرَقْتُ كَأْسِي وَفَضَّتْ سَامِرِي وَنَقَالِي
إِيْزِيسُ يَنْبُوعُ الْحَسَنِ تَعْطِي وَتَلَفَّتْ لِضِرَاعَتِي وَسُؤَالِي
أَنْتِ الَّتِي بَكَتِ الْأَحْبَةَ وَاشْتَكْتِ قَبْلَ الْأَرَامِلِ لَوْعَةَ الْإِرْمَالِ
إِنِّي وَقَعْتُ عَلَى رِجَالِكَ فَارْحَمِي ذُلَّ الْمُلُوكِ لِمَجْدِكَ الْمُتَعَالِ
هَلْ تَأْذِنِينَ بَأَنْ أَجْعَلَ نُقُلتِي وَأُحِثَّ عَنْ دَارِ الشَّقَاءِ رَحَالِي

وَعَلَاكِ مَا أَدْعُ الْحَيَاةَ جَبَانَةً
إِنِّي اتَّفَعْتُ بِعَبْقَرِيَّ جَمَالَهَا
وَجَمَعْتُ بَيْنَ شَعُورِهَا وَعَوَاطِفِي
وَوَجَدْتُهَا قَدْ خَلَّدَتْ أَبْطَالَهَا
بَنْتُ الْحَيَاةِ أَنَا وَتَشْهَدُ سِيرَتِي
مِنْهَا تَنَاوَلْتُ الرِّيَاءَ وَرَائَةً
وَقَسَوْتُ قَسَوَتَهَا وَلَسْتُ كَلِمَتَهَا
وَلَرْبَمَا رَشِدْتُ فَنَسِيتُ بُرْشَدَهَا
وَوَجَدْتُهَا حَبَابًا يَفِيضُ وَلَذَةً
يَوْمِي بِأَيَّامٍ لِكَثْرَةِ مَا مَشَتْ
وَلَقَدْ لَقِيتُ مِنَ الْحَيَاةِ صَبِيئَةً
تَخْلَعْتُ مُلْكِي طِفْلَةً وَشَرِدْتُ فِي
شَرَعْتُ عَلَى السُّوْطِ فِي كُتُبَاتِهَا
يَا مَوْتُ هَلْ حَرَجْتُ عَلَى مُسْتَنْجِدٍ
يَوْمِي أَعْجَلُهُ وَلَوْ لَمْ أَتَحَرَّرْ

يَا مَوْتُ أَنْتِ أَحَبُّ أَسْرَأَ فَاسْتَبْنِي
يَا مَوْتُ لَا تُطْفِئِي بِشَاشَةِ هَيْكَلِي
لَا تُعْطِ رُومًا وَالشُّيُوخَ عَقَالِي
وَاحْفَظْ ظَوَاهِرَ لِحْتِي وَجِلَالِي

ياموتُ طُفُّ بالروح واسرقها كما سرق الكرى عينَ الخُلِّ السالى
حتى أموتَ كما حَيِّتُ كَأَنِّى بيتُ الخيالِ ودُمِيَّةُ المَثالِ
وَكأنَّ إغماضَ الجفونِ تناعَسُ وَكأنَّ رقدتى اضطجاعُ دلالِ
سرُّنى إلى أنطونيوفى تَضُرِّقى ورواءِ جلبابى وزينةِ حالِ

[تقوم إلى إحدى السلال فتكشف التين عن أفعى] :

هَلْىَ الآنَ مُنْقَذَتى هَلْىَ وأهلاً بالخلاص وقد سعى لى
شَرِيتُ السم من فيك المُقَدِّى بسلطانى وزدتُ عليه مالى
على ناييك من زُرْقِ المنايا شفاءُ النفس من سُودِ الليالى
وبعضُ السم تزيُّقُ لبعض وقد يَشْفى العُضالُ من العُضالِ
دَعَوْتُ الراحةَ الكبرى فلبتُ فُبَعْدًا للحياة وللنُضالِ
هَلْىَ عانِى أفعى قصُور بها شوقٌ إلى أفعى التلالِ
سَطَّتْ روما على مُلْكى وَلَصَّتْ جِوَاهِرَ أُسْرَتى وحُلَّى آلِى
فَرُمْتُ الموتَ لم أجِبْهُ وَلَكِنْ لعلَّ جلاله يَحْمى جلالِى
فلا تَمْشِ على تاجِى وَلَكِنْ على جسدِ بيطن الأرضِ بالِى
وقد علمَ البريَّةُ أنْ تاجِى تَمَّتْهُ الشمسُ والأسرُ العوالِى
يُطالِبُنِى به وطنٌ عَزِيزٌ وآباءُهم ودائِمُ غِوالِى
أَدْخَلُ فى ثيابِ الذلِّ روما وأَعْرِضُ كالسَّبى على الرجالِ؟

وأُحْدَج بالشماتة عن يميني ويعرض لي التَّهْكُمُ عن شمالي ؟
 وألتي في التَّنْدَى شيوخُ روما مكانُ التَّناج من فَرْقَى خالي ؟
 وأغشى السجن تاركةً وراني قصورَ العزِّ والغُرَفَ الحوالي ؟
 وتحكمُ في روما وهي نَحْصِي وتُسْرِفُ في العقوبة والنَّكَالِ
 يراني في الحبائل مُتَرْفوها وقد كان القياصرُ في حبالِي
 إذن غيرُ الملوك أبي وجَدِّي وغيرُ طرازهم عَمَّى وخالي
 سأُنزِلُ غيرَ هائبةٍ إذا ما تلهَّظتُ المنيَّةُ للنَّزالِ
 أموتُ كما حَيَّيتُ لعرش مصر وأبذلُّ دُونَهُ عرشَ الجلالِ
 حياةُ الذِّلِّ تُدْفَعُ بالمنيايا تعالى حَيَّةُ الوادى تعالى
 [تتناول الأفعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها إلى السلة]

يا ابنتي ودِّي ... هَلِّسَا ... زَيْنَانِي للمنيَّةِ
 غُلِّلَانِي ... طَلِّبَانِي ... بالآفاويه ... الزكيه
 أَلْبَسَانِي حُلَّةً ... تُهْ ... حُبُّ أَنْطُونِيو ... سنيه
 من ثياب ... كُنْتُ فِيهَا أُلْقَاهُ صبيه
 ناولاني التاج ... تاجُ الشمه س ... في مُلْك ... البريه
 وانثرا بين يدي عر شى ... الرياحين الهيد
 [تموت بين وصفتها]

شرميون [تتناول من إحدى السلال أفعى] :
 كليوباترا ويالهني عليك يا كليوباترا

وصيفاتك في الدنيا وصيفاتك في الأخرى
[وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت]
هيلانة [تقبل ما فعلته شرميون] :

كلوبترا ذهبت اليو مَ بالدنيا كلوبترا
تعالى أيها الأفقي أريحي أنا الأخرى
[يدخل أنويس وحاي]
أنويس :

انسلت المهرمة من قيدها وأفلت الطير من الصائد !
حاي : هيلان، يالهفا على الحبيبة على الجمال وعلى الشبيهة
على الفتاة الحرة النجيه

[يتعس جسها]
يا للحياة ما تنى ديبا أبي، تأمل جسمها الرطيبا
واسمع تجمد لقلبها وجيبها
أنويس : حاي، نسيت حقة النجاة

هيات أعصيك أبي هيات
حاي : لمن أنس أشياءك أنس ذاتي !

[يخرج الحقة من جيبه]

نُخذها

أنويس : بل اسكب في فم الفتاة لعلها تصحو من السبات
[يشتغل حاي بإيقاظ هيلانة]

أنويس [على جثة كليوباترا] :

بنق رجوُتكَ للضحية والفدا فوجدتُ عندك فوق ما أنا راجي
إن تُصبِحى جسداً فنفْسُكَ حرةً وعُلاك سالمةً وعرضُكَ ناجي
سيقولُ بعدك كلُّ جيل مُنصف ذهبتُ ولكن في سبيل التاج
[ثم يلتفت الى جثة شرميون] :

وَأنت أيضاً شرميونُ جيفهُ مُتٌ ولكن ميتةً شريفهُ
ما أعظمَ الملكةَ والوصيفهُ !

حاجي : أدنُ أبي ألقِ النظرُ يا العجائب القدرُ !
أنويس : أحدثُ ترياقِ الأثرُ ؟

حاجي : أنظرُ أبي ترياقَكَ المحسن ماذا منحنا ؟

أنظرُ فهذا ملكي من رقبة الموت صحا

قد فتحَ العيينين به داليأس من أن تُفتَحَا

وهذه أنفاسه ريحانها قد نَفَحَا

مولاي قد قَرَّبْتَ من سعادتي ما بَزَحَا

أنت الذي رَدَدْتَهَا رُوحاً وكانت شَبَحَا

يا قلبُ كيف لم تَطْرُ عن الضلوعِ فرحَا

ميلانة : يا ويح لي ! ويحَ ليهُ هل صدقتني عَيْنِيهِ ؟

حاجي أفي الدنيا أنا ؟

حاجي : بل أنت دنياي هنا

هيلانة : منذاً جنى عليّهُ حتى بُعثتُ حيّة ؟

حاجي : أبى الذى شفاك يأملاكى

أوبيس : لا بل مَلَأُ الحب قد شفاك

وأدمعُ الإخلاص من فتاك

هيلانة : أبى لقد مرّ علىّ الموتُ وكنتُ من عذابه كَجَوْتُ

علامَ حُلّت بينه وبينى ؟ الموتُ لا يُذاقُ مرّتين

[ترى جثة الملكة وهى تلتفت]

رحماك آلهة الوادى ذهلتُ فلم أذكرُ مَلَأُ كورااء العرش مُضطجعاً

بالأمس ، لا ، لا بل اليوم التحقتُ به صُرعتُ بالناقع السارى كما صرعا

لقد رَحَلنا عن الدنيا الغرورِ معاً مالى رَجَعْتُ إلى الدنيا ومارجعا

ليت الطبيب الذى داوى فأخرجنى إلى الحياة على الدنيا به طَلعاً

مليكتى ، رَبّى ، صفحاً ومغفرةً . إن المروءة كانت أن نموتَ معا

الكاهن : بُنيّتى . . .

هيلانة : صَهِ أبى ،

الكاهن : لا أنت واهمة

فلستُما فى مُلاقاة الردى شرعا

وقفتُ موقفاً في الخطب مختلفاً لو جربت فيه غير الموت ما نفعنا
حاي : تعالى نحى في الحقل مع الطير كما تحيا
هلمى الحب هيملا نة فالحب هو الدنيا
أبي دونك باركننا وإن شئت فشاركنا
أنوبس : إذا فارقت محرابي فمن يبكي على مصرى ؟
سأبقى ها هنا ابني إلى أن أقضى العمرا
هلماً ابني باسم الأسيرا وإبنيا الوكرا
هلمنا جنة الوادي هلمنا طيبة الغرا
لئن فرقنا الدهر فقد تجمعنا الذكرى
[يخرجات]

[يسمع صوت بوق]

أنوبس : البوق دوى قيصر أقبل
[يدخل حارس]

الحارس : مولاي قيصر

[يتنحى عن الباب ويدخل قيصر وفي ميمته الطبيب أوليوس :
أنوبس :

ما يبتغي قيصر من أسيرته ؟ إن التي أعدها ليريته
يدخل روما وهي في كتييته تزيد في موكبه وقيته
ماتت ولم تنزل على مشييته بورك في النيل وفي عقيلته

قيصر :

آلهة الرومان ، ماذا أرى ؟ امرأة تَسْخَرُ من قائد
قد أبطلت كيدى على ضعفها ولم تزل تَسْخَرُ بالكائد
في الجسد الحى تَمْنِيهَا لم أبغها في الجسد البائد
[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

أنويس [لنفسه] :

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ
يَغْدُرُها وعهدُ يابها قريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثرَ الجراح !
أليست في الفناء أرفَّ لوناً وأندى من رياحين الصباح
فهل تدنون فتكشف كيف ماتت أيا لسم الزعاف أم السلاح ؟

[يقترب أولبوس وينحنى على صدر الملكة من الناحية التي رميت فيها الأفعى]

أولبوس :

جبينُ مُشرقُ القَرَّةِ ووجهُ ضاحكُ لَصَرَّةِ
وعينان كأنَّ المَو ت في جَفْنَيْهِمَا كَسَرَّةِ
وهذا فُها تبدو السُّمنايا عنه مُفَتَّرَّةِ
ولكن قيصرُ أدنُ انظرُ هنا السرُّ هنا العِبَرَةُ

فبين السحر والنحر كمثل الخدش من إبره
مكانُ الناب من صلِّ شديد البأس والشره

[نلذغه الأنفى]

إلهى ، قيصرى ، آه لقد مسّت يدي جمره
سرى السمُّ بأعضائى وعمّت جسدى فقره
وجاءت سكرة الموت فلاصحو... من السكره

[ثم يسقط ميتاً]

أكتافوس :

ويل النفوس من لجأت القدر
وويح المبوس بالأنفى عثر

أنوبس [لنفسه] :

قد وقع الحافر فيما قد حفر

قيصر :

وداعاً كلوبترا إلى يوم نلتقى وتنفض عنها الهامدين المقابر
محا الموت أسباب العداوة بيننا فلا الثأر ملحاح ولا الحقد نائر
وما استحدثت عند الكرام شماتة صروف المنايا والجود والعوائر
وداعاً وإن نحن اقتتلنا وسجّدت حساميهما أوطاننا والعشائر
تحدّيتنى بالموت حتى قهرتني ومالى سلطان على الموت قاهر
ترقعت عن قيدي ومّت عزيزة وأيدى المنايا للقيود كواسر

وَأَنْتِ الَّتِي نَازَعْتَ رُومًا مَكَانَهَا وَجَرَّتْ بِنَادِيكَ الْقِيُودَ الْقِيَاصِرَ
لَعِبْتَ بِأَنْطُونِيُو وَيُولْيُوسَ حَقْبَةً كَمَا جَاءَ بِالمَسْحُورِ أَوْ رَاحَ سَاحِرَ
وَمَا أَنَا إِلَّا سَيْفُ رُومَةٍ بَاتِرَا أَصِيبَ بِهِ سَيْفُ لُرومَةٍ بَاتِرَ
زَجَرْتُ فَلَمْ أُسْمَعْ فَقَاتَلْتُ مَكْرَهَا وَفِي الْحَرْبِ لَمْ تَرَدَّعِ السَّلْمُ زَاجِرَ
وَأَنْطُونِيُو صَهْرَى الْكَرِيمِ بِمِثْلِهِ يُطَاوِلُ أَنْسَابَ الْمُلُوكِ الْمَصَاهِرَ
وَدَاعَا عُرُوسَ الشَّرْقِ كُلَّ وَلَايَةٍ وَإِنْ هَزَّتِ الدُّنْيَا لَهَا الْمَوْتُ آخِرَ
[يُخْرِجُ أَكْثَانِيُوسَ وَحَاشِيَتَهُ وَتُزْفُ التَّحَايَالَهُ مِنَ الْأَبْوَابِ وَالْخُنَاجِرِ خَارِجَ الْقَصْرِ]
أَنْوَيْسَ :

أَكْثَرَى أَهْلَ الذَّنَابِ عَوَاجِ وَادَّعَى فِي الْبِلَادِ عِزًّا وَقَهْرَا
أَنْشَدَى وَاهْتَنَى وَغَنَى وَضِجَى وَاسْبَحَى فِي الدِّمَاءِ نَابَأَ وَظُفْرَا
لَا وَإِيزَيْسَ مَا تَمْلِكُ إِلَّا وَادِيَا مِنْ ضِيَاعِمِ الْغَابِ قَفْرَا
قَسَمًا مَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ لَكُنْ قَدْ فَتَحْتُمْ بِهَا لُرومَةَ قَبْرَا

1111



على بك الكبير
أو
دولة الماليك

تمهيد

زمن الرواية :

حوالى سنة ١٧٧٠ ميلادية .

مكانها :

الفسطاط والصالحية وعكا .

أشخاصها :

على بك الكبير : حاكم مصر ، ويلقب بشيخ البلد .

محمد بك أبو الذهب متبنى على بك والخارج عليه ومن أمراء المالك

مراد بك من أتباع على بك وأولاده .

ضاهر العمر صاحب حصن عكا وحليف على بك .

مصطفى اليسرجى « الجلاب »

آمال

شمس

زكية

إماء معروضات للبيع

عشاق	شاب شركسى مع الجلاب .
أم محمود	الماشطة والواسطة فى بيع الجوارى .
رزق الله الوكيل	وكيل على بك .
بشير بك	من أصحاب على بك .
عثمان بك	د د محمد بك .
قائد الأسطول الروسى فى عكا .	
أمراء .	
جواسيس .	
قواد .	
جنود .	
فتيات .	
أغوات .	
خدم .	

الفصل الأول

في قصر علي بك الكبير

« حجرة من القصر واسعة فخمة على الطراز الشرقى مفروشة بنميس الطنافس قد نثرت فيها الوسائد والصفوف وزين سقفها بنريات الزجاج الملون المشكل وركزت في زوايا أرضها الشمعدانات الكبيرة .. »

« جلس هناك في انتظار على بك الكبير ، مصطفى اليسرجى (الجلاب) ومعه ثلاث فتيات شركسيات (آمال) و(شمس) و(زكية) وشاب شركسى اسمه عشاق من جنسهن وقرايتهن وأم محمود الماشطة »

زكية : يا أم محمود تلك دنيا وهكذا فلتك القصور
وهكذا شمس في الليالي تنزل هالاتها البدور
قصر سماواته الثريا وأرضه الوشي والحريز
أم محمود : ونحن يا شمس نحن بؤس بيوتنا الجص والحصير
ننقل من حفرة للحد تساوت الدور والقبور
شمس : يا أم محمود خبريني أهنا ينزل الأمير
أم محمود : أجل

ثمس : ومن ذا وما يُسمى ؟
 أم محمود : سلطان مصر على الكبير
 ثمس : والطيب يا أمُّ لم تُشعِي النَّدَّ والمسكُ والعبيرُ
 مصطفى : لا تعجبي هم ملوكُ مصرِ دنياهمو الطيبُ والبحورُ
 زكية : وما الأميرُ يا يسر جى ما له من العمرُ
 مصطفى : قد جاوز الشبابَ إلَّا أنه كهلٌ نضر
 أم محمود الماشطة :
 ما بلدُ العزِّ غير مصرِ كيف حكمتمُنَّ يا بناتُ
 ثمس : طعامُ شاءِ طعامُ عُرِسَ لم يرو أمثاله الرواةُ
 ما القصرُ ما الفرشُ ما الأواني
 ما الأكلُ ما الشرُّبُ ما الطهارةُ
 مصطفى : هذا هو الملكُ مُلكُ مصرِ وهكذا الحفظُ والهباتُ
 وأنتِ آمالُ ؟
 آمال : خليّاني ما تلكَ إلا خوصِلاتُ
 الفصرُ كوخى على جبالٍ جَلَّلَهَا الثلجُ والنباتُ
 إذاعوى الذئبُ من مكانٍ أجابه الكلبُ والرعاةُ
 زكية : أجل حَتَّنَا للجبالِ الشيبِ وللشَّاءِ القارسِ العصيبِ
 وكلُّ راعٍ واقفٍ للذئبِ أمَّن خوفَ الحملِ الرعيبِ

تلمحه كالعلم المنصوب والوعلى في الجنة والذهب
والديديان في فم الدروب

مصطفى : بخ بخ مرحى يا كومة الشحم
يا جزر بلوط لكن من اللحم
أم محمود : أعرفت يا جلاب أنك جئت بالحمل الثقيل
عن تلك كان لنا غنى ما تلك إلا سقط فيل
مصطفى : يا أم محمود اقصدى لكل سلعة ثمن
إن سراة الناس في مصر يحبون السمن
وهذه الكومة في هاسمن لكن حسن

[يسمع أذان مصر بصوت شجى من عراب في دار الامارة فتلفت
ثمس بأمر محمود وتقول]

ثمس : ما هذه الرنة في قبة القصر
زكية : صوت من الجنة يهتف بالمصر
أم محمود : ما زالت السنة والبر في مصر
يا رب أيدها بالعز والنصر

ثمس لمشااق : قم غن يا عشاق أغنية المعاز
وناج بالاشواق .. أحبة القوقاز

عشاق ينى: كوخ وراء الجبالِ مُكَّسَّ بِالْجَلِيدِ
فَدَيْتُهُ لَا أَبَالِي بِكُلِّ قَصْرِ مَشِيدِ
مَا مَرَّ يَوْمًا بِبَالِي إِلَّا بَلَّتْ خُدُودِي

* * *

يَا مَنْزِلَ الْقَوْقَازِ عِمَّ مِنْ بَعِيدِ صَبَاحَا
لَمَعَتْ لَمْعَةً بَازِي فِي الْجَوِّ سَلَّ الْجَنَاحَا
سَلَّمَ عَلَى الْمَعَّازِ إِذَا غَدَا أَوْ رَاحَا

* * *

وَقُلْ لَهُ يَا رَاعِي فِي النَّأْيِ هَاتِ الْإِنِينَا
اسْمَعِ عَلَى الْبَعْدِ رَاعٍ صَوْتًا مِنَ الْغَائِينَا
هَلْ أَنْتَ لِلْعَبْدِ رَاعٍ أَمْ قَدْ تَرَكْتَ الْحَنِينَا
« بَعْدَ صَبْتٍ وَاطْرَاقٍ مِنَ الْجَمِيعِ »
أَمْ عَمُودٌ لِلْبَنَاتِ :

تَعَالَيْنِ بَنَاتِ الشَّرِّ كَسَ الْفَيْدَ تَعَالَيْنَا
ذِكِّي : وَلَمْ ؟ مَاذَا ؟
أَمْ عَمُودٌ : تَعَالَيْنِ
فَلَا أَتْرُكُ لَا شَعْرًا وَلَا خَدًّا وَلَا عَيْنَا
أَمْ عَمُودٌ لَشَمْسٍ :

تَعَالَى أَيُّهَا الشُّقْرَا وَهَاتِي شَعْرَكَ التَّبْرِي
هَلِيَّ اقْتَرِبِي مِنِّي وَأَلْقِي الرَّأْسَ فِي حَجْرِي

غداً يأخذك الشارى وما تدري من يشري
أم محمود لآمال :

تعالى أيها السمرا فان الخير في السر
أشعر ذاك آمل أم الليل إذا يسرى
قضاك الله للوالى أو الحاكم في مصر

آمال في غضب :
دعني مرأة السوء دعني بومة الشر
قضاك الله للجوع وللجور وللغير

أم محمود لمصطفى :
ياسيدى النحاس هذه ضيع فارجع بها لا تشرها ولا تبع
إلا إذا ساومنا فيها سبع

آمال الى صاحبها :
قوما إليها

شمس : وأنت ؟

آمال : لا ، لا أحب الفضولا

على ثوب جمال ما احتاج يوماً ذيو لا

شمس : ما الخطب مم غضبت آمل ؟

زكية : ما بالها ساخطة ما بال

أم محمود : غيبة ما عرفت ما المال

مصطفى همساً لنمس : شمس^و

نمس : كَسْرَجِي

مصطفى : انظري

أمال ماذا غمها

ميلي إلهي واخذي

أمال : بل الحق معي وحدي

سوام نحن أم نحن

أم محمود لركية :

يا محملاً يخطر بالمدينه

وأنت يا ضخمه يا بدينه

رُزقت عمدة بلاقرينه

قوى إلى أقبل للزينه

يطلب منا امرأة سمينه

ثروته في داره دفينه

مصطفى : يا أم محمود أرى

هائجة صاخبة

آمال جد مقتضيه

في وجهها تكاد تبدو

نائرة مقطعه

مصطفى لآمال :

آمال بنتي استريحي

ولا تحملي هم شيء

عساي أغنم ملكا

فتحكين بمصر

ملك الجبال كبير

صوتي جالك هذا

وقللي التفكير

دعي لي التدبير

أو أستفيد أميرا

وتنزلين القصورا

زيديه ملكا كبيرا

عن أن يعيش فقيرا

آمال : يا أبى ما تريد بى أنت تلهو وتلعب
ملكك أو أميرة أهذا ألقب
حلم ثم ينقضى وأمانى تكذب
كيف تسمو إلى العلا ابنة باعها الأب
مسترة : أبى .. تاجر كما شئت وكيف أردت فاحترق
ولكن لا ترممنى ولا فى هذه الغرف
فبيع الجنس فاحشة أليس كذلك اعترف
أبى ، شرف على فقر ولا فقر إلى الشرف

مصطفى لنفسه

يا مال ما فيك من سحر ومن خطر
لقد نزلت بنا عن رتبة البشر
تاجرت بالجنس حتى صار محتقراً
عند الشعوب وما جنسى بمحتقر
ذهبت بالشركس الآساد أعرضهم
عرض الرعاة صفار الشاء والبقر
لولاك ما بعث أطفالى ، فما كبدى
من الحديد ولا قلبي من الحجر

مصطفى يقبل على آمال :

طفلة آمال أنت أنت ما تدرين شيا
هنا الدنيا وملكك لك فى الدنيا تها
آمال : خل عنك الملك والفقه ر ولا تذكر عليا
إب ما تصنع بى قد بغض الدنيا إلينا

ثم لنفسها :
 ربِّ جنِّبني شبابَ ذا البلد
 لا يُصِبنِي منهمو ربِّ أحد
 لي أخٌ في أرض مصر باعه
 والدي لم يخش من بيع الولد
 ركب الآفاق فرخاً ما له
 من جناح الأب والأم سند
 لجح القرية فيه وسقى
 أمه الشُّكْل فانت بالكمد
 لست أنسى عبارات لثره
 قد جرت شيعته حتى ابتعد
 وهو يومئذٍ من رقة
 وأبي من غضب يومئذٍ
 ربِّ ما صار لي أين انتهى
 أهو في الخيل لواء أم وتد
 يوسف المسجود في مصر له
 أم من الجوع ليوسف سجده

ذكية : وأين بنو السلطان ؟ لم لا نراهمو
 أليس له ابن يغتدى ويروح
 يرفُّ الشباب الغض من طيلسانه
 وينفخ ريجات الصبا ويفوح
 شمس : فلا خير في دارٍ إذا لم يطف بها
 نسيم شباب أو شعاع جمال
 ولا خير في روضٍ بغير بهارٍ
 ولا خير في قاعٍ بغير غزال

مصطفى : أجل له ابن
 شمس : ما اسمه ؟
 مصطفى : محمد العالي النسب
 شمس : لعله أبو الذهب ؟

زكية : لله ما أحلى اللقب

ففيه رنة الذهب

مصطفى : متبني الأمير والمتبني
ن بهدي البلاد كالآبناء
نعتوه لنا فقالوا أمير
أريحي من صفوة الأمراء
تفدق الألسن المدبح عليه
وتفيض الشفاه حسن الثناء
ملكٌ سابقٌ إلى كل فضل
نابغ الغرس عبقرى البناء

نهم مستمراً : وأنت يا أم محمو

أم محمود : محمد ليس براً ولا وفيّاً أميناً

بالأمس عقق أباهُ

فكان شرّاً البنينا

واليوم يشهر حرباً

على الأمير زبوناً

وأما أخوه

زكية : كيف ؟ من ؟ هل له أخ ؟

أم محمود : أجل ، وهو أيضاً لم يلد له أبوه

زكية : إذن فعلى والد الناس كلهم

وكل شباب الصفتين بنوه

وكيف الفتى يا أم محمود ، ما اسمه ؟

أم محمود : غلام وضى في المفرقين جواد

رأيتنه مثلي تذكر ساعة رأيناه

شمس : من ؟ ما اسم الأمير ؟

أم محمود :
أم محمود لآمال :
مراد

هناك آمال انتي هناك
آمال : ما ذاك يا أم اذكرى ما ذاك
أم محمود : الحظ يا بنتاء قد أعطاك

عُشقت عشقاً سوف يروى في السير
عشق له في مصر والشرق خطر
وعاشق عال السناء كالقمر
آمال : يا أم محمود هديت . . ما الخبر ؟

أم محمود : لقيت مراداً أمس

آمال : ماذا يهمني ؟

أم محمود : عجيب ألا يعني النساء مراداً ؟

فقي علم في مصر . . في الشرق كله

نيل كأبناء الملوك جواد
يحب علياً جهده ويحبه

على فدين السيدين وداد

كأنى به نال الولاية وانتهت

إليه أمور في غد وبلاد
يحبك يا آمال حباً مبرحاً

على مثله ما انضم قطعاً فواد

زكية : عرفته

آمال : ومن ؟

زكية : أمس إلى السوق حضر

ذلك الخفيف كالقنا ة والوضي كالقمر

أني لنا أمس فما اختص سواك بالنظر

آمال : عرفته ذلك الوقاح في دعاية الهذر

ذلك الذي قلبنا أمس كتقلب الحصر

شمس : وكنت أنت قبلة ال لحظ وموضع الفكر

أم محمود : وأنت كنت وزكي ة الحسير المحتقر

آمال : أوداك الذي تقولين يهواني

أم محمود : أجل وهو أرفع الناس قدرا

هسي صه هس انظرا ها هو ذا قد حضرا

« بدخل مراد بك »

مراد بك عند الباب لنفسه :

ويجلى رب ما أرى أم محمد ود إلهي وهذه آمال

هي في القصر كيف جاءت إليه

كيف وافاه مصطفى المحتال

أتراها قد حازها لعل جبر الجاه واحتواها المال

كيف هل بعد في فؤاد علي

موضع يحتوى عليه الجبال

رَبِّ مَالِي أَهَابَهَا كُلَّهَا قَتُّوْا وَمَالِي يُرُدُّنِي الْإِجْلَالُ
وَأَنَا الذَّنْبُ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ قَلْبِي
مَهَّاءَ وَلَمْ يُسَيِّطِرْ غَزَالُ

نَمِ لَأُمِّ مَحْمُودٍ وَمِنْ مِمَّا :

سَلَامٌ أُمَّ مَحْمُودٍ سَلَامٌ يَا بُنَيَّاقِي
أُمِّ مَحْمُودٍ : سَلَامٌ لَكَ هُوَ لَوْلَا

زَكِيَّة : وَعَلَوِيَّ التَّحِيَّاتِ

مَرَادُكَ وَيَتَّبِعُ إِلَى آمَالٍ : أُمِّ مَحْمُودٍ مَا لَهَا مَا لَتَلَكَّ الْحَبِيْبَةُ

أُمِّ مَحْمُودٍ : مَا لَهَا سَيِّدِي

مَرَادُكَ : انْظُرِي كَيْفَ تَبْدُو مَقْطَبُهُ

لَقِيْنِي فَلَمْ تَقُمْ بِلِقَائِي مُرَجَّبُهُ

مَا لَهَا الْيَوْمَ مِثْلَ عَهْدِي بِهَا أَمْسَ مُغْفَضَبُهُ

أُمِّ مَحْمُودٍ : سَيِّدِي قَدْ ظَلَمْتَهَا إِنْ بَنِي مُهْدَبُهُ

غَيْرَ أَنِّي وَجَدْتُهَا مُذْ بَدَا الصَّبْحُ مُتَعَنُهُ

شَمْس : مَعْدَرَةُ يَا سَيِّدِي لِأَخْتِي الْمَعْدَبَةُ

نَحْنُ النَّهَارُ كُلَّهُ كَالسَّلْعِ الْمَقْلَبَةُ

مَرَادُكَ : مَصْطَفِي

مَصْطَفِي فِي نَاحِيَةِ وَحْدَةٍ : سَيِّدِي

«لِنَفْسِهِ» : أَهَذَا مَرَادُ؟

وَيَحْمَهُ مَا أَضَلَّهُ فِيمَ جَاءَ

مراد بك: مصطفى هل نسيتَ أنا التقيينَا
عند سوق الرقيق أمس مساءً
مصطفى : سيدى ما نسيت واليوم نستا
نف فى حجرة الأمير اللقاء
مراد بك: والى اخترت من طبائك
مصطفى : نرجها إلى أن يرى الأمير الطباء
مراد بك: أترى ما تزال تأبى
مصطفى : أجل
مراد بك: ويحك هل يملك الرقيق الإباء
آمال : سيدى من عنيك؟ قل لي بمن عرضت؟
مراد بك: أعنى المليحة الحسنة
آمال : سيدى إننا حرائر ما زلنا
مراد بك: ولكن غداً تصرن إماء
آمال : وغد سيدى عليه غطاء
أترى عن غد كشفت الغطاء
مراد بك: فم مصطفى، هذه الحسنة تعجبني
أليس يكفيك فيها ألف دينار

مصطفى : ألفتُ ا قبلتُ

مراد بك : إذن تأتيك كاملة
فاخرج بينتك واحملها إلى داري
آمال : أبي أبي أنت تمضي بي وتعلمني
كالشاة ! هذا لعمري أعظم العار

مصطفى : آمال
آمال : قف أنت عبد المال يا أبتى
تلقى البرىء لأجل المال في النار
لا سيدى ، لا أبى ، لا تذكر أئمناً
فلست بخافقه للبائع الشارى

مصطفى لنفسه :
رباه أعظم من وجدى ومن شفى
على ابنتى اليوم إجمابى ولا كبادى
وأنت تعلم والأفعال شاهدة
أن ابنتى حرة من نسل أحرار
يا ألفت سحقاويا مال أض من سبلى
تقطع منك أسبابى وأوطارى

هنم لا مال :

آمال هى اذكرى لى كيف أدفعه
ماذا أقول فإنى لست بالدارى
هنم لنفسه :

آمال : أبي أما نحن في دار الأمير « على »
 إني لجارة حر مانع الجار
 لا أبرح القصر إلا عن مشيئته
 فحكمه هو في النافذ الجارى
 مراد بك : ويح لي قد رددت أفصح رد
 وأبت أن تجيبني الحسناء
 لمطى : سئرى من يفوز بالبنت يا وغد
 لآمال : ومن يقتنيك يا حمقاء
 « ويخرج مراد بك »

آمال لنفسها :

ما بال قلبي بمراد مذ تلاقينا اشتغل ؟
 لمسلني أحبيته لا ، فالي والرجل
 عساي قد همت به هذا لعمرى الخبل
 خياله في فكرتي في كل ساعة مثل
 مالى أحس لاعجا بين الجوانح اشتعل
 إن فتح الباب يرى أول إنسان دخل
 أو جىء بالزاد وجسده بجاني اكل
 وإن شربت حصر الماء فعل ونزل
 قد أخذت صورته على مشاعري السبل

وحيث سرت طاف بي وأينما حلت حل
أم محمود تنظر الى الباب وتقول :

أرى الأبواب قد فُتحت وأسمع وقع أقدام
مصطفى : على جاء قمن له
يدخل على بك ويحاشيته رزق الوكيل . . الأغا مرجان . بعض الخدم
على بك : أضعنا نهارك يا مصطفى
مصطفى : بباب الأمير ولي النعم
يطيب الوقوف لأوفى الخدم

على بك [هسا مصطفى] :

يا مصطفى قد بعثي
مصطفى : أجل صبي كان من
على بك : ما ارتبت فيه ساعة
مصطفى : عاش أبوه لا أرى
على بك : ولكنه لم يدر في البلاد
فسل الحسام وهز القناه
مصطفى : ذاك ذئب لم أبعه
بش ما باعوك يا مؤ
على بك : وأين البنيات ؟
مصطفى : ها هن قه
من سنوات ولدا
أذكرى الصغار عتدا
أن سيكون سيذا
أباه إلا أسدا
ولم يعرف الناس حتى فسد
وأصبح عز ريل هذا البلد
حفش غيري بأعه
لاى يا شوم البضاعه
نوقار المولاى فى المجلس

على بك : تخير الحسن قبل
 على بك [لرزق] : يارزق ما أنت راء
 رزق الوكيل :
 أم محمود : بل قل ثلاث شمس
 فكيف كيف اختياري
 كذا تكون الجواري
 تنزل في نهار
 على بك [ممازح] :

من أنت يا شر وجه
 أم محمود : أنا يا مولاي حُسن الماشطه
 ثم لنفسها : آه من لي بحياة ثانية
 ليتني يا ليتني يا ليتني
 ومن أحلك داري ؟
 أنا في أمر النبات الواسطه
 ليتني أرجع يوماً غانيه
 آه لو ينفع قولي : ليتني !

[أم محمود . تأخذ يد شمس وتأتي بها] :
 فهدى كاسها شمس
 على بك : تعالى الله ما أبهى
 [ثم ترجع شمس وتأتي بركية] :
 أم محمود : وهذه زكية

على بك [ممرضاً عنها ومشيئاً الى آمال] :
 وهذه الحوريه ؟
 أم محمود : مهة فداها النيد من شركية

لهاسيرة عند الملوك تدار

إدابررت ود النهار قيصها

يغير به شمس الصبحي فتعار

وإن نهضت الشئ ودقوامها
 نساء طوال حولها وقصار
 لها مَبْسَمٌ ، ش الخليج لأهله
 وعاشت لآلٍ في الخليج صفار
 على بك : ما اسم هذى الة ؟
 أم محمود : آمال الحسناء
 أم بك لآمال :
 آمال : جنة الله يا أمبر على الأرض
 على بك : وهذا الوشى والديبا
 وهاتيك المصاييح
 وهذا الخشب المصنوع
 لقد طفت على فار
 وأدخلت قصور العز
 فهل أبصرت ما يشبه
 نهم مسترا : وكل ما أبصرت في
 فليس يعملو الصانع
 آمال : لا عجب مولاى يا طالما
 على بك : لكن أرى القوقاز أعلى يدا
 آمال كيف ألفت قصرى
 ولم لا ألت سلطان مصر
 ج ما موقعه منك ؟
 من البلور والسلك
 ع بالصندل والمسك
 س والقوقاز والترك
 والثروة والملك
 هذا الصنع أو يحكى ؟
 قصرى من صنع البلد
 المصرى في الذوق أحد
 قد بلغ الفن بمصر الكمال
 من غيره يصنع هذا الجمال ؟

آمال : سيدى

مصطفى [همساً] :

حاذرى ابنتى قدرى الموء قف لا يخطر العقوق ببالك
آمال : لا أبى، خلنى أبج أشك بئى خذل الصبر قلبى المتمالك
آمال [لبي بك] : سيدى

على بك : ما أرى ؟ دموع لآلٍ ذهبت فى الحدود وتشتى السالك
م تشكين يا ابنتى مارواء الدمع ؟
آمال : لا شئ

على بك : بينى ما هنالك ا
آمال : سيدى، غير شأننا بك أولى
هذه السوق لم تلىق بجلاك

تشتري النفس أو تباع على الارض ولم يرض فى السماء المالك
مصطفى : قللى الهم يا ابنتى والتشكى
وانظرى الحال وافكرى بما لك

هذه السوق نعمة الوطن الباس من منها
على بك : ونحن نعم ذلك
أنا أيضاً مررت بالسوق يا أما
ل، حالى يا بنت من مثل حالك

قد وقفنا بهذه السوق نبغى دولا من ورائها وبمالك
وقديماً كانت سبيل المعالي للمايك أوسيل الممالك
على بك [مستعراً] : لك الله يا آمال، أنت كبيرة
وكل كبير النفس سوف يسود
فداؤك نفسى هذه نفس حرة
وهذا إباء ما عليه مزيد
أتيت بما لم يأت فيما مضى لهم
ملوك على عرش الكنانة صيد
شرونا وباعونا صغاراً وفتية
كما يبيع سودان بمصر عبيد
فما كان منا من رأى الرق سبة
ومن قال عند البيع لست أريد
نمستعراً: الخطب غير عظيم لا تحزنى يا فتاة
وكل بهرج يداوى لرب عاجلته الأساة
آمال : مولاي قالوا رزقت نفساً فضائل الصالحين فيها
بأى دين تحوز رقى وتشتري البنت من أبيها
على بك : أبوك ؟
آمال : أجل والدى
على بك : مصطفى
أأنت أبوها ؟

مصطفى : أجل سيدى
 على بك : ماذا ترى ؟
 مصطفى : فى يدك الفتاة
 تصرف لقد خرجت من يدى
 على بك : دع البيع يا مصطفى والشراء
 وزوج فتانك أو فاردد
 مصطفى : بمن ؟
 على بك : بي
 مصطفى : إلهى !
 على بك : أجل بي أنا
 مصطفى : سمعت فتاتي اشكره اخدى
 آمال : علام أجربته بعد ؟ لا سأعلم ما صاحبي فى غد
 على بك : لم تقبلى الرق منذ حين يالك من حرة نبيله
 والآن تخشين من زواج تمشين فى ظله ذليله
 آمال
 آمال : مولاي
 على بك : هاك قصرى
 أم محمود : تحية للملك
 مصطفى : أقبل ستر مولاي
 أمال : أبى ! أستغفر الله !

على بك : وأنت الملكُ اليومُ مرى وانهمى على الدار
وحلَّها حُلُولَ الشمسِ من في أرجاء آذار
وكوني قُفْلَ أموالِ وأذخاري وأسراري
ولا يَهْمُكَ تَرَحُّالِي ولا تشغلك أسفاري
فللغنمِ والصيْدِ خفوف الأسد الضاري
وللرفعة والمجدِ سفار القمر الساري
آمال : مولاي هاتها يداً قد طوّقتني خيرَ يدٍ
هات أضع في راحتَيْكَ قبلاً بلا عددٍ

مصطفى : يا للجلال والخطَرِ ويا لتوفيق القَدَرِ
من البشيرُ بالخبرِ إلى البيوت والأسرِ
حظٌ لعمرى قد كلَّ فنَّ يُبلِّغُ الجبَلِ
وكلُّ دارٍ تَزَلُّ على الشعاب والقللِ
أنا ظفَرنا بالأملِ

أم محمود : قن بنات الشرِكسِ للهو والتأثُّسِ
زدن سرورَ المجلسِ برقصَكُنَّ الحِمسِ
شمس : عشاق ماذا أنْخَرَكِ لَمْ لَمْ تيجرْدِ خنجرَكِ
قم لاعب الغيدَ نَرْكِ كيف تخوضُ المعتركِ
عشاق : غدا يُعقِدُ للوالى على الحسناء آمالِ
جبالَ الشرِكسِ اختالِ بهذا النسبِ العالِ

هلبوا رقصة الخنجر	هلبوا الفرحة الأكبر
من الحاضر والبادي	غداً يملك الوادي
ومن شاهد أعياد	فن طالب أفرح
هلبوا رقصة الخنجر	هلبوا الفرحة الأكبر
ونمسي فرحا مصر	غداً يتهيج العصر
ويزهو بهما القصر	ويجلى الشمس والبدر
هلبوا رقصة الخنجر	هلبوا الفرحة الأكبر

هتاف خارج القصر :

يا أسد الممارك	لازلت منصور القنا
يارب زد وبارك	أطعمتنا سقيتنا

على بك : اسمعوا

رزق : ضجة

الأغمارجان: أجل وابتهاج رجال بسيدى يهتفونا

على بك: من ترى الهاتفون رزق ويا مرجان أخرج فانظر من الصاخبونا

الأغا : عادة تلك كل يوم خميس عندنا ألف جائع يطعمونا

على بك : امض فاجعل في كف كل فقير

ذهبا يطعمون منه البنيينا

نفحة من أميرة النيل مولاناك

آمال : بل منك سيد المحسنينا

رزق : مولاي

على بك : من ؟ أو رزقُ ذا ؟

رزق : كم ذا تجودُ وكم تهبُ

إن الخزانة أصبَحَتْ بنداكَ كالبحرِ الخربُ

المضنة انفضتُ وما قد كان من ذهب ذهب

رمضان راح بنصفه والنصف راح به رجب

على بك : أجل نحنُ أطعمنا الفقير ولم يكن

له في قصور المترفين طعام

ونحن سقينا ابن السيل ولم يكن

يبلُّ له فوق الطريق أوامُ

ونحنُ حصننا اليتيمَ نمسحُ دمعَه

وآواه منا محسنونَ كرامُ

تري الزاد مبدولا وفي كل ساحة

يتأذى قعودٌ حولَه وقيام

ونبني فركنَ الثقافة والحجما

يشادُ وركنُ الصلاة يُقامُ

ودارُ يواسي البؤس فيها ومنزلُ

تداوى جراحاتٍ به وسقامُ

ونرفق بالعجماء أسوجراحها
تُقاتُ على ساحاتنا وتنامُ
على بك للاعاً مرحان وهو بالباب .
مرجان ، خبير

ب. مان . سيدى «لشير»

أدحله ليس دونه . ورد
على بك

الأمال : أمرى ، أعى
بشير من أولاي

آمال أيام محمود .
ب. سرى سعله
بالمهمات قد كثر
أ. محمود .
أ. محمود .

أ. محمود . ملكتى
ما تَبْدِين ما الحبر
آمال . شمس

شمس . لبيك ملكتى
دوبك الشمس والقمر
آمال لركية : أخت

ركية : أهديك ملكتى
زاد فى شأنك القدر

آمال : حُلن فى القصر جولة
وتنقلن فى الحجر
نحن فى الود والصفاء
كأس الذى غبر
عشن ضيفاً على فى ال
قصر ما امتد فى العمر

« يخرجن مع مصطفي وعشاق .. ويدخل بشير بك فتتعمى آمال ناحية »
« من الحجرة تعرف من نافذة فيها على ساحة الدار »

علي بك : ماذا ورائك يا بشير
بشير بك : شأن ساعرضه خطير

علي بك : قل
بشير بك : لا أقول لأنه شأن يسر إلى الأمير

علي بك يذهب ببشير بك إلى ناحية أخرى من الحجرة :
علي بك : عجل وكاشفتي بما بلغت من الجدد الأمور
والبو

بشير بك : من ؟

علي بك : أبو الذهب

بشير بك : يأخذ للشر الأهب

حاز الأقاليم إليه وتآلف العرب
والفسر في ركابه والشعب جذلان حارب
فلنرتحل فرمما بجن فمجل الطلب
علي بك : أرى الأزيمة اشتدت وأبطأ انفراجها

بشير بك : فصبراً عساها آذنت بذهاب

علي بك : صبرت طويلاً يا بشير فما جلا
ولا ذلل الصبر الجليل مصابي

ولو أن رُزقي بالغريب احتملته
ولكن بأهلي نكبتى وعذابى
يطاردنى فى الأرض من دبِّ فى يدى
وربِّى فى حجرى وشبِّ بياي
ومن طلب الدنيا بياسى وسطوقى
فلما حواها فى يديه سطا بى
ومن عشت أبنيه وأعمرو ركنه
فصير هدى شغلته وخرابى
لقد آن أن أسمى وأن أدفع الأذى
بشير امض هبى للرحيل ركابى
إلى كم قعودى عن عدوى وكيده
وهذا عدوى لا يملُّ طلابى
سأخرج نحو الشام فى قل شيعتى
فهى جياذى وادع خير صحابى

بشير بك: وماذا وراء الشام ؟

على بك :
أسد ضرا غم
ألفهمو حولى لنصرة غابى
يزيد بهم جيشى وتقوى عشيرتى
ويشدد ظفرى فى القتال ونابى

الان فرقة ١

بشركت أعلن يا بني أأمضي ؟
 على مك . بل ابي اطر يا بشرك
 إد: أما قصيتُ المساء نهرب الأبيره ماذا نصير
 بشرك: وليل غدٍ والاني بعد
 وإن شئت فابق الليالي الكثير
 ونحن فتمضي فتأق العريش
 ونبقى بها بانتظار الأسير
 رُيغُ الجواسيس طول الطريق
 ونهرب من مُنكرٍ أو نكير
 رُندركما أمير مستملاً
 كثير التبرأت قليل الظهور

علي مك : بل امض بنا سر بنا سر بنا
 فاجلب الحير مثل البكور
 لآمال لا تجزعي أميرتي لا بد لي من السفر
 لقد دنت حادثة من الحوادث الكبر
 كيت راج وسفر
 مُراحة من القدر
 أغيب شهراً واحداً فاشطري

آمال : سأنتظر

على بك : ما أنت إلا ملك نهى بقصرى وأمر

في ذمة الله يا ربّة القصر

آمال : وأنت مولائى شبت بالنصر

على بك لرزق : سأصعد يا رزق نحو الصعيد لشغل

رزق : ولم لا صعود القمر

» ثم لنفسه : صعود الدخان إلى ذروة إذا صار فيها امحى واندثر

على بك : وما فى الخزانة أوفى القصور بأمر الأميرة فيه اتتم

» لا مال : هكذا مصر كل يوم شتون شغلت مصر بالشئون الناسا

وكان البلاد خيل جهاد كل يوم تبدل السواما

رزق الوكيل لنفسه :

لا رحلة، لا سفر هذا لعمرى الحرب

وما الصعيد يقصدون بل إلى الشام الطلب

أما أنا فقد ملأت اليد من أبى الذهب

إذا الزمان بلى بعد حين انقلب

يجعلنى محمد على خزائن الذهب

على بك : سلام على قصر الإمارة والغنى

وإيوان سلطاني ودست جلال

ووالله ما فارقت مفناك عن قلبى

ولا خطرت سلوى الأمور ببالى

وأعلمُ أنى عنك لا بدَّ زائلٌ
 وأنك منى لا محالة خال
 ولكن أُمورٌ قد جرت وحوادثٌ
 بنقلةٍ دنيا أو تبدل خال
 تخالفنى من كان عند إشارتى
 يصول بجاهى أو يعيش بمالى
 وعقّ الذى ربيت فى حجر نمتى
 ووطأتُ أكنافى له وظلالى
 تألف أصحابى وألب شيعتى
 على وأغرى بالخروج رجالى
 لقد جئت بآبن ليس لى فكأنما
 أتيتُ بأفعى من سحيق تلال
 تفرّق عنيّ الناسُ إلا بطائى
 ولم يبقَ حولى اليومَ غيرُ عيالى
 سأمضى وما عندى لهم إن تركتهم
 سوى قوتِ أيامٍ ونخبِ ليالى
 وقد زعمَ الناسُ الغنى فى خزائى
 أتى من حرام تارة وحلال
 وأقسمُ لم تُهرز يميني دهماً
 من المالِ إلا أنفقته شمالى

أسير. أجل أمضى نعم فعمسى السرى
 تروح بنجى أو تجى بهلالى
 فما الدهر إلا حالة ثم ضدها
 والا ليالٍ بعدهن ليالٍ
 وتلك التى أحببت أول وهلة
 وأشركت فى ملك وشيك زوالٍ
 أعود إليها فى المواقب ظافراً
 وفرق بالنصر المؤزر حالى
 وأرجع حراً تحتى النيل كله
 وما من بنى عثمان فوق وال

[يخرج على بك ومعه بشير بك ورزق الوكيل ويبقى مرجان بالباب]
 [تسمع ضجة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول]

يا ربّة القصر لا مسك الضر
 هل عندكم غوث هل عندكم نصر
 الحرة فى وادٍ ليس به حر
 آمال : مرجان ويحى هذه صيحة وامرأة صارخة باكية
 مرجان أنظر
 مرجان : هى ذى أقبلت موعلة صاحبة شاكية

[تدخل امرأة مقطوعة الأذن وصارخة]

آمال : ماذا دهي يا خاله أنت بشر حاله
ذا الدم من أساله ؟

المرأة : جنود ورام كبير لهم من الذين قد جردوا والخلق
أتوا دارنا ففضى نصفهم أزال العفاف ونصف سرق
ومال على أذنى بعضهم بسكينه طمعاً في الخلق
آمال تدفع الى مرجان صرة :
مرجان خذ ناول

مرجان : تعالى خذنى

آمال : لا بأس يا خالة لا بأس
انتظري عود على غداً فى غد يرتدع الناس

« المرأة تأخذ الصرة وتمسح مولولة »

وأذنى أين ألقاها مضت آماً لها آما
ويا من عنده أذنى أما يكفيك قرطاهما

« تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذمورة »
الفتاة : سيدنى

آمال : وأنت أيضاً

الفتاة : رحمة سيدنى

1911

آمال : وِجْ لَہِم ۛ اِذَا جَنَوْا وِخْ لَہِم

السا . . لا شيء

آمال : لا لا بد من داع دعا

الْفَسْ لَا تُقْتَلُ يَا أُخْتُ سُدَى

القاء : صدقت يا أميرتي إلا هنا

لا ينزلُ الرأسُ بمصرَ جسداً

إلا نزولَ المرء في بيت الكرا

آمال . نذکری قوی لی الحق اصدقی

العتاة في حياء : قد سرق الإخوة جحش الكنخدا

سرّ امض مرچانُ مع الفتاة

واشفع لدى الحاكم للجناة

« ينصرف مرجان مع الفتاة »

يدخل اُغا آخر ويقول :

سیدتی

آمال : وَأَنْتَ مَا عِنْدَكَ قُلْ

الأعا : ابن الأمير سيدى مراد

آمال : ابن الأمير ١٠ هي عجل جئ به
أكلهم لسيدي أولاد
أدخل مراداً واثني بمصطفى
آمال لنفسها: أخاف إن قلت أبي أن يعرفنا

[يظهر مراد بك]

آمال لنفسها: ويحي وويح لعل ما أرى
إني أرى الغدر على هذا الفتى
مراد بك: تحية سيدتي أذكرك من أنا ؟
آمال : كل الذي أعرفه ابن الأمير ههنا
مراد بك: أميرتي قد خدعوك ما على لي أبا
ما أنا إلا صاحب قدمه وقرباً
آمال : يا عجبا

مراد بك: ومم يا مالكة القلب العجب
وكل ما في الأمر أن ليس على لي باب
وليس ما يمنعني من أن أحب وأحب
آمال : نحب أو نحب قو لا يلقى بالأدب
نسيت للقصر ولي ولأبيك ما وجب

مراد بك: قد عرفناك يا أميرتي إننا أمس التقينا في معرض الجلاب

مراد مستراً: ذهبت لأشترى فاشتراني وباعني
 غزالٌ بهم المقلتين رمان
 هممت ولكن صاحب الصيد ردى
 وصير سلطان البلاد مكاني
 ولم يدرا في فوق شأن محمد
 وشأن علي في الرياسة شاني
 إذا ما حوتني كفة رجح الذي
 رمى بي في ميزانه ثواني
 وجاء علي فاشترى

آمال : لست صادقاً بنى أمير للكارم بان
 مراد بك : وطار عن الوادي
 وماذا يعيه ألم تخلق العقبان للطيران
 مراد بك يقترب منها :
 آمال لو تعرفينا آمال لو تعطينا
 مصطفى بابا باب وقد سمع كلامهما «لنفس»:

أرى شبح الجريمة حام حولي
 كما ناش الغريم الأفعوان

آمال لمراد بك :
 لا تدعني باسمي ولكن نادني باللقب
 مراد هذا هوس قف عند حد الأدب

مراد ما مقصورتى بمجلس لأجنبي
أخرج

مراد بك : على رسلك مولاتى

آمال : دعنى . إذهب

مراد بك : بحق الحب مولاتى

آمال : ظلت الحب با نادى

فما الحب فضولى ولا لى ولا فاجر

ولكن معدن النبيل وكفى الخلق الدامر

(تنحسر الإمامة عن جهة مراد ما فيظهر أثره في دم)

(جبينه كان قد أصيب في صفرة ...)

مصطفى بعد أن يرى أثر الجرح وهو بالباب :

إلهى هذا جرحه ذا مكانه

أما بان طول الدهر للحرى زائما

إلهى هذا الجرح فوق جبينه

مقتت سنوات ما فتون العلائما

لقد بارز الصبان بالسيف ناشئا

فصادف سيفاً خدش الرأس صارما

إلهى ارى أشياء تيم مهولة

وأشفق فيها من عقابك صارما

إلهى لا تجعله حقاً ومراً أكن
 بما أرا من عذابك حالماً
 كفى غضباً يا ربُّ حسب عقوبة
 وحاشاك لم تظلم ولم تك ظالماً
 إلهى كانت هفوتى عن غواية
 فثبت فكن لي فيهما اليوم راحماً
 آمال لمصطفى :
 وأبتى
 مصطفى : ليك آمال

آمال : إلى يا أبى
 مصطفى : أحبيب بهذا الصوت أحبب بالنداء أحبب
 آمال : أبى
 مصطفى : ابنتى أنتِ هنا ؟

آمال : تمال قف بجاني
 مصطفى : لا بأس يا ابنتى علي
 آمال : أبى لقد ديس العرين فى غياب الضيف
 مصطفى : من فى مقاصير الأمير ؟ ما أرى من الضيف
 آمال : ذئبٌ بشكل آدم للصيد فى الغاب أتى

مصطفى [مهما] :

خنجرى أين خنجرى اليوم منى

يفسل العار والديّة عنى

فمعى أن يُريحنى من صبي

عابك ، أو يريحه هو منى

هو يطنى بسنه ساريه

أننى الليك ساعدى هو سنى

آمال : أبقى ما تقول ؟ ماذا تلبست ؟

مصطفى : سلاحى

آمال : لا لا أبى لا ترعننى

آمال [لمراد بك] :

يربك إلا حققت الدماء

مرادبك : دماى أنا أم دماى اللعين ؟

مصطفى : أتلعننى يا أضلّ الشباب

أتلعننى يا أعقّ البنين

مرادبك : ولّم لا وما لك من حرمة

مصطفى : ستعلم ما حرمتى بعد حين

سأقلع عيناً سميت للباة

وأقطع رجلاً مشّت في العرين

آمال : كفى هوساً أيتها الأمير
مراد بك : أبي هوس ملكتي !
آمال : بل جنون
كفى جرأة

مراد بك : وعلام أجترأت ؟
آمال : على امرأة تحفظ الغائبين
مصطفى : مراد لك الويل من سادر وقاح اللسان وقاح الجبين
هتكت على الحزن محرابه ودست على عبرات الحزين
ولم تحتشم في خطاب الشيوخ ولم ترج فيهم وقار السنين

مصطفى [لنفسه وهو يبحث عن خنجره] :
ربّ ضللّ يدي وحطّم سلاحي
ربّ لا تقض أننى أقتل ابني

مراد بك : سيسبق سيفي خنجر الشيخ
مصطفى : مرحباً
بسيّفك من ماضى الحديد يمانى
فهاهنا مرادُ السيف هات منيّي
أرّخ من عذاب الحادثات جَنّاني

مراد بك [وقد شهر سيفه] :
إلهي مالى قد غلبت على يدي
وما بال سيفي إذ هممت عصاني

وما بال نفسي بعد طول جمودها
 قد انفجرت من رحمة وحنان
 عَفَوْتُ كَيْلَ ياشيخُ مِلَّ عَنِّي انطلق
 وعش ناعماً في غبطة وأمان
 مصطفى : أميري ذا رأسي نخذه بضربة [يخرج مراد بك]
 عساني أرى هذه الضمير عساني
 مصطفى [لنفسه ، ويبيع مراد بك] :
 أَأَنْتِيهِ ؟ لَمْ لَا ؟ لا . بل استأن مصطفى
 أَأَذْكُرُ لابني كيف خَسَّ شاني
 آمال لنفسها : ويح لي ويح قد قسوت عليه
 وتجاوزت في العقوبة حدى
 ما الذي استوجب الأمير ما أذنب حتى رددته شرُّ ردِّ
 ويح قلبي يحبه ككذب القلب
 وبعداً لبلبة ألف بعد
 هو مستهتر على حجراتي
 وتناسى أمانة الزوج عندي
 لا . بل القلب شغل به مراد هو شغل من الحياة وقصدي
 ربِّ مالي أحسن نحو مراد
 شفقاً زائداً ولوعة وجد
 وحناناً كأنه رقة العشق جرى في دمي ولحمي وجلدي

صدق الاولون آلان أدري
 كيف تجزى القلوب وداً بود
 كيف قلبي تجبه كيف تهواه
 بودي لو تستفيق بودي
 عبثاً أمر الفؤاد وأنهى
 وسدي أسترده على ورشدي
 كل نصيح يُقال للقلب في الترك
 وفي سلوة الهوى غير مجد

لم لا أشتي مراداً وأهواه
 ومالي أغالب الشوق جهدي
 ومراد الله في العين لمحاً
 من سنا الصبح بعد ليلة سهد

ملك جاء حجري يشرح الحب
 أفي الحق أن يجازي بطرد
 لم لم أتخذ في حادث الدهر
 نصيراً يرد عني التعدي
 لم لم أتخذ بعد على
 ركن دنياي أو دعامه مجدي

لا وربّ الجلال والحقّ «آمال»
 ارجى للصواب «آمال» جدّى
 أنت من أمة تصون حمى الزوج
 وتقضى حقوقه وتؤدى
 ربّ لا تجعل العلاقة إلا
 من سلام إذا التقينا ورد
 ربّ إن البلاء منى قريب
 وأرى حُفرة وأخشى الردّى
 رب لا تقضى أن أخون عليّ
 وأعنى على الوفاء بعهدى
 أنا حيرى وأنت تهدى الحيارى
 كيف أهوى على هوى الزوج عندى
 ثمسترة: لا لا رويدك يا آمال لا تنبى
 على الأمير ولا تجزيه طغيانا
 واحمى حمى الليث فى أيام غيبته
 إن اللبابة تحوط الغاب أحيانا
 هببه لم يخلق الدنيا عليك ولم
 يلبسك تاجاً ولم ينزلك إيوانا

هبيه لم ينفجر قبل الزواج ولا
 بعد الزواج ولم ينهل إحسانا
 هبيه سافر في شأن له جَلَلٍ
 يبني لدولته في الأرض أركاننا
 أما هو الزوجُ يرعى حقَّ غَيْبته
 وتَجعل الحرّة الفضلى له شانا
 لقد أقامك في محرابه مَلَكًا
 لا تجعلى المَلَك المهدى شيطاننا

ستار

الفصل الثاني

في قلعة ضاهر العمر صاحب عكا

« فناء قليل الضوء مبنى من الحجر انتشرت المصاطب في جوانبه »
« يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الأسطول الروسي »
« في ناحية من فناء الدار بعض الجند يتحدثون »

أحد الجند: سمعتم الرعد؟

آخر: سمعنا القمقم

بربكم هل في السماء مسبعة؟
أم في السماء وقمة ومعممة

الأول: بكبيل من الرغام انشقاً

أو كالنحاس بالنحاس دقاً

الثاني: والبرق لمحمة القبس أو زفرة حرى النفس
أو كالدم القاني انبجس

شق الظلام وخفق على ملاءة الأفق

كَأَنَّهُ خِيَطُ الشَّفَقِ

- حبيش : ضرغام
 ضرغام : ماذا يا حبيش؟
 حبيش : أَلَعَمَى لَكَ الْعَمَى
 البرد زاد
 ضرغام : صه أما في طوبة نحن أما
 حبيش : ضرغام إني قد حسدت القوم في جهنما
 ضرغام : اصعد إليهم إن أردت
 حبيش : كيف؟
 ضرغام : هاك سلبا
 وانشد حماقي بينهم وطف بها مسلما
 حبيش للطلاء ملأط
 ملاط : لَبَّيْكَ حَبِيشُ
 حبيش : قم أخي لك العطب
 ملاط : وما الذي أصنع يا حبيش
 حبيش : جئنا بحطب
 ملاط : من أين؟
 حبيش : قم خذ كلنا لاقت يداك من خشب
 ملاط : كيف أجز الساق والبرد بأطرافي ذهب

كَأَنِّي مَيِّتُ الْيَهُودِ نَزَعْتُ مِنْهُ الرُّكْبَ
 حَيْشُ : يَالِكَ بَرْدًا قَارِسًا وَزَمْهَرِيرًا لاذعًا
 لَا الصَّوْفَ فِيهِ وَاقِيًا وَلَا الْحَرِيرَ نَافِعًا
 ضَرْغَامُ : مَا الصَّوْفَ مَا الْحَرِيرَ لَا لَا أَعْطَانَا بَرَادَعًا
 حَيْشُ : أَنْظِرْ قَفَا صَاحِبِنَا كَأَنَّهُ بَغْلٌ ذُبُجٌ
 وَأَنْظِرْ أَهَاتِيكَ أَنْوُ فُ فِي الْوَجْوهِ أَمْ بَلَحُ ؟
 كَانَ كُلُّ رَجُلٍ فِي أَدْنِيهِ قَدْ جُرِحَ

« تَسْمَعُ فَرْقَمَةً »

آخِرُ : صَوْتُ ١٩

ضَرْغَامُ : أَجَلُ ١

الْأَوَّلُ : مَا الصَّوْتُ ؟

ضَرْغَامُ . تِلْكَ فَرْقَمَةُ

الْأَوَّلُ : وَأَيْنَ ؟

ضَرْغَامُ : عِنْدَ التَّرِكِ هَلْ مِنْ مَوْقَعِهِ ؟

[تَسْمَعُ فَرْقَمَةً ثَانِيَةً]

حَيْشُ : وَذَاكَ ؟

الْأَوَّلُ : مَدْفُوعٌ وَتِلْكَ بُنْدَقُهُ

اسْمَعُ ١

ضرغام : وما ذلك !

الأول تلك طقطقه

أقدامُ خيل في الفضاء مُطلقه

ملاط : ربِّي متى ينقضي البلاءُ وتنقضي الحربُ والشتاءُ

جيش : ربِّي متى نَنعمُ بالسلامِ متى
كم. ذا إلى كم نحنُ حربُ وشتا

آخر : كم أنا كالفار شق من خندق لخندق
أصحو على المدفع أو على صفيح البندق

جيش : قل لنا يا خراب ما هذه الحالُ متى تنتهى وأين المصيرُ؟
قدسُمننا القتال واشتاقت الزوج إلى زوجها وحنّ الصغير
وتركنا وراءنا الدور عزّ القمح فيها وقلّ فيها الشعير
وبنو ضاهري شراهمو العُصاب والشهد قوتهم والفطير

آخر : كل حين يحىء من مصر جيش
ينزل القدس أو يحلّ الشّاما

وأمرٌ يقاتلُ التّرك في مصر
أتى شاهراً علينا الحُساما

نَحْنُ مَا بَيْنَ مَصْرَ وَالْتَرَكِ ضَعْنَا
وَسَمْنًا الْحَيَاةَ وَالْأَيَامَا
غَمِ نَحْنُ بَيْنَ رَاعٍ وَذَنْبٍ
أَي هَذِينَ جَاعَ كُنَّا طَعَامَا

آخر : وغداً ..

حبيش : ما غداً ؟

الأول : بلالة عظيم

حبيش وآخرون : كيف ! ما ذاك ؟

الأول : إسألوا ضرغاماً

ضرغام : العمى للرجال ما تبصرون الفلك في البحر تشبه الأعلاما

آخر : فلك من ؟

فلك قيصر الروس في البحر تصب الردى وترمى الحماما

قطع من جهنم راسيات قعد الشر حولهن وقاما

وغداً ينزل الجنود فيه تلون هذى القلاع والآجاما

ملاط : إذن فأهلاً بغدٍ إن غداً قد اقترب

آخر : كيف ! وماذا في غدا ؟

ملاط : فيه كرائم السلب

غداً نفوز بالسلاح والملابس القشب

آخر : وما على الصدور من قلائدٍ ومن صلبٍ

وعادة الروس ينوءون بصلبان الذهب

[يدخل ظاهر المر ومعه حسين المصري]

ظاهر : وكيف حال الدار ؟

حسين : غابة الأسل

أوهى وكر النسر في رأس الجبل

ظاهر : وسهر الدار على الضيف الأجل

حسين : تحفظه حفظ الجفون للسفل

ظاهر : والشام . كيف تجد الشام ؟

حسين : نزل يلىق في جنة عدن للرسل

أنهارها من لبن ومن عسل لاشيء إلا في ذرا الشام كل

إن تغل من شيء فن لحم الحمل

ظاهر [ويصفق] :

غضبان صعب يا عبوس يا نكد

صعب وغضبان : لبيك مولاي اقترح أشر تجد

ظاهر : امضوا اجمعوا الخيل من سوق البلد

وقدموها للضيوف منذ غد

[ينسحب حسين والخدامان]

يدخل خادم ويقول :
مولاي

ضاهر : ماذا . . زائر آخر ؟

الخادم : لا سيدي ، بل هذه زاتره

ضاهر : امرأة أنثى ؟

الخادم : أجل سيدي

ضاهر : وما اسمها ؟

الخادم : لم ترض أن تذكره

ضاهر : هل صرحت من أين جاءت ؟

الخادم : أجل من مصر مولاي من القاهرة

ضاهر : وما سننها ؟

الخادم : غادة في الصبا تُشبهها الزنبق الطيباً

وقد لبست حلة للسفار

وشالا كوشى الضحى مذهباً

تريدُ تقابلُ ضيف الأمير

ضاهر : تريد عليّاً إذن مرحباً

ثم لنفسه : ألمي أنثى لدارى سعتُ تريدُ عليّاً فما تطلبُ

ترى امرأة هي أم حبيبة تريدُ صديق أم عقرب

[يخرج ثم يعود بشمس]

شمس : سلامٌ لك مولاي
 ظاهر : سلامٌ جارة الدار
 فما أنت وما تبغين من ضيفي ومن جاري
 شمس : رسولٌ أنا يا مولاي قد جئتُ بأخبار
 جرى في مصر الدهر بأحوال وأقدار
 ظاهر : وما ذلك؟

شمس : لا أعطى سوى مولاي أسراي
 ظاهر : هي تقدم قتش السيده
 شمس : لا سيدي يحسن أن تبعده
 من لا يمدد الوحش نحوى يده

الخادم ويتقدم نحوها :

ماضراً لو زحزحت ال غداة فضل البرقع
 شمس : مالك يا وغد ولد ببرقع دع عنك دع
 الخادم : عمي لك يا عمر ما ذى غدا ترُ لكنها أفعوان قبع
 وتلك الجفون سلاح مضى وسهم أصاب وسيف قطع
 وفي الصدر غدارة ههنا وأخرى إلى جانبها تقع
 وهذا القوام كرم الأمير إذا اهتز في كفه أو لمع

أميرى أنزع منها السلاح

[يدخل على بك]
على بك بعد أن يسمع : سلاح الملاحه لا ينزع
« ينزل ضاهر »
على بك لشمس :

أهلاً بشمس بالرسول ومرحباً
بنسيم مصر ونفحة الأحياب
كيف الأحبة «شمس» هاتي خبري
قد طال بُعدى عنهمو وغياي
كيف الديار وكيف قصرى هل ترى
ترك القواصد والصنائع باي
أتاهمو قد رددهم خدى وقد منعوا طعماي عنهمو وشرابي
وموائدى ياشمس كيف موائدى
والطاعمون بها وكيف رحابي؟

شمس : مولاي طِبْ نفساً فَبَرِّكْ لم يزل
يبحرى وخيرك في يد الطلاب
على بك : والناس شمس ؟
شمس : مع الأمير قلوبهم لكن سيوفهم مع الكذاب

الغز والامراء حول ركبته

على بك : وكذلك كانوا أمس حول ركبتي

والأزهر المعمور ؟

شمس : صادق محمد فيه الشيوخ وعاد بالطلاب

على بك : والشعب ؟

شمس : سال يا أمير كعبده قد مال عن باب وقام بباب

والترك قد نصبوه بعدك هرة يتصيدون بظفرها والناث

على بك : والقصر كيف القصر كيف صديقتي

وشريكتي في شذقي ومصابي ؟

أرايت آمالا وكيف وجدتها ؟

شمس : لم نفترق مولاي

على بك : منذ ذهابي ؟

شمس : عزمت علينا أن نقيم بقصرها

وتعطفت وحننت على الأتراب

على بك : فوجدتها ياشمس

شمس : خير عتيقة وأجل ربة منزل وحجاب

ملاّت مكانك عزّة ومهابة

وكست حاكّ جلاله المحراب

سهرت على ذكرى الأمير وعهده
 سهر اللبابة على حرير الغاب
 لو كنت أمس ترى رأيت أية
 غصني حمامة عن الاحساب
 على بك : غصني ؟ ومم وما جرى ماراعها ؟
 شمس : من سافل مُتَهافت دباب
 على بك : ما ذاك شمس من الوقاح من الذي
 نقل الخطى بمنارل الغياب
 شمس لنفسها :
 رباه ما ذا قلت لم خبرته
 على بك : قولي أجيبي ؟
 شمس لنفسها : رب كيف جواني
 شمس لعل بك :
 ذنب فلا تجعله شغلك سيدي
 إن القذارة شيمة الأذنان
 على بك : من ذاك شمس ؟
 شمس : مراد
 على بك : ويح له ولي ويحي من الأتباع والأصحاب
 أمرا يصنع ذاك ما ذا غره بخزاتي ما غره بثيابي

والزوج شمس؟

شمس : استعصمت في دينها

ورمت بزايرها وراء الباب

على بك لنفسه :

يا نفس قد خان من قلده نقي

وكان حولى لواء الصبح والآل

هذا أبو الذهب استولى على شي

وحاز دونى جاهى واحتوى مالى

واليوم هذا مراد نال من شرفى

ما لا يمر لأعدائى على بال

على بك لشمس :

تعالى تجل يا شمس في دار ضاهية

تعالى نرى الجيش الحليف تعالى

فنحن اقتسمنا الحصن ثم عياله

على كثرة اللاجى وشم عيالى

« يدخل حين من باب ويدخل سعيد من باب آخر »

سعيد : حسين هنا ؟

من أرى من سعيد ؟

حسين :

سلام حسين

سعيد :

سلام سعيد

حسين :

سميد : أأنت هنا لم تزل يا أخى تراقب في الشام حال الطريد؟

حسين : وكيف اقتحمت فناء العرين

وجاوزت هذا الحصار الشديد؟

سميد : بمال بذلت هنا وهناك وبالمال يعطى الفتى ما يريد

حسين : متى جئت من مصر؟

سميد : هذا الصباح

حسين : ومن كان معك؟

سميد : بغال البريد

حسين : وماذا بمصر من الحادثات؟

وهل جد في أرض مصر جديد؟

سميد : حوادث مصر على حالها

وأمس القريب كأمس البعيد

حسين : وكيف محمد؟

سميد : خلقت كما يشتهي وعلى ما تريد

قبول يحرق قلب الحسود ودنيا تفيض وشأن يزيد

لقد نزل الريف في راحتيه وحج إلى قدميه الصعيد

ترى الأمراء على بابهم يقومون فيه قيام العبيد

والفقهاء على داره صباح مساء زحام شديد

- حسين : إذن قضى الأمر مصرنا
 سعيد : أجل ملكنا اليوم فيها وطيد
 حسين : وكنتي سعيد؟ تجيء الأمير؟
 سعيد : أجل وهي موضع إعجاب
 يشير بها في أحاديثه وينشرها بين أصحابه
 ونحن كلانا على بابه غداً تتلاقى على بابه
 ونطعم أطيب إحسانه ونلبس أسبغ أثوابه
 حميد : وما أتيت يا أخي تصنع في هذا البلد
 سعيد : ذلك سرى يا حسين لا يقال لأحد
 حسين : حذار أن تقول أو تفعل شيئاً ينتقد
 نحن بدار ضاهري دار العديد والعدو
 الجع يقظان بها وإن ظنته رقد
 وكل جاسوس هنا عليه عين ورصد
 وقد تظن ضاهراً مبتعداً وما بعد
 وضاهراً ليل نهار في السلاح والزرد
 قد جعل الشام هي الغاب وطاف كالأسد
 « ثم بعد فترة سكون »
 سعيد : حسين !
 حسين : ماذا يا سعيد قل سل
 سعيد : أين ترى أصادف الآن على؟

« يقول علي ما »

حسين : سعيد أظلم القدرت هذا الأمير مقبلا

يمشي الطوبى لنا ونخسـال الأسد المستملا

سعيد : حسين ما له انجي ما باله ترهلا

لأمشين لله حوء

لا بأخني بل ابق

حسين

لا

سعيد

حسين : إياك أن نقول ما يفضبه أو تفعل

فهو مهيب ههنا كاللبث في جوز القلا

سعيد : لا تخش لا أكون إلا محسناً ونجلا

ألم يكن أمس أمـير البلد المبعجلا

علي بك لسعيد :

من المرء من أين من أرض مصر ؟

فهذا اللباس لاس الوطن

سعيد : أجل ملكي من رعاياكو

علي بك : ومن مصر هذا اللسان الحسن

وما أسمك ؟

سعيد لنفسه : ما همته اسمي !

سعيد

سعيد لعل بك :

سعيد تذكرت من أنت من ؟

علي بك :

سعيد لنفسه :

تذكرني عجب كيف ذاك
ولم نجتمع مرة في الزمن
تراه بي ارتاب ظن الظنون
تراه لما كلفوني فطين

على بك : وكيف تركت بمصر الأمور؟
سعيد : عواصف حول مراسي السفن
وجو الأمور من الحادثات كثير القيوم كثير الدجن

على بك : وكيف تركت الأمير الجديد؟
سعيد : سقيم الولاية نكد الزمن
على بك : ولم يا فتى هل تولي الولي
وخان من الشيعة المؤمن
سعيد : أجل يا أمير ودب الخلاف

وئارت هنا وهناك الفتن
على بك : حديثك يا صاحبي لا يساغ
ولا تطمنن إليه الأذن
عساك تبالغ فيما تقول لعلك تخلق ما لم يكن
إذن لم يخن عهدى الأمراء ولم يقلب الترك ظهر المجن

ولم ينس أحمق الفقهاء أيا دى عندهم والمسن
ولا الشعب مل الأمير القديم

ولا بالأمير الجديد افتن
بلغت المدى أيها الفقى رويد تان رويد تان
فما نحن فى فلوات الحجاز ولا نحن فى ربوات اليمن
ولكن على الشام فوق الطريق

تمرُّ الركابُ بنا والسفن
وأخبار مصر وأحوالها هنا سمر للقرى والمدن
سعيد : وكتب الثقات إلى سيدى

على بك : وما هى من أرسل الكتب من ؟

سعيد : كتابان من عمر البحر كسى ومن حسن
على بك : من ؟ صديق حسن ؟

كتابان من مصر من صاحبي ؟
سعيد : أجل سيدى

على بك : سوف أغلى الثمن

وأي الكتابان ؟

سعيد : خذ سيدى
خذ النعس خذ من يدى الكفن

« وبقص عليه بمنجرد ليقبض على بك على ساعده »
حسين لنفسه : أسفاه على سعيد فإدري إلى أين ينتهى أين يمضى

نحن سيان في البلاء وأيدٍ طلبت رأسه ستطلب رأسي
هو في قبضة الأميرين لم لا أتوارى أنسل أنجو بنفسى

« ثم ينسل هاربا »

على بك : كيف ترى يا معتمدى نقد وقعت في يدي
يدخل ضاهر ويقول :

اتركه لى يا سيدى

اتركه لى فإنه فى دارى سطا بضيفى وسطا بجارى
على بك : من ؟ ضاهر ؟ بالنفس أقدى ضاهرا
أكنت معنا يا أمير حاضرا

ضاھر : كنت عليك يا صديق ساھرا
والآن أذهب يا أمير بصاحي

على بك : أتريدُ تذهبُ بالاثيم العادى
ضاھر : لم لا وفى دارى وبين عشيرتى
شهر السلاح على أمير الوادى
دعنى أحلّ به العقاب وخلقى

أمنع حمى شرفى وحوض ودادى

سميد فى ضراعة :

مولای !

على بك : ما بك قل ؟

سميد : بمصرَ وحقها

لا تُلْقِ رَأْسِي فِي يَدِ الْجَلَادِ
مولاي سَيْفُكَ بِي أُرِي فُسْلَهُ

إن شئت فاقتلني بسيف بلادى
ضامر : حَسَنٌ قُمْ انْهَضْ يَا بَنِي قُمْ انْطَلِقْ
فلقد طلبت الخير عند جواد

أنا قد وهبته للامير وقد عفا
إن الامير بكل فضل بادى

علي بك : أَلَا نَ سَعِيد

سميد : أَمِيرِي قُلْ ؟

علي بك : تَكَلَّمَ ابْنُ نَيْبِي مَن أَمْرٍ

ومن بَذَلَ الْمَالَ فِي مُغْرِيَاً وَكَيْفَ أَتَاكَ جَوَاذُ السَّفَرِ

تَكَلَّمَ ابْنُ

سميد : سِيدِي أَعْفَنِي

علي بك : قُلِ السَّرَّ لَا تُخْفِهِ لَا تُخَفِّ

أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ الْمُجْتَرِي ؟

سميد : مَرَادُ أَشَارَ بِقَتْلِ الْأَمِيرِ

فَلَا خَيْرَ فِي أَنْ يَذْبَعَ الْحَبْرُ

فَسَرُّكَ عِنْدَ صَدِيقِ الْعَمْرِ

قُلِ الصَّدَقُ تَأْمَنُ بِهِ كُلُّ شَرٍّ

وَعَبْرٌ مَرَادٍ بِهِ لَمْ يُشَرِّ

على بك : مراد ؟

سعيد : أجل إنه المعتدى وما أنا إلا سلاح شهر
على بك « ملتفتا بظاهر العمر » :
سمعت أخى ما يقول الغلام عدو من الأهل ثانی ظهر

إذا ما بغى الأهل والأقربون

فكيف من العالمين الحذر

« يخرج الظاهر فيتغيب لحظة ثم يعود فيقول »

ضاهر : أمیری

علي بك : من صاحبي ضاهر ؟

ضاهر : هنالك مولای ضیف حضر

علي بك : ومن ؟

ضاهر : قائد الروس في عكة أیدخل مولای أم ينتظر ؟

علي بك : أمير على البحر ماذا يقود ؟

ضاهر : بوارج للروس مثل الجزر

علي بك : وماذا ترى أنت مرني أشتر

ضاهر : تلافیه فهو جلیل الخطر

علي بك : ألاقیه ؟

ضاهر : لم لا وما في اللقاء إذا ما سمحت به من ضرر

« يصفق الشيخ ضاهر فيدخل القائد الروسي محاطاً برجال

« الشيخ ... ويخرج ضاهر وسعيد ورجال الشيخ »

القائد : التحياتُ للأمير

على بك : تحياتُ وأهلاً بسيدي الربآن

أدنُ خدُ مجلساً بجني تفضل

القائد : عشت مولاي مولاي الإحسان

نحن جاران يا أمير ولكن نحن في منزلين يختلفان

أنت كالليث رابضاً في الصحارى

وأنا الخوت في العباب مكاني

على بك : غير أني مقيد بخطوب حبست همتي وردت عناني

القائد : لا تنفق يا أمير ذلك أسطول

سفن القيصر العظيم قصور لك إن شئت زينت ومغان

على بك : أشكر القائد النليل وإن لم يعب ما في خطابه من معان

مستراً : أنا في دار ضاهرو هي داري مع أعوانه وهم أعواني

أنا في دار مسلم عربي مانع الدار مكرم الضيفان

أنا في الدار أول مند هاجرت إليها وصاحب الدار ثان

القائد : سبأني إلى شاهراً ونقلاً نجاة القيصر العظيم الشأن

لا ترومن بالمعصاة مائة مائة الملك بالحسام اليامي

كيف نبغى سرير مصر بشيخ

بدوي بصارم وحصان

على بك : بكریم من الرجال أبنی عبقری الوفاء والإحسان
فزن القول بانیل وأمسك لا تنل ذکر صاحبي هوان

القائد : ما أهنأ الصديق مولای لكر

قلت أحسن تخیر الأعوان

على بك : ليست النجدة البوارج كالأعلام

تطوى اللجاج كالطوفان

ليست النجدة الحديد ولا النار

بأیدی المشاة والمرسان

ليست النجدة اصطفاف العوالى

والفاف العروش والبيجان

ما النجدة الحق إلا صاحب دمه

عند البلاء دمی أو ماله مالى

أخ قديم كعرق التبر خلته

لم أسق من وده إلا بسكال

وعرضه عندى الغالى وإن بعدت

به الديار وعرضى عنده الغالى

القائد : كصاحب الدار؟

على بك : لم لا ضاهر^ه رجل^ه

من المروءة لا عطل ولا خال

« بقا نتمس »

القائد : والمملك مولاي ملك الضفتين

علي بك : أجل

المملك يا قائد الأسطول آمالي

القائد : إذن فتلك سفين^ه القيصر اضطجعت

على فراسخ^ه من عكا وأميال

فاركب أميري^ه فيها واثت مصر غداً

في الدارين وفي الفولاذ والمال

لعلنا ندخل الوادي معاً وعسى

على اوائك يغزو الترك أبطالي

على بك : نتمضي فنفتح مصرأ ثم ندخلها

أمنيّة الدهر تأتي لي وتسمى لي

غداً أحلّ بأعدائي العقاب على

ما استمرأوا^ه أمس من قهرى وإذلالى

« يدخل ضاهر »

على بك لعمري : رباها ماذا يقول المساكون ندأ

إن خنت قومي وأعماهم وأخوالي

يُقَالُ فِي مَشْرِقِ الدُّنْيَا وَمَغْرِبِهَا
 فَعَلْتُ فَعْلَهُ نَدَلُ وَابْنُ أَنْدَالِ
 عَلَى بَكٍ [لِقَائِدٍ] : أَجَلَ سَمَوْتُ لِمَلِكِ النَّيْلِ أَطْلَبُهُ
 بِهَمَّتِي وَيَأْفِدَامِي وَأَفْعَالِي
 لَا أَسْتَعِينُ عَلَى الْأَهْلِ الْغَرِيبِ وَلَا
 أُرْمِي الذَّنَابَ عَلَى غَابِي وَأَشْبَالِي
 الْقَائِدُ : مَوْلَايَ تِلْكَ مَعَانٍ تَحْتَهَا كَرَمٌ
 لَيْسَتْ لِمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِأَشْفَالِ
 عَلَى بَكٍ : بُعْدًا وَسُحْقًا لِعُلِيَاءِ الْأُمُورِ إِذَا
 لَمْ أَتَمَسَّهَا يُخْلَقُ فَاضِلٌ عَالِ
 الْمَوْتُ فِي ثَمَرٍ تَرَقَّى لِتَجْنِيهِ
 فِي سُلْمٍ مِنْ ثَعَابِينَ وَأَصْلَالِ
 الْقَائِدُ : إِذْنُ أَمِيرِي فَالْأَسْطُولُ مُنْتَظَرِي
 وَالْبَحْرُ يَسْأَلُ عَنْ شَأْنِ الْأَمِيرِ إِلِي
 عَلَى بَكٍ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ :

إِذْهَبْ فَا أَنْتَ دَارٍ مَا غَدُ فَعَسَى
 يُغَيِّرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

« يَنْصَرِفُ الْقَائِدُ وَبِشِيهِ ضَاهِرٍ وَأَتْبَاعِهِ »

عَلَى بَكٍ لِنَفْسِهِ :

رَبَاهُ مَا بَالِي أَبْعَدَ مُحَمَّدٍ وَعَقُوقَهُ أَشَقَى بَكِيدٍ مُرَادٍ

أنا صخرة الوادي براوح عاصف
 ركني ويبكر عاصف فينادي
 حملت كواهل الخطوب كما حوت
 هوج الرياح مناكب الأطواد
 ولقد تركت ورائي الوادي وما
 بالصفين قتي يحوط الوادي
 لم يبق في مصر ومصر عزيزة
 من قائل هذي البلاد بلادى
 الذئب يرتع في الديار ويرتعى
 والنسب يسرح كالقطيع الهادي
 نقل الزمان زمامه ورمى به
 من فائح باغ لآخر عادي
 ويحي فسا وقف الرجال كوقوفني
 من ظلم أحباب وكيد أعادي
 فهناك في فسطاط مصر محمد
 جشيع العداوة لا يمل طراى
 حتى حوى بيد مواكب دولتي
 وحوى بأخرى طارفي وتلاى
 مالى محمد الأثيم يكيد لي
 ومراد الباغي يدوس وسادي

عجبُ العجائب مصرُ صارت ضيعةً
 لمحمدٍ ورفاقه الأوغادِ
 ذئبٌ أتى الأتراكُ في الوادى به
 خلعوا عليه إمارةَ الأسدِ
 وبقيتُ في أرضِ الشامِ مُشرداً
 حيرانَ ليس الحريقُ من هادٍ
 قد نمتُ عن حقٍ وتاركُ حقِّه
 لاقى الحُसारِ على الندامةِ غادِ
 مالى قعدتُ وتركيا مقبورةً
 والروس حولي يخطبون ودادى
 أسطولهم ييدى وقائدهم معى
 سأصيبُ جُندى عنده وَعَتادى
 لا يا علىُّ رويدَ في الغضبِ اتند
 ما تلكَ خُطَّةٌ حَكْمَةٍ ورشادِ
 ماذا جَنَّتْ مصرُ علىَّ وأهلها
 إن الجناةَ علىَّ هم أولادى
 ماضٍ مصرٌ وضررتنى إن لم تكنْ
 مهدى وكان بغيرها ميلادى

بلد رعانى فى الصبا وأحلنى
بعد الشباب مراتب القواد
ودخلته عبداً كيوسف مُشترى
فاعتضتُ تيجاناً عن الأصفاد
لا يا على اسمع نُهاك ولا تُصخ
لوساوس الشهواتِ والأحقاد
لا ترمِ بالروس الشداد جماعة
ضعفاء مهزولين غير شداد
لاتنس موضع مصر واذكر مالها
من أنعم سلفك وبيض أياك
لا تنس ماذا ألفت من سامر
لك فى الشباب وهيات من ناد

شمس : أميرى

على بك : شمس سمعت النجى ؟

شمس : أجل سيدى وعلت الخبر

على بك : فإذا ترى ؟

شمس : أرى الخطب جل وأنك عليه جليل الصبر
وما زدت علماً بحلم الأمير ولا خلقه الأريحي المطير
دع الروس لا تنتصر بالغريب وبالله بالأقربين انتصر

على بك : وابنَ هـو شمس ؟

شمس : هم في يدك وتحتَ لوائِكَ مُرُقلِ أَشرِ
أَصِحَّ لسجايَاكَ فالخيرُ فيكَ

على بك : وليسَ يُقَابِلُ إلا بشرَ
أبو الذهبِ الغرُّ بالتركِ لاذَ

وفي مصر في غديها ما افتكرَ
وكم قد غزاها على رايي وكم من سلاحٍ عليهم شَرَّ
وكنا خطَطْنَا انتِشالَ البلادِ

وإنقاذها من عتوِّ التترِ
وأن نستقل بسلطانها ونُنهضها في النواحي الأخرِ
شمس : تركت ورائي ما تبتغي من العون والمدد المنتظرِ
على بك : جموع ؟

شمس : هناك على الصالحية جمع كسرب الجراد انتشرَ
وينتظرون ركاب الأمير كمثل انتظارِ النباتِ المطرَ
« يعود ضاهر »

ضاھر : ضاهرٌ عند ظن مولاي فيه

على بك : من ؟ صديقي خي حليتي ضاهر ؟

ضاھر : قد سمعت الذي جري ولست الفضل والنبل والسجاء الطواهر
عزوتي سيدي ونفسي ومالي

في الذي شئت ما الذي أنتَ آمر

نَحْنُ لِفَانٍ يَا أَمِيرِي عَلَى الْأَرْضِ
وَالْفَانِ فِي مُتُونِ الضَّوَامِ
وَمَعِي مَدْفَعَانِ مِنْ سَلَبِ التُّرْكِ
وَتَلُّ مِنْ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرُ
وَالْمَوَاشِي كَثِيرَةٌ فِي ضِيَاعِي
وَالطَّرِيقُ الطَّوِيلُ بِالْخَيْرِ عَامِرُ
كُلُّ شَيْءٍ كَمَا تُحِبُّ مَهِيًّا فَتَيُّ الظَّنِّ سَيِّدِي مُرْسَاغِرُ
عَلَيْكَ : غَدَاً الظَّنُّ يَا أَخِي قُمْ تَاهِبُ
إِنَّمَا الْغَنَمُ لِلْخَفِيفِ الْمَبَادِرِ
ضَاهِرُ اسْمِعْ هُنَاكَ فِي مِصْرَ

ضاهر : ماذا ؟

عَلَيْكَ : أَهْبَةُ يَا أَخِي وَجَيْشُ مَنَاصِرِ
مِنْ صَحَابِ الْمُسْتَرْدِينَ وَأَتْبَاعِي وَمِنْ كُلِّ حَافِظِ الْعَهْدِ ذَا كَرِ
إِنْ جَعَلْنَا إِلَيْهِ جَيْشَكَ سَرْنَا وَأَخَذْنَا مُحَمَّدًا أَخَذَ قَادِرُ
وَانْتَوَعْنَا الْبِلَادَ مِنْ قَبْضَةِ

الزُّرْكِ وَمِنْ كُلِّ فَاسِقٍ بِالْحَكْمِ سَادِرُ

أَنْ أَنْتَقِذَ الْبِلَادَ فَإِذَا أَنْتَ رَاةُ

ضاهر : هَلُمَّ وَالْجَيْشُ حَاضِرُ

علي بك: حاضر^ه ؟ فلنسر^ر إذن
ظاهر: بعيون الله في حفظه بأيمن طائر^ر
ثم يصيح: عرب الشام تلك مصر دعتكم
جاعة من عرب الشام: ألف لبيك مصر لبيك ظاهر

سنتار

الفصل الثالث

« الوقت بعد الغروب — في سرادق محمد بك ابو الذهب »
« بالصالحية حيث دارت رحى الحرب بينه وبين علي بك . »
« في الوجه محمد بك راقداً على سرير وعثمان الجاسوس التركي »
« يكبس قدميه . في أحد جواب السرادق جماعة من البكوات »
« يتحدثون ويلعبون الشطرنج . في الجانب الآخر خادمان مصريان »
« مشغولان بتنظيف ملابس محمد بك ابو الذهب ... »

أحد الخادمين للآخر :

ولدى زعزوع أنصتُ أصغ للحق المبين
نحن في أيام جليل وبلاء وجنون
نحن هوضي من مراح الشاة للخدر المصون
في زبون من حروب الأهل في إثر زبون
ورؤوس في الصواني نُزعت منها العيون
وعزير هاد ما كان بيال أن يهون
أصبح الناس على السوادى بلا دنيا ودين
حركات كالسكون وحياة كالموتون

وقف الحاكم من كل رخيص وثمين
مثل ما قد وقف الدائن من مال المدين
وشريك الشعب في كد يديه والجبين
وشريكا في الأواني وشريكا في الصحن
الآخر : يا شيخ هذا بلد
من سلف وكلف ومن نكوس وفرد
وكل يوم مطر من الضرائب الجدد
وتلد الفردة ما لا يعلمون من ولد
على الحمار فردة وفردة على الوتد
وفردة على اللجام وهو جبل من مسد
وفردة على برادع الحصير والبلد
مستمراً : يا شيخ لي نعيمة غرامى
والأول : ما صنعت ما الذى دهاها

الثاني : قد ضربوا فردة عليها
فضقت ذراعاً بذاك حتى ذبحت شاتي وطفلتها
الأول : ما قد دهاك دهاى ومثل شأنك شانى
أتيت طنطا لشغلى وكان تحتى أنانى
خرجت منها مع الليل مُسبلاً طيلسانى
فرّ فوق طريق من لا أرى ويرانى
أغاً عليه سلاح فى صورة الشيطان

فصاح بـقف ترجّل لقد سرقت أتانى

الثانى : وما جرى ؟

الأول : قلت له بل الأتان لى أنا

فقال ذاك أمس إلا أنها اليوم لنا

بل هى لى وحدى فدعسها لى وامض من هنا

ثم رمانى بيد كأنها كف التمر

ثم اعتلى ظهر الأتان

الثانى : ثم ؟

الأول : لكن لم يسر

حتى سمعت هدة وصرخة من النهر

وأبصرت عيني وراء الليل آية القدر

حمادى تجبرت مثل تجبر البشر

فأغرقت راكبها وغرقت على الأثر

ميش بك لعنان بك [ونيهم واستهزاء] :

لقد رأيناك ضحى اليوم تحمى من الجبل

فوق حصان كالغزال رقّة وكالحمل

عنان بك [و غضب] :

كذبتمو قد كان تحمى سيد الخيل «بطل»

لا حمل ولا غزال هو لكن الوعل

كالأفُوان في السحاب والشهاب في القُلُوب

وميمش بك : وقد تمايلت على السر ج تمايل القُلُوب

وقد تدلّ بطنك الضخم عليه وانسدل

كأنك المحمل والحصان تحتك الجمل

عثمان بك : ميمش عبت حصاني ولم تدع لي اعتبارا

هذا جزاؤك عندي خذ هاك مني عيارا

« ويطلق عليه غدارته »

محمد بك : عثمان

ملكي

عثمان بك :

محمد بك : لا تُرْع قد كان من حزب على

كفيتنيه فتولّ اليوم ما كان يلي

هيو احموا جثته هيو اذهبوا بالرجل

« يخرج به البكوات والخدم »

« عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك »

عثمان لنفسه : خدمته والله ما خدمت إلا دولتي

كعبته والله ما كعبت إلا حاجتي

خادم تركيا أنا ما أنا خادم الغبي

كم من حريري نواحي صدرتي وذهب

هايك ألقاني وتلك شرطي ورتبي

ما بلغت في رضا الله وطاعة النبي

وتحت أعلام السلا طين السيوف القضب
أقمتُ في مصر سنيس أنزوى وأختي
وأنا حيناً ماهنُ وأمت أحياناً صبي
أرمتُ أخاً على أخٍ وأصدم ابناً بأب
لم آلُ حكم الغزُّ بجهد الباحث المنقب

« يغيب محمد بك وينه ولي و ذئاب »

محمد بك : ماذا يقولون عنا في مصر يا عثمان ؟
عثمان : عهد الأمير رخاء و غبطة و أمان
فصر راض بنوها والاس فيها لسان
يقول إن أميرى بحبه السلطان
محمد بك : والأمراءُ أمِهم مخالفة عضبان
عثمان : الأمراء جميعاً ببابكم أعوان
لا يذكرون علياً و بيته مذ بانوا
فما لغيرك صيت ولا لغيرك شان

محمد بك : صدقت هم حيث كان الجدد في مصر كانوا

يقول جندي ويقول لمحمد بك :

مولاي عندي أخبار سوء وقفن في في فهو حائر

- محمد بك : أنت رسول ؟
- الجندي : أجل
- محمد بك : خبّر بين إلام القتال صائر ؟
- الرُّسل لا يُسألون عما بعد المناعي ولا البشائر
- الجندي : مولاي
- محمد بك : ماذا ؟ مجل . تسكّم
- الجندي . دارت على جيشنا الدوائر
- محمد بك : وما الذي كان من علي ؟
- الجندي : أُعين في أمره بضاهر
- محمد بك : وفاز ؟
- الجندي : في أول التلاقي بقوة الشام والعشائر
- محمد بك : إذن هلكنا ؟
- جندي آخر وهو داخل : لا يا أميري بل أنت ظافر
- محمد بك : من قال ذا ؟
- الجندي : شاهد اعيان
- محمد بك : من أين ؟ ممّن ؟
- الجندي : من العساكر

« يدخل الجنديان ويتبعهما خدم يحملون صينية كبيرة »

الجندي : ها هما

محمد بك : مرحبا

الجنديان : عواف حياة

محمد بك : أوجزا

الجنديان : نحن موزان المقالا

هزم الجيش صبح أمس ولكن

عاد نجم العدو ظهراً فلا

لحملنا عليه حملة صدق وحوينا الرجال والأموالا

محمد بك لأحدهما :

زِدْ، أبن

الجندي : ما قصر الجيشان ضرباً وطمعانا

« يقبل البكوات »

محمد بك للجندي :

وأبو ميلة (١) ؟

الجندي : عشى ساحة الحرب دُخانا

أحمد البكوات :

قد رأينا من هنا ظلته واللعنا

وسمعنا من هنا رجته والدوران

(١) مدلع من صنع واختراع محمد بك أبو الذهب .

محمد بك : اختراعى مدفعى قد ظهر اليوم وبانا
ومُرَاد؟

الجندى : كان كالليث لحاظاً وجنانا
شد بالزأرة والوثبة فى الحرب قُوانا
كلنا انهار حصاناً تحته احتل حصانا
محمد بك : ثم ؟

الجندى : رى بنفسه على على فى الرحي
محمد بك : ثم ؟

الجندى : تجالدا فلم يدعه حتى جرحا
محمد بك : أين هو الآن

الجندى : على آثارنا على سرير لينٍ مظلل
يخدمه الناس ويعنون به
كالولد المهدد المدلل

محمد بك هماً لعمان :
عثمانُ هذا علوى لائنسَ رأسه غداً
محمد بك للجندي :

تلك رؤوس شيعته . ومن سعى لنصرته . من بيته وعزوته

الجيش والنظارة يهتفون ممأ :

بنی الوادی قفوا حیوا اللوام
وغطوا الأرضَ ورداً والسماء
رجوئیم من وراء الحرب نصراً
وهذا النصرُ بینَ یدیه جاء
هو الرمزُ المقدسُ فاتبعوه وموتوا فی القتالِ له فداء
علیه ضجّةُ الفرح ابتهاجا بطلعته الحبیبة واحتفاء
کأن وراء هیکله خیالا
من الشهداء والجرحى تراعى

على قدم حيوا العَلَمَ
حيوا الشعار حيوا الفخار
رمز الوطن مجد الديار

أحد القواد القادمين :

سيدي فُزت بالمُنَى هو ذا الجيش قد رَجَعَ
وهَبَ الله نصرَه للبريدِين والتَّبَع
وعلى وجيشه شَبَعَتْ منهما الضَّبْعُ
ليس يُدري أُمات أم في يد الجُند قد وقع
مجد بك : أجل أرى الجيش اقترَبَ نشوانَ بالغِ الأَرَبِ
يرسل رنة الطرب

مريق من الجند يتغنون من خارج الخيمة :

سَلَبْتَ يا أبا الذهب وعشتَ تُعْطَى وتهَبُ
أخجل جودك السحب

جاعة أخرى من الجنود والنظارة يهتفون :

يا عسكر النيل بالسلامه يا عسكر النيل بالسلامه

ظفرت بالنصر كل حين وفُزت بالمرِّ والكرامه
 في يومٍ سلم وفي قتال وفي رحيل وفي إقامه
 فاشهدت القتال إلا رفعت للضفتين هامه
 أبليتُموا قادة وجُنداً بورك في الجند والزعامه
 قد شيد الله مجد مصر والجيش من مجدها الدعامه

جماعة آخرون :

هلم خيل الوطن تخايل في الرسن
 اليوم أنت مطلقه حممته وطققه

محمد بك ابو الذهب وينثر الذهب :

خذوا خذوا خذوا خذوا إلى أنا أبو الذهب
 خذوا املأوا أيديكم من الشعاع المنسكب
 الجماعة : سلست يا أبا الذهب وعشت تعطى وتهب
 أنجل جودك السحب

أحد البكوات :

مليكي

محمد بك : ما جرى ؟

تأمل أسير

الاول :

سيدي من عواهل الشام كهل

على بك الكبير

محمد بك : من يسوقُ الرجالُ ضاهرَ الشامى
عانٍ عليه قيدٌ وغُلٌّ

« يدخل ضاهر يحوطه الجند »

محمد بك : ويجهم ذاك ضاهرٌ ما لجندى
قد غوروا ما لقادة الجند ضلُّوا
كثُرَ الجندُ في الحديد عليه
وهو كالليث في الحديد يدلُّ

محمد بك ، ويتقدم منه :

ما أرى ضاهرٌ يُساقُ أسيراً
أنتَ من ذاك يا أمير أجلُّ
أيها الجند ضاهرٌ صار لي ضيفاً
نفلوا سليلَ ضيفي خلُّوا
من فلسطين أنت ضاهرٌ أم من أروزلبنان أم لك الشام أصلٌ؟

ضاهر : كل هذا هناك مولاي أصل
واحدٌ يجمعُ الرجالَ وفصلُ
عربٌ كلنا ومنطقنا الفصحى
وآباؤنا نزارٌ وذهلُ

محمد بك للهند :

ما صنعتُم بسيفه ؟

أحد الهند : هو عندي

محمد بك : هاته فهو محرم لا يحلُّ

محمد بك ويناوله السيف :

خذ تقلد والله ليس لهذا الظفر

إلا يدَ المصور محلُّ
أنى خيلُ للبائسين وفيَّ وهو أيضاً لهم صديقٌ وخلُّ

ضاهر : لست أنسى لسيدى الفضل ما عشتُ

محمد بك : وهل فى رعاية الحق فضلٌ

قد رددنا على السموم سيفاً

كان دونَ الوفاء أمسٍ يسَلُّ

ضاهر : كيف أمشى فى الشام أو فى سواها

ألبسُ العزَّ حين جارى يذلُّ

ذاك سيفى فأينَ إكرامُ ضيفى

مالى اليوم غيرَ ضيفى شغلُّ

محمد بك : من ا على ؟

ضاهر : أجل ومن كملُّ

سيدى قيلَ فى خلا لك برُّ
ليس يُحصى وفى سجاياك نبلُّ

قد تركت الأمير في شدة الـ

كرب وغادرتُ جمعنا وهو فُلُّ

ما الذي أنتَ صانعٌ بعلَى ؟

محمد بك : غايةُ الخيرِ فهو للخيرِ أهلُ

هو في قصرِهِ كأمسِ المفدى

بينَ أولاده الأميرُ الأجلُ

ضاهر : أسروني ولو بقيت طليقاً

محمد بك : ما الذي كنتَ صانعاً ؟

ضاهر : كنتُ تلو

كيف أبني اللواء حول حليقي

وأرُمُ الصفوفَ إذ تضجِلُ

محمد بك : بل سبق بمصر ضيفاً علينا

مصرُ دارُ للأكرمين وأهلُ

ضاهر : ورجال

محمد بك : سيلحقونك فيها لك عندى وللعشيرة نزلُ

ضاهر لنفسه :

ذلك الغدرُ والماليك فيهم

من قديم الزمان غدرٌ وخَلُّ

« يشير محمد بك الى جماعة من رجاله فيخرجون بظاهر »

« يقبل مراد في جماعة من الجنود »

محمد بك : ما أرى ؟ ماترون ؟

أحد الحاضرين : هذا مراد

محمد بك : هو ذا جرّ ذيلَه إِذْلالا

مراد بك : التحياتُ للأمير

محمد بك : مرحباً مرحباً تعالَ تعالاً مراد

مراد بك : ألف بشرى مولاي

محمد بك : أهلاً وسهلاً أدنُ مني أعانق الرئبلا

« بما نقه »

مراد بك : قد بلغت الآمال

محمد بك : لم لا وما علقت إلا بسيفك الآمالا

كيف كان القتال ؟ أين تركت الجيش ؟

مراد بك : خلني مظفرأ محتالاً

بعد حين يمر من جهنا الجيشُ على سيدي رجالا رجالاً

محمد بك : وعلى

تركتُه في يد الآسين قد ناء بالجراح ثقلاً

بعد حين يأتي به الجنودُ محمولاً مسجياً إذا استطاع انتقالاً

« جماعة من الجنود يتننّون خارج السرادق »

سلمت يا أبا الذهب وعشت تُعطى وتهب
أخجل جودك السحب

« يخرج محمد بك في جماعته لتجنيهم »
« في هذه الأثناء يتقدم مصطفى السرجي جريماً من مراد بك زاحفاً على الأرض »
مراد بك: يا معجائب الحياة ما أرى هذا اليسرجي

مصطفى السرجي: اليسرجي مصطفى

مراد بك: أنت الذي برزت لي من ساعة
مصطفى: أجل لالقي من حُسامك الردي
مراد بك: لقد جُرحت من يدي لم تَمُتْ

مصطفى: إني أحسُّ أجلى الآن دنا
مولاي لا تقطع حديثي وانتظر
معجائب الحياة فوق ما ترى

مراد بك: وهل معجائب الحياة غير ما يجرى هنا الآن؟
مصطفى: أجل وما جرى

مراد بك: فَمَتِ إِذْنٌ وَأَعْفَى
مصطفى: لا بل أُمِّ

واسمع فقد يُنجيك ما أروى هنا

مراد بك: سرٌّ ؟

معطى : أجل وقد ينالك الأذى

من أن أموت أنا والسرُّ معاً

مراد بك: إذن فقم إبقِ تأخر ساعة قل ما لديك ثم مت كيف تشاء

معطى : أهكذارباك جافٍ خشنٌ من المالكِ مُضَيِّعُ الوفا

لبيتك عشت راعياً فى وطنٍ مُهذَّبِ الفتنِ صالحِ النشأ

مراد بك: دَعِ الفضولَ واحترس يا مصطفي

أنت غيٌّ لستَ تدري من أنا

أما كفالك أفسى أن أخرجتني أنا وقدمت علياً فاشترى

معطى : أنت تُحبُّها ؟

مراد بك : أجل

معطى : أنت

مراد بك : أجل

معطى : حذارٍ يا مرادُ من هذا الهوى

مراد بك مضطرباً :

ولم ؟ وما آمالٌ ؟ أهى من دى ؟ أم هى لى

معطى : هى والله هُمَا

مراد بك : أختى ؟

معطى : أجل أختك

مراد بك : يالى ولها من هول ما كنت عليه مقدما

مصطفى : مراد أنت في صعيدٍ واحدٍ
 ضربت بالسيف المُرِّيَّ والآبَا
 مراد بك : ومن أبوها وأبي أنت ؟
 مصطفى : أجل أنا الذي باع الفتاة والفتى
 أنا الشقيُّ بائعُ ابنه
 مراد بك : أبي مابعتنا إلا لندركَ الغنى
 مصطفى : مراد أدركنى
 مراد بك : فداك يا أبى
 رُوحى وإن قلت لك الروحُ فدى
 مصطفى : أنظر مراد أنا في النزع وما يُغنى المُفدون إذا النزعُ أتى
 سقتُ لك الرقَّ وسقتُ الموتَ لى
 والرقُّ والموتُ على حدٍّ سوا
 مراد بك : أعفُ أبى عني أتعفو يا أبى ؟
 مصطفى : القلبُ عنك وعن السيفِ عفاً
 بل اعفُ أنت يا مراد عن أب
 بَاعَكَ طفلًا كبدِيعه الدُّمى
 مارحَمَ الدمعَ بعينيك ولا رَقَّ لذلك البكى ولا رثى
 مراد بك : وأأسنى وأسندى أبى عليك قد غمى
 أفق أبى تكلم

مصطفى : مراد ا لا يقوى في

« ويموت مصطفي »

مراد بك : مات انتهى رب ارحم

« مراد بك يلقى عليه عباءته ويرجع باكيا »

تدخل آمال فيلحقها مراد بك ويقول لنفسه :

آمال أختيا أجل أجل هيا

لا كفيها تلك الضواريا

آمال لنفسها :

ماله مضطرباً يرمقني بالرضا حيناً وبالغضب

ما به ؟

مراد بك : آمال

آمال : مهلا سيدي ادعني حين تنادي بالغضب

مراد بك : اسمي آمال أختي

آمال لنفسها : أخته ؟

رب من أين متى هذا النسب

ثم لمراد بك :

كيف من نباك

مراد بك : نباك أبي أنسا يا أخت من أم وأب

آمال : وأبي؟ أين أبي؟ أين مضى؟

مراد بك: هو هذا جثة

آمال : مات أبي

مراد بك: احمل الجثة يا أختي معي هي نحيبها هلي نحيب

آمال بعد أن تقف أمام الجثة وتتأملها :

حنانيك ربي أبي رمة يمر عليها التراب الحسن

أبي كيف صرت وراء التراب

إلى جسد بالي مرتين
أبي ما لأذنتك قد أبطأت وكنت إلى سريع الأذن

وما بأل حظي منك الصدود وكان نصبي اللقاء الحسن

وأن يد سمحة طالما مسحت بها عراقي الهن

أحق أبي دمتك المنون

أجل وجرت فيك كبرى السن

ذهبت كما ذهب الأولون قتيل الحياة جريح الزمن

مراد أخى

مراد بك: أخت لا تحزني فاذا برد البكا والحزن

آمال : أحق أخى أنه قد قضى وأنا قدنا الذوا والركن

قضى في معارك لم يجننا

غريب التراب غريب الوطن

ثم مخاطبة الجنة :

تَمَنَيْتُ أَنِي أَقْبَلَكَ الرَّدَى بنفسى ومن يدفع الموتَ مَنْ
وأَجْمَلُ غُسْلِكَ ماء الشُّثُونِ
وَأَصْنَعُ مِنْ هُدْبِ عَيْنِي الْكَفَنِ
وَأَخْتَطُّ بَيْنَ حَنَائِبِ الصَّلُوعِ صَوَانَا وَلِجْدِ هَذَا الْبَدَنِ
جُعِلْتُ الْفِدَا لَكَ مَا دَهَاكَ وَمَنْ رَمَاكَ وَمَنْ طَعَنَ
وَلَيْتَ جِرَاحَكَ بِي يَا أَبِي

مراد بك : رويدك أختُ أَقْلَى الشَّجَنِ

وَلَا تَكْثُرِي حَسْرَاتِ الصَّدِيقِ
وَلَا تُشْمِتِي الْكَاشِحَ الْمَضْطَرِعَ
آمال : وكيف مراد وهذا أبوك لَقِيَّ فِي التَّرَابِ كَأَن لَمْ يَكُنْ

[يخرج مراد بك وآمال بالجنة]

[يؤتى بلي بك مجرداً محمولا على سرير من جريد ليوضع في ناحية من الساحة]

على بك لنفسه :

وَيَحْيَى تَفَرَّقَ عَسْكَرِي وَخِيَامِي
وَطَلَوَى الزَّمَانُ وَرَيْبُهُ أَعْلَامِي
أَحْثَالُ وَالْأَحْدَاثُ تُفْسِدُ حَيَاتِي
وَأَرْوَمُ وَالْأَيَّامُ دُونِ مَرَامِي

لما طَوَّتْ مُلْكَ الكِنَانَةِ راحتي
 لم يكفني فطلبت مُلْكَ الشام
 صيرتُ حربَ الترك وجهَ سياستي
 حتى اقتنيتُ عداوةَ الأقبام
 وكفرتُ إحسانَ الذين خدمتهم
 حتى تيجراً خادمي وغلامي
 في الصالحية مآلَ صرْحٍ مطامعي
 وكذاك ركنُ بنايةِ الأوهام
 النصرُ غابَ وكان طافَ برايتي
 حيناً وحامٍ على شِباةٍ حسامي
 وحملتُ في سُرُرِ الجريدِ ببلدةٍ
 وطئتُ جواهرَ عرشها أقدامي
 قد عشتُ بالدنيا العريضةِ حالمًا
 حتى انتهتُ فلم أجد أحلامي
 دنيا أردتُ من العروشِ حُطامها
 جعلتُ سريرَ الفشِّ كلَّ حُطامي

بالأمس جَلَّكَ الترابَ مواكبي
واليومَ لا خلقي ولا قدامي
اليومَ أرسفُ في دمي وجراحتي
وغداً أجرُ منيقي وحمامي
أنا قد جعلتُ الغزَّ مهبطَ نعمتي
وخصَّصْتهم بمنازل الإكرام
فلدغْتُ من صِلِّين منهم عَقِّي
هذا وذاك أضاعَ حقَّ ذمامي
وتتابعَ الأمراءُ في أثرهما
يستمرثون عداوتي وخصامي

« يقبل محمد بك أبو الذهب في حاشيته »

محمد بك أبو الذهب :

يا ويح لي ماذا جرى هذا أبي وسيدى
سيعلمُ المغرَى به كيف عقابي في غدٍ
« ويتظاهر بالأسف ويتقدم للافاة الجريح »

محمد بك أبو الذهب :

يا أسفا على «علي» يا أسفا على أبي وسيدى وموئلي
يا أسفا على الكريم المفضل

أحد البكوات همساً :

ماذا يقول ؟ سيده ! شلت يده شلت يده

على بك لحمد بك :

محمد اسمع مراد غادر

اقض عليه وأنت قادر

محمد بك : لا بل تعيش سيدي ويديك تقتله

سيدي انس اليوم وافكر في غد

على بك : ليس للغلوب غير الذل غد

محمد بك : بل غداً تبرأ من جرحك

على بك : لا قلباً قام من الجرح الأسد

أحد الحاضرين همساً لآخر :

الذئب جرب في المرقي ظفره فأصابه

لا تحو دارك أرقاً حتى تحطم نابه

على بك لحمد بك :

محمد اطلب لي قليل ماءً إني أحس حرقه الظاء

محمد بك : مولاي لا بأس فداؤك الناس

محمد بك لعنان وبناوله حقاً :

عثمان جى بالشراب أغته بالعناب

على بك : عجل وأطنى لهبي أسرع وخفف عذاب

« يذهب عثمان ثم يمود بالاء »

علي بك لمحمد بك ويتأمل الكأس :
 أغريت في الصبح في عقورا
 ما أنا من جرحه بصاح
 والآن أرسلت كلب سوء
 يدس لي السم في القراح
 وهكذا تجرح الأفاعي
 وتفرغ السم في الجراح

علي بك لثمان :
 عثمان ما دسست لي في السكاس
 عشب القفار أم تراب المساس
 السم أحيانا طيب آس

« ويشرب »

محمد بك لعللى بك :
 أبي وأميرى كفى سوء ظن
 علي بك : محمد نل كل ما شئت مني
 ومالي ألومك والسم فني
 أخذت الخيانة والغدر عني

« محمد بك يبتعد لي حاشيته فيخلط بالأمرء الآخرين »
 علي بك وقد لمح آمال ومراد بك قادمين :

أرى ويح لي ماذا أرى ؟
 توالت جراحاتي وطال عذابي

مراد وآماله . عدوى وزوجتي
 فيا زمني هل من جديد مصاب
 يعذبني يا رب أنى أراهما
 قد اختلطا من جيئة وذهاب
 إذن هي تهوى النذل وهو يحبا
 إذن ليس ما خبرته بكذاب
 إذن فراد لم يكب بي وحده
 ولم يفتح سترى ويسط بي
 ولكن أعادته الحبيثة نابها
 وما في ذراها من نقيع لعاب
 أجل هدم ما عشي معا وتعاوننا
 على ثلم محرابي وهتك حجابي
 آمال لنفسها :

إلهي أعن زوجي وبل جراحه
 فإ باله مستوفزا لعنابي
 رمانى بعين قلبت عن كراهة
 وعن نظرات كالشرار غضاب
 ترى ظن بي سوء أرى ارتاب في أخى
 ففكر في جرمي وكيف عقابي

له العذر في حال أضاعت صوابه
فإني أنا الأخرى أضعت صوابي

وتتقدم من على بك :

سيدي مولاي

علي بك : من ؟ أنت ؟

أجل

آمال :

علي بك : أعزبي عني خلتني أعزبي

الآقاويل إذن صادقة الروايات إذن لم تكذب

آمال : ما أذاعوا سيدي ما نقلاوا ؟

علي بك : خبروني امرأتى تعبت بي

آمال : مع من أعبت، مع هذا الفتى ؟

مع شقيقي وابن أمي وأبي

علي بك لمراد بك :

مراد

مراد بك : مولاي

علي بك : أعزبي لا بل تعال اقتربي

مراد بك : أبي

علي بك : سؤال يافق أضغ إلى أجب

مراد كنت لا ترى غيري فاعرك بي

أنت الذي اشتريته بفضتي وذهي

ولم أقصر معه عن واجب المؤدب

مراد بك: مولاي خلّني إلى ضميرى المُنْذَب
أَعْفُ فَأَنْتَ أَهْلُهُ هَبْ لِي جِرَائِمِي هَب
على بك: مراد

مراد بك: مر
على بك: أوصيك خيراً بالملك الطيّب
أما تراها أصبحت من غير زوج وأب

ثم مستمراً: مراد بنى أصح أصح لي
مراد بك: تكلم أبي هات قل سيدى
على بك: بناء المالك واهى الأساس
تعلّم من الذاهبين استفد
وبين كدأ بك سبل الرشده
وسلطانهم مضمحل العمدة

وضيعتهم بعد طول الإياء
إذا فسّد الخلق في أمة
وصاحبكم ذهبّت نفسه
يحبُّ النساء ويهوى الطعام
بفضل التعاون سُدنا البلاد
إذا قام بان إلى غاية
وأولع بالعُصبة العاملين
فلم يرَ واحدهم ممة
يمينا مراد لما في البلاد
يلمُّ المالك من فرقة
عوى الذئب فيها وصاح الأسد
فقل كلُّ شئٍ لهم قد فسّد
فكلُّ عناية بالفسد
ويبنى القصور ويغنى الولد
ولولا تعاوننا لم نَسد
تعثر بالهادم المجتهد
رجال كسالى منوا بالחסد
وفضلا لآخر إلا حقد
سواك يليق لحكم البلد
ويوقف من حزمهم مارقد

وَرُجِعَ لِلطَّاعَةِ الْمَارِقِينَ وَيَكْسُرُ مِنْ شَرِّهِ الْمُسْتَبِدَّ
فَتَبَّ بِالْغَيِّ غَدَاً ثَبَّ بِهِ وَقَمِ أَنْتَ فَاحِمِ الْخِي بَعْدَ غَدِّ
« وَيَضِي عَلَيْهِ »
مراد بك: وَيَجِ لِلْمَجْدِ حَلَّ بِالْمَاجِدِ الْمَوْتِ وَأَخْنَى عَلَى الْكَرِيمِ الْحَمَامُ
رَحْمَتُهُ لَهُ مَضَى وَتَوَلَّى وَاسْتَرَدَّتْ جَاهِلَهَا الْإِيَّامُ
آمال : مات لا يا مراد قل هو حي

قل أخى تلك ضجعةٌ ومنامٌ
فرحى يا على ما أنت راء مأتهم بين ناظر يك يقام
فرحى مثل يوم نجر عليه من دم البر لمحّة وابتسام
ضحت الحادثات فيه بكبش
لجع الشرق فيه والإسلام
قد أصبنا من العيون كلانا أدركتني وأدركتك السهام
أحد البكوات لآخر :

أرأيتم أستمعتم جراءةً تلك يا ويح مراد ويح له
ماله استهتر في موقفه ومضى يفعل فعل السفلة
أنظروا فهو عليها مقبلٌ وهى بالسمع إليه مقبله
تركا المقتول لم يكثرنا لدم من حوله فـ جأئيه
أترى يطمع أن يخلفه وهى هل تطلب زوجاً بدنه

آمال وتلتزم : ونها :
مراد أخى

مراد لك : لبيك آمال
آمال : والنار من عيون القوم من كل جانب

وإني لشكلى مرتين وما دروا
تولى أبى عنى ولم يبق صاحبي
مراد بك : كذاك فضول الناس شغل بحاضر
كما قد شغلناهم وشغل بغائب
ومن ألسن تجرى بسوء وهمها
فوائد عند الغير أو فى مصائب

آمال : صدقت مراد أنظر تأمل فضولهم
لقد رمقونا بالعيون الشواغب
يروون عجيباً أننا هنا معاً
وأنك تمشى يا أمير بجاني

أحد البكوات يتقدم :
مراد من الحسناء ؟
مراد بك : ما أنت ؟ ما الذى
يهلك من أمر الحسان الكواعب
« ثم لآمال :

أأبصرت يا أخت الفضولى
البك لنفسه : أخته عجيب فلم نعلم له من أقارب
« لمراد بك : وأين ترى كانت ومن ذا أتى بها ؟
رواية غاوى أو مقالة كاذب

« مراد بك بهم ويلطمه بيده لكمة شديدة »

آمال لمراد بك :

ترفق أخى ساعده

البك لنفسه : تدعوه يا أخى لذن لم يكن فيأرواه بلاعب

مراد بك : تعلم لذن أن الفضول وقاحة

وأن عقابي عنك ليس بعازب

البك : وأنت تعلم أن سبى منية وغدارق محشوة بالمعاطب

مراد بك : وقوسك ؟

البك : قوسى ليس يخطىء سهمها

مراد بك : ورمحك ؟

البك : مثل الأفعوان المواب

مراد بك :

وقلبك لنى لأرى القلب حاضراً على أنه أمضى سلاح المحارب

وإلا فذا صدرى فضع فيه ماتشا

وسدد إليه ماضيات المضارب

البك : وكيف اجترأنى سيدى وابن سيدى

معاذ أياديكم معاذ المواب

مراد بك : لذن خلل شأنينا ولا تشتغل بنا

وطرفى فضاء الأرض ذات المناكب

آمال : مرادُ أخى

مراد بك: آمال هذا محمد

بلا حظنا فى الجمع لحظ المراقب

ولابد من إنبائه بالذى جرى

آمال : وما ضرَّ سرُّ قابله كَلَّه خاطب

محمد يقترب ويقول :

مراد أرى شغباً وأسمع ضجّة بنى أهدا موضع للتصاحب

ونحن على موتٍ وحول جنازةٍ

وفى ماتم نخم وشيك المواقب

مراد ا

مراد بك: أميرى ا

محمد بك : تلك والله ريبة

مراد بك: تفضل أميرى واستمع ثم عاتب

محمد بك: أما هذه عرس الكبير فما أتى بها ههنا بين ازدحام المناكب

مراد بك: بلى يا أميرى وهى أختى

محمد بك : أخته احنانك ربى تلك إحدى العجائب

مراد بك: أجل سيدى أختى اجتمعنا من النوى

على قدر من صنعة الله غالب

ولم ندر قبل اليوم أنا قرابة وأنا التقينا فى كريم المناصب

محمد بك : ومن قال للصنوين هذا ؟

مراد بك : أبوهما

محمد بك : وما هو ؟ من ؟

مراد بك : بعض التجار الجوالب

محمد بك : وأين فادعوه فأعلى محله وأرضه وابنيه فوق الكواكب

مراد بك : تعيش وتبقى . . مات

محمد بك : مات أبوكما ؟

مراد بك : أجل . هو ذا يدمى وراء العصائب

محمد بك : جريح ؟

مراد بك : أجل لكن قضى من جراحه

محمد بك : قتيل ؟

مراد بك : أجل ثاوي وراء السباب

محمد بك : وما تصنعان الآن ؟

مراد بك : ما أنت أمر

محمد بك : هنالك حراسي وثم ركائبي

نؤذيها إلى الفسطاط حتى تيجي بها

إلى قصرها مخوفة بالراغب

وبعد غد تجري على القصر نعمتي

ويأتيه برّي كالغيوث السواكب

آمال وهي منصرفة :
وداعاً أبى !

محمد بك : صبراً جميلاً أميرى
ولا تفعل فعل البواكى النوادب
آمال : عفا الله عنه كان شيخاً مصلياً
محبب اليتامى راغباً فى المثاروب
لقد طلب الدنيا بمصر فناها
فولّى إلى الأخرى وجوه المطالب

ستار الختام

الهيئة العامة
للحماية المدنية

الرسالة

تمهيد

زمن الرواية : سنة ١٨٩٠ م
مكان الرواية : حي الجنى - القاهرة
أشخاص الرواية :

الست هدى

الست زينب : صديقتها

خديجة

أسماء

بهية

اقبال

من فتيات الجيران

عبد المنعم المحامى : زوج الست هدى

حلمى : كاتبه

السيد العجيزى : من أعيان الريف وزوج آخر للست هدى

من أصدقاء « السيد العجيزي »

محمد

أحمد

عامر

الشيخ الحلبي

مصطفى الناشقي

أماز : أغا

رضوان : خادم

سلمان : مراب

الفصل الأول

« في دار صغيرة مؤلفة من : « مندره » في الطبقة السفلى ، ومن مسلم يصعد منه إلى فاعة صغيرة ، وثلاث حجرات ... والمنزل مطل على مسجد « أبي اليف » بحى « السيدة زينب » ا ... » .
« الست هدى » وشارتها « زينب » في إحدى الحجرات ... » .

الست هدى : كيف يا أخت أنت؟...
زينب : نحن برغدي كلنا ما بقيت أنت برغدي
الست هدى : أنت يا « زينب » الوقية بالمهد
زينب : ولم لا أفى وخيرك عندي؟
نحن من أربعين عاما على خير جوارين اثنتين وود
الست هدى : لا ، بل المهد لا يزيد على العشرين...
خلى حسابها ، لا تعدى ! .
اسمى زينب ، اسمى يا صديقى. لك هذا الدبوس

زينب : لي أنا ؟ ...
الست هدى : بَعْدِي

أنا أعطيتُ كلَّ صاحبةٍ شيئاً
وأنصفتُ في الوصيةِ جُهدِي
مايقولُ الجيرانُ « زينبُ » عني ؟

زينب : انتركيهم ، لا تحفلي بالردِّ
الست هدى : يقولون في أمرى الكثير وشغلهم
حديثُ زواجي أوحديثُ طلاق
يقولون إني قد تزوجتُ تسعةً
وإنِّي واديتُ الترابَ رفاق

وما أنا « عِزْدِيلٌ » وليسَ بما لهم
تزوجتُ ، لكن كان ذاكَ بمالي

وتلكِ فدّاديني الثلاثونَ كلِّما
تولّى رجال جئنني برجالٍ

فأكثرَ عُشاقٍ وما أكثرَ خطّابي ..
ولولا المالُ ما جاءوا أذلاء إلى بابي ...
لستُ ما عشتُ ناسيةً لستُ أسألو حَيَاتِيه
أول البختِ « مصطفي » « مصطفي » كان ساريه

حينَ يمشى تظنُّه نخلة «المرج» ماشية

رحمةُ الله عليه لم يكن يطلبُ مالي
تلكِ «أبعاديتي» وهى جنونٌ للرجال
لم تكن تخطر فى المام له يوماً يبال

لم يكن يعنيه من ذاك سوى قبض الإجارة
جمل الله تعالى جنة الخلد قرارة

مات فكدتُ أموت حزناً وكان عمرى عشرين عاماً
ثم تزوجتُ بعد خمس من ذايرى فعلتى حراماً!

زينب : أجل! تعيشين وتدفينينا حتى تصيبى منهم البنينا

الست هدى : وزوجى الثانى «على» ولم يكن يصلح لي
يألتينى لم أقبل

ذاك، لى اختارنى واخترته لاله
ما كان إلا مفلساً وقعتُ فى حباله

يرحمه الله ، وكان ذا بحر
وكان إن يعمد وإن يغم نخر
وإن مشى تخرج أصوات أخر

يرحمه الله لقد عشنا معاً
من السنين الصاخباتِ أربعا
ثم مضى لربه لا رجماً

رحمةُ الله عليه جُنَّ بالنسل جُنونا
ثم لما مات، ما خلف لي إلا دُيونا

ومات لم تبك عيوني وكان عمري عشرين عاماً
ثم تزوجت من سواه من ذائري فعلتي حراماً؟!

زينب : أجل... تعيشين وتدفنيننا حتى تُصيبي منهم البنينا

الست هدى : ولست أنسى زوجي الرابع

لا نافعاً كان ولا شافعاً
قالوا: أديبٌ لم يرو أمثله ولقبوه الكاتبَ البارعا
قد زينوه لي، فاخترته ما اخترتُ إلا عاطلاً ضائعاً

رائحٌ أكثرَ الزمان على الصحف مُغتدري
يكتب اليوم في «اللوا» وغداً في «السويد»
ليله أو نهاره فارغ الجيب واليد

ويعجُبني عند المُباهاة قوله :

بنيتُ فلانا أو هدمتُ فلانا

وقد يُصبحُ المبْنى أَوْضَعَ مَنْزَلاً
وقد يصبحُ المهدومُ أَرْفَعَ شَاناً

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ لَا يَحْقِرُ مَالاً
كَانَ إِنْ أَفْلَسَ لَا يَسْأَلُنِي إِلَّا رِيَالاً

ثُمَّ تَزَوَّجْتُ بِيُوزْبَاشِي «قُر»
نَهَى كَمَا شَاءَ هَوَاهُ وَأَمَرَ
لَقَدْ وَدِدْتُ أَنَّهُ زَوْجُ الْمُرِّ

لَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، لَا غُفَرَ اللَّهُ لَهُ، لَا ارْتَقَى لِرُتَبَةٍ «صَاغِر»
لَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ كَانَ لَصّاً، لَمْ يُرِدْنِي لَكِنْ أَرَادَ «مَصَاغِي»

وطلالاً زَيْنٌ لِي أَنَّنِي أَبِيعُ أَوْ أُرْهَنُ أُطْيَانِي
مَنْ أَجَلَ «يُوزْبَاشِي»؟ لَقَدْ ضَلَّ، لَا
لَا أَشْتَرِي جِيْشَا بَفْدَانِ

لِحَاءُ اللَّهِ كَانَ مُنَى فَوَادِي
وفاكِهتي وَرَّيْحَانِي وَرَاجِي
وَكُنْتُ أَحْبَبُهُ وَيَحِبُّ طَيْبِي
وَيَحْلُمُ بِالْقِلَادَةِ وَالْوَشَاحِ
وَكَانَ مُقَامِراً شَرِيبَ خَمْرٍ
يَجِيءُ الْبَيْتَ فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ

يَكَادُ إِذَا تَوَرَّطَ فِي قِيَارٍ
يُقَامِرُ بِالنُّجُومِ وَالسَّلَاحِ

عشنا ثلاثاً ثم افترقنا وكان عمري عشرين عاماً
طلقتني فالتست زوجاً من ذائري فملكتي حراماً ١٩.

زينب : أجل تعيشين وتدفينين حتى تصيبي منهم البنينا

الست مدي : وعشتُ عامين دون زوج ثم تزوجتُ بالموظف
لم أنسه منذ ماتَ يوماً

ما كان أبهى ١. ما كان أظرف ١..
كان خفيفاً وكان حلواً
ومن نسيم الربيع أطف ١..

ما كنت أدري إذا تولى
أجيبه أم قفاه أنظف ١..

يرحمه الله مات ما وجدوا
في جيبه غير قطمتي ذهب ١..

وسُبحته من خزانتي سُرقت
كانت على الرف من وفاة أبي
وسمت في دفنه ومأتمه ولم أضيق عليه في رجب

رحمةُ الله عليه كان جَخَاخًا، كبيرًا
كلَّ يوم يدعُ البيتَ رئيسًا أو وزيرًا
ثم لا يرجعُ لي إلَّا كما كان صغيرًا

رحمةُ الله عليه كان مشغولًا بطيبي
كلَّ يوم بزُبُونٍ أو بسمسارٍ يَجِينِي
وفداديَّ عِنْدِي هي في الحفظِ كَدِينِي

ما كان في وَجَنَتِي يَقْبَلُنِي بل همُّه في يَدِي يَقْبَلُهَا
وعَيْنُهُ في خَوَاتِمِي أَبَدًا يحدثُ النفسَ كيف يَنْشُلُهَا

ثم اقترنتُ بفقيرٍ عالمٍ في البلادِ
لا في الشيوخِ القُدَمَاءِ ولا الشيوخِ الجُدُدِ
كهلُّ أخو خمسينَ لكنَّ في نَشَاطِ الأَمْرَدِ

زينب : عرفتُهُ، ذاكَ الفقيهُ «الشيخُ عبدُ الصمدِ»
قد كانَ في «الخطِّ» وجيهاً ومُقبَلُ اليَدِ
وكل من مرَّ به خاطبته بسيدِّي !...

الست هدى : يرحمه الله لقد أدبني
حتى عرفتُ كيف تخضعُ النِّسَاءُ ؟

زينب : أَنْتِ ؟...

الست هدى : أجل !.. أدبني يده ورجله وبالعصا

زينب : كيفَ ؟... متى ؟

الست هدى : رأى غُباراً عالقاً بِجَبْهَتِي
ولم أكنْ أعلمُ من أينَ أتى ؟

فقالَ هذا التُّربُ من نافذةٍ
من كنتَ منها تنظرين ياترى ؟..

وهاجَ حتى خِفْتُ أن يقتلني
وشمرَّ الذيلَ وجردَ العصا

وجاءَ بالنَّجَّار من ساعته
سدَّ الشَّبايِكَ وشمَّر الكُوى

فقلتُ يَهْوَاني وتلكَ غَيْرُهُ
يا حَبِّدًا الزَّوجُ النِّيورُ حَبِّدًا ..

وقبله لم أَر من غارَ ولا
من ظَنَّ في قلبِي لغيرِهِ هَوَى

يرحمه الله لقد مات على
سَحْرِي ونَحْرِي بدمِ ماصِلِي الصُّنْحِي

مات ولم يرقُدْ له جَنَّبٌ ولا
بَدَتْ عَلَيْهِ عِلَّةٌ ولا اشْتَكَى

رحمة الله عليه لم يكنْ فهُ يَذْكُرُ « أَبْعادِيَّتِي »
وإذا ما جاءني أوجِئْتُه لم يُقَلِّبْ عَيْنَهُ في « مِيعَتِي »

لكنه مُنْذُ كُنَّا ما حلَّ عقدة كَيْسِه
يَفْضُلُ الأَكْلَ مِنْ غَيْرِ مَالِه وفُلُوسِه
كَأَنَّ الأَزْهَرَ المَمُورَ بِيْتِي
هناكَ «جَرَايَه» وهُنَا «جَرَايَه»! .
خَلَّفَ الشَّيْخُ مِنَ الأَوْلَادِ مَا يَمَلَأُ حَارَهُ! ...
قُسِّمَتْ ثَرْوَتُهُ فِيهِمْ فَتَالَ الطِّفْلُ بَارَهُ! ...

عشت مع الشيخ نصفَ عامٍ
وكان عمري عشرين عاماً
ومات فاختراني سِوَاهُ
من ذا يَرَى فَعَلَّتِي حَرَاماً؟! ...

زينب : أجل تعيشين وتدفنيننا حتى تُصِيبِي مِنْهُمُ البَينَا
الست هدى : أَتَذْكُرِينَ بَعْدَهُ من جَاءَ بَيْتِي يَخْطُبُ؟! .
زينب : مَنْ ذَاكَ ؟ مَنْ ؟

الست هدى : أَنْتِ الَّتِي جِئْتِ بِهِ يَا زَيْنَبُ! ..

زينب : «مَهْدِي» المَقَاوِلُ الثَّرِي المَتَلِي مِنَ الذَّهَبِ
الست هدى : قَدْ ذَهَبَ اللهُ بِهِ أَجَلُ! . إِلَى النَّارِ ذَهَبَ! .

لم يَنْسَ أَنْ يَذْكُرَ «أَبْعَادِيَّتِي»
ما لِلغَيِّ ، وَلطِينِي مَالَهُ؟! .

ولم يكن عند الطعام يَسْتَجِي
يَا كُل مَالِي وَيَعُدُّ مَالَهُ! ...

يرحمه الله وإن لم أرَ لَوْنَ قرشه
هشتُ اثنتين معه لم أنتفع بقرشه
لو لم يمتْ لمتُ من جَحْتِه وفَشِّه
كأنما تسرَّبتْ عمارَةٌ في كِرْشِه
يَدِبُّ كالحلُوفِ في خُرُوجِه من قَشِه
وما استرختْ ليلةً من طَحْنِه ودَشِه
ومن تِلَالِ جِيرِه وَمِنْ جِبَالِ «دَبْشِه»
ظَلَلْتُ عامين في بلاءٍ وكانُ صمري عشرين عاماً

ومات «مَهْدِي» فاعتصمتُ عنه
من ذا يرى فَعَلْتِي حَرَاماً!؟ ..

زينب : أجل تميشين وتدفنينا حتى تُصَيِّبِي مِنْهُمُ الْبَنِينَا
الست هدى : ثم اقترنتُ بِمُحَامٍ عَاطِلٍ
شَرِيبٍ نَخِرٍ يُحَسِّسِيهَا فِي الْعُنْحَى
قَلْتُ دَعَاوِيهِ وَقُلَّ مَالُهُ
وَأَصْبَحَ الْمَكْتَبُ مِنْهُ قَدْ خَلَا! ..

عبد المنعم المحامي: « زوج الست هدى ، وهو سكران ، يصعد السلم » :

هدى ، ضلالٌ ، أين أنتِ ياهدى ؟

أين المَجُوزُ ؟ أين جدّتى هدى ؟

الست هدى : « وَاِنْسَكِدَا » زَيْنَبُ « وَاِذَا هِيَتَا
لقد أتى لم أَدْرِ من أين أتى ؟ !
يَشْتَمُ فِي السَّلَمِ

زينب : خَلِيهِ دَعَى لَا تَقْرَضِيهِ غَيْرِ سَكْرَانَ هَدَى !
رَأَيْتَهُ ،

الست هدى : وكيف ؟

زينب : مَنْ تَحْتَ وَقَدْ
كَانَ مِنَ السَّقْفِ أَطْلََّ وَانْحَنَى
وَكَانَتِ الْحَارَةُ مَنَّا امْتَلَأَتْ فَأَرْسَلَ الْقَيُّ عَلَيْنَا وَرَمَى !

الست هدى : القى ؟ ماذا قلت ؟

زينب : قُلْتُ مَا رَأْتُ عَيْنِي وَمَا مَرَّ عَلَى رَأْسِي وَمَا

عبد المنعم : « وَهُوَ بِالسَّلَمِ »
هدى ، عَجُوزَ النَّحْسِ ، أَنْتِ قَرْدَةٌ

خَطُوطُكَ الْوَحْلُ وَكُحْلُكَ الْعَمَى

الست هدى : سَمِعْتِ يَا زَيْنَبُ ؟

زينب : خَلِيهِ ، دَعَى
 لَا تَفْرِضِيهِ غَيْرَ سَكَرَانَ هَذَى
 وَمَرَّةً جَاءَ « أَبَا اللَّيْفِ » ضُجِّى
 أُذِّنْ فِي النَّاسِ يُصَلُّونَ إِلِشَا
 فَضِيحَةً فِي الْخَطِّ ا

الست هدى : وَأَفْضِيحَتَا
 زينب : مَا شَهِدُوا فِي « الْحَنْفَى » مِثْلَهَا
 عهد النعم : « وَهُوَ بِالسُّلَمِ »
 هدى تَعَالَى يَا عَتِيقَةُ أَظْهَرِي
 عِنْدِي لَكَ التَّغْلُ وَهَذِهِ الْعَصَا

الست هدى : سَمِعْتَ يَا زَيْنَبُ ؟

زينب : خَلِيهِ ، دَعَى
 لَا تَفْرِضِيهِ غَيْرَ سَكَرَانَ هَذَى
 الست هدى : دَعِيهِ يَهْدِي مَا يَشَاءُ غَدَاً تَرَيْنَ زَيْنَبُ
 فَنِي غَدِي لِي وَلَهُ شَأْنٌ ، غَدَاً يُودَّبُ
 زينب : وَمَا الَّذِي عَزَمْتَ يَا حَبِيبَتِي أَنْ تَصْنَعِي

الست هدى : أقذف في القسم به وأشتكي وأدعي
إن رجال القسم ، والنائب والقاضي معي !..

«لزوجها»

لَتَنْدَمَنَّ يَا لُكَّحْ يَا مَنْ يَقُومُ وَيَقَعُ

عبد المنعم : « وهو بالسلم »

ماذا سمعتُ ؟ صوتها ؟ أأنتِ بومتي هنا ؟ ..
الآن يا جُمَيْزَةَ « الخطُّ » أريكِ مَنْ أَنَا ؟ ...

زينب : هُدى ، حبيبتي اسمي تعالى اهربي معي ! ...

الست هدى : أَنَا ؟

زينب : اسمي ، دَعِيهِ ،

الست هدى : لَا

زينب : دَعِيهِ يَا هُدى ، دَعِي ! ...

لَا تُفْضِيهِ إِنَّهُ مُتَتَلَّى ، لَيْسَ يَمِي ! ...

عبد المنعم : « وهو بالسلم »

هدى ! هدى ! أين هدى ؟

أين المَجُورُ الباليه ؟ ...

أين مضيتِ بومتي ؟ أين ذهبتِ حَقِّي ؟

خَدَاكَ ضِفْدَعَتَانِ قَدْ أَسْنَتَا

وَأَذُنَاكَ عَقْرَبَانِ مِنْ قَنَا

وحاجباكِ وَالْخَطُوطُ فِيهِمَا
كَدُودَتَيْنِ اكْتَتَطتا مِنَ الدِّمَا
وبينَ عَيْنَيْكَ نِفَارٌ وَجفاً
عَيْنُ هُنَاكَ خَاصِمَتُ عَيْنَا هُنَا !..

الست هدى : دَعِينِي أَقْطَعُ عَلَيْهِ الْحَذَاءَ وَأَجْزِ الْوَقَاحَ عَلَى ذَنْبِهِ
دَعِينِي أَضْرِبُهُ حَتَّى يُفِيهِ
قَ فَلَا بَدْءَ زَيْنَبُ مِنْ ضَرْبِهِ !..

ريب : قَدْ جَاءَ ... هَيَّ تَتَّقِ جَنُونَهُ وَهَوَسَهُ
فَقِي يَمِينِهِ الْمَصَا وَفِي الشِّمَالِ الْمِكْنَسَةُ
سُكْرَانُ يُضْرَبُ إِذْنُ لِهَرْبِ هَلَمْ زَيْنَبُ
هَذِهِ حَجَرَةٌ نَوِي أَسْرَعِي زَيْنَبُ فِيهَا
نَحْنُ يَا زَيْنَبُ لَا نَكْبِحُ سُكْرَانَ سَفِيهَا
« تَدْخُلَانِ الْحَجَرَةَ ، وَتَسْتَتِرَانِ وَرَاءَ الْبَابِ »

عبد المنعم : « وَهُوَ دَاخِلٌ يَتَرَنِّحُ »
هدى ذَاتُ الْفَدَا دِينِ هدى

الست هدى : فَكَّرَ فِي طِينِي
عبد المنعم : مَنْ لِي بِالزُّبُرِ جِدِّ ؟ مَنْ لِي بِالزُّمُرِ ؟
يَا لَيْتَ ذَاكَ فِي يَدِي ! ...

الست هدى : سمعتِ؟ عبدُ النعمر قد هام في خواتمي
« يجتاز » عبد النعمر « القاعة إلى حجرة نومه »

الست هدى : زينبُ انظري ما الذي صنعُ؟
زينب : جاءَ حجرةً ثمَّ فاضطجعَ
فلندعهُ في النوم فلندعُ
الآن أستودعك الله هُدى

محفوظة ،

الست هدى : لا تُهمليني زينبُ! ...

« تخرج زينب »

« تسمع ضجه بالسلم ... »

الست هدى : ما الصوتُ؟ ... ما أسمعُ؟ من يا تُرى؟
ما هذه الضجة في السُّلم؟

هذا خَطُوطي وكُحلي وتلك صبغةُ شعري
لم أنسُ حُمرَةَ خدِّي لم أنسُ زينةَ صدري
وهذا الثوبُ ما أبهى! وهذا الخُفُّ ما أحسن!..
ومندبلي على رأسي ما أخلى! .. وما أزين!..
وهذه خواتمي بها يدي مرصعة
وهذه قلاندي في كبتى مُكَمَّنة
اقترب الصوت وتلك أرجلُ
تدبُّ عند البابِ ، مَنْ؟

- أصوات : هل ندخلُ ؟؟
- الست هدى : ادخلنَ ! .. أهلا وسهلا ومرحبا بالجنائب
- « تدخل أربع نتيات من بنات الجيران : « خديجة »
و « أسماء » و « بهية » و « إقبال »
- خديجة : صباح الخير يا عمّة
- الست هدى : صبيحتن بالخير
- « خديجة » ابنتي هنا ؟ هذا هو التفضلُ !..
- خديجة : إن أنا بالعمّة لم أسلّ ، فعمّن أسألُ ؟..
- الست هدى : أنت ابنتي ستأخذين خاتمي الزمردا !..
- خديجة : اليوم يا عمّة ؟..
- الست هدى : لا !..
- خديجة : متى إذن متى ؟
- الست هدى : غدا !..
- من بعد موتي ،
- خديجة : لا تُموت ، أنا عمتي الفدا !..
- الست هدى : « لأسماء »
- : وأنت يا أسماء إذا ميت غدا
- أخذت هذا الخاتم الزبرجدا
- أسماء : لا كان يا عمّة عشت الأبد !..
- إقبال : أسماء يا عمّة مخطوبة ،
- الست هدى : لمن ؟

- اقبال : لشيخ عمدة في الصيد !
- الست هدى : حذار يا أسماء أن تفعل
- أسماء : أنا؟ أبي يختار لي من يريد...
- الست هدى : قولي له : العمدة جربته
- أسماء : أقول من يسمع من يبي ؟
- إن أبي صعب ولا أجترى
- الست هدى : إذن دعيني أنا أفعل ، دعي !
- « لبيهة »
وأنت يا ابنتي ؟
- بيهة : خُطبتُ من زمن
- الست هدى : من زمن ؟ تبارك الله ، لمن ؟...
- بيهة : لضابط في الجيش !
- الست هدى : ضابط ؟
- بيهة : أجل ! ...
- الست هدى : أحسنت ، أحسنت ، تخيرت الرجل ! ...
- بيهة : ما اخترت يا عمتي ولكن أبي وأمّي تخيرا لي ! ...
- بنات مصر يُخطبن لكن لا يتناقشن في الرجال ! ...
- نُباع يا عمتي ونُشترى مانحن إلا عروض مال !

- الست هدى : « لأسماء »
وكيف أخُتُك « بُنْبا »
- أسماء : تقبلُ اليدَ
- الست هدى : عشتِ
- أسماء : مخطوبةٌ هيَ أيضاً!...
- الست هدى : ماذا تقولين بنتي ؟ .
- منَ الكبيرة ؟ « بُنْبا » أمَ الكبيرة أنتِ ؟ ...
عمرُكِ بالتَّخمين
- أسماء : لستُ خالتي مُحَمَّمةٌ
في رجبَ الذي مضى أتممتُ عشرينَ سنَّه
- الست هدى : عشرونَ أنتِ يا ابنتي إذنُ فما عُمرى أنا ؟
- أسماء : ستونُ يا خالَّةُ ؟
- الست هدى : سنَّه . لم أَرَمْنِكِ أَرَعَنَا
- أسماء : خمسونَ يا سيِّدتي ؟ !
- الست هدى : كذبتِ كِذْباً بَيِّنًا
- أسماء : إذنُ ففي العشرينَ يا خالَّةُ أنتِ وأنا !
- الست هدى : هذا الحديثُ عَبَثٌ خُدِّي بَدَأَ في غيْرِهِ !
- كل امرئٍ داخلُها برزقه وعمره

خديجة : أَسْكُنِي أَسْمَاءُ خَلِّي السَّنَّ مَا هَذَا الْفَضُولُ ؟ ...
هي يَا خَالَهُ حَقَّقِي لَيْسَ تَدْرِي مَا تَقُولُ ! ...
أَنْتِ يَا خَالَهُ فِي وَجْهِكَ فَدِ خُطَّ الْقَبُولُ ! ...
لَا مَشِيْبُ لَا أَصْفَرَارُ لَا غُضُونُ لَا ذُبُولُ ! ...

الست هدى : سَمِعْتِ أَسْمَاءُ ؟ عَلَّمِيهَا مَا الْقَوْلُ ؟

خديجة : بَلْ أَنْتِ عَلَّمِينَا ! ...

الست هدى : صُنِّ جَمَالَ الْوُجُوهِ صَوْنًا فَالْسُنُّ بِالْوَجْهِ لَا السَّنِينَا !
« يَسْمَعُ صَوْتُ خَارِجِ الْحَجَرَةِ »

ماذا لك عند الباب ؟ صَوْتُ رَجُلٍ ؟

القادم : سَيِّدَتِي ! ... أَدْخُلُ ؟

الست هدى : « أَلَمْ آزُ » ، ادْخُلْ ! ...
« أَلَمْ آزُ » أَغَا ! ...

الأغا : سَيِّدَتِي ! ...

الست هدى : يَا مَرْحَبًا يَا مَرْحَبًا ! ...

الأغا : أَرْسَلْتَنِي حَرَمُ الْبَاشَا

الست هدى : أَعِدُّ

الأغا : أَرْسَلْتَنِي حَرَمُ الْبَاشَا إِلَيْكَ

الست هدى : هَذَا أَغَا الْبَاشَا اقْتَرَبَ مَاذَا وَرَاءَ الْقَادِمِ ؟

الأغا : أَحْمَلُ يَا سَيِّدَتِي تَحِيَّةَ الْهُوََانِمِ ! ...

الست هدى : بالله « أَلَمَّا زُ » إلا جلستَ بالقُرْبِ مِنِّي
تُحِبُّ بُنَى جَفَرِّ بْنِ السَّرَى وَبُنَى
« تناوله قهوة »

ما للهوانم « أَلَمَّا زُ » ليس يسألنَ عَنِّي؟ ...

الأغا : نسيتَ يا سيِّدتي أَمْسَ، أَمَا كُنَّ هُنَا؟ ...
الست هدى : ومن أنا حتى تَزورني الشَّمْسُ مِنْ أَنَا؟ ! ...
الأغا : واليوم يا سيِّدتي أُرسلنني بِالرُّكْبَةِ
الست هدى : جئتَ إِذْنٌ فِي مَلَبِّي؟
الأغا : أَجَلْ ، وَتَحْتَ الْعَرَبَةِ
الست هدى : أَتَيْتَهُنَّ يَا أَغَا؟
الأغا : « فَيَكْتُورِيَا »، أَلْقَفْلَهُ؟

ذاتُ الرَّقَّارِ الْخَفَا فِي السُّتُورِ الْمَسْدَلَةِ؟

رَكُوبَةُ الْهَانِمِ فِي الْأَعْيَادِ وَالْمَوَاسِمِ؟
إِلَى السَّرَايَاتِ مِنَ الْإِنْشَاءِ إِلَى الْهَيَاثِمِ؟

الست هدى : « الْفَتَيَاتِ »

« الْجَوَانِتِي » هُنَاكَ « أَسْمَا » انْظُرِيهِ
انْظُرِي يَا « خَدِيجَةُ » الْفَرَجِيَّةُ
« وَمِي تَلِيسَ »

انْظُرِي « إِقْبَالُ » مَا أَجْمَلَ هَذِي الْفَرَجِيَّةَا
انْظُرِي شَالِي « أَسْمَا » كَيْفَ حَلَّى كَتَفِيَا

ثم انظروا هناك يا بنتي فوق الكنبه
مروحة من النعام يسد مذهبته
وخلينا هناك لى مروحة
عاجا واخرى كلهما من الصدف

خديجة : « هسا »

أسماء ! ...

أسماء : أختي ! ...

خديجة : أممعل من مروح ؟ ! ...

أسماء : ما تصنعين خالتي بهذه المرواح ؟ ! ...

الست هدى : أنا ابنتي مولعة بها وبالرواح ! ..

ذكرتني « أسماء » لا تنسى الورد -

على الرّف ولا الياسمين

أسماء : خالة ماذا ؟

الست هدى : كل شيء عندي

أسماء : أنت سمان أم الماوردى ؟

الست هدى : « أسماء » تما لي انظري

كيف ترين رجليا ؟ !

هذا الخداه هل ترى

يليق للفكتوريا ؟ ! ...

أسماء : خالة لا تبدي لي

هذا الخداه « مملكة » ! ...

الست هدى : الله يا بُنَيَّسْتِي
يعطرح فيك البركة ! ...

« للأغا »
« أَلَاؤُ » هي نطلق طال وقوف العرب
لا أحد في الخط إلا استوقفت العرب
خارة قامة وحارة منقبة

الأغا : سيدتي لا تخافي مركبتى لا تمز
الست هدى : « أَلَاؤُ » أنت ظريف ومركباتك عز
« للفتيات »

قد آن أن أجيب دعوة الأغا
هي ابنتي هي البسائي
« الفتيات يشغلن بلباسها ... »

الست هدى : « لمديحة وأسماء »
أنت ابنتى وهذه فتاتي بنات جاراتي وصاحباتي
إذا حرمت النسل هن بناتي

وكل ما فوق صدري وفي يدي من « مصاغ »
وكل شيء بيتي ككن بعد دماغي

الفضل الثاني

« في قاعة الدار »

« عبد المنعم يتناول طعام الفطور ... الت هدى »

« عبد المنعم ينادى حلمى الكاتب وهو تحت ... »

عبد المنعم : حلمى ! .. تعالى ! ..

حلمى : سيدي ! ..

عبد المنعم : تعالى يا ابني اصعد

« يحضر حلمى »

تعالى قرب « شلّة » تعالى ههنا اقمدي

صبيحت بالخير أهلا

حلمى : يا صبيحتك السعادة ؟ ..

هذا الفطور سيدي بصحة وعافية ! ..

عبد المنعم : تعالى جرب هذه الصناعة

حلمى : لقد أكلت الفول منذ ساعة

٦٩٢	أحمد شوق
عبد المنعم	: تلك بضاعةٌ وذى بضاعةٍ
حلمى	: « وهو يأكل » القول يا سيدى لذيذٌ
عبد المنعم	: القول من حارة النصارى والعيش من غبى الرمالى
الست هدى	: والزيت من معمل «البدارى»
عبد المنعم	: البدارى ! ما تلك ؟ لا تلك سوقٌ قد سمعنا بها ، ولا تلك حارة ! . . .
حلمى	: وليونك يا هانم
الست هدى	: كالشهد كالسكر
حلمى	: ومن أين به جىء ؟
عبد المنعم	: من الجنة والكوتر ! . . .
	القول يا حلمى لذيذٌ فكل وخل ما تسمع من دثها فما على الدنيا سوى أكلها ولا على الأرض سوى فريشها
	كل، كل، ولا تصبغ لها فإنها مُمخَرَّقة وكل شيء لم يكن قادرة أن تخلقه

الست هدى : لا أيها الفاضل ، لا ما أنا بالهامية ! ...
أثير من شقشقة زوبعة في آنية ! ...

حلمى : وما ذاك يا سيدي في يدك ؟
عبد المنعم : ألد من اللبن المزبد
زبيب ! ...

حلمى : على الرقيق ؟ ...
عبد المنعم : لا يا غبي ! ...
على القول ! ...
حلمى : أفضح يا سيدي ! ...

الست هدى : نحن يا حلمى هلكنّا أصبح المنزل حاته
صار لا يكفى الحامى كل يوم « جدانه » ! ...

زبيب : « لدى الباب »
الموافي ! ...
عبد المنعم : صوت لدى الباب
الست هدى : هذى زينب جارتي ، تعالى تعالى

« لزوجها »
خبئي الخمر أخف ما أنت فيه
عبد المنعم : دعني ، دعني ، ما لكن وما لي ؟ ...
الست هدى : ادخلي جارتى ادخلي ، هي خشي
« لزوجها » خبي الخمر ! ...

عبد المنعم : أتر كيني وحالي

- الست هدى : أدخلُ زينبُ أدخلُ لا تهابي
 زينب : مَنْ هُنَا ؟ قد سمعت صوت رجال ...
 الست هدى : الأفندي وسكرتير الأفندي
 أدخلُ ، لا غريبَ زينبُ عندي
 زينب : الأفندي وتقولين ادخلي ؟
 الست هدى : ادخلي ليس سواء ها هنا ؟ ...
 ما الذي تخشين يا أخت ادخلي
 زينب : لا ، دعيني ! ... أنا لم أنس العصا
 « زينب تصرف مذعورة ، ويظهر « ألاماز أغا » لدى الباب »
 ألاماز أغا : صباح الخير يا هانم
 الست هدى : مَنْ ؟ صُبِّحَت بالخير
 « لزوجها »
 هذا ألاماز الباشا أتى وفيه جاء يا ترى ؟ ...
 إرم الزيب من يدك فهو من أهل التقى
 عبد المنعم : لينصرف لشأنه فما له وما لنا ؟ ...
 الست هدى : إرم الزيب قلبت
 عبد المنعم : لا
 الست هدى : يستهزئ الناس بنا
 قم امض حلّى بالزيب ، بل به أمضى أنا
 « تقضى الزيب ... فيدخل ألاماز »

الأغا : سيدتي ، عندكِ ناسٌ ؟
أنت هدى : ماسوى زوجي هنا

الأغا : «لزوج»
عافية ياسيدي هذا فطور أم غدا؟...
عبد المنعم : أدنُ تفضل ، كلّ ممي فولٌ لذيذٌ ياأغا
الأغا : بصحة يا سيدي أكلتُ من وقت مضى
عبد المنعم : لا ، لا ، بل ادخل ياأغا ادخل مكاناً غيرَ ذا
هذا المكانُ قذرٌ خذيه ثمَّ يا هدى
الأغا : يا حبّذا المجلسُ لو لا شغلٌ داعٍ لقمّيتُ النهارَ ههنا
حلي : وما الذي يشغلك الآن ؟

عبد المنعم : وما يمينك يا أحقُّ من شأنِ الأغا ؟
الأغوات تنقضي أعمارهم بين السرايات هناك وههنا

«ههنا»
أتركه يمضي يا غبي فلا أريدُه هُنا
حلي «للأغا» : أنت ظريفٌ يا أخني
الأغا : أنت الظريفُ لا أنا

«للحامي»
ما اسم أخينا ؟
عبد المنعم : ذاك «حلي» كاتب
الأغا : السكرتيرُ ؟.... مَرَحَباً بَمَرَحَباً

والآن في حراسة الله

حلمي : انتظر يا سيدي ! ...
عبد المنعم : « همساً »
دعه ! ...
حلمي : انتظر نخرج مما
عبد المنعم : وأين يا حلمي ؟
حلمي : أشيع الأغا
الأغا : لا سيدي بالله
حلمي : لا ،
الأغا : بل ابق !
حلمي : لا ! ...
الأغا : لي كلمة ياسيدي أقولها للهائم
عبد المنعم : « مبتسماً » اذهبي مع الأغا هدى
الأغا : ياسيدي الهائم أختي لا تخف
حلمي : أنظر إليه ما أخفه دماً ! ...
عبد المنعم : إمضي هدى هلم شيمي الأغا
الأخت يا هدى تشيع الأخ
« السيدة والأغا يخرجان »
الحمد لله على نعمته زال المنأ
أشربها ؛ فلا هدى ولا الطواشي هنا

لي ساعة ما ذاقها أنفي ولا ذاق في
« ويخرج الكأس من مخبئها بين قدميه »

حتى لَكِدْتُ من ظمى أشربها بقدى
حرمت منها ساعةً وأنت كنت السببا
سبحان من لم يُمطِك الفهم وأعطاك النبا
الآن تأتى هدى فكن فطنا حلمى وكن ثعلبا وكن حذرا
إن هدى ذئبةٌ

حلمى : علىَّ أجِلْ
سوف ترى ما أكون ، سوف ترى

ما ذاك أولُ نصب جرّبتَ فيه صبيك
عبد المنعم : احفظ لسانك حلمى قالُ زوجى مالى
حلمى صبه هاهى ذى عائدةً

حلمى : من يفتح الحديث؟ أنت أم أنا؟
عبد المنعم : بل أنت ثم خلّ لى تمامه
حلمى : ولم لا تقتحم النارما
« تدخل هدى »

عبد المنعم : هدى
الست هدى : لقد كنت غليظاً جافياً
ولم تعظم الأغا

عبد المنعم : قد كنت مشغولاً بلقمتى هدى
الست هدى : تعافى الخمر ضحى ! ...

ولو رآك لجرت فضيحة

- عبد المنعم : لكن مضى وما رأى ! ...
- حلمي : رأيت سيدي وكيف ساسه وكيف دارى وأتى؟! لأجل هينيك رى الزيب من يديه
- الست هدى : أترجس رى ! ..
- عبد المنعم : الآن أسنى يا هدى مسألة آن بها أن يُعتنى
- الست هدى : وبم تريد أعتنى ؟
- عبد المنعم : بمكتبى ،
- الست هدى : وما الذى له جرى ؟
- عبد المنعم : يكاد مكتبى يكون مقفلاً
- الست هدى : ما صرن أن يُقفل؟! ..
- حلمي : سيدى المكتب «أبمادية» هل تتركانه سدى؟! فلتنه ألفان كل سنة
- الست هدى : وكيف ذاك ؟ ومتى ؟
- حلمي : بل زاد عن ذلك يا سيدتى
- بالأمس ، من هارم مضى
- الست هدى : وما الذى تريد أن أصنعه ؟
- حلمي : مدنى لزوجك اليدا

الست هدى : وكيف يا حلوى ؟
 حلوى : نبيع الطين أو زهره إلى مدى
 الست هدى : طيني أنا أبيع، أرهه ؟ ماذا تقول يا فتى ؟ ..
 حلوى : لقد عرضت صفقة رابحة
 إن أنقذ المكتب أنقذنا الننى

الست هدى : حلوى تعقل ! ..
 حلوى : دعيني « المتر »^(١) أغرق ديننا
 كنا نقيم الدعاوى صارت تقام علينا
 في كل يوم يطلبون « المتر » بالمقدم
 ويلي عليك سيدي ويلي على مملتي
 غدا ترين سيدي في قفص النهم
 الست هدى : « لنفسها »

أتسمين يا هدى ؟
 إبيكي هدى ، انذبي ، الطيى ! ..
 غدا يقولون : هدى تزوجت بمجرم

حلوى : الهامى عليه للناس دين
 تصلح الحال حين نخلص منه
 ديتنه أنت تقدرين عليه
 مائتا ليرة^(٢) ؟ فأديه عنه ! ..

(١) أى الأستاذ الهامى

(٢) الليرة الجنيه

الست هدى : أؤدى الدين يا حلمى ؟ ومن أين ؟
 حلمى : من الطين
 الست هدى : وماذا بعدُ يبقى لى إذا بتُ فداينى ؟
 « نفسها »
 لولا فداينى وغلاؤها ما طاف إنسان على بابى
 بها تزوجت وفى قطنها كفت أزواجى وخطاى
 « لحلمى »
 أنا أؤدى الدين عنه ، أنا
 ما تستجى يا شابُ ما تنجى ؟
 حلمى : ألت يا سيدتى زوجه والزوج عن صاحبها تحيل
 الست هدى : أحل عن مستهتر يومه وليله سكران لا يعقل ؟
 « تنادى »
 رضوان !...
 « يدخل رضوان »
 رضوان : من ؟ « سى » ؟
 الست هدى : « هسأ » رضوان !...
 رضوان : مولاتى !...
 الست هدى : اذهب على الفور أدعُ صديقائى
 « يخرج رضوان »
 « عبد النعم يتمشى مغضبا »

عبد المنعم : «لحلمى»

قد قلت يا حلمى الصواب إسمى هذا هو الصدق هدى
مكتبي الثروة مكتبي الفنى لا مكتب إلا أنا

الس هدى : أنت ؟ لأنك حانة تنقلت وأنت برمىل مشى
وأنت شىء فى الرجال ضائع وعالة على النساء

حلمى : سيدتى لا تشتمى سيدتى لا تغضبى
طينك قد ترجعه قضية فى المكتب

عبد المنعم : إني لم أخطبك يا هدى لفرط حسنك
ولا تزوجتك يا صغيرتى لسنك
ولا وقعت فى البلاء لسواد عينك

الس هدى : إذن لطيفى بى تزوجت ؟

عبد المنعم : أجل لطيفك ..

الس هدى : وأنا يا محامى الشوم ما اخترتك للقبيح والحيا الميم

عبد المنعم : هذرين وقول هرا لىم إذن قد قبلت لك بعلا

الس هدى : ذكر الخاطبون فضلك عندي

فإذا أنت لست للفضل أهلا

عبد المنعم : إذن دعى الزرجدا لى ودعى الزمردا
وكل ما حليت منه الكف والقلدا

الست هدى : ولم ؟ قل لي : أمار أليك هذا ؟
أمك خلفت هدى الحلياً ؟

عبد المنعم : ألس الزوج ؟
الست هدى : لا ما أنت زوج
عبد المنعم : فانا ؟
الست هدى : بل طفيل عليا

عبد المنعم : هالك مصوغك ..
الست هدى : لا
عبد المنعم : إذن لا بد لي من فلق رأسك

الست هدى : تضربني ؟ أهلكذا يكون شكر الحسنه ؟
« وتناول عصا »

تضربني أنا التي تأكل زادي من سنه
عبد المنعم : حللي ... تقدم بحوها خذ العصا من كفها
حللي اختطف منها العصا

حللي : ما حاكجتي بخطفها ؟
أما تراها كاللباة في مشار عنفها

عبد المنعم : طر ياجيان ، وانتزع من الخبيثة العصا

حللي : بل الجبان من يجرّد العصا على النساء
تريد أن تأخذ بالقوة منها مالها ؟
فالمال لا تستमित في الدفاع مالها ؟

الت هدى : يا ويلتا واخجل ومارى لى رجله بأذنى حمار
أضحكة الجارة شغل الجار لم ير إلا طاحاً فى الدار
ثيابه كفولة الخمار تنضح بالليل وبالنهـار

عبد المم : أسمع حلى كلام المجوز ؟ وما تَقْدِف الرِّمَّةُ الباليه ؟
أخذت عصاى لتأديها فجَرَّ عصاك وقف ناحيه

حلى : رأيت رجالاً يضربون نساءهم
فشلت يمينى يوم تُضرب زينب (١)
« تدخل زينب باثرة وراءها نساء من الحارة »

زينب : من قال تُضربُ زينب ؟ من قالها ؟ أنا أُضرب ؟
: من قال ذلك ياهدى ؟ لأريه كيف يؤدب ..

الت هدى : ما قالها كاتب المحامى وإنما قالها المحامى
زينب : إذن هو السَّكَّيرُ يا أُخت
الت هدى : أجل

زينب : ماتستحى تقول ذلك يا رجل ؟
منذ متى فارق وجهك الخجل ؟

الت هدى : دافى زينب عنى شاركنى ما أقسى
منذ حين أوعد السَّكَّيرُ أن يَفْلُق راسى
إن أنا لم أعطه دُرِّى ويأقوتى وماسى

زينب : إذن دعيني هدى دعيني أنزل على زوجك انتقامي
عبد المنعم : حلمي تأمل هذه عصابة

من خدم البيت ومن بعض النساء
قد نظرت في البيت حتى جمعت سلاحها من ههنا وههنا
زحافة مكنسة مفرقة ونحن ما في يدنا غير العصا
حلمي تأهب استعد دافع

حلمي : قف أنت ، عن رأسك حلم ، رافع ا.
أسمع أم أنت غير سامع ؟

انظر إلى الزحافة تدور في لطافة كعنق الزرافة

عبد المنعم : وتلك ؟

حلمي : تلك المفرقة كالمقرب المؤلفة

النساء : « يضربن الهامى ويقلن »

اضربنه حتى يقع

اضربنه ، خذ يا لكع

كيف ترى ؟ أين الوجع ؟

عبد المنعم : أجرتني حلمي تمال احبى

حلمي : أنا ؟ خلتي ، خلتي ، أهرب

على من اليوم لا تعتمد

فإن استقلت من المكتب

- عبد المنعم : « حلمى وهو منصرف » :
قف يا جبانُ تمالأ...! قلتُ
حلمى : لا تنتظرنى إلى استقلتُ
أنت تعرضت لذا إبقى... خذ الزُّمُرُدا..
وأنت كنت المعتدى أقم... خذ الزُّمُرُدا..
إني مستعفى
- عبد المنعم : والأجر ؟ ننسأه ؟
حلمى : الأجر قد ضاع يموض الله...!
الست هدى : زينب تلك صخرةٌ بغيرِ حسنٍ فاضربى
« تضربه »
أسيما خديجةً اضربا رضوانُ أدبُ أدبِ
هذا هو الفولُ فكلُّ هذا الزيب فاشربِ
خدم من يدى الزبرجدا خذ من يدى الزُّمُرُدا
وخذ إن اسطقت اليدا
عبد المنعم : حسبي مهدى كفى كفاني ضربا
قد كان هذا اليومُ لى مُحبًا
سلمتُ رايتى فكفى الحربا
الست هدى : إن أنا خلصتك ماذا تصنعُ ؟
عبد المنعم : أذهب...!

الت هدى : الت هدى
 عبد المنعم : عبد المنعم
 أبدأ لا أرجع!... : أبدأ لا أرجع!...
 أخرج إذن ولّ القفا يالكع : أخرج إذن ولّ القفا يالكع

قف يا محابى لي استمع واسمن يا من ههنا
 النذل قد ردّ الطلاق لمشيئتى أنا

« تخرج عقد زواجها »

عصمتى منك فى يدي شهدت لى الوثائق
 إمض يا نذل لا تمدّ إنك اليوم طالق!..

سستار

الفصل الثالث

« بحجرة بالطبقة العليا من دار المرحومة
« الست هدى » . « السيد المجيزى » من أعيان
الريف وزوج المرحومة « الست هدى »

المجيزى : « لنفسه »

المال صار يا مجوزُ مالى
وأصبح البيتُ وما حوى لي
من بُعدٍ عشرةٍ من الرجال
نم رجال كثيرٌ ماتوا بحسرةٍ مالكُ
كنتُ الموفقَ وحدى لما ظفرتُ بذلكُ
الطين في « بنها » كاقيل لي
من أجود الأطيان في الناحية
وفي الضواحي يا عجيزى ابتهج
ما قيمة الغدان في الضاحية ؟

والبيتُ ملكٌ قِيَمٌ وإن مشى فيه القدمُ
مُهَنَّدَمٌ مُنَوَّرٌ من رأسه إلى القدمِ
بأسر البياضِ والترسيمِ يحيا من عَدَمِ
ما قيمة البيت يا عجيزي
وما يساوي إن يسع يوما ؟

قد قيل لي هي ألفٌ
وقيل ألفٌ ونصفُ

والفرشُ شىءٌ حسنٌ الفرشُ لا بأس به
لا بدُّ من تنجيده لا بدُّ لي من قلبه
الكتباتُ خشبٌ زانٌ وسنديانُ
قيِّمَةٌ يبدو على صانعيها الإتقانُ
وهذه سَجادةٌ نادرةٌ ذاتُ ثمنٍ
وهذه أخرى عليها قد تقادمَ الزمنُ
وصيغَةُ العجوزِ والحليُّ
أين تُرى موضعُا الخلفيُّ ؟
أَسْأَلُ « رضوانَ » فإلى غيره من مُرشدٍ

« ينادى »

رضوان ! ...

- رضوان : من ذاك يناديني ، أنت سيدى ؟
- المعجيزى : رضوان أنت صادقٌ تعالَ «رضوان» اصعدا
- « يحضر »
- رضوانُ قل يا ولدى أين مكان الصيفةِ ؟
- في أى موضع تُرى جواهرُ الميَّنةِ ؟
- رضوان : « مصاعُها » ياسيدى ليسَ هنا
- المعجيزى : أينَ إذن ؟
- رضوان : في منزلِ الباشا « صفَر »
- قد ذهب الأغا به في عُلبةٍ
- المعجيزى : منذُ متى ؟
- رضوان : من نحو شهرٍ قد غَبرَ
- المعجيزى : في المرضِ الأخيرِ ؟
- رضوان : في أوَّلِهِ
- المعجيزى : وأين كنتَ ؟
- رضوان : كنتُ في بعضِ السفَرِ
- المعجيزى : أمانةً ثم مُرَدُّ
- رضوان : سيِّدى أعلمُ منيَّ بالدخائلِ الأخرِ
- المعجيزى : وكنتَ أنتَ حاضراً ؟

رضوان : أجل حضرت يومَ ذلك ، وخدمتُ من حَضَرَ

« صوت من الطبقة السفلى »

يا صاحبَ المنزلِ

من

المجيزى

محمدٌ وعامرٌ وأحمدُ

ثلاثة

الصوت

جئنا نراك ساعةً فقلْ لنا

تنزلُ أمْ نحنُ إليك نصعدُ

المجيزى : قد حلتم بداركم اصعدوا عِنْدِي اصعدوا

« لرضوان »

رضوان أجلسهم هنا وحيثهم حتى أجي

وحيثهم بقهوة من عزبان « القهوجى »

« الثلاثة يصعدون »

رضوان : تفضلوا ياسادتي الآن يأتى سيدى

« ويخرج »

ثروة ضخمة

محمد

وخير كثير

أحمد

كل هذا إلى العجيزى آلا

محمد

أصبح الكلبُ بعد أن كان يمشى

ينفض الجيب أكثر الناس مالا

- أحمد : و « المصاغُ » « المصاغُ » بالروح أفديه
- فإذا من لؤلؤ وزبرجد ؟!
- محمد : وهل نسيت يا أخى خاتماً الزمرداً ؟!
- فهم يقولون بساوى مائة وأزيدنا !
- أحمد : قد ارتدى المغفلُ الحريراً
- محمد : واتخذ الشاهي والكشميرا
- أحمد : إذا مشى حسبته أميراً
- وحذاؤه ، أرايته ؟
- محمد : لا ، كيف ، كيف حذاؤه !
- أحمد : تسبيك رفته ويأخذ ناظريك بهاؤه ! ...
- والحزام الحزام ، رقعة كشمير تمنيت أن أكفن فيها
- وكم وكم من قيّمٍ قد اقتنى بعد السعة
- ذاك الحمارُ تحت مثل الشمعة الملتعة
- محمد : لا يا أخى الحمار شئ من شهور أربعة
- قد اشتريته له وكنت في السوق معه
- إن زاد شئ فاللجام أو يكون « البردعة »
- أحمد : الطين ياعامرُ الطين محبب ! ...
- الطين أبعادية من الذهب

والبيت ياسيدى محمد البيت فخم البناء مشيد

محمد : كم ياترى الأرض والمباني ؟

أحمد : ألف ذراع وقيل أزيد . . .

محمد : عامر لم سكت لم وما ابتلاك بالبهكم ؟

عامر : صه فى غدي أستأجر الطين

محمد : وكيف وبكم ؟

عامر : ذاك فنى

أحمد : مذ كان يستأجر الطين

عامر : أجل تلك صنعتى يا عزيزى

فى غد تكتب الشروط وأمضى

نحو « بنها » احتل طين « المعجيزى »

محمد : ما كالمعجيزى رجل يدرى اغتنام الفرص

إن « هدى » دجاجة باضت له فى القفص

أحمد : وقد رأيت كيف كان دفنها

قد دفنت مثل فقيرات النساء

عامر : لا يا أخى ظلمته إن الذى قام على المآتم والدفن الأغا

جاء من الباشا ومن زوجته

أخرجها « خرجة » عز وغنى

« يدخل المعجيزى فيقول : »

- المعجيزى : يا مرحبا بالأحباب يا مرحباً بالصحاب
: كذا أنسى، كذا أجنى كذا عني لا يسأل؟
- محمد : بناشوق ولكننا نرى المشغول لا يشغل
- أحمد : يا معجيزى عزاء مرة أخرى عزاء
أنت قد أحسنت والله وأظهرت الوفاء
مثل ما قد دفنت ما دفن القوم النساء
- محمد : وما الذى أنفقت؟
- المعجيزى : خن، قل على التوهم؟
- محمد : أمانة؟
- المعجيزى : فى الدفن ثم مثلها فى الماتم
« زائر ينادى من تحت »
يا صاحب البيت! ...
- المعجيزى : « لنفسه » قد صار لي بيت
- الزائر : يبقى لنا الحى ويرحم الميت
- المعجيزى : « لنفسه »
- : يرحمك الله هدى خيرك هذا عمتي
- الزائر : تهاننى يا معجيزى لقد ورثت جليلا
تهاننى يا صديقى قد نلت خيراً جزيلاً

- العجيزي : مَنْ ؟
- الزائر : « مصطفى النشاشقي »
- العجيزي : أَجْتَنِّي بِعُلْبَتِي ؟
- الزائر : أَجَل ! ...
- العجيزي : تَعَالَ اصْعَدْ بِهَا اصْعَدْ ، مَعِيَ أَحَبَّتِي
- الزائر : مَعِيَ الْفَقِيهُ الْحَلْبِي
- العجيزي : يَا مَرَحِبًا بِهِ ، اصْعَدَا
- « للحاضرين »
- ذاك فقيهٌ من سبيل دينه عَلَى هَدًى
- أَتَرْفُونَ الشَّيْخَ ؟
- أحمد : قُلْ عَامِرُ
- عامر : سَلْ مُحَمَّدًا
- محمد : فِي « الزَّيْنَبِيَّ » قَدْ سَمِعْنَاهُ يَرْجُ الْمَسْجِدَا
- ذاك الفقيهُ لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ لَكِنَّهُ عِنْدِي مُزَوَّرُ الْبَلَدِ
- كَمْ حَلَّ بِالْفَتَوَى وَبِالْفَتَوَى عَقَّدَ
- أحمد : يَا حَلْبِي أَنْتَ حَبْلُ الْمَشْنَقِ
- كَمْ لَكَ فِي الْحَارَاتِ مِنْ مَعْلَقَةٍ
- لَمْ يَخْلُ بَيْتَ لَكَ مِنْ مَعْلَقَةٍ
- « يَدْخُلُ النَّشَاشِقِيُّ وَالشَّيْخُ »

المجيزى : هذا هو الشيخ أتي يا مرحباً يا مرحباً

« للهاضرين »

استقبلوه وقفوا بين يديه أدياً

« لرضوان »

البن يارضوان

الشيخ الحلبي : لا .. شيئاً من الكراوية

المجيزى : اذهب جى؛ الشيخ بها عاطرة وصافية

النشاشي : « همساً في أذن المجيزى ، ويتناوله العلة : »

هذا النشوق من نشوق المفتي

يليق للوارث زوج الست

آخر : « ينادى من تحت »

صاحب البيت

المجيزى : سيدى

الزائر : عم صباحاً أنا عبد اللطيف شيخ الحاره

المجيزى : مرحباً مرحباً تعال تفضل

« للهاضرين »

رجل لا يرى ثياب الجاره

الشيخ : « عند وصوله »

ولكن أنا ما قدرى ؟ وهذا مجلس عال

المعجزي : « همسا »
تعال ، ما يقولون ؟

الشيخ : صنوف القيل والقيل

يعزُّونكَ بالميتِ يهْئونكَ بالمالِ
« وهو ينظر إلِ جوانب البيت »

تعالى الله ما أبهى ... تعالى الله ما أوسع !...

مكان الأنس والبسطِ وبيتُ النسوة الأربعِ

يرحمُها الله لقد كانت ملاكا محسنا
ولم تقابل رجلاً فى بيتها إلا أنا

فكم طعمتُ وشربتُ وكسيتُ ههنا

البيت لما اشترته كان أبى شيخ حاره

ولم تزل كلَّ عام تُجِيل فيه العماره

المعجزي : وأنت ؟ ..

الشيخ : كنت ابن خمسِ فلست أذكرُ شيئاً

إلا ليالى عُرَّيسٍ لمبتُ فيها صبيّاً

لم يدخل البيت زوج لم يفارق البيت حياً

المعجزي : إذن فعمرُ البيت ستون سنه

الشيخ : ومن يقولُ مائةً مائةً ماغَبْنَهُ
فهم يقولون « الفرنسى ^(١) » سَكَنَهُ

المعجيزى : إذن فلقبوه بالعتيقِ

أحد الحاضرين : والأرض والموقع يا صديقي ؟
آخر : البيت كله على الطريقِ

الشيخ : بل منزلٌ مباركٌ تسكنه فى عافية
يكفيه ما حلَّ عليه من جلالِ الناحية
فأنت بين الحنفى ^(٢) والبتول الزاكية ^(٣)

لا تنس من جارك إنك جارك (الحنفى)
الحاضرون : وكلنا خادمه وكلنا فى الكنفِ

آخر : « يزعم من السلم ويقول :
يا معجيزى يا صديقي

المعجيزى : « فى اضطراب لنفسه »

ذاك داودُ المَفَقِّ

ربما خلَّط حتى

أضحك المجلس منى

(١) المراد بالفرنسى نابليون . (٢) السلطان الحنفى رضى الله عنه .

(٣) السيدة زينب رضى الله عنها .

٧١٨	أحمد شوق
داود	: « من تحت » أيها الوارث قل لي أأعزى أم أهني ؟
المعجزي	: « للحاضرين » ذاك داود المغنى قد اتى يسأل عني
داود	: لقد أتيتُ ومعى حميدة لكي أريها دارك الجديدة
المعجزي	: « لنفسه » الويل لي الويل لي حميدة في منزلي كيف أوارى خجالي ؟ !
المعجزي	: « للحاضرين » أأسمعون ؟ معه زوجته
أحمد الحاضرين	: وما لداود وللتسفر فرنج
آخر	: أضعده ، دعه يا معجزي ينجي
المعجزي	: لا ومقام (الحنفي) ان ينجي
آخر	: قابله لا تضع عليه سميّه ليس على أمثاله من حرج
المعجزي	: لا، ان يطال عتبه سوف أريه أدبه « وينزل فيصرف « داود » ويعود »
زائر آخر	: « يصيح من تحت »

- الزائر : سيدى ا سيدى !... أنت هنا ؟
- المجيزى : مَنْ ؟
- الزائر : أنا سلمانُ يا مجيزى أأصعدُ ؟
- المجيزى : « لنفسه »
- ذاك سلمانُ جاء يطلبُ بالدين
وقد جنُ أمسٍ حتى تهددُ
أحد الحاضرين : سلمانُ مَنْ ؟
- مصطفى : تجهلهُ ؟ ذاك مرأى الناحية
استرجعَ الحسينَ منى بعد شهرينَ مية
- محمد : مُسلمٌ ؟
- مصطفى : وابنُ مسلمٍ وله جَدُّ بقلب الصعيد شيخٌ ولى
لم يدع لليهودِ فى « الخط » رزقا
ليس فى « الخط » غيره ربوى
- يا يهودَ الأرضِ قد أصبحَ يشقى العالمون
من نبى الإسلامِ سلمانٌ ومنكم « سالمون »
- محمد : « هساء » وماله والمجيزى وما الذى جاء يصنعُ ؟
- أحمد : أليست الزوجُ ماتتُ فالوارث اليوم يدفعُ
- المجيزى : سلمانُ يا إخوانُ لم يأتِ الدينُ أو سندُ

عامر : وما يضر الدين لم يخل من الدين أحد

المعجزي : لا ، بل علاقتي به علاقة من البلد
آباؤه كانوا وآبائي شيوخاً وعمد

محمد : نادِ إذن يصعد فلا بأس في

المعجزي : سلمانُ سلمانُ
تعال سلمانُ فما ههنا إلا أجباء وإخوان
« يدخل سلمان ويقول للمعجزي »

سلمان : قيل لي عنك مطلق البطن شك
كيف ياسيدي المعجزي حالك ؟

المعجزي : أحمدُ الله قد تعافيتُ فاجلس

«ههنا»

لا تخف ، في غدِ يوافيك مالك

سلمان : أمانك شهران حتى تفيق
وتهدأ فلم لا تمتد الأجل ؟ ..
وتدفعُ خمسين فوق الحساب
إذا الإرثُ من كل وجه كتمل ؟!

دواتي على وفيها اليراع وأنت بخير وهذا السند
لخذ فضع اسمك

المجيزى : سِرِّ فى الرواقِ لا يطلعنَّ علينا أحد

« ينصرفان »

محمد : قد دخلنا فى الرواق سرًّا وظاز بالوارثِ المرابي

أحمد : وبين هذا وذا حسابٌ ويعلم الله بالحسابِ

« يعودان »

سلطان : « مما لمصطفى »

يا مصطفى يا نشوق

سلطان : لَبَّيْكَ سلطانُ أهلا
لى كَلِمَةً فاذنُ منى لا تنسَ، دينُك حَلًّا

المجيزى : ماذا يقول المرابي ؟ وما أسرُّ إليك ؟

مصطفى : يريد منى نشوقًا عما رأى فى يدَيْكِ

الخلبي : الحق أنه نشوقٌ طيبٌ

مصطفى : وفيه يا ققيه عرقُ العنبرِ

الباشوات كلهم قد أقبلوا عليه والمفتى وشيخُ الأزهرِ

وسيداتُ « الخط » من حين إلى

عامر : « فى سخرية » آخر يبعثن الأغا فيشتري

السيدات ؟ أنثى

على النشوق تطوف ؟

مصطفى : لم لا؟ أما هُنَّ خلقٌ أما لهنَّ أنوفٌ ؟

لا تنس يا عامر ! . . .

عامر : ماذا مصطفى ؟

مصطفى : لا تنس يا أخى أعرّ الناسِ
أُمّك كانت من قَرَامِها به تأخذُه مِنِّي بالأُكياسِ

عامر : أمى أنا يا رجلاً لا يستحي نشاشقُ يذُكر الخُدَّره
« يتناول كل من مصطفى وعامر عصاه »

مصطفى : وأى عايرٍ بالشوق إنما

العارُ كل العار شغل السمسره

شيخ الحارة : خذوا العَصَا من « عامر » و« مصطفى »

إني أخافُ أن تكون « تَجَزَّرَه »

عامر : دعوة لى لا بد من تحطيمه

مصطفى : خلّوه لى لا بد أن أُكسّرَه

العجيزى : وسحرمة الميتة تنسيانها وحق يبتى لائراعِيانِه

غدا يقال عنكما قد سخرنا من العجيزى ومن ضيفانِه

مصطفى : تلك العصا طرحتها ياسيدي حُبّاً بِكَا

عامر : وأنا أيضاً قد رميت بالعصا لأجلِكَ

« صوت من الخارج : »

دستوركم يا أهلَ هذا المنزل

المعجزي : مَنْ ؟ ..
الصوت : الأغا ! ..
المعجزي : أَلَا مَا زُ أَغَا ؟ .. تَفْضَّلِ

الأغا : « بدخل باكيا مولولا ... ويقول :
آه على صديقتي آه عليك يا «هدى»
قد خرب البيت فليت لك عينا فكري !
أين جبين كان كالسبدرسنا وسنا ؟
وأين « أهلا » كلما جئت وأين « مرحبا » ؟
وأين ما قد كان لي عندك من طيب اللقا ؟
وأين صوت كان كالسحر يفادي يا أغا ! ..

المعجزي : ماذا دهاك سيدي هون عليك يا أغا ! ..

الأغا : « مستمرا » قد ذهب البيت ، لبيت الله وحده البقا
قد ذهب المال ، فسبحان الذي له الفنى ! ..

المعجزي : أفق تجلذ يا أخى ليس البكامين الثنى

الأغا : أبكيك يا هدى وإن لم يرجع الميت البكا
« ويقع منى عليه »

مصطفى : « للأغا »
جرب نشوق مرة خذ تجدي الحزن هدا

المجيزى : رُشُوهُ بِالْمَاءِ يُفْسِقُ

« لرضوان »
رِضْوَانُ هَاتِ كَوْزَ مَا

الأغا : « يرفع رأسه قليلا ويقول : »

وَلَيْكَ عَذْبًا بَارِدًا إِنِّي أَحْسُّ بِالظَّمَا
لَيْتَكَ مَامَتِ وَلَيْتَ اللَّيْسَتْ يَاهْدَى أَنَا ؟ !
هْدَى تَعَالَى انْظُرِي الْبَيْتُ مِنْكَ قَدْ خَلَا
« للمجيزى : »

سیدی اصنع لی :

هدى رحمة الله على روحها وألف سلام

يَا أَسْفَا عَلَى هَدَى يَا أَسْفَا
مَا لِي يَخُونَنِي فَيِي ؟ مَا لِي تَخُونَنِي الْقَوَى ؟
« ويتمايل الأغا ثم يسقط »

محمد : لقد رجمتنا فوقمنا في البلاء والقنا
المجيزى : « للأغا »

قَمِ يَا أُنْحَى أَنْهَضْ قُلْ تَكَلَّمْ هَاتِرِ بَيْنَ يَا أَعْسَا
مَا نَحْنُ فِي مَا نَعْمَا مَا نَعْمَا قَدْ انْقَضَى
وَكُلْ حَيٌّ مَيِّتٌ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الْمَدَى

الأغا : تركت عندنا وصاة

- المعجزي : وما ذا ؟
- الأغا : كَتَبَتْهَا قَبْلَ الزَّوْاجِ بِعَامِ
كَتَبَتْهَا وَأَشْهَدَتْ مُقْتِي الْقَطْرِ عَلَيْهَا وَقَاضِيَ الْإِسْلَامِ
- فَدَ تَرَكْتُ يَرْحَمُهَا اللَّهُ امْسُكُونِي لَا أَقْعُ ...
« وَيَتَايَلُ كَاللَّشْوَانِ »
- المعجزي : قُمْ خَلْفَهُ يَا مُصْطَفَى ! ...
- مصطفى : دَعَهُ لِسَاعِدَى دَعِ
- الأغا : قَدْ تَرَكَتْ فِي عُلْبَةٍ « مَصَاغَهَا » عَشْرَ قِطْعٍ
مِنْ جَوْهَرٍ مُبَرِّإٍ مِنْ أُنْدُلُوشٍ وَالْبُقْعِ
- المعجزي : لِمَنْ ؟ ...
- الأغا : لِعَشْرِ مِنْ نِسَاءِ الْحَارَةِ مِنْ كُلِّ جَارِيَةٍ وَبَنَتِ جَارَهُ
- المعجزي : وَعَيَّنْتُهُنَّ ؟
- الأغا : أَجَلْ ، وَبَيَّنَّتْ
- المعجزي : يَالَى ، يَاللَّغَيْنِ وَالْحَسَارَةِ ! ...
- يا أَسَفَ الدَّهْرِ عَلَى جَوَاهِرِي يَا نَدْمًا
- مصطفى : مَالِكُ يَا أَخِي ؟
- المعجزي : أَحْسُ أَنْ ظَهَرِي انْقَسَمَا
عَوَّقِيَّتِ يَا هَدَى وَلَا أُخْرِجَتْ مِنْ جَهَنَّمَ
« يَسَى عَلَيْهِ »

محمد : لا بأس لا بأس إني أرى به إغماء

شيخ الحارة : رضوان طرّجى بكوز

الحلبي : صُبُوا عليه الماء

المعجزي : « ومو يفيق »

والبيت يا أبا أجب البيت ما أصابته؟ ..

الأغا : وقفته لبنت أول زوج

الحلبي : إن هذا قضاء حق قديم

المعجزي : أترى البنى والتسّف حقاً

يا كثير التحليل والتحريم

قلّبتنى هدى على النار حياً

قلب الله جسمها فى الجحيم

« للأغا »

وأناث البيت هذا ؟

الأغا : جاء أيضاً فى الوصية ا

أصبح البيت وما فى البيت ملكاً لبيته

المعجزي : إرم يا دهر بالمصائب إرم

ظلمتنى هدى فما كان جرمى ؟

شيخ الحارة : بقى الطين فانتظر رحمة الله
ولا يدخلنك اليأس منها
إنها خلقت ثلاثين فدانا بينها وأنت تعرف بينها

الأغا : لا ، لا تصدق سيدى
فما درى ، ما عرفنا

المجيزى : ماذا جرى إذن ؟ أين
الأغا : الطين أيضا أوقفا
المجيزى : لمن ؟

الأغا : لبيت الله والروضة قبر المصطفى
المجيزى : يارب بيتك عى وعن نصيبى غنى
وقل لقبرك يرجع لى ثرونى يا نبى
الطين أيضا قد مضى وكل شىء انقضى
يا لأعاجيب القضا

الحلبى : اصبر أخى ، تمر ، ما هذا الجزع
هب أن ذلك الزواج ما وقع
ليس الحياة غير رى وشبع
المجيزى : « وهو يهجم عليه »

هب أن رأسك انقلب هب أن مخك اندلق
حتى جرى على الزلق

سلان : الطينُ أيضاً قد مضى يا ويح لي ، ويخزيه ! ..
ضاع علىّ تعبي وضاعت الخسمية ! ..

هذا المجيزيُّ مزيج من غباءٍ ونكدٍ
قد جاء مصر هارباً من الديون في البلد
وماله من عمل فيها ولا له أحد
لكن عليه سند

النشائي : إذهب ، كل ، اشرب السند
الجميع : إذهب ، كل ، اشرب السند ! ...

ستار الختام

البن خيالة

البن خيالة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٤

تمهيد

سنة ١٩٠٧

زمن الرواية

القاهرة

مكان الرواية

أشخاص الرواية

(البغيلة)

الست اظيفة

حفيدها

جمال

خادمتها

حسنى

طبيب

عبد السلام

محمار

رشاد

من أبناء اللوات

عزير

الفضل الأول

« فهوة » جميل « ميدان » لاظ أوغل « . « جمال » و « رشاد »
« على مائدة يتحدان ، وآخرون متفرقون . يدخل صبي الفهوة »
« بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن . ويقول : «
« هنا سادة ، هنا القرعة ، هنا الشاي . ثم ينقل إلى مائدة « جمال »
« و « رشاد » ، ويقول : خشاف سيدى . والبانزهران^(١) »

جمال : البانزهران لى أنا

رشاد : وشيشتى يا مصطفى

الصبي : طلبتها يا سيدى

[يمر بائع جرائد مناديا]

(٢)
اللاوا

(١) الليمون

(٢) جريدة « اللاوا » التى أسسها الزعيم مصطفى كامل

رشاد : اللوا تعال يا ولد
 البائع : إقرأوا حديث مصطفي^(١) إقرأوا خروج المتمد^(٢)
 رشاد : كروم ؟ خروج متى ؟
 البائع : فدا أو بعد غد
 رشاد : من قال ذاك ؟
 البائع : [ويثي]

مصطفي

رشاد : التقت الأفكار حو ل مصطفي كالفائد
 جمال : وصارت الأخبار عند باعة الجرائد
 رشاد : آين من مبي بمصطفي كني تعنشا كني
 والعقلاء

جمال : كلهمو

رشاد : والأذكاء

جمال : اشريهمو

(١) ازجيم مصطفي كامل

(٢) اللورد « كرومر » ، المتمد البريطاني

رشاد : ما أنت ؟

جمال : لستُ منهمو

لانى أنا مع البلد إن قام قتُ أو قعدُ
لم يرى فيه أحدُ

[اثنان على مائدة بخادنان من جمال] :

الأول : تأملُ المُكثِر من إعجابه بنفسه ينظر في ثيابه
تلفتُ الطاووس في إهائه

الثانى : لله ما أظرف . ياله فتى قد أبدع البارى تعالى شكلهُ
لو كان هذا ولدى وواحدى نرجتُ قبل الموت من مالى له

الأول : من الفتى يا أنى ؟

الثانى : جمال هذا الذى يخلف البخيلة
على الدكاكين والضّياع والثروة الضخمة الجليله

هذا الذى يفترس الأكياس ولا يرى الأحلام إلا ماسا
فإن صحا شكاك الإفلاسا

ياخذ من هذا وذاك بالرّبا يُعطى نحاساً ليردّ ذهباً

وقيل شئ فوق ذا

الأول : وما يقولون ؟

الثاني : عَجَبٌ

الأول : ماذا ؟

الثاني : بلاطُ بيتها مرَّكَبٌ على السَّهْبِ

الأول : وذلك الآخِرُ من ؟

الثاني : ذاك من السَّامِرِ

يبيع كل عامر يصيبه وظامر
وكم وكم زَوْجٌ أو طَلَقٌ من حَرَامِرِ
تلقاه في كل طريق كالغبار السائر
من قهوة لبيرة لمتسدى السامر
ويدفع الشباب في السُّوْحُولِ والمخاطير
فمن يندى مسألِفٌ إلى يندى مُقَامِرِ
ومن سموم حائِة إلى لُعب هاهِرِ

لا يُبغض الله ولا رسوله

من العباد كالسرايين فيئة

الأول : أَيْ رَبّاً يَشْتَرِطُونَ يَا تُرَى ؟

الثاني : عشرون أو ما فوق ذاك في المائة

أنظر إلى السمسار يسحر الفتى

وانظر إلى الغلام كيف استحسنته

عندي ألف ما ملكتُ فيها

من لي بها ألفين إن فانت سسنة ؟

الأول : عندك ألف أنت ؟

الثاني : ألف ذهباً

الأول : تريد تعطيلها بفاحش الربا ؟

إذن لقد كنت تُرائي يا أنى

ولم تكن تقواك إلا كذبا

[جمال يرفع صوته] :

بالله من ذا الحديث دعنا

وانظر معي هذه الكُتُبَة

[ينظر إلى رجل وجبه ملف بالثياب ومعمم] ويقول :

ومن يكون الوجيه ؟

- رشاد : هذا مقال يُكبرون كسبة
- وكل يوم عليه نعل وكل يوم عليه جبة
- تراكم المال في يديه من حبة أميس صار قبة
- جمال : وما قنّ الحظ بالكركدن وما أعجب المال من يحمته ؟
- رشاد : ومن عجب بعد هذا المشيب
- بقي بائنتين على زوجته
- ورام الزواج ببنت النقيب ؟
- فما قيلوه على ثروته
- جمال : وما تلك ؟ من هي بنت النقيب ؟
- رشاد : فتاة هي البدر في ليلته
- جمال : وما بيتها ؟
- رشاد : قصر آبائها
- طويل العماد عريض الغرق
- جمال : وما مأها ؟
- رشاد : القصر عنوانه
- أليس القصور رموز الترف ؟

جمال : وما سمعة البيت ؟

رشاد : ماذا تقول ؟

أما في قديم البيوت الشرف ؟

جمال : وَلَيْمَ أَبَتَ الشَّيْخَ وَهُوَ الْغَنِيُّ

رشاد : وهل كل ما في الزواج المهور ؟

وهل يملأ التيس عين المهابة

وهل تحمل الكركدن القصور ؟

جمال : رشاد أهي حلوة ؟

رشاد : وذات قصير ، وكفى

جمال ، ما ضرر لو أتي صا هرت الغنى والشرف ؟

أتعرف البنت يا رشاد

رشاد : وأعرف الأم يا جمال

جمال : كيف ومن أين ؟

رشاد : لى بيت السنيقي من نشأتى اتصال

أهي كانت إليه تغدو

إذ أنا طفل . ولا تزال

جمال : ماذا ترى رشاد إن طلبتها ؟

تُرى تَرُدُّني إذا خطبتُها ؟

رشاد : أصبغ لي ، أنت مثل ما تتنى

« زينب » تجمع الغنى والجمال

جمال : الغنى يا رشاد ؟ إنك تهذي

رشاد : أنا أهذي ؟

جمال : أجل . وتخطئ

رشاد : لا . لا

أنت فوق النقيب دخلاً ورَيعاً

بعد حين وانت أكثر مالا

جدة تجعل الحديد على الماء

لي وتبني الأبواب والأقفا

جمال : لكنها يا صديقي أشد مني ومنكا

رشاد : صبرا فَعَمَّا قليل سيفرج الله عنكا

جمال : وجمالي ؟

رشاد : [ويخرج مرآة]

أفي جمالك شك ؟

خذ تأمل . أنظره في مرآتي

سوف تسي فؤاد زينب

جمال : من « زينب » ؟

رشاد : هذا يا صاحبي اسم الفتاة

جمال : رشاد ، اسمع ، عقدت العزم فاذهب

وأنت فاطمنا لي اليوم زينب

رشاد : إذن أعطني ليرة من حسابي

وبعد غدا نلتقي ها هنا

جمال : [يتأوله الليرة] :

قبلت نفذا

رشاد : [بعد أن ينظر أمامه] :

انتظر يا جمال بربك فالحظ قد أحسننا

فهذا أخو زينب مقبلا

فيسر حيث شئت ، ودعني أنا

[يجلس عزير فيقدم إليه رشاد]

رشاد : عزيز؟ من؟ أهلاً أنى منذ شهر لم أرك

عزيز : رشاد أنت ما هنا؟

من ذا الذى كان معك؟

رشاد : أنظر إلى ثيابه ولونها كيف اتحد

أنظر إلى حدائه من النظافة اتقد

والبنطلون مستوي لم ينكسر . لم ينعد

أعزني السمع أعز عندي لكم شيء يسر

عزيز : ما ذاك؟ هات . ما الخبر؟

رشاد : هذا جمالٌ وحيدٌ جد

بنيلى يا عزيز، جلدة

عزيز : وعمرها يا رشاد؟

رشاد : يربو على الثمانين

عزيز : تلك مدة

والمال؟

البخيلة

٧٤٥

رشاد : ما شئت من فدادين

ومن بيوت ومن دكاكين
والذهب الصب كل ناحية
في البيت ، من محبا ومدفون

مزير : والآن ماذا تبغني ؟

رشاد : أريدُه لزيبنا

مزير : وكيف ؟ هل يقبلها ؟

رشاد : كلمته في أبي

فامض إلى أمك يا عزيز بلغها النبأ
لقد وصفت القصر لأبلي وصفا عجبا
ولم أزل أطيرى له العبد وأمدح الأبأ
وأنت المجد القديم وأحلى النسبأ
وقلت عن أمك خيرا وامتدحت زيبنا

مزير : وقد نسيتني أنا ؟

رشاد : لا . بل أطلت الكذبا

مزير : وما الذي قلت عني ؟

قُلْتُ : فَتَى مَا أَفَاقَا

رِشَاد :

وَبِالنَّهَارِ السَّابِقَا

بِاللَّيْلِ يَغْشَى الْمَلَاهِي

تَسْأَلُنِي عَزِيزُ رَأْيِي

أَلَسْتُ مِنْهُ زَمِينَ الْمَهْدِ أَخَا ؟

عَزِيزُ : لِمَ لَا ؟

رِشَاد : أَتَمَّ عَزِيزُ يَا أُنْحَى فِي أَزْمَةٍ

وَلَا يَفُكُ ضَيْقَكُمْ إِلَّا الْغِنَى

الْمَالُ فِيهِ وَحَدُّهُ خَلَاصُكُمْ

لَا بَدَّ مِنْهُ الْيَوْمَ أَوْ لَا فَعْدَا

عَزِيزُ : أَجَلُ ، بَغِيرَ الْمَالِ لَا تَنْشُرُنَا

وَكَيْفَ ؟ مَنْ أَيْنَ يَجِيءُ ؟ أَفَتُنَا

رِشَاد : بِمَا تَخْوَضُ فِيهِ مِنْذُ سَاعَةٍ

مِنْ الْفَقْرِ ، مَنْ ، وَتِ سَجْدَةِ الْفَقْرِ

عَزِيزُ : وَمَا الَّذِي نَهَمْنَعُ كَيْ نَصِيدَهُ ؟

لَا بَدَّ مِنْ مَعْصِيَتِهِ

تِلْكَ أَنَا

رِشَاد :

اسْمَعْ أُنْحَى عَزِيزُ أَتَمَّ أَسْرُهُ

لَمْ يَبْقَ مِنْ وَجُودِهَا إِلَّا شَفَا

قصرُ كمو من قِدمِ مهْدُم
 قد خا ط فيه العنكبوتُ وبني
 سكتموه ها هنا وها هنا
 كاليوم . . كل يومين في فضا
 ملائمتوه خدما أشداقهم
 دائرة على الرغيف كالرما
 أنظر إلى القصور كيف أصبحت
 لم يبق من مقدّم ولا أفا
 احتجب القوم وراء ظلها
 لا يسأل البواب إلا قال : لا

مزيج : كفى رشادُ صفة
 ولا تعدّب مهجتي
 واميض اجتهد رشاد في
 إذا كان لها أهلا
 ولم لا يا أنى ؟ لم لا ؟
 فتى لم يحكه الشبا
 ولم ينكر له الإخوا
 لبؤسنا . كفى . كفى
 ولا تهيج لي البكا
 تزويج أختي بالفتى
 ن هنادما ولا شكلا
 ن لا ظرّفا ولا عقلا

رشاد :

ومن بيت يرى الناس عليه الخير والنبلا
أبوه كان إنسانا

مزير : وهذا كله فضلا

عما وراء جدته

وعن عظيم ثروته رشاد :

يا ليتني في حالتها

اسمع عزيز يا أخى أنا وأنت لا تترث

أملط يارب كما خلقتني راض على قلّة ما رزقتني

عزيز : دعنا من الهزل . هلا أخذت في الجّد سامه ؟

رشاد أنت صديق ماذا ترى في البضامة ؟

ادخل بنا في الجّد يا رشاد متى تسراه ؟

رشاد : في غيبه أراه

عزيز : لم تقل لي عن الفتى . ما أبوه ؟

رشاد : كان نحر الرجال . . كان مديرا

[ثم لنفسه]

كان والله يسبحُ الصبح والليل إلى كل حانة سيّكيرا

عزيز : والفتى . كيف شغلُهُ ؟

رشاد : في الدواوين

عزيز : إذن قد نراه يوماً وزيراً

رشاد : لِمَ لا ؟

[ثم لنفسه]

قلتها ومن أين أدرى ؟ ربما صار حاجباً أو خفياً

[ثم لعزيز]

لا تسألني ما أبوه يا أمي أو من الأمِّ وسل ما جدُّته

لا ولا ما شغلُهُ ؟ ما جاهد ؟ في الدواوين ولا ما رتبته

بجمال في غيد أو بعدد بوزيرين تساوى ثروته

[بعد لحظة]

ولِمَ لا وجدُّته نملةٌ

إذا وقفت أو مشت حصلت

وتدخل في بيتها ما تُصيبُ

ولا يُخرج الدهرُ ما أدخلت

لو انقلبت من جميع الجهات

على القش في فها ما انفلت

ترى المال في بيتها في اللهايف

وتحت البلاط وحشوا الشلت

مزير : عجبت . ياتي البخيل المأل وهو يرى

أن البخيل إليه غير محتاج

وقل ما جاء حراً ما جدا ومشى

إلى الكريم الكثير الهم والحاج

آه ما أكثر حاجي من بما جاتي أناجي ؟

أزمة درت فلم ألق لها وجهه انفراج

رشاد : عزيز أنت . فليس

مزير : ماشئت في ذاك فقل

رشاد : على البلاط يا عزيز — كُنَّا ذاك الرجل

مزير : إذن جمال صفة رابحة لنا كلينا

رشاد : قد فهمت مأربي

ولست أنسى فضلكم عندي ولا

ما طوقت أملك أمي وأبي

مزير : اذهب إذن رشاد فاخطب

رشاد : لمن ؟

عزيز : لي ، ولزيب ، وأم زيب

رشاد : للآثم والإمين واللبث ؟

أجل

عزيز : وكل من مَت لنا بالنسب

رشاد : أصبت يا عزيز أنت فطن

عزيز : لا بل هو البؤس يفتن الغني

رشاد : ورُكوبي يا صديقي وذهابي وإياي ؟

عزيز : إمض أنفق ما تشاء واصبر إلى يوم الحساب

أنا لو بيع بفليس لم يخذ سوقاً حرابي

كلانا رشاد على زورقي كسير وموج عنيف شقي

فإن ننج ننج بخير المتاع وإلا غرقنا مع الزورقي

* * *

« ثلاثة آخرون جلوس على مائدة بالقهوة »

« أحدهم يقرأ جريدة ، والآخرا يتعادنان »

الأول : من ذلك المِطْل من لحيته

كالبل من وراء بخلة رنا

الثاني : تسأل عن ذاك الذي انحنى على

صحيفة يقرأ وولانا القفا ؟

الأول : أجل . أجل هذا القفا

الثاني : هذا هو الدكتور

الأول : من ؟

الثاني : عبد السلام مرتضى

اقرأ ما صادف من جريرة

من سطرها الأول حتى المنتهى

وتستوى مخف العبايح عنده

ومخف ظهرك من عام مضى

تذاكر الدفين التي يكتبها

في الشهر أضماق تذاكر الدوا

وعيبه البخسل

الأول : فيه بخل ؟

الثاني : بخل من جارتك نظيفة

الأول : من يا أنى هذه ؟

الثاني : عجوز في الخلط من أسرة شريفة

ليس لها في الحياة إلا عبادة المال من وظيفة

حتى لقد صارت حديث الحارة
 وضحك الحار وتُخَضَّر الحارة
 كلهمو يحسدها بما لها ويتمنى حاله كمالها
 وهكذا الأنفس في ضلالها

الأول : ما غشاها يا أنى ؟

الثاني : أكثرُ هذا الخطُّ مالا

الأول : ومن الوارث إن ما تت

الثاني : فتى يُدعى جمالا

الأول : وذلك الدكتور ؟

الثاني : هذا «^(١)مادر»

الجوعُ يا أنى ولا الأكلُ معة

لقد دعاني للغداء مرة

فَقَدَّ البيضة بين أربعة

وحىء بالشواء

(١) أبجل العرب ؛ ويضرب به المثل في البخل .

الأول : قل ماذا جرى ؟
الثاني : أومًا إلى خادمه أن يرفعه

راى فيه عيبًا وإن لم نجد
على اللهم عيبًا سوى قَلْبِي
فقد كان أنضجَ لحيمٍ رأيتُ
وقد كان كالسِكِّ في نكهته
ومن بخليهِ تُفتحُ القهواتُ
وتُغلقُ ، وهو على « شيشيته »
يُقضى بها طرْفُ يومه
ويُغضى بها طرْفُ ليلته

الأول : ومرضاه ؟
الثاني : يا قاهمو في الطويـسـق حينًا ، وحينًا على قهوة

[فلام يدخل الفهرة صائحًا]

الفلام : أين هو الدكتور ؟

أحدهما : ذا ك

سيدي أخى سَقَطَ

الفلام [للدكتور] :

تحت الترام

البغيلة

٥٥

الدكتور : فليكن أو تحت واپور الزايط
فما الذى أصابه ؟

السلام : انفلق الرأس
الدكتور : فقط ؟

هيا ولوائى ما عاجلت فى الشارع قَط
السلام : الله فى عون الجريـج منك جراح القَطَط

« سئار »

الفضل الثاني

| في منزل السيدة نظيفة |

« حجرة بها دكة عليها ثلاثة ومخدات ثلاث — السيدة »

« نظيفة تلبس جلابة من الشاش الأبيض ، ومنمصة »

« بتديل ، وفي رجليها القباقيب »

نظيفة : [تتكلم وحدها في الحجرة] :

منزلي حولي نظيف وأنا الست نظيفة

وبسلاطى ذاك أنسى بكشير من صحيفة

كل ما كلفنى ما وصابون وليفة

لا بساط لا كلام لا حرير لا قطيفة

غير هذى الخشب السخيزرانات الخفيفة

ليس يلقى كيسوت الناس أحمالاً كثيفة
أنا يلقى في الهواء الطلق والشمس اللطيفة

ودكتي تلك أغلى لدى من ألف صفة
كم مال زوجي عليها وكان يقطر خفة
جلستُ فيها عروساً واليوم إذ أنا قُفَّة

[بعد أن ترى « حُسنى » الخادمة داخلة عليها ويدها شيء]

تعالى يا ابنتي جيئي بماذا جئتي « حُسنى » ؟
حُسنى : لقد جئتُ بفنجان
نظيفة : خذيه جرّبي البُنا

وهذا شُبكي هاتى^(١)

أجل بالعود قد رجيتُ^(٢) حُسنى :

وفي الكيس مع الدخا ين زندان وكبريت^(٣)
نظيفة : سلمت حُسنى يدالك

(١) أداة للتدخين .

(٢) هود البخور .

(٣) مفتى « زند » ، وهو ما تقدح به النار .

حسنى : أنا مولاتى فِداك

(١)
والآن هل آخذنَّحْرَجَ النهار

نظيفة : إمضى خذيه إنه فى (التكرار)

حسنى : هيسايتَه سِيدَتى ؟

نظيفة : أجل

حسنى : وما أخسرجيتِ لى ؟

نظيفة : رأس من الثوم ونمـسـس من صفار البهميل

حسنى : والسمن مولاتى تُرى ؟

نظيفة : كاميس . لمْ أَقْلِيل

أوقيسة

حسنى : والأرز ؟

نظيفة : لا لا يدخلنْ منزلى

لقد غلا سمعراً ولا يُعجبني السمرُ الغليل

حسنى : ليتسك بالزيت افشكر يِ والدقيق والعسل

نظيفة : ولمْ يا حُسْنَى أرا . لك اليومَ هادك الحبْل ؟

(١) ما تخرجه « نظيفة » مادة من مواد لإعداد الطعام .

البخيلة

٧٥٩

نسيت أن هاهنا وتحت هذى الكنبه
العشرات من قديم الكعك والفريبه؟
حسنى : لم أنس يا سيدتى

نظيفة : أنت لاذن غربه

حسنى : قد انتهت لقمة القاضى

نظيفة : انتهت عقرية؟

وما الذى اشتريت يا « حسنى » لنا من الخضر؟

حسنى : « الباميا » كأنها الزر مرْدُ الخمام الجعر

نظيفة : « الباميا » ؟ منذ متى هذا الخضار قد ظهر؟

حسنى : جديدة .. قلت عسى سيدتى بها تسر

نادى المنادون عليها منذ أسبوع عَبر

ترفل فى شوكتها وفى شبابها النضر

نظيفة : أجل لقد أكلتها فى منزل الشيخ « عمر »

كالذهب الإبريز والثوم عليها كالدر

حسنى : واليوم ناكلها

نظيفة : أمر من طعم الصبر

اشتريت غالية مثل البواكير الأثر

حسنى : هدية تلك

نظيفة : وممن ؟

حسنى : من قريب لى حضر

نظيفة : من أين جاء ؟ ومتى ؟

حسنى : من الصعيد قد بكر

نظيفة : ولم ترى جزية ؟

بقبله مستعجلة ؟

إمضى فتانى واطبختى

« دقيقة » مكملة

كانها خليفة

من عسل حملة

والشوم فيها لؤلؤ

وهى به مكملة

والعظم ..

حسنى : واللحم ..

نظيفة : احذرى

يُتبسنى أن أكله

حسنى : اللحم يا سيدتى

فى « الباميا » ما أسهله

نظيفة : « حسنى » انظرى

حسنى : سيدتى

نظيفة : على البلاط وسخ

حسنى : الآن أغسل البلاطة ثم أميضي أطبخُ

[تدخل السيدة إلى حجرتها .. يدخل جمال]

جمال : حُسْنَى

حسنى : جمالُ سيدي ؟

جمال : أنتِ هنا ؟

حسنى : أنتِ هنا ؟

جمال : ما تصنعين ؟

حسنى : صنعتي اليوم وصنعتي غدا

على البلاط أنعمني أغسله كما ترى

جمال : يا ربِّ لِمَ خلقتَ للعذابِ هذه اليندا ؟

حسنى : لا .. لا عذابَ سيدي إلى أحب العملا

جمال : وأين جدي فلم نرى لا أراها هنا

حسنى : أظنها مضت تصأى في الحزانة الضحى

جمال : لله أو لال يا حُسْنَى ترى ؟

حسنى : كما تشاء

مالى وما تفعله ؟ لكلِّ مبد ما نوى ؟

جمال : [لنفسه وقد رأى كيسا على الدكة] :

ما ذاك تحتي ... كيس؟ بُشراي . هذا خراب
أعاسر ليت شعري جرابها أم خراب؟

كيس؟ أجل كيس وحسني لا ترى ... لا تسمع
[ثم يقبله] :

كيس وفيه ذهب آخذه أم أدع؟
[يتركة مترددا]

لا ... لا ... أليس أنا؟ لا ليت يدي تنقطع
[يتناوله] :

لننظر ما حوى الكيس
[يفتحه ويعد ما فيه]

جنهان . . . ريالان

وهذا فص يا قوت وذي سبعة مَرَجان
[يخرج ما فيه]

لننظر ما حوى جيبي أقرشات ونصفان؟
حرام شدة البخل حرام طول حرمان

[يرد نقوده ، وينظر إلى الكيس] :

فإن مددتُ نحو كيسها اليدا سرقْتُ نفسي ما سرقْتُ أحدا

ولا أرى سارق نفسه اعتدى

لا يا جمال .. ما رأى رأيك في الناس أحد
من قال مالُ الوالدين مُستباحٌ للولد؟

[حسنى ، وقد نظرت إليه خلسة فرائه ، وهو يرق]

يا أسفا على جمال ما صنع؟ جاء إلى الكيس مرارا ورجع

حام عليه برهة ثم وقع

[لنفسها] :

ويح جمال جرؤت على الحرام راحته
ما كان لئسا إنما جنت عليه جدته

[جمال يمس الكيس في جيبه] :

وليم لا؟ والمال مالى بعدها وإن تصرفت بمالى وحدها

وديعى حتى تموت عندها

[يخرج مسرعا]

حسنى : يا ألفت ويلي على جمال
 انسل كاللص في الظلام
 الفقير والبخل صيراه من ابن بيت إلى (حرامى)
 هو لص وسارق غير أنى أجبه
 حرمته القليل من حقه .. أين ذنبه؟

إنى بعينى هذه رأيته مرددا
 لما أحس المال جُنَّ واضع الرشد
 على الضمير والعفا في والجبا تعودا
 لو ملأت جودته يديه ما مدَّ اليسدا
 [ثم تسمع نبرة فنقول] :

قد رث في الجيرة قبيلها
 صلت وعادت من مُصلّاها
 وما درث وهى تصلّ الضحى

أنت جمالا من ضحاياها

[تدخل السيدة نطفة بدون أن ترى « حسنى »]

[فنقول حسنى لنفسها] :

تسرع نحو كيسها لم تَرَنى .. فلانتظر

ماذا تُرى تفعل؟ هل تبكى دماً أم تنتحصر؟
[نظيفة لنفسها] :

كَيْسَى كَانَتْ هَاهُنَا مِنْ سَاعَةِ ٠٠ شَيْءٌ عَجَبٌ !
مَنْ يَأْتُرَى طَيْرُهُ ؟ كَيْفَ اخْتَفَى ؟ أَيْنَ ذَهَبَ ؟
فِيهِ رِيَالَانِ وَفِيهِ قِطْعَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ
وَضَعْتُهُ هُنَا وَغَبْتُ عَنْهُ ٠٠ لَيْتَ لَمْ أَغْبُ
كَيْسَى حَبِيبِي أَيْنَ أَنْتَ ؟ كَيْفَ أَلْقَاكَ ؟ أَجِبْ !
كَيْسَى ٠٠ يَارَبِّ أَعْدَلِي كَيْسَى وَخُذْهُ لِي يَارَبِّ مِنْ إِبْلِيسِ
وَكُلِّ لَصِ فَاجِرٍ خَسِيسِ

إِنِ عَدَّتْ لِي فَشْمَةٌ لِلْخَنَفَى أَوْ شِمْعَتَانِ
قَرَشٌ يَعُودُ لِي بِهِ مِنَ الْقُرُوشِ مَائَتَانِ
وَشِمْعَةٌ لِلْسَيِّدَةِ تَوْضَعُ فِي مَسْجِدِهَا
تَبِيتَ فِيهِ مُوقِدَةٌ بِالْقَرَبِ مِنْ مَرَقِدِهَا
لَا ٠٠ أَنَا فِي فَقْرٍ إِلَى شِمْعَةٍ
سَيِّدَتِي « زَيْنَبُ » بِي عَالِمَةٍ

ولم يرَ الناس ولم يسموا
سيدةً تأخذ من خادمة

[ثم بعد أن ترى «حسنى»]

نظيفة : حُسنَى

حسنى : مُرى

نظيفة : أنتِ هنا ؟

حسنى : أجل

نظيفة : تعالى اسمي

خلى البلاط

حسنى : ما جرى ؟

نظيفة : دعيه ساعة دعي

حسنى : ماذا جرى سيدتى ؟

نظيفة : ما لم أكن أنتظر

مصيبة .. فاجعة

حسنى : ماذا دهمى ؟ ما الخبر ؟

نظيفة : كيسي كان ها هنا طيره المطير

- حسنى : ما كان فيه ؟
- نظيفة : ذهبٌ وسُبحَةٌ وجوهرٌ
- حسنى : وهل ظنيتِ السوءَ بى سيدتى ؟
- نظيفة : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ابْلَيْتِ أَسْتَغْفِرُ
- « حُسْنَى » ابْلَيْتِ خَادِمَتِي تَسْرِقُنِي ؟
- ذلك ما ليس ببالى يخطرُ
- فى ذمّةِ الله كَيْسِي عَوَّضَنِي اللَّهُ عَنْهُ
- واللصُّ لا بدّ يوماً يَتَقَنَّصُ لِي اللَّهُ مِنْهُ
- حسنى : سَيِّدَتِي مَسْرُفَةٌ سَيِّدَتِي مُضَيِّقَةٌ
- إن الجرابَ لم يكنْ هذا المكانُ موضِعَهُ
- نظيفة : إذْهَبِي يَا ابْلَيْتِ عَرَفْتُ غَرِيمِي
- أَنْتِ لَا تَجْهَلِينَ هُوَ مِنَّا
- حسنى : مَنْ تُرَى؟ مَنْ ؟
- نظيفة : سَلَى ضَمِيرَكَ عَنْهُ أَنْتِ مِنْهُ مُلْكٌ قَلْبًا وَذَهَبًا
- حسنى : مَنْ ؟
- نظيفة : جَالٌ

- حسنى : ماذا تقولين يا مولى لاقى
نظيفة : الصديق
حسنى : بل تظنين ظننا
من ؟ جمال ؟ هذا محال فظنى
بى أنا السوء
نظيفة : أنت ؟ حاشاك « حسنى »
حسنى : إذن من ؟ قطعة فى البيت لما لم تجذلى
مضت بالكيس ظنته هو الجليلد أو العظمى
نظيفة : [مستفحكة]
إمضى اذهبى يا خبات يا نكبة فى الإناء
أوشكت تدخل الضحى .. إلهسى الغو
سلة « حسنى » طيرى إلى الكانون
واحذرى الطبخ أن يشيط وسدى الـ
بواب دون الأنوف .. دون العيون
حسنى : سيدتى ها أنا ذى ذاهبة لشايب

انتظريني ساعة ثم انظري طعامي

[تخرج]

نظيفة : [لنفمها]

قد ذهبت اشأها اليوم يوم « الباميا »

« حسنى » اذهبي انى لنى شك وإن

أظهرت أنى بك جد واثقة

قد سرق الكيس وامن أحد

سواك فى البيت فانت السارة

ولكنى اذاريك فأخفى خبر البئر

وكم سيده قدامها الخادم بالسر

[جمال يدخل] :

نظيفة : من ؟

جمال : جدتى ... هذا أنا

نظيفة : من ؟ ولدى جمال ؟

جمال : ما صنع الزكام يا جدة

لا يزالُ

نظيفة :

وأنت ما تصنع يا جمال ؟ كيف الحال ؟

جمال : الحال يا جـدة زفت وقطران

نظيفة : كيف ؟ انفخ الجيب

فيه جنينان

جمال : أنا ؟ جنينان ؟ ومن أين له ؟

جيتي حتى من ريالين سخلا

جـدة

نظيفة ؟ روح ... تكلم

جمال : أقول لكن مديني جـدة لا تفصينا

نظيفة : إلا النقود فلاني حلفت أميس يميني

جمال : إذن أمضي سكا جئت إذن لا شيء يا جـدة

على أنني لم أظفر بشيء منك من مـدة

نظيفة : والثلاثون ريالاً ؟

جمال : قد مضى شهرها

تلك شمتها يد النشال فانسلت إليها

نظيفة : لا حَرَمَ اللهُ اللّٰهُ الصَّوَصَ خَيْرَ كَا

ما بالهَم لا يسرقون غيرَ كَا

لم تَلَقَّنِي وتَصْرَفْ بِمَالِي إِلَّا وعادتْ قِصَّةُ النَّشَالِ

كأن مَالِي ليس بالحلالِ

جمال : لم أَقُلْ مَالُكَ يَا جَمْدَةٌ تُنَحُّتُ أَوْ حَرَامٌ

فَلَمَّا يُسْرِقْ مَالُ اللَّهِ وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ

نظيفة : العَيْنُ يَا جَمَالُ

جمال : لَا تَقْصُولِي فَمَا إِلَى مَالِكَ مِنْ سَبِيلِ

لَمِنْ حَاسِدٍ وَلَا قُضُولِي

مَالُكَ فِي الْحَافِ وَالْمَسْدِيلِ

مَالُكَ فِي الْقَفَّةِ وَالزَّنْدِيلِ

وَتَحْتَ مَاءِ الْبَيْثْرِ فِي بَرْمِيلِ

نظيفة : فِي الْبَيْثْرِ ؟ إِنَّ ذَا عَجَبٍ مَاذَا تَصَوِّغُ مِنْ كَذِبٍ ؟

[لِي اضْطَرَاب]

جمال لَا تَنْسِ الْأَدَبَ

في البئر يا ابني؟ هذه ما خطرث بمالي
لِمَ لا تقول المال قد خبأت في مِروالي؟
لكن هَبُونِي قد فعلت ما لكم ومالي؟
ألسْتُ يا ابني حرةً بصيرةً بمالي؟
اصنع ما شئت به اصنع ما بدا لي

جمال : هَوْنِي جَدَقَ طَلِيكَ فَلَانِي لَمْ أَنَاذِرْكَ هَذِهِ الْحَرِيَّةُ
خَبَيْتِي الْمَالَ حَيْثُ شَبْتُ مِنَ الْمَنَدِ

زَلِ فِي السَّقْفِ أَوْ وَرَاءَ حَنِيبَةٍ
ادْفِنِيهِ فِي مَطْبَخِ أَوْ كَرَارِ
أَوْ لِحَافٍ أَوْ ثَلَاثَةِ أَوْ حَشِيَّةِ
أَوْ قَوَارِيْدٍ فِي قَرَارَةٍ بِسَرِّ
ذَاتِ عَمِيقٍ عَنِ الْغُلُوبِ خَفِيَّةِ

جَدَقَ هَذَا كَثِيرٌ مَا الثَّلَاثُونَ رِيَالًا؟
هِيَ يَا جَدَّةُ لَيْسَتْ هُنْدُ أَمْثَالِي مَا لَا
لَا يَمِينًا مَلَأَتْ يَدَايَ وَلَا أَغْنَتْ شِمَالًا

نظرة : عِنْدَ أَمْثَالِكَ؟

- جمال : أى والله
- نظيفة : ما أنتم رجالا
- هى تبني ثروة المرء إذا كانت حلالا
- إسمع جمال
- جمال : سامع يا جدتي
- نظيفة : جَدُّكَ يا بُنَيَّ كان مُفْلِسًا
- جمال : مثلي يا جدَّة ؟
- نظيفة : لا يا ولدي بل كان أشقى حالةً وأنعسا
- أسس من شروى نقييرِ ثروة
- جمال : لم تذكري جدَّة كيف أسسا
- ألم يكن سكناهُ ربَّعا دارسا ؟
- ألم يكن طعامه المدمَّسا ؟
- ألم يكن على البلاط نومهُ ؟
- ألم يُحَرِّمُ نَفْسَهُ أن تَلْبَسا ؟
- نظيفة : ومن نباك أو من ذا
- رأى جَدُّكَ عُرَيانا ؟

جمال : هبهم لم يُتَّبُونِي كَفَانِي بِكَ عِزَّانَا

جدتي ما رأيت قطُّ على جسـ

بِمِكْ مَذْ كُنْتُ غَيْرَ هَذِي الثِيَابِ

بَدَلِي ثَوْبِيكَ الْقَدِيمَ أَهَذَا

كَفَنُ يُرْتَدَى لِيَوْمِ الْحِسَابِ ؟

وعلى الرأسِ ذلكَ الشَّاشُ وَ (الأُو

يَسَةُ) مَلَأَ تَعَاوُلَ الْأَحْقَابِ

قَدْ عَفَا رِقْعَتَيْهِمَا الدُّشْرُ وَالطَّ

يُّ وَطَوَّلُ الْمَدَى وَطَوَّلُ الْخِضَابِ

لَمْ يَسِرِ النَّاطِرُونَ رَجْلِيكَ إِلَّا

كَهْمِي الْجَمَامِ فِي الْقَبْعَابِ

نظيفة : قَدْ تَوَسَّقَتْ يَا جَمَالُ

جمال : دَهِينِي

أَتْرَكِينِي (أَفْشُ) جَدَّةُ مَا بِي

وَالَّذِي مَاتَ فِي الشَّهَابِ مِنَ الْحَرِّ

مَا بِي وَالْهَرَمَ تَفْتَلِينَ شَهَابِ

نفاضة : لا تذكّرني العزيز جمال
ودع الجرح . لا تحرك مصابي

جمال : اقتليني كوالدى

ظيفة : بعد الشر بل اسلم وحطني في التراب

إن يا ابن الجراب والمال فيه لك

جمال : من لي ببعض ما في الجراب ؟

ما انتفاعي به ؟ كليه . . اشريه

بعد ما آذن الصبا بذهاب

[سرود مناه الدوح]

اصفحى جدّة عما كان منى واغفرى لى

واثذني ايتها الجدة أمضى لسبيل

نفاضة : لقد نسيت يا حما لوطسوت ما جرى

والآن ادعوك

جمال : لما ذا ؟

ظيفة : للفداء . . ما ترى ؟

ابق جمال نقسيم لونا جديدا غالبا

لما بقى بنى كل معى اليوم عندى (باميا)
جمال : « الباميا » جديدة ؟ من قال يا جدتي ؟
نظيفة : أكلتها ؟

جمال : أجل مراراً عند أصدقائنا
نظيفة : فى (الباميا) حلّ العلهة وخُذ الطواهييا
وطبخ « حُسنَى » يحفظُ الشُّبابَ والعوافيا

لمجلس جمال ساعة وناجنى بماجيتك
جمال : ماذا أقول جدتي ؟
نظيفة : قلى ما تشا بلحديتك

جمال : أنا يا جدتي كبرت ولا أطلب إلا الزواج

نظيفة : عندى صبيبة لك
جمال : الخادم ؟ لا . كم قالت : لا
نظيفة : لا تدع « حُسنَى » خادماً
جمال : ابنة من ؟
نظيفة : بنى أنا

جمال : لقيطة ربنتها أنت . أليس هكذا ؟

نطيفة : نذاكرنا الزواج نعال ننظر
زواجك كم يكلف يا جمال

عالم : قليلاً جدتي
ظريه : كم ؟
عالم : نصف ألف
سحره : عندك ما لنصف الألف بال ؟

[انهم]
ما تم مهر لا يسبق عليها ولا يبقى على الأفراس مال
[ثم دل جمال]
اشترى جمال ما يكو ن المهر
عالم : عديده ميسه

سحره : من الجنيات ؟
عالم : أجل
و « شبكة » تصلح أن
نطيفة : وكم تساري ؟

عالم : مائة
نطيفة : أنريجها من مائيه ؟

جمال : ومئة كِراءَ بيتٍ للعروس وليّة
نملؤه أتممة وحيلة وآنيّة
ومئة لقرى ومئة لجيئة
نظيفة : واحيرتى ! واضيعتى ! « جمال » .. وانراية !
ان انا زوجتك يا ابني بمت ما وراية

جمال : اذن فاعلمى جدتى اننى خطبت
نظيفة : وما لي ومن تخطب ؟

أحقا خطبت ؟

جمال : أجل جدتى
نظيفة : ومن تلك ؟ ما بيتها ؟ ما الأب ؟

جمال : فتاة من « الخبط » بنت النقيب
نظيفة : بلا والد واسمها « زينب »

هنيئاً لك البيت بيت العفاف
جمال : وبيت الغنى والغنى يُطلب

نظيفة : أنت تعرفى من تكون
وما مالها ؟ إنها تكذب

لأنت أسعدُ منها وأنت أكثر مالا
جمال : أنا ؟ انظري ذاك جبي هل تبصرين رايلا ؟
نظيفة : بل تلك « حسنى » فتأتى أتمُّ منها جمالا
وربما صارت مل فقرها أكثر منها فى غد مالا

وكيف وجدت المال يا ابنى ؟

جمال : اقترضته

نظيفة : ومن كم يا ابنى وكيف رباه ؟

ومن اين تقضى الدين ؟

جمال : يقضيه قادر

على الشئ لا يقضى الديون سواه

نظيفة : ازهدى « جمال » ناد « حسنى » أدعها

[ثم نادى] : يا بنت

جمال : حسنى

نظيفة : بنت

حسنى : [تدخل] مولاتى

نظيفة : هندي « جمال » يتغذى معي

هاتي حديث « الباميا » هاتي

حسني : سوف ترى ياسيدي صنعتي

وسوف تنسى « كفتة الحاتي »

نظيفة : حسني بذات كثيرًا وما رَفَقَتِ بهالي

اكفتةُ يمين وباميا شمال

حسني : سيدتي لاتغضبي لالحلم في المطبخ لا كفتة لا كبابا

العظم لاغير ملاءتُ «الباميا» منه ... فطابت نكهة وطابا

نظيفة : يسلمُ فولك يا ابنتي

[ثم جمال] : اسمع لها

« جمال » ... كيف تُحسنُ ابلوا با

جمال : جدتي هل فكرت في امر « حسني » ؟

نظيفة : كيف ؟ ماذا ؟

جمال : كما افكرتِ بامري

زوجيها

نظيفة : أزواجُ البذت ؟

حسنى : لا... لا سيدي ... ذاك لم يمر بفكري
 أنت يا سيدي « جمال » كثير السـمـزج فاجعل محلّ مزحك غيري
 أنا لا أقبل الزواج بل أنسا في ولو ساق مالّ قارون مهري
 أنا ماعشت لا أفارق هذا السـبيـت إلا إلى قوارة قهري
 نطافة : عشت « حسنى »

[ثم جمال :]

سمعت كيف أجابت ؟

كيف لم تنس لي حسنا في وري ؟

[رثم السيدة نطافة بالوقوف] :

جمال : أين يا جعدة تمضيـنـ

نطافة : قريباً ، . خُطواتي

أنا قسدت خبات أميس لك يا ابني موزنين

[ثم يخرج] :

جمال [الحسنى] :

بعدت جدتي تعالى أقبلد

بك تعالى حبيبي قبلي

حسنى : بعدت فايكن حسنا في وديني

حول عرضي لا يبعد الله ديني

إن أكن خادما فنفسى فى خد
 ير من النبيل والعفافِ مَصُونِ
 لا يخ يا سيدى سواى لما تد
 عو له اليوم من خسيس ودُونِ
 جمال : هى حُسْنَى لا يذهب الوقتُ
 حُسْنَى : دعنى
 وقتُ مشلى بجانب الكانونِ
 جمال : قبلةٌ ها هنا على الجليدِ «حُسْنَى»
 أو على الوجنتين أو فى الجبين
 حُسْنَى : ما الذى قلتَ يا جمالُ
 جمال : طلبتُ السحقَ
 حُسْنَى : حَقُّ المهوَّسِ المجنونِ
 لك يا سيدى جمالُ شئونُ
 فاميض فيها وغلطى وشئونى
 جمال : الى أين ؟ قفى (حُسْنَى)
 حُسْنَى : الى الكانون والنارِ
 الى الشغل الذى ينهى
 عن الريسية والمار
 [ريمشى . . السيدة نظيفة تدخل]

نظيفة : جمال يا ابني

جمال : جسدتي

نظيفة : [لحسني] : ما لك ترجعينا

الموزتان يا جما ل صارتا عجينا

جمال : ألقيهما يا جدتي السقي العفن التيننا

نظيفة : اشرهما يا ابني عسى أن يُورثاك لينا

جمال : أنا يا جددة لا أقسوى على هذا العلاج

إن في البيت دجاجاً فاطرحيه للدجاج

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

« الست نفلوفة هل فـراش أرضى فى قاعة من منزلها ، »

« وسولها » حسنى « وجماعة جئن للسؤال عنها من الجارات »

زائرة [وهى داخله] :

العوافى أم الأفندى العوافى

حسنى : انخيفضى الصوت . . أميسكى يا خاله

الزائرة : ما لها ؟ ما بها ؟ عفا الله عنها

حسنى : هى من ليلتين فى شرّ حالة

زائرة : أم الأفندى عوفيت من قلبها تحببني

ما كان اندى يدها هل الفقير والغنى

شفاهها الله للبيت والجار والجاره

جَـرَى إِحْسَانُهَا كَالسَّيْلِ حَتَّى أَغْرَقَ الْحَارَةَ

قَدْ وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَيْهَا مَرَّةً فِي «السَّيِّدَةِ»

أخرى : فَا رَأَيْتِ ؟

الأول : نَحْوَةً وَكِرَامًا مَا أَزِيدُهُ

جَاءَتْ وَرَاحَتْ تُقْرِضُ اللَّهَ وَتُعْطِي مَسْجِدَهُ

وَصَكَبَا مَدَّ فَقِيرُ رِيْدُهُ

عَفَضَتْ يَدَهُ

الثانية :

يَا أَخْتُ أَيْنَ ذَلِكَ الْمَدْحُ الْعَطِرُ ؟

وَأَيْنَ جُودُهَا الَّذِي كَانَ الْمَطَرُ ؟

الأول : [حَسَنَى]

أَنْظِرِي خَلْقَكَ « حُسْنَى »

مَنْ ؟

حَسَنَى :

هِيَ الشَّيْخَةُ « بَنِيَّةُ »

الأول :

[الشَّيْخَةُ بِنْتُهُ تَتَقَدَّمُ] :

بَنِيَّةُ : كَيْفَ حَالُ الْهَائِمِ الْيَوْمَ ؟

أَنْظِرِي ، الْحَالَةُ صَمِيمَةٌ

حَسَنَى :

إحدى الزائرات :

« حسنى » اطرحى النعم ولا

تستسلمى إلى الكدر

رأيت رؤيا أمس

أخرى : ما ذلك

حسنى : خيراً . ما الخير ؟

الزائرة : رأيتنى فوق طريق فيه طين ومطر

مشى به أم بما لي تشبى وتفتكر

تحمل حمل جميل أو حملين من حجر

حسنى : ثم

صاحبة الرؤيا :

إذا فوق الطريق ثم شيخ قد ظهر

كان نور وجهه تحت العمامة القمر

قد طرح الأحمال عنها بقدرت على الأثر

حتى ليلت ساعة هبت كيف لم تطر

سمعت يا شبيخة رؤى ياى ؟

سمعت العجبا

الشبيخة :

البخيلة

٧٨٧

رؤيا كأنها الفلق تبارك الذي خلق
 أم جمالٍ أعيّنت وزال عنها العناء
 وذلك الشيخ قطبٌ على يديه الشفاء
 أخرى : أم جمالٍ بخيرٍ قد ألقِيَ الجملُ عنها
 [يظهر الدكتور مقيلاً]

إحدى الزائرات :

ماذا ؟ من الداخل ؟ من يا ترى ؟
 أخرى : هذا هو الدكتور عبد السلام
 الأول : إبعده هذا .. القطبُ يؤتى به ؟
 الثانية : وأى قطب ؟
 الأول : هل نسيت المنام ؟

أخرى : ماذا تقول ؟ تظنُّ هذا القطب ؟
 الأول : ذاك هو العمى
 هذا الطيبُ مطرُبشٌ والقطبُ كان مُعمّماً
 شتآن بين القمر المنور المملح
 وبين تيس الجبل المفلح المملح

ما تلك فوق عينه ؟

الثانية : زجاجة مُدَوَّرَة
تَقِيهِ ضَوْءَ الشَّمْسِ أَوْ تَمْنَعُ عَنْهُ الْغَبَرَة
كَأَنَّهَا عِمَامَةٌ تَحْجُبُ عَيْنِي بِقَرَّة
الأول : وَلَمْ تَقْطَعْ بِالشَّيَا بَ السُّودِ رَأْسًا لَقَدَمِ ؟
كَأَنَّمَا أَخْرَجَ مِنْ زَكِيَّةٍ مِنَ الْفَحْشَمِ
الثانية : سَوْدُ الثِّيَابِ بِمِصْرٍ صَارَتْ ثِيَابَ الْإِمَارَةِ
فَلَا تَرَيْنَ بِيَاضًا إِلَّا عَلَى شَيْخٍ حَارَةٍ

الأول : وَمَا يَفِيهِ ؟

الثانية : إِسْأَلِي حُسْنِي

حسنى : يَفِيهِ « تَوَسَّكَنَهُ »

الأول : مَسْكِينُ الدُّكْتُورِ قَدْ أَصْبَحَ فُسُوءَ مَدْخَنَةِ
الدُّكْتُورِ: الْمَوَافِي أُمُّ الْأَفْنَدِي الْمَوَافِي

حسنى : هِيَ فِي غُشْيَةِ وَنُومٍ عَمِيقٍ

الدُّكْتُورُ: كَيْفَ حُسْنِي؟ مَا حَالُ أُمِّ جَمَالٍ ؟

حسنى : هِيَ فِي الْكَرْبِ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهَا

الدُّكْتُورُ: وَدَوَائِي ؟

حسنى : لما تعاطتته نامت
نومة لم تقسم إلى اليوم منها

ما بها يا سيدى ؟ ما داؤها ؟
الدكتور : ثمجة من أكلية ذات دسم
حسنى : ثمجة ؟ لا سيدى الدكتور . . لا
نحن لا نعرف فى البيت التخم

الدكتور : إذن بها ضعف
حسنى : ومن أين جاء الضعف
الدكتور : من قلية ما تطعم

حسنى : وما يقوى الضعف ؟
الدكتور : الأكل يا حسنى
حسنى : وكيف الأكل ؟ أين الفم ؟

الدكتور : رحسم الله زوجها إنه كان صاحبى
كان فى كل منزل وطريق بجانبى

[ثم ينقل الدكتور بقاء لمخاطبة إحدى الزائرات]
« خضره » أنت هنا ؟ ما تصنعين يا ابنتى ؟

حضرة : في كل ساعة أجي أسأل عن سيدتي
الدكتور : و« حسن » زوجك ما

يصنع ؟

حضرة : في البيت انطرح

منذ تناول الملا ج بالوانى ما سرح
الدكتور : وما له لم ييجئنى ؟

حضرة : بأى رجل يجيىكا ؟

الدكتور : [إل مرجانة] :

ما ذاك يا بيضاء ماذا أرى ؟

مرجانة : تورم الخلد من الدمل

الدكتور : [يخرج مشرطا من جيبه]

هاى أريه . . هبرى ساعة

أفتحهُ

مرجانة : لا . يفتح الله لى

أنى : تديه يفعل تستريحى

أنى : أقعدى حذار « مرجانة » أن تفعل

[يدخل جمال]

الدكتور: من ذاك؟ أنت جمال؟

جمال : من؟ سيدى الدكتور؟

كيف وجدت جدى؟

الدكتور: تسير نحو العافية

جمال : وكيف وهى من ثلاث لم تُفِقْ؟

حسن : بل إنها من أربع كما ترى

وارحمته لك يا سيدى

ولطف الله بنا فيما جرى

جمال : حسنى أقل الحزن . . يغفوا الله عن

أزيد من هذا ويشينى أكثرا

الدكتور: دما . . لا تخافا ولا تحزننا

فما الأمر للباين بالصائر

وكم فاقيد الرشيد لا غائب

ورائى تركت . . ولا حاضر

وآنر لا راقيد فى الفراش

إذا قلبوه . . ولا ساهين

أحمد شوقي

٧٩٢

حسنى : أمريضاك كلهم وهكذا ؟

وهل يستفيقون يا سيدي ؟

الدكتور : تقوم عليهم يدي بالشفاء

قيام المسيح على المقعد

حسنى : [جمال]

وأنت سيدي جمال قوئي

ملئني العزاء والتعزية

زائرة : « مرجانة » انظريهما

الأخرى : يحبها

الأول : تحبهُ

الثانية : ويديده قلبها

الأول : وفي يديها قلبهُ

« يخرج جمال ، وتخرج مرجانة وبهض »

« الزائرات ، وتدخل إحدى البساتين تدمي زهرة »

زهرة : ما حال أم الأفندي ؟

حسنى : سيدتي في العذاب

مضى عليها أربع في كربة لا تُفَرِّجُ

في النزج لا وعى لها والسُر ليس يخرجُ

زمره : لدى خاطرٌ خطرُ

حسنى : ما ذاك ؟

اخرى : ماذا ؟ ما الخبر ؟

زمره : اصغين .. مما جربوه في الأسر

صوتُ « الفلوس » عند رأس المحتضر

إن كان في دنياه بالهزل اشتهر

يسمها فينطفي على الأثر

وكلمتا تأخرت عنه انتظر

حسنى : إذن قومي أريحيها إذن من هذه الحالة

زمره : وأين الشائش والفضة ؟

حسنى : من مالي يا خالة

زمره : مالك أو مال سوا لك كل مال قد حضر

القصد أن يفسرع صو ت المال سمع المحتضر

« حسنى » اسمى لى أصبى

هاتى ملاءة فرش

والآن فليُلقِ كُلُّ منكنَّ فيها بقرش

ثم لحسنى

« حسنى » خذى من طرف

وأنتِ من ذاك الطرف

ثم لآخرى

لجميع

وأنا أبقي هنا

لصبي موجود

وأنتِ قُسمِ شُذُّ لا تَحْفَ

والآن فلنقسم إلى الفسراش

ومثل صُنعى فاصنوهوا بالشاش

بدخل جمال

جمال : ما الحال حسنى ؟ وكيف أمست ؟

فى التزع والكرب لا تزال

حسنى :

« يذهبون بالشاش حتى يقتربوا من فسراش المنصورة ، وهم »

« مسكون بجهاته الأربع ، فتخرج الأول نقودا وتلقيا فى »

« الشاش ، فعمل الهاتف ، مثلها ، يتقدم « جمال » بلا : »

« ويخرج من جيبه به نقودا ، ويقول : »

جمال : وأنا أيضا أشتريك هالك خُذِي ما أملاك
وضعتُ كل فضتي كي تستريحَ جدي

« بأن التقود »

« الأربعة يوزون الشاش بالتقود بينهم ، »

« وتقول الأول مخاطبة المحتفزة »

الأول : أمضي ولا تُفكرِي في المالِ وأنسى حديثَ القرش والريالِ
أنتِ وما ملكيتِ للزوالِ

هزوا معي . . هزوا معي يا أيها الروحُ الطامِ
إلى النعيمِ الأوسعِ

وديمة الله اذهبي أمضي ولا تُعذبي
فقد عودي والنبي

إحدى السيدات [بعد وفاة الجدة] :

فقد انقضى الأمرُ قد خرجَ السرُّ
« حسني لك الأجرُ »

حسني [جمال] :

المبصر . . وانخرج سيدى جمالُ

لمثل ذال يصلح للرجالُ

المنظر الثاني

« في منزل المرحومة الست نطفة . »

« تظاهر « حسنى » في ثوب أسود »

حسنى [لنفسها] :

عيني أحق أنى في منزلى ؟

لا . كان لى فوهبته بجمال

غاليته فى شغيف الفؤاد بحبه

حتى وهبت له الثمين النالى

أعطيته ما كان أصبغ فى يدى

من مال جدته . . فليس بمالى

لم يرض قلبى أن أميش سعيدة

ويعيش فى بؤس ورقة حال

أستراه يقدر خدمتى ومحبتى

أو لا يمر له الصنيع ببال ؟

رحمة الله على سيدتي
وسقى الله ثراها وجزاها
حرمتهني الشاش حتى ذهبت
فكسأني الخبز في الموت يداها
وحرمتهني الماء حتى احتجبت
فسقيت الشهد من فيض نداها
صار لي من بيدها منزلها
والدكاكين وآلت خبيعتها
ثروة قد نهص الجوع بها
ومشى الحرمان فيها فبناها
وهبت لي كل ما قد ملكت
لم تدع من ذاك شيئاً لفتاها

[بعد لحظة]

لا ، ذاك مالٌ جمال تركتهُ لجمال
وعسدت ما كنت من قبل ، فوطقي هي مالي
أجل أنا الحادم والطاهية
وما أنا السارقة الباغية

ولا على الناس طفيلية
أجمل أموالهمو مالىة

سمعت حديث البخل حتى صعبته
زمانا أراه كل حين وأسمع
روح ويغدو بين عيني صورة
ويأتى حيالى بالحياة ويرجع

سيدتى وبخائها فى (الخط) سارا كالمثل
وانتقلت وذكرها بالبخل فيه ما انتقل
يرحمها الله فى أنسى لها تلك الجمل
فى غضب عند الحواير واضطراب و (زعل)
وما اختلفنا مرة فى جميل ولا بجمال
لكن لأجل الثوم كما

نّ الخلف ، أو حول البصل
ولم نكن من الدقيق ننتهى ولا المسسل

يرحمها الله وإن لم تأت يوماً بحسن
عاشت بشوٍٍ واحد
أما أنا . . فالشاش أو ما دون ذلك في الثمن
وبذا لقي وفوطتي
وأجرتي عشرون قرشاً مع كثرة المهن

البئر لا أبرحها خارجة وداخلة
صاعدة كالداو كل سامة ونازلة

طبّاخة أصنع من لا شيء شيئاً ناكدة
وأخفي على البلا ط كل حين أغسله
وكل دكان على أجرها أحصله

[تدخل زمرة.]

زمرة : العوافي يا ابتي

حسني : من جاءنا ؟ خالتي زهرة ؟ أهلاً مرجبا

أدخل

زمرة : [لنقدمها في حسد وحقد] :

يا لك من طبّاخة نشر الحفظ عليها الذهب

[ثم حسنى]

يَا هَناكَ الْمَالُ حَسَنى

حسنى : مَالُ مَنْ ؟

زهره [لنفسها] : هى تُحْسِنى

حسنى : بَلْفُوكِ الْكَذِبَا

زهره : عَجَبًا .. أَنْتِ إِذْنِ لَمْ تَرِي

مَالِ مَوْلَاتِكَ ؟

حسنى : لا . لا . تَعَجُّبا

أَنَا يَا خَالَهُ لَسْتُ بِعَمَةٍ

لَعَنَّ اللَّهَ الَّذِى أَلْفَنَى الْمُتَعَتِبَا

زهره : إِنْ لِلْجِيرَانِ « حَسَنى » أَلَسْنَا تَهْزِئِى مَالِوَالَا

حسنى : مَا الَّذِى قَالُوهُ ؟

زهره : قَالُوا أَنْتِ جَرَرَدِىَ بِمَالَا

حسنى : كَذَبُوا وَاللَّهِ لَمْ أَلْسَمِشْ لَهُ بِالْيَسِيدِ مَالَا

[تخرج « زهره » وتبعتها « حسنى » . يدخل « جمال » .]

[تدخل « حسنى » وترى جمالا]

حسنى : مَنْ ما هنا ؟ أَهْوَ جمال سىدى ؟
 جمال : أجل . أنا الغريبُ فى بيتِ أبى
 أنا الذى قد سلَّبوهُ مالُهُ
 لم يبقَ من مالى ما لم أُسَلِّبْ
 قد ضربتُنّى فى الحياةِ جدى
 وفى المماتِ
 حسنى : ألف لا . لم تُضَرِّبْ

اجلس . تفضل . استرخ
 هَوْنٌ عليك سىدى
 جمال : لم يبقَ من مالكِ يسا
 جدَّةُ شىءٍ فى يسدى
 ضيَّعتِ أمسى ثم لم
 يَكُنْ فضيَّعتِ غدى

« حسنى »

حسنى : « جمال »
 جمال : افترقنا
 حسنى : كيف ؟ لا . أبدا

جمال :
تفسير الأمر من حال إلى حال
أنت الغنية « حسنى » والفقير أنا
المال مالك منذ اليوم لا مالى

حسنى : المال يا جمال ؟ الفقر ؟ الغنى
ماذا تقول سيدى ؟ ماذا جرى ؟
جمال : أليس حرمائى لونا متقنا
طبعته أنت وجدتي معا ؟
« حسنى دعى الحب ولا تجاهلي
أتملم الحب على والربا ؟
حسنى :
حُرمتِ ميم ؟

جمال :
من تراث جدتي
حسنى :
إذن من الوارث
جمال :
أنت لا أنا

حسنى : أنا أراك سيدى تهزأ بي
كفى جمال سخرأ منى كفى

أقسم هذا الأمر لم أعمل له
وانى آخِر من دَرى به

جمال : أما رأيت كتاباً معيماً

وشاهدين يعملون ما هنا ؟

وشيعه تُملي عليهم بخطها

تَحْرِمُ ذا قُرْبى وتعطي أجنيا

كعين ربوة تخطي غيرها

إلى الوهاد مُستحققات الرُّبى

حسنى : جمال سبيدي تمال نَحْسُكُمْ

إلى الحقوق والصواب والنهى

هَبْ ما تقول يا جما لُ قد جرى

جمال : لقد جرى

حسنى : هات الكتاب فاعُ ما

تشاء ، واثبت ما تشاء

بَدَلْ وَغَيْرُ فى كتا ب وَقِفْها كما ترى

أنت غنائى ، ، إن غضب

مت ما انتفاعى بالغنى ؟

أمضى فابنى سيداً أو أبتنى

سيدة أطهو لها

جمال : ماذا أرى ؟ تبكين حسنى ؟ مم ؟

لا

حسنى :

كفى ابنتى كفى بكى

جمال :

حسنى : خذ ماله واخلنى أعيش كما

كنت أعيش أولاً

جمال : بحياتى قولى الحقيقة حسنى

أتمنينى ؟

أجل . يلى قلبى

حسنى :

جمال : مثل حبنى ؟

م ؟

جمال أحببتى اليوم

حسنى :

قديم وحق عيليك حبنى

جمال :

كنت أهواك طفلة تملأين الـ

بيوت والحوش من صباح ووثب

كنت أهواك طفلة فى الكوايين نائمة

كنت أهواك خادماً كنت أهواك طابخة

[ثم يمك يدها ويقول]

كم اشتيتها يدا ما فرغت من العمل

كنت أراها كَيْدِ الْمَلَكَةِ أَهْلًا لِلْقَبْلِ
وَأَشْتَهَى رَائِحَةَ النَّوْمِ عَلَيْهَا وَالْبَصْلَ

حسنى : سيدى أنت خطبت

جمال : لا

حسنى : نعم بل خطبت امرأة ذات يَسَارٍ

وأبوها كَاهِرٌ ذُو لَقَبٍ وله زَرْعٌ وَضَرْعٌ وَعَقَارٌ

جمال : وما تريدن "حسنى" ؟ أأنقض اليـد منها ؟

الله ربُّ جمالٍ يُغْنِيهِ عَنْكَ وَعَنْهَا

[امرأة تريد الصعود]

المرأة : أأأخذُ فى المنزل ؟

جمال : [من أجل]

من هذه ؟

أم "على"

المرأة :

أنت هنا ياسيدى ؟

أجل . تفضلى ادخلى

جمال :

أم كل : [تصعد] .

دستوركم

جمال : تفضلي لا أحد في المنزل

حسنى : [جمال]

من تلك من ؟

جمال : امرأة من بيت أمهاري الجدة

مسديقة قديمة في كل أمر تجتهد

حسنى : ماذا تريد يا تسرى ؟

جمال : الآن نعلم الخبر

أما أنا فليس لى في بيت إنسان وطزر

حسنى : كرهت سيدي الغنى ؟

جمال : أجل

حسنى : وهكذا أنا

[ثم وهي خارجة]

لا ياخذ الإنسان من دنياء إلا الكفت

[تدخل أم مل]

جمال : يا مرحباً أم على ماذا حملت من خبر ؟

أم مل : كنتُ رسولَ الصَّهْوِ واليَوْمِ أتيتُ بالكَدَرِ

جمال : ماذا ؟

أم مل : أصبح يا سيدي أم العروسِ جُنَّتْ

جمال : كيف ؟ ولم أم مل ؟

أم مل : تريد فسحَ الحُطْبَةِ

جمال : كذا أنا

أم مل : وأنت أيـضاً ؟

جمال : تلك كانت يَلِيقِي

قد سمعتُ لا شك أنِّي قد خَيرْتُ ثَروتي ؟

قد حملتُ بأنني قد حرمتني جدتي ؟

أم مل : أجل

جمال : فقالت مفلسٌ ليس يليقُ لابلتي

أم مل : وهذه (الشبَكَةُ) يا سيدي

انظر ، تأمل . خاتمُ لا يُساب

وهذه قيمة ما جاءنا
من (سبت) النقل وغالى الثياب
نحسون خذها، عدّ، من عادتي
جمال : [ياخذها]

أن تتغلّطى يا خالتي فى الحساب

[ثم ينتهى من العدّ]

أم هل : هى نحسون سيدي

جمال : هذه خمسة لك

أذهبي . لست ناسياً أبداً الدهير فضلك

[تخرج أم هل ثم تدخل حسنى]

جمال : [بعد أن يراها]

ربّاه .. ما ذاك ؟ تلك حسنى ؟

من أين حسنى ؟

حسنى : من الستارة

سمعت ما قالت المعجوز

ولم أفتنى لها عبارة

خُذْ سَيْدِي

جمال : ماذا لك ؟

حسنى : ذلك وقفُ أسرتك

[تناوله ورقة]

كانت شروطُ الوقفِ لى

فأستعملتُ لخدمتك

وما ظننتُ ثروتي ما كان غيرَ ثروتك

ذاك اتفاق قد جرى بيني وبين جدتك

ما أرمسدت بلهقي حوْلته بلهيتك

جمال : جدي في تمنّاتها برةً بي وعحسنه

فعلت في فعله نهيّتي من السّنة

ساء في المال مذهبي فبرأت أن تُحسنه

وأيت « حسنى » أتخبيني ؟

حسنى : أأنت في ذلك ترقابُ ؟

قد كنتُ دنيا مغلقاً بابها

دُوني .. فكيف انفتح الباب ؟

- جمال : الآن «حسنى» أقبل نُجِّرِ حديثَ ما مضى
كيف وجدتِ جدتى ؟ وما مكانى عندها ؟
- حسنى : تحبُّكِ الحبُّ الذى كانت تحبُّهُ ابنتا
وتكتنِى إن غبتَ عنها أو بعدتَ الوَلَمَا
تكاد لا تسمعُ إن غبتَ .. تكادُ لا ترى
- جمال : فما لما كانت تُذيقُنِى الحفاءَ ؟ ما لما ؟
فلو سألتها العمى ضلَّتْ ملى بالعمى
سعيدتى بخيلةٌ
- جمال : أعلمُ يا حسنى رِذَا
وهى إذا قيسَتْ إلى جدتى .. كالغيثِ ندى
عليها جدتى .. وكا
ن أجد النامس يدا
- حسنى : وأنا أيضًا سعيدى أصبحتُ بالبخلِ أنا !
- جمال : حنانيك ، ماذا قلتِ «حسنى» أخفِيتِ
أفدَّر رُبِّى أن يطوِّلَ عذابى ؟
أعداكِ حُسنى بِحُلِّ جدتى .. لانى
إنف من مصاب صائرُ لمصاب

حسنى : لا تَحْشَ بَخْلَى سِيدَى .. لَسْتُ مَنْ
تَبْخُلُ فِي حَقِّ وَلَا وَاجِبِ

جمال : وَيحى ! أأرْمِيكَ بِالْبَخْلِ ؟ قَبَّحَ اللَّهُ ظَنِّي
وَقَدْ رَأَيْتُ بِعَيْنِي وَقَدْ سَمِعْتُ بِأُذُنِي
فَأَنْتِ أَرْجَعْتِ مَالِي وَكَانَ قَدْ ضَاعَ مِنِّي
فَمَا سِوَى اللَّهِ « حُسْنَى » بِقَدْرِ يُجْزِيكَ عَنِّي

سَتَجْعَلُنَا الدُّنْيَا غَدًا .. كَيْفَ يَأْتُرَى
يَكُونُ طَعَامِي أَوْ يَكُونُ شَرَابِي ؟

حسنى : سَتَشْرَبُ الْمَاءَ فِي أَوَانٍ
غَالِيَةٍ حُلْوَةٍ نَضِيدَةٍ
وَبِيرَةٍ كُلِّ ظَهِيرِ يَوْمٍ
تَوْضِعُ فِي الثَّلْجِ وَالْبُرُودَةِ

جمال : وَالْأَكْلِ ؟

حسنى : مَا شِئْتُ مِنْ شَوَاءٍ
وَمِنْ دَفِينٍ وَمِنْ عَصِيدَةٍ

جمال : نَسِيتُ « حُسْنَى » مَا لَيْسَ يُنَمَى

ما ذاك ؟

حسنی :

« البامية » الجديدة

جمال :

هذه « الشبكة » التي أرجعتها المغفلة

خاتم قيد وضعته في البنان المقبلة

[يلزمها الخاتم ويقبل يدها] :

حسنی : والمهر ؟

جمال : [يشير إلى النقود المرددة]

تلك هي آت أعطى جمال ما ملك

ما المال مهراً للملك

حسنی : ومهرك سيدي ؟

مهري ؟ تُرانا

جمال :

تزوجنا هل دين النصاري ؟

دعي حسني المزارح

أقول جيداً

حسنی :

ولم تأتي ؟ اتحسب ذلك عارا ؟

وكم من مسلمات سُقِنَ مهرًا وإن دُعِيَ الأبعدَ والعقارًا
 جمال : إذن هاتى اذكرى مهري وسميَّه على قَدْرِى
 فقد تعطينى قرشًا وقرشين . . وما أدري
 حسنى : بل الدنيا وما فيها وما جلَّ عن الحُصير
 جمال انزل إلى البئر نحمدُ مهرَكَ فى القمير

جمال : مهري فى البئر ؟

حسنى : أجل

جمال : كيف هو ؟ كيف نزل ؟

أُنزلُها ؟ هذا خَبَل !

حسنى : تنزلُ إن شئتَ معاً

لكى أريك الموضعاً

هناك يُبهرُ العجبُ

ماذاكَ ؟

جمال :

صُندوقُ خَشَبٍ

حسنى :

ممتلئٌ من الذهبِ

جمال : هناك الذهبُ الحلوُ إذن طيرى بنا طيرى

قبلتُ المهرَ يا حُسنَى إلى البيرِ إلى البيرِ

(ستار)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٤/٢٠٦٧

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٢٦٨ ٩

